دير القديس أنبا مقار

شرح رسالة
القديس بولس الرسول
إلى أهل غلاطية

رسالة دفاع عن «حق الإنجيل»

[من أقدم الرسائل وقد تكون أقدم وثيقة مسيحية بين أيدينا اليوم.] ف. ف. بروس

الأب متى المسكين

كتاب: **شرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية**
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأولى: **1996**
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
صندوق بريد 2780 القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 96/2522
رقم الإيداع الدولي: 7-053-240-977

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الكمبيوتر ثم الطابعة بالليزر، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسَّسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوع كملازم، ثم تخييط الملازم معاً ثم التجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنًى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارئ بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لشرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا: مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا: مراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.
الأب وديد: تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس: المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري: نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلِّف.
الأب برتي: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب لونجينوس: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب أخنوخ: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب يسطس: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب دوماديوس: مضاهاة بروفات الجمع على الكمبيوتر على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا: تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس: مراجعة البروفات وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأب جيروم: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.

وأخيراً ـ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارئ، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار
عيد تذكار نياحة القديسة العذراء مريم
21 طوبة سنة 1712 للشهداء ـ الموافق 30 يناير سنة 1996م.

المحتويات

المقدِّمة

شرح الرسالة إلى غلاطية

الجزء العقائدي

[1-5:12]

الأصحاح الأول

الأصحاح الثاني

الأصحاح الثالث

الأصحاح الرابع

الأصحاح الخامس
[26-2:5]

الجزء العملي من الرسالة
[18:6-13:5]

الأصحاح السادس

Bibliography

Barnes, A., *Notes on the New Testament, 1 Corinthians to Galatians,* (1884; reprinted, Baker Book House, 1983).

Bruce, F. F., *The Epistle to the Galatians* (NIGTC; Grand Rapids, 1982).

Burton, E. D., *The Epistle to the Galatians* (ICC; Edinburgh, 1921).

Chrysostom, Saint John, *Homilies on Galatians,* NPNF, 1st series, vol. XIII, Eerdmans, 1956.

Cole, R. A., *The Epistle of Paul to the Galatians* (TNTC; Grand Rapids, 1965).

Fung, R., *The Epistle to the Galatians* (NICNT; Grand Rapids, 1988).

Guthrie, D., *Galatians,* (NCBC; revised edition 1973; Grand Rapids, 1981).

Hendriksen, W., *Galatians,* (Grand Rapids, 1968; 1987^{6}).

Lightfoot, J. B., *The Epistle of St. Paul to the Galatians,* (1865; reprint, Grand Rapids, 1962).

Meyer, H. A. W., *Critical and Exegetical Handbook to the Epistle to the Galatians,* (1883; reprinted Hendrickson, 1983).

Neil, W., *The Letter of Paul to the Galatians* (CBC; Cambridge, 1967).

المقـدِّمة

القيمة الإنجيلية ومستوى الأصالة لرسالة غلاطية:

تحتل الرسالة إلى غلاطية مكانة ممتازة بين الرسائل التي لبولس الرسول، فبحسب رأي العلماء الأوائل ومعهم المدرسة الألمانية النقدية توبنجن(1)، تعتبر واحدة من أربع رسائل مدموغة بالأصالة وهي الرسالتان لكورنثوس والرسالة إلى رومية وهذه الرسالة. ولكن تقع رسالة غلاطية في الصدارة بحسب تقنين أقدم العلماء مثل ترتليانوس(2) الذي يقول إنها الأولى في قوة شمول حجتها ضد اليهودية.

أمَّا عند العلماء المحدثين مثل ليتفوت(3) ويوافقه العالِم بروس(4) فإن الرسالة إلى غلاطية تُعتبر النموذج الأول الذي خرجت رسالة رومية على قياسها ومستواها. لذلك فهي أقرب الرسائل إلى رسالة رومية.

ويقول العالِم بروس عن دراسات ليتفوت إن الرسالة إلى غلاطية تتعدَّى مجرد النموذج الذي خرجت رسالة رومية على مستواه، بل تتفوَّق على الكل من جهة الدراسة اللاهوتية الواعية المتفتحة في موضوع **التبرير أمام الله بالإيمان** بدون ناموس، حيث فيها تحل النعمة بالتمام محل أعمال الناموس. وعلى هذه الدراسة صيغت كل الرسائل، كما كانت صاحبة السبق في تقديم عمل الروح القدس كمركز وحيد تنشأ منه وتدور حوله الحياة الجديدة في المسيح يسوع، الموضوع الذي استوفاه ق. بولس بعد ذلك في الرسالة إلى رومية. حيث من الروح القدس يولد الإنسان الجديد في المسيح ليحسب ابناً حرًّا لله غير ملتزم أو خاضع للناموس كامتياز بالنعمة فائق على كل تصوُّر في القديم.

كما تفتخر الرسالة إلى غلاطية بأنها تحمل أصحاحين كاملين يشرح فيهما ق. بولس أهم حوادث حياته حتى ومن قبل أن يتقبَّل دعوة الله للرسولية، وذلك في معرض دفاعه عن صدق وحق رسوليته التي لم يقبلها من الرسل ولا من أحد قط، بل من الله وفم الرب يسوع المسيح من السماء رأساً. ولكن

---

(1) Tubingen Sch., F. C. Baur, *On Paul* I: 246.

(2) Tert., *Ad. Marc.* 5. 2.

(3) J. B. Lightfoot, *Galat.*, p. 49.

(4) F. F. Bruce, *The Epistle to the Galatians,* p. 1.

دفاعه عن رسوليته لم يطرحه ليزكي نفسه بل ليزكي رسوليته وبالتالي الإنجيل الذي يكرز به.

كما تحمل الرسالة إلى غلاطية أول ضوء يسلّطه بولس الرسول على **فئة اليهود المتنصرين الغيورين على الناموس الذين كانوا يعلّمون أن الإنسان المسيحي لا يخلص إلاَّ إذا اختتن والتزم بالناموس، لذلك أسماهم بولس الرسول الإخوة الكذبة**، وإن كان في هذه التسمية نوعٌ من المضادة فلأن «الإخوة» تأتي من واقع تنصُّرهم، **أمَّا «الكذبة» فهي بسبب تقييمهم لموسى فوق المسيح، والختان فوق النعمة.** هذه الفئة دوَّخت بولس الرسول إذ تعقَّبته في كل رحلاته وكنائسه التي أنشأها، ليفسدوا إيمان المسيحيين ويزعزعوا ثقتهم في الصليب وعمل النعمة، لذلك أسماهم أيضاً «بالمزعجين.» (غل 7:1) كما جاء ذكرهم أيضاً في الرسالة الثانية لأهل كورنثوس وفي الرسالة إلى أهل فيلبي.

أقوال العلماء في تقريظ رسالة غلاطية:

تعتبر رسالة غلاطية من أحب الرسائل لدى الدارسين للأعمال الرسولية. ويقول عنها العالِم بروس(5) إنها وثيقة ذات امتياز من جهة البحث والدراسة، ويَعتبر أن فرصة دراستها وشرحها كانت مسرَّة كبيرة لنفسه شخصياً، وحينما خرجت من الطباعة أحسَّ بأنها مكافأة ثمينة لجهوده.

كما يقول العالِم الألماني ماير نفس القول وأكثر(6)، مما شلّ قلمي عن أن يترجمه كلّه:

[وبخصوص هذه الرسالة الفائقة الأهمية في مستواها العقائدي وما تحمله من معطيات تاريخية أقول بصراحة إني اجتهدت وثابرت لأؤدي واجبي نحوها لتخرج في وضعها الحسن لتطابق منهجها بوضوح في حدود اصطلاحاتها التي لا تمت بشيء **للاهوت هذه الأيام باصطلاحاته المعتمة:**

Have nothing in common with the miserable twilight-haze and intentional concealment of meaning that charactarize the selection of theological language in the present day].

ويقول العالِم الأمريكي أرنست دوت بورتن أستاذ شرح العهد الجديد بجامعة شيكاغو (1920):

[بالرغم من كونها كُتبت على عجل وتحت تأثير توتر عصبي عاطفي، إلاَّ أنها تُحسب من

(5) Bruce, *op. cit.,* 2.

(6) H. A. W. Meyer, *on Galat.,* p. xvi

أهم وثائق المسيحية المبكرة وتحمل أنبل توسُّل كُتب قاطبة يدعو للحرية المسيحية وروحانية العبادة.](7)

وإذ نترك تقريظ العالِم ماير عن لاهوت هذه الأيام ـ الحاضرة ـ ونحن عارفون جداً بمواطن الضعف فيه، ندخل في شرحنا لرسالة غلاطية التي لن تتكلف الجهد الذي عانيناه في بقية رسائل بولس الرسول، وبالتالي لن نثقّل على القارئ معنا في إثبات قانونية الرسالة وأصالتها. فهي موثّقة ومعتمدة لدى جميع العلماء، إذ يقول في ذلك العالِم الألماني اللاهوتي أوجست ماير في شرحه لهذه الرسالة:

[إنه لم يحدث ولا يحتمل أن يحدث قط أي شك في أصالة هذه الرسالة.](8)

وذلك من جهة كاتبها وصحة نسبتها إليه، لأن من نعمة الله علينا أنه من مطلع الرسالة وعلى مدى أصحاحين ينشغل ق. بولس باهتمام في تحقيق شخصيته على مستوى التاريخ سواء قبل دخوله الإيمان أو بعد قبوله الرسولية والعماد، حتى أنه لم يتورَّع أن يحكي عن حماقته أيام جهالاته كيف في عدم إيمان، قاوم المسيح، وعاند، وجدَّف، وأساء إلى المؤمنين: «كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها.» (غل 13:1)

ويقول العالِم جوثري:

[إنه لو جمعنا البيانات التي ذكرها بولس الرسول في هذه الرسالة عن نفسه، لخرجنا بصورة كاملة وفريدة عن بولس الرسول، مع تسجيل بجميع طرائقه وأسلوبه في الحديث والعمل وهو يكشف مشاعره وانفعالاته النفسية المحصورة والمتأثرة بكرامة الإنجيل وقداسة الصوت الذي دعاه من السماء. ولكن وبصورة ممتازة للغاية تُظهر هذه الرسالة مدى تغلغل الحرية والتحرر في نفسية ق. بولس وتفكيره ومبادئه بل ولاهوته، فقد حرَّره الابن وصار بالحقيقة حرًّا، ولكن هذا الحر المتحرِّر حقاً لا يرى نفسه إلاَّ عبداً ليسوع المسيح.](9)

وهكذا وبدون قصد منه يربط سيرته وحياته بالرسالة التي يكتبها فيضيف إليها تحقيقاً وأصالة نادرة.

(7) Ernest De Witt Burton, *The Epistle to the Galatians.*

(8) H. A. W. Meyer, *op. cit.*, p. 7.

(9) Donald Guthrie, *Galatians.* p. 1.

كما نجده في معرض حديثه عن زياراته لأورشليم يقدم لنا واحدة من أقدم وأندر الروايات عن حال الرسل القديسين الأطهار في مستهل حياتهم وكرازتهم: «ثم بعد ثلاث سنين (من دعوة المسيح له) صعدت إلى أورشليم لأتعرَّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً» (غل 18:1). وفي الزيارة الثانية لأورشليم يحكي كيف انضم إلى جماعة الرسل القديسين وصار واحداً منهم على المستوى الرسمي، بإجراء الطقس رسمياً والصلاة: «فإذ عَلِم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون **نحن للأمم، وأمَّا هم فللختان**» (غل 9:2). وهكذا إذ يوثِّق رسوليته للأمم رسمياً، وثَّقَ الرسالة التي كتب دون أن يقصد وأعطانا ضوءاً قوياً يكشف لنا نوع الاختصاص لرسوليته العاملة بين الأمم دون أي إشارة إلى الناموس أو الختان، وبآن واحد يكشف لنا وضع رسل أورشليم الحرج إذ تخصَّصت خدمتهم بين أهلهم من اليهود (الختان) فالتزموا تحت ظروف تجاملية شديدة وقاسية ـ لم يستطيعوا أن يفلتوا منها ـ بممارسة الختان للداخلين على الإيمان المسيحي، بل والتزموا بالناموس بكل شكلياته. ومن هنا ارتفعت جداً رسولية ق. بولس للأمم بلا ختان ولا ناموس كنعمة عظمى من الله ولا نزال نحن فيها مقيمين!

وبسرد كل هذه الوقائع من فم ق. بولس، يكون قد وضع ليس ختمه على هذه الرسالة وحسب بل وطبع صورته ومعها سيرته متضمنة شهادة فريدة له من الرسل أعمدة الكنيسة كرسول للأمم وبالتالي للغلاطيين، لتخرج رسالة غلاطية مكتوبة بيد رسولها وممضاة وبأحرف كبيرة!!

وآخر ما يمكن أن نقوله عن أهمية هذه الرسالة هو ما كتبه العالِم ماير أيضاً بخصوص هذه الرسالة وقد احتلت مكانها وسط كل الأعمال الرسولية: **[كحاملة لِعَلَم الحرية لإنجيل البر المجَّاني]**، وأدخلتنا كشهود عيان لما تمَّ في أول مجمع رسولي لنسمع ونرى الرسل يعطون يمين الشركة للقديس بولس الرسول ليكرز بإنجيل الغرلة أي بالإنجيل الذي لا يعرف الختان، الذي نقرأه اليوم كما هو! ونعيشه!!

زمن كتابة الرسالة:

إن الأبحاث التي قُدِّمت في تحديد زمن كتابة الرسالة إلى غلاطية مطوَّلة للغاية وقد استغرقت الكثير ـ وقتاً وكتابة ـ عند العلماء المختصين، وكلها محاولات لتحديد موضع الرسالة بين الرسائل، وبالنهاية استقرَّ العلماء، وأكثرهم دقة هما العالِمان ليتفوت وبروس، على أن الرسالة إلى غلاطية كُتبت في زمن مبكر يحدِّده العالِم بروس بعشية اجتماع الرسول بولس ببقية الرسل في أورشليم سنة 49م كما هو مدون في سفر الأعمال:

هنا توجد خريطة تؤخذ من كتاب شرح أعمال الرسل صفحة 557

+ «ثم أقلع من بافوس بولس ومَنْ معه وأتوا إلى برجة بمفيلية[10] ...، وأمَّا هم فجازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية ...، وآمن جميعُ الذين كانوا معيَّنين للحياة الأبدية وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة (وهي كورة الغلاطيين) ... وأتيا إلى إيقونية (بلاد غلاطية الجنوبية) ... فهربا إلى مدينتي ليكأنيَّة لسترة ودربة (مدن غلاطية الجنوبية) وإلى الكورة المحيطة (كورة الغلاطيين الجنوبية) ... وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربة فبشَّرا في تلك المدينة وتلمذا كثيرين. ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية يشدِّدان أنفس التلاميذ، ... وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صليا بأصوامٍ واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به. ولمَّا اجتازا في بيسيدية أتيا إلى بمفيلية وتكلَّما بالكلمة في برجة ... **وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلّمون الإخوة إنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا.** فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلةٍ معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناسٌ آخرون معهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة.» (أع 13: 13و14و48و49و51، 14: 6و20-25، 15: 1و2)

والذي سجله ق. لوقا في سفر الأعمال نجده مسجلاً أيضاً في الرسالة إنما بصورة مصغَّرة ومحدودة عن عمل هؤلاء اليهود المتنصرين المفسدين، وواضح أن ق. بولس كتب الرسالة إلى غلاطية في خِضَم هذه الحوادث وقبل انطلاقه إلى مكدونية في طريقه إلى كورنثوس. ويقول بعض العلماء، وعلى رأسهم ليتفوت ومعه العلماء الإنجليز، إن تاريخ هذه الرسالة يظهر مبكراً جداً، بل إن بروس يعتقد أنها أول الرسائل لبولس الرسول. ومن هنا تأخذ هذه الرسالة أهميتها الكبرى. ويرى العالم بروس أنها:

[أقدم الوثائق المسيحية التي بين أيدينا الآن وربما تكون أول وثيقة مسيحية ومن هنا ترتفع قيمتها جداً.][11]

وعلى القارئ الباحث أن يميِّز بين خدمة ق. بولس في إقليم غلاطية الشمالي وأهم المدن فيه هي أنقرة Ancyra وهي الآن عاصمة تركيا، وكانت أكبر مدن غلاطية الشمالية، وهذه المدن الشمالية لم تُتَّهم بالخروج عن الإيمان المسيحي لأن اليهود المتنصرين الغيورين على الناموس لم يُذكر عنهم

(10) نرجو من القارئ متابعة أسماء البلاد على الخريطة المرفقة:
W. Neil, The Letter of Paul to the Galatians, Cambridge Bib. Comm. p. VIII.

(11) Bruce, *op. cit.*, pp. 55, 56.

أنهم زاروها أو أتلفوا الإيمان فيها، وبين مدن الجنوب التي لإقليم غلاطية الجنوبي التي غزاها هؤلاء المتعصبون للناموس وأفسدوا إيمان المؤمنين فيها، وهي التي أرسل إليها بولس الرسول رسالته. لذلك أخطأ بعض العلماء(12) فمنهم مَنْ قال بإن زمن كتابة الرسالة إلى كنائس غلاطية كان حوالي سنة 54ـ 55م، وهو ما يتناسب مع ما جاء في سفر الأعمال (23:18) وما يتناسب أيضاً مع زيارة بولس الرسول لإقليم غلاطية الشمالي المذكور في الرحلة الثالثة للقديس بولس، وهذا يضع رسالة غلاطية بعد رسالتي كورنثوس. ولكن الأرجح أن ق. بولس كتب رسالته إلى كنائس غلاطية الجنوبية ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وهي التي أستهدفت لتدخل الغيورين على الناموس، وذلك في زمن(13) صعوده إلى أورشليم لحضور مجمعها سنة 49م، وبذلك تكون قبل رسالتي كورنثوس. ويؤكد كثير من العلماء أنها أول رسالة كتبها بولس الرسول، وهذا يظهر أيضاً من تركيبها الذي يختلف عن تركيب باقي رسائله.

ومن بين العلماء(14) الذين كتبوا عن زمن كتابة الرسالة إلى غلاطية ووضعوه مبكّراً جداً بحوالي خمس عشرة سنة بعد ظهور المسيح للقديس بولس على طريق دمشق، مما يجعل التاريخ الذي وضعوه لا يزيد عن سنة 49م ـ كما يقول العالِم بروس ـ هم كالآتي:

- J. Calvin, *Commentary on Galatians* (Geneva, 1548); Engl. transl. by T. H. L. Parker (Edinburgh, 1965) p. 24.
- D. Round, *The Date of St. Paul's Ep. to Galat.* (Cambridge, 1906).
- K. Lake, *The Earlier Epistles of Paul* (London, 1911) p. 297 ff.
- C. W. Emmet, *St. Paul's Ep. to Galat.* (London, 1912), p xiv ff, and *The Beginnings of Christianity,* ed. F. J. Foakes and K. Lake, I, 2 (London, 1922) p. 269 ff.

(12) Fitzmyer s. j., Joseph. A., *The Jerome Biblical Comm.*: p. 237.

(13) يقول العالِم بروس إن كتابة رسالة غلاطية كانت في عشية اجتماع مجمع أُورشليم سنة 49م. (أع 15)، وأما ليتفوت فيقول إنها كانت عقب هذا الاجتماع وأن المقابلة بين الرسل (غل 2:1ـ10) تمت في مجمع أُورشليم، وقد بنينا شرحنا على رأي ليتفوت.

(14) Bruce., *op. cit.,* p. 55.

- W. M. Ramsay, *The Teaching of Paul,* (London, 1913) p. 372 ff.
- A. W. F. Blunt, *The Acts of the Apostles,* Clarendon Bib., (Oxford, 1922) p. 182 ff.
- F. C. Burkitt, *Christian Beginnings* (London, 1924) p. 116 ff.
- G. S. Duncan, *The Epistle to the Galatians,* Moffat Comment. (London, 1934) p. xxii ff.
- W. L. Knox: *The Acts of the Apostles* (Cambridge, 1948) p. 40 ff.
- C. S. C. Williams, *The Acts of the Apostles,* BNTC, (London, 1957) p. 30.
- D. Guthrie, *N. T. Introduction: The Pauline Epistles* (London, 1961) p. 79 ff.

وقد اقتطفنا هذه المجموعة من أسماء العلماء المعروفين من المجموعة الكاملة التي سجلها العالِم بروس في كتابه ليدعِّم رأيه أن الرسالة إلى غلاطية:

[هي على أهمية بالغة كوثيقة تختص بالمسيحية الأولى ولكن إذا كانت حقاً تعتبر أقدم وثيقة مسيحية كائنة بين أيدينا الآن فإن أهميتها تزداد للغاية.](15)

السبب والمضمون:

إن السبب الذي حَدَا ببولس الرسول للإسراع في كتابة هذه الرسالة، هو ورود أخبار متواترة أن كنائس غلاطية قد وقعت فريسة لجماعة من اليهود المتنصرين المتعصبين للناموس، الذين ينادون بضرورة الختان والالتزام بالناموس بالنسبة للمسيحيين: فلا خلاص بدون حفظ الناموس والختان.

ولكي يأخذوا فرصة على الغلاطيين في غياب ق. بولس ليخضعوهم لتعاليمهم، استداروا على ق. بولس نفسه وتهجَّموا على رسوليته قائلين إن الرسل الحقيقيين هم فقط الاثنا عشر في أورشليم المُعيَّنون من المسيح، أمَّا بولس هذا فهو تابع لرسل أورشليم وتعاليمه لا يعتدّ بها.

على أن هذه البيانات مستقاة من صُلْب الرسالة ومن دفاع بولس الرسول.

والقارئ المتمرِّس في قراءة افتتاحيات رسائل ق. بولس يدرك من أول آية دفاع ق. بولس عن

(15) Bruce, *op. cit.,* pp. 55, 56.

إنجيله ورسوليته:

+ «بولس، رسولٌ لا من الناس ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات.» (غل 1:1)

وبعد ذلك تأتي الإشارات تنطق بذلك تباعاً، علماً بأن ق. بولس يقرن الدفاع عن صدق رسوليته مع الدفاع عن حق إنجيل المسيح.

+ «وأعرّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشَّرت به، أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته. بل بإعلان يسوع المسيح.» (غل 1: 11و12)

ثم يورد حادث الموقف المتأزم الذي حدث في أنطاكية بينه وبين بطرس الرسول ليكشف منه عن عدم استقامة التفرقة بين مسيحيي الأمم ومسيحيي الختان أي اليهود، الذي يؤدي بالضرورة إلى التزام مسيحيي الأمم بالختان لكي يكون لهم حق الوجود والأكل مع اليهود المتنصرين.

+ «ولكن لمَّا أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم (اليهود المتنصرون المتعصبون للناموس) من عند يعقوب - كان يأكل مع الأمم - ولكن لمَّا أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، **خائفاً** من الذين هم من الختان ... لكن لمَّا رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل، قلت لبطرس قدَّام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً (كان يأكل معهم) لا يهودياً، فلماذا تُلزم الأمم أن يتهوَّدوا؟» (غل 2: 11و12و14)

وهذه هي نفس العملية التي قام بها هؤلاء اليهود المتنصرون في غلاطية، التي من أجلها كتب ق. بولس هذه الرسالة. فالقديس بولس لم يقصد الحطّ من قدر ق. بطرس أو من إيمانه، ولكنه اختار هذه القصة ليبرز فيها خطأ الأخذ بضرورة الختان. لأن ق. بطرس معروف عنه أنه بشَّر بيت كرنيليوس الأممي وعمدهم، وبالأكثر هو صاحب قرار مجمع أُورشليم التاريخي الذي أقرَّ فيه رسمياً أنه من غير الواجب أن يُضاف على كاهل الأمم الطالبين للإيمان المسيحي شيئاً من أعمال الناموس، بل يُحسب ذلك أنه تجربة للرب نفسه، وهذا هو قرار المجمع بفم ق. بطرس:

+ «فبعدما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم: أيها الرجال الإخوة (الرسل والمشايخ)، أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم (عائلة كرنيليوس) كلمة الإنجيل ويؤمنون. والله العارف القلوب، شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا

أيضاً (حلول مباشر قبل وضع اليد وقبل المعمودية). ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء، **إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم** (قبل المعمودية)، فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير (أعمال الناموس) على عنق التلاميذ (المؤمنين المسيحيين الجدد) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟ لكن **بنعمة الرب يسوع المسيح** نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً. » (أع 15: 7ـ11)

إذن، فالرسل بريئون من أعمال اليهود المتنصرين الغيورين على الناموس، وبالتالي من كل ما أحدثوه في كنائس غلاطية. أمَّا الذي عمله ق. بطرس في أنطاكية وراجعه فيه ق. بولس علناً فإنه لم يكن عن عقيدة، ولكن كمجرد **خوف** من هؤلاء اليهود المتنصرين المتحمسين جهلاً للناموس كما قال ق. بولس. لأن لغة التفاهم عند هؤلاء القوم المدَّعين الكذبة لم تكن سوى الرجم كما حاولوا ذلك مع ق. بولس في أُورشليم في آخر زيارة له والرب أنقذه بأعجوبة.

ولكي يدرك القارئ مدى الرعبة التي كانت في قلوب الرسل ـ وحتى يعقوب ـ من هؤلاء القوم المفترين، ما سجَّله سفر الأعمال من فم يعقوب الرسول وهو ينصح ق. بولس أن يتظاهر بحفظه للناموس أمام هؤلاء القوم ليفلت من الرجم، ولكنهم كشفوه وانهالوا عليه ضرباً بقصد قتله لولا الضابط الروماني الذي اختطفه من أيديهم بقوة عساكره، وإليك القصة:

+ «ولما وصلنا إلى أُورشليم (آخر رحلة له) قبلنا الإخوة بفرح. وفي الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب، وحضر جميع المشايخ ... وقالوا له: أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوَةً مِنَ اليهود الذين آمنوا، وهُم جميعاً غيورون للناموس. وقد أُخبروا عنك أنك تعلِّم جميع اليهود الذين بين الأُمم الارتداد عن موسى، قائلاً أن لا يختتنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد. فإذاً، ماذا يكون؟ (الرجم حتماً).

لا بُدَّ على كل حالٍ أن يجتمع الجمهور، لأنهم سيسمعون أنك قد جئت. فافعل هذا الذي نقولُ لك: عندنا أربعةُ رجالٍ عليهم نذرٌ. خُذْ هؤلاء وتطهَّر معهم (كذا) وأنفق عليهم ليحلقوا رؤُوسَهُم، فيعلم الجميعُ أن ليس شيءٌ مما أُخبروا عنكَ (كذا)، بل تسلك **أنت أيضاً حافظاً للناموس.** (الله الله)!!!» (أع 21: 17ـ24)

وفعلاً دخل معهم الهيكل ... «ولمَّا ... رآه اليهود (المتنصرون) الذين من آسيا في الهيكل، فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي ...» (أع 27:21)

ولم يفلت من أيديهم حتى إلى سيف نيرون!!! ولكن بعد أن نجَّى الإنجيلَ من براثن الناموس، وارتفع حقُ الإنجيل عالياً خفَّاقاً فوق كل الدنيا.

وفي رسالة غلاطية يقاوم ق. بولس صراحة بدعة الختان ويقطع بأن من يختتن بعد إيمانه بالمسيح فالمسيح لن ينفعه شيئاً!!

+ «فاثبتوا إذن في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبوديةٍ. ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً! ... قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة.» (غل 5: 1ـ4)

+ «وأمَّا أنا أيها الإخوة فإن كنت بعد أكرز بالختان فلماذا أُضْطَهَدُ بعد، إذن (هل) عثرة الصليب قد بطلت.» (غل 5:11)

ومع الختان فحتماً بقية الفرائض الناموسية عن إلزام!:

+ «كيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد؟ أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين؟ ... أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً.» (غل 4: 9و11)

+ «لأن الذين يختتنون هم (أنفسهم) لا يحفظون الناموس، بل (ولكن) يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم (أنكم صرتم أتباعاً لهم).» (غل 6:13)

+ «لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس.» (غل 5:3)

ثم يكرر لهم ق. بولس خطورة ما عملوه: كيف أخرجهم من دائرة الإنجيل ونعمة المسيح، وبالتالي من مجال حرية أولاد الله هو صاروا عبيداً تحت يد هؤلاء القوم الكذبة:

+ «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح ـ إلى إنجيل آخر ـ ليس هو آخر (لأنَّه هو إنجيل المسيح ولكن أُضيف إليه الختان والناموس) غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح.» (غل 1:6و7)

وينفجر القديس بولس بعد أن عيل صبره وتحيَّر من أمره فيصفهم بما فازوا به من عَمْلتهم السوداء:

+ «أيها الغلاطيون الأغبياء مَنْ رقاكم (عُمِلَ لهم رُقْية أي سحر) حتى لا تذعنوا للحق؟ أنتم

الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً!» (غل 1:3)

تعبير بديع من بولس الرسول وهو يذكّرهم كيف أنه بالكلمة وبالروح والنعمة وصف لهم آلام الرب، وكيف ارتفع بإرادته على خشبة الصليب وكأنه قد رسم لهم بالفرشاة صورة حيَّة علّقها بل طبعها على قلوبهم فقامت في قلوبهم شاهدة.

ولم يكتم غيظه إذ لم تكفِ شتيمة واحدة لتوفي جزاء ما عملوا:

\+ «أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح تُكمَّلون الآن بالجسد؟» (غل 3:3)

شهادة عابرة بسيرتهم الحسنة قبل أن يقترفوا هذه الحماقة!

\+ «كنتم تسعون حسناً. فمَنْ صدكم حتى لا تطاوعوا للحق؟» (غل 7:5)

القديس بولس يبرِّئ ذمته لأنه سبق وهو عندهم أن وعَّاهم من هؤلاء اليهود المتنصرين الكذبة، وها هو يكرر التحذير:

\+ «كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً: إن كان أحد يبشِّركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما (محروماً). »(غل 9:1)

وكان القديس بولس عنيفاً معهم حينما كان عندهم من جهة تحذيرهم من التعاليم الغريبة فهل اعتبروا عنفه على مستوى العداوة؟

\+ «أفقد صِرتُ إذاً عدوًّا لكم لأني أصْدُقُ لكم؟» (غل 16:4)

وسهل على القارئ أن يستقرئ من هذه النصوص المختارة، إلى مدى ما كان يُحِسُّه ق. بولس من خطورة على إيمان الكنيسة وسلامة عقيدتها، وليس عسيراً أيضاً أن نشعر فيه بغضبه وحزنه وبالأكثر غيرته ومرارة سخطه. ولكن إن كان في الكلام عن اللاهوت حزن وغيرة ومرارة يكون هو كلام القديس بولس في هذه الرسالة الممتلئة بالمشاعر الرسولية حتى يظهر وكأن ق. بولس سيُسأل عن غلاطية يوم الدين ويقدم حساباً عن إيمانهم وأعمالهم!

يا لهذا الكارز اليقظ على رعيته، بل يا للأسد الذي لا يغفل عن عرينه وأشباله. أليس لأن الإيمان المسيحي عند ق. بولس كان هو الحياة بعينها، فكيف إذن يرى من سقاهم روح الله وقد كانوا عظاماً ميتة فقاموا وعاشوا، وهوذا الآن وحش رديء جاء يريد أن يخطف أرواحهم منهم، فكيف لا يتحفَّز وينبري للدفاع. وقد صحَّ فيه قوله عن نفسه: «مَن يضعف وأنا لا أضعف. مَنْ

يعثر وأنا لا ألتهب.» (2كو 11:29)

هذه هي أسباب كتابة رسالة غلاطية وهذا هو دفاع ق. بولس الساخن الملتهب عن صدق رسوليته التي انحدرت إليه من فم المسيح الرب الروح من السماء ليكرز باسمه وبحق الإنجيل، وحق الإنجيل كان يعيشه قبل أن يعلّمه. فالإيمان المسيحي كان إيمانه وكان حياته، أنساه يهوديته، وأنساه فرّيسيته، وكلُّ عِلمِهِ خَسِرَهُ، وهو مصمم على خسارته، لأن الكل صار عنده نفاية لمَّا ربح المسيح.

هذا هو ق. بولس، وهذه هي كنائس غلاطية التي كرز لها وباتت على شفا الارتداد، ثم هذه هي رسالة غلاطية التي يبث لهم فيها إيمانه وحريته في المسيح مع قلقه وغيظه، مع حبه وخوفه، مع أحزان وحسرة مكبوتة.

ولكي يؤكد للغلاطيين صدق رسوليته وأصالتها باعتراف الرسل، ذكر ما استقر عليه رسل أُورشليم المعتبرون أعمدة الكنيسة لمَّا تعرَّفوا على القديس بولس.

+ «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون **نحن للأمم، وأمَّا هم فللختان.**» (غل 2:9)

والقديس بولس هنا، وهو يعطي هذه المعلومة التاريخية الهامة، كان يقصد بالأساس أن يثبت للغلاطيين أن رسوليته هي على التوازي والتساوي مع رسولية بطرس ويعقوب ويوحنا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى سجَّل ق. بولس في هذه الرسالة للغلاطيين وللكنيسة كلها أنه وإن كان قد أخذ رسوليته على اختصاص الأمم من فم المسيح مباشرة هكذا: «لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل ... وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله» (أع 9: 15و20)، إلاَّ أنه أيضاً وبالإضافة أخذ من الرسل في أُورشليم وهم مجتمعون يمين الشركة (غل 2:9) لخدمة الأمم أيضاً.

وواضح من منطوق قرار الرسل الأعمدة أنه أصبح يوجد في الكنيسة رسل يخدمون إنجيل المسيح على الختان بين اليهود ولا يمانعون العمل بالختان كطقس يهودي، بل ويشاركون في خدمة الهيكل ومراعاة العوايد اليهودية عن اضطرار، وفي ذات الوقت وُجد رسولٌ يخدم الأمم رسمياً وذلك بعلم الكنيسة ومباركتها، يخدم بإنجيل النعمة ويمتنع نهائياً عن الخضوع للناموس وعن كل أعمال الناموس وكذلك الختان. بمعنى أن الأمم الذين قبلوا المسيح وآمنوا به واعتمدوا على يد بولس

الرسول لا يعوزهم أن يتهوَّدوا في شيء. هذا هو صلب الإيمان المسيحي عند ق. بولس الذي أراد أن يسلّمه للتاريخ لتحيا به كنيسة الدهور.

والقديس بولس بعد أن تقدَّم في الإيمان والإلهام أدرك أن رسوليته كانت باختيار الله وقد أُفرز لها وهو في بطن أمه.

+ «ولكن لمَّا سَرَّ **الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته** أن يُعلن ابنه فيَّ لأُبشّر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحما ودماً ولا صعدت إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلي...» (غل 1: 15-17)

وهذا يقوله رداً على الإخوة الكذبة الذين استهانوا برسوليته وألغوا عنها سلطانها، ولكن هذه الحقيقة أُضيفت لحساب جلال الإنجيل الذي كرز به ق. بولس للأمم خلواً من ناموس وختان. فصار تاج الكنيسة ونورها.

ومن جهتنا نقول إنه لولا أن الله أقام لنا ق. بولس الذي لقَّنه المسيح دقائق الإيمان به، وكشف له السر المخفى في الله منذ الأزل الذي لم يعرَّف به بنو البشر، ما صرنا نحن مسيحيين أحراراً:

+ «إن كنتم قد سمعتم **بتدبير نعمة الله المعطاة لي** لأجلكم. أنه **بإعلان عرَّفني بالسرِّ** ... الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا **درايتي بسرِّ المسيح.** الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر ... أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده (موعد الله لإبراهيم) في المسيح بالإنجيل (عوض الختان). الذي صرت أنا خادماً له **حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي** حسب فعل قوته. **لي أنا أصغر جميع القديسين، أعطيت هذه النعمة (خاصة)**، أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور ...» (أف 3: 2-9)

أمَّا هذا "**السر**" المكتوم منذ الدهور والذي لم يعرَّف به أحد ـ الذي هو سر المسيح ـ فقد أُعطي للقديس بولس الرسول خاصة وبالنعمة لكي يبشّر به بين الأمم، هذا «**السر**» هو "**الخلاص بالنعمة**" بدون أعمال ناموس أو ختان «**لأنكم بالنعمة مخلَّصون** بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. **ليس من أعمال** كيلا يفتخر أحد» (أف 2: 8و9). وهذه النعمة أصبحت للجميع مجاناً بالإيمان بالمسيح وهو المقصود بقوله: «شركة السر المكتوم منذ الدهور» أي شركة النعمة للخلاص المجاني لكل من يؤمن بالمسيح، لا فرق!

ويا قارئي العزيز، يقيناً لو كان الإنجيل الذي بُشِّرنا به هو إنجيل الختان الذي كان يخدم به الرسل بين اليهود، بمعنى أنه كان يلزمنا أن نتهوَّد أولاً ونختتن، لمَّا صرنا مسيحيين بل وما صارت المسيحية أكثر من جماعة نصف يهودية عاشت في فلسطين وانتهت منذ القرن الأول. فإن كان ق. بولس يقول عنها، أي عن المسيحية، كما هي الآن إنها كانت سرًّا مكتوماً منذ الأزل فهذا حق، ويقول إنها «نعمة» فهذا حق الحق، وإنها أُعطيت أولاً للقديس بولس، فهذا هو افتخار ق. بولس وله الحق. وإنها تحوي غنى الله الذي لا يُستقصى وهذا أيضاً حق. وإن القديس بولس نالها بتدبير نعمة الله وصار صاحب دراية بهذا السر، وإن هذا السر مقروء في كل رسائله فهذه أيضاً نعمة الله علينا[16]. ولكن فقط يحتاج هذا السر لمن يقرأه صحيحاً ويفهمه صحيحاً وبالنعمة.

والحقيقة أن ق. بولس اختار الاختزال الشديد في تعبيره عن حق الإنجيل وذلك في قوله: «ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح (الحرية من الناموس وأعماله بسبب نعمة الله) كي يستعبدونا (للناموس وأعماله) الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم **حق الإنجيل.** (الإيمان بالنعمة)» (غل 2: 4و5). هنا يضع ق. بولس «حق الإنجيل» في موضع الناموس وأعماله بكل وضوح. وهنا ندرك أنه يقصد إنجيل البر المجاني الذي يعطيه الله بالنعمة للذين يؤمنون بالمسيح، ولكن عاد ق. بولس وأفصح في موضع آخر عن عنصر آخر هام في مفهوم **«حق الإنجيل»** وقد جاء عفوياً في الآية «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل **الخليقة الجديدة**» (غل 6:15). هنا في اختصار شديد يضع ق. بولس **«الخليقة الجديدة»** في موازنة الختانة بالجسد!! وهو نفسه التعبير الحي عن حرية الإنسان التي ينالها بالنعمة، لأن الذي يؤمن ويعتمد يتحرر بالنعمة بالإيمان بالمسيح ويكون قد صار أو نال الخليقة الجديدة في المسيح. فالختانة إن كانت إقامة عهد الله في اللحم بالجسد قديماً لتفصح عن أن المختتن هو **ابن إبراهيم حسب الموعد،** أصبح الإنسان في العهد الجديد الذي يعتمد للمسيح ينال نعمة الحياة بالروح كخليقة جديدة ليصبح المعتمد ابن الله حسب الروح. من هنا يظهر مدى الخسارة التي تحيق بمن ينتقل (سريعاً) من العماد بالروح للمسيح لنوال الخليقة الجديدة والتبني لله، ليعود للختان والناموس لكي يصير بالختان ابن إبراهيم وبالناموس يصير تبع موسى!

---

(16) وعليك أن تتصور أيها القارئ مدى الخسارة التي كان يحس بها بولس الرسول لو ارتد الغلاطيون إلى الختان والناموس.

هذه الخسارة الفادحة التي تدخل في حدود الغباء ترجمتها الرسالة إلى الغلاطيين إلى مشاعر الحزن والضيق والغضب التي صاغ بها ق. بولس رسالته وهو على حق. اسمعه يعبِّر عن هذا الشعور:

+ «أيها الغلاطيون الأغبياء ...» (غل 1:3)
+ «أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح تكمَّلون الآن بالجسد؟» (غل 3:3)
+ «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ.» (غل 10:3)
+ «كنتم تسعون حسناً. فمن صدكم حتى لا تطاوعوا للحق؟» (غل 7:5)
+ «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس.» (غل 4:5)
+ «سقطتم من النعمة.» (غل 4:5)
+ « إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما.» (غل 9:1)

وليس عسيراً على القارئ إذا تأمل قليلاً في افتتاحية الرسالة إلى غلاطية أن يلحظ في الحال أنها لا تتبع منهج لطف بولس الرسول مثل كل رسائله، فالغضب على الغلاطيين واضح أنه ينضح حتى على فاتحة الرسالة: فلا تحيات حارة ولا شوق للرؤيا ولا بركات تتنزل عليهم من السماء، ولا نعم، ولا كلمة مديح، وحتى الشكر لله الذي يلازم افتتاحية كل رسالة انحبس في صدر ق. بولس ولم يفرج عنه. واليد التي تكتب يأبى عليها أن تكتب ما لا يتوافق مع غباوة الغلاطيين، بل وعلى مدى الرسالة لم يمسك ق. بولس نفسه من أن تنفجر فيهم من حين لآخر لتُنفِّس عن ضيقها بكلمات حزينة أكثر منها شتيمة، على ما ضيَّعه القوم من كنوز الإيمان والنعمة، ليستبدلوه بجرح في لحم الذكر دون الأنثى وكأن هذا هو الذي سيوطنهم منازل السموات، فضيَّعوا الارتقاء الروحي العالي الذي أوقفهم أمام الله أحباء أحراراً حتى من الجنس، حيث ليس بعد ذكرٌ ولا أنثى في المسيح فالكل يكون واحداً في النعمة، والكل يصير واحداً في التبني لله.

وفي نهاية الرسالة أمسك ق. بولس القلم وبعين كلَّهَا المرض كتب بالأحرف الكبيرة وبتركيز شديد وصية العمر من جهة تفاهة الختان في الجسد، ثم انطلق بروحه يضع المقابل للختان الذي وهبه له المسيح كشريك آلام ومجد، مفتخراً بصليب المسيح الذي عليه صفَّى حسابه مع العالم حتى إلى الصفر ليملك في الحياة الأبدية حتى إلى الملء.

وأخيراً وبجسد مثخَّن بجراح كجراح الصليب، تحدَّى إن كان أحد يقدر أن يضيف على

جروحه جرحاً، إذ لم يعد فيه مكان لجرح!

ولكن في ختام هذا كله يقول قائل، أنا مسيحي ولست يهودياً وغير مزمع أن أتهوَّد بأي حال من الأحوال، وليس للناموس ولا لأعمال الناموس أي حساب في حياتي. فما هي قيمة الرسالة إلى غلاطية لنفسي ولفكري وإيماني؟

هنا أتوسَّل لدى القارئ أن ينفتح وعيه الروحي ليدرك القصد الحقيقي من هذه الرسالة، فالقديس بولس لا يكره الناموس ولا يذم الختان في حد ذاته، بل يقول صراحة إن «الناموس مقدَّس والوصية (في الناموس) مقدَّسة وعادلة وصالحة» (رو 7:12). فالقديس بولس يحمل تراث اليهودية في لحمه ودمه، والقديس بولس مختتن في اليوم الثامن، ولكن ق. بولس سعى بكل روحه وحبه ورجائه أن يرد إنحراف هؤلاء المسيحيين وراء إغراء الإخوة الكذبة فأجرى أمامهم موازنة بين ناموس موسى وإيمان المسيح، ثم بين أعمال الناموس بالجهد الجسدي لاكتساب بر ذاتي وبين نعمة المسيح المجانية التي أورثتنا بر الله بدون عمل أو جهد أو ناموس. وهذه الموازنة كانت هامة للغاية وكانت كفيلة بأن تردَّهم إلى الأفضل والأهم.

ولكن بالنسبة للإنسان المسيحي عامة فهذه الرسالة تقدم لنا قوة الإيمان بالمسيح ونعمته المجانية كهدية بدون ثمن وبدون موازنة مع أي شيء آخر، تقدمها لنا خالصة كإنعام فاخر من الله بحسب سخائه، وكجوهرة ثمينة مجانية من فائض غناه. ويحثنا بشدة لكي نمتلكها لأنفسنا لأن الله أهداها لنا ولا يطلب إلاَّ أن نقبلها، ولا يوجد وراء إلحاح الله علينا لكي نقبلها إلاَّ صدق محبته، ومسرَّة نفسه أن نصير له أبناء بالإيمان بالمسيح، لنقف أمامه قديسين وبلا لوم، نمدح مجد نعمته هذه التي أنعم بها علينا في المحبوب!! إنها نقلة هائلة من خليقة محكوم عليها بالموت إلى خليقة جديدة وارثة الحياة مع المسيح لله كأبناء.

أمَّا الغلاطيون فكانوا ممسوكين بإغراءات كاذبة وباطلة من جهة المجد الكاذب للناموس، أمَّا أنت أيها المسيحي فلست ممسوكاً بناموس أو أعمال ناموس، وها رسالة غلاطية تصرخ في أذنك: أنت قد حرَّرك المسيح وأصبحت غير ممسك بشيء، **فحذار أن تتمسَّك بشيء**[17] فإيمانك

---

[17] لا توجد أعمال تهبنا النعمة ولا حتى إلى تقطيع الجسد، ولكن النعمة هي التي تهبنا أعمالاً صالحة، كلها تكون بالنعمة معمولة وكلها تكون لمجد الله، والنعمة وُهبت لنا مجاناً بالإيمان بيسوع المسيح.

بالمسيح حرَّرك من الناموس وأعمال الناموس ولعنة الناموس، فلا تستعبد نفسك لناموس هذا العالم أو الجسد.

ونعمة المسيح وهبت لك الحياة الأبدية مجاناً، فامسك بالنعمة وتمسَّك بها وراهن عليها أنها قادرة بحد ذاتها أن تورِّثك الحياة الأبدية.

النعمة تسجَّلت في السماء لحسابك يوم آمنت بالمسيح فلا تظن أنها تحتاج لشيء أو لأحد ليحدرها لك من السماء، بل هي في روحك وفي قلبك إن كنت قد شربت دم الفادي.

فإن كان «بالنعمة أنتم مخلَّصون» (أف 5:2) مجاناً، وإن كانت نعمة المسيح في روحك وفي قلبك، فخلاصك صار حقيقة حياتك، فاقبلها لكي تظهر لك حقيقتها.

فخلاصك يتحقق في قلبك وفي فكرك بقدر ما تمسك بالنعمة وتتمسَّك بها حتى الموت.

هكذا تعلن رسالة غلاطية عن صراخ النعمة في وجه الإنسان المسيحي: اقبل الحرية التي حرَّرك بها المسيح لتحيا لله:

+ «فإن حرركم الابن **فبالحقيقة** تكونون أحراراً.» (يو 36:8)

الأسلوب الخاص والاصطلاحات التي تميِّز الرسالة إلى غلاطية:

1 ـ **«مَنْ رقاكم»** أي مَنْ سحركم (غل 1:3):

وهي أول ما يصادفنا في الاصطلاحات المميزة لهذه الرسالة والتي لم تتكرر في أي رسالة أخرى. ومعناها أي مَنْ كتب لكم تعويذة أو سِحْراً. والذي أوحى للقديس بولس بهذا الفكر الغريب أمران: ارتدادهم عن الحق إلى الباطل، ثم سرعة هذا الارتداد الذي لا يتناسب قط مع دراسة أو إقتناع، فجاء هذا التعبير المذري في حق الغلاطيين متناسباً مع وصف ق. بولس لهم بالغباء أي غياب العقل الواعي أو الفاحص أو الدارس، الأمر الذي رفع أسلوب الشدة إلى أقصاه.

2 ـ **«أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً»** (غل 1:3):

وهذا التعبير خاص برسالة غلاطية ولم يأتِ إلاَّ في هذه الرسالة. وهو تعبير بديع عن قدرة ق. بولس في إعطاء الغلاطيين بواسطة الكلمة والمشاعر والوصف الدقيق صورة للمسيح المصلوب وكأنها لوحة زيتية معلَّقة أو مصوَّرة في قلوبهم.

3 ـ «كنَّا محروسين تحت الناموس ... **إذ قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح ...**» (غل 3:23و24):
وتأتي الكلمة الأولى باليونانية «**محروسين** » frouroÚmeqa™ وهذا الاصطلاح لم يأتِ إلاَّ في رسالة غلاطية، والكلمة الثانية «**مؤدبنا** » paidagwgÒj وهما تعبيران يفيدان في الأول الانحصار تحت الناموس والثاني التأديب بالناموس.

4 ـ «يا أولادي الذين **أتمخَّض** بكم إلى أن **يتصوَّر** المسيح فيكم» (غل 4:19):
تعبير خاص برسالة غلاطية.
«**أتمخَّض** = çd…nw»: يتمخَّض للولادة كوالدة تعبيراً عن آلام الكرازة من قلب كقلب أُم حتى يلد ق. بولس أولاداً لله لهم صورة المسيح في القداسة والتقوى.

5 ـ «فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية» (غل 5:1):
«**نير** = » zugù وصف أليم لمَنْ يتعبَّد لوصايا وأحكام تافهة ثقيلة بدون فائدة، كالبهيمة التي تحمل النير على رقبتها وتجر ثقلاً هائلاً وراءها دون أن تفهم أو تدري عنه شيئاً.

6 ـ «كنتم **تسعون حسناً**. فمَنْ صدَّكم حتى لا تطاوعوا للحق؟» (غل 5:7)
ومعنى **تسعون** tršcete™ أي تجرون في سباق كالرياضيين.

7 ـ «**خميرة صغيرة تخمِّر العجين كله.**» (غل 5:9)

8 ـ «وأمَّا **ثمر الروح** فهو محبة فرح ...» (غل 5:22)

9 ـ «الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً.» (غل 6:7)

10 ـ «فإذاً حسبما لنا فرصةٌ فلنعمل الخير للجميع، ولا سيما **لأهل الإيمان.**» (غل 6:10)

11 ـ «... حامل في جسدي سمات st…gmata = (كي بالنار، وشم) الرب يسوع» (غل 6:17):

(أ) هذه الاصطلاحات تكشف لنا عن المحيط التصوري الذي كان يعيشه ق. بولس مع رسائله. فالأربعة اصطلاحات الأولى نجدها فريدة وخاصة بالرسالة إلى غلاطية، ولكن الباقي ولو أننا نجده في رسائل أخرى، ولكن نجده هنا في رسالة غلاطية متتابعاً ومتركزاً في الأصحاح الخامس والسادس منها.

(ب) كما تتميز الرسالة إلى غلاطية من جهة أسلوب الحوار البلاغي، وهذه الأسئلة البلاغية لا تأتي موزعة ولكن تأتي أيضاً متركزة في الجزء العقائدي في وسط الرسالة في الأصحاحين الثالث والرابع:

1 - «مَنْ رقاكم حتى لا تذعنوا للحق؟» (غل 1:3)

2 - «أريد أن أتعلَّم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟» (غل 2:3)

3 - «أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح تُكمَّلون الآن بالجسد؟» (غل 3:3)

4 - «فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟» (غل 5:3)

5 - «فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا! لأنه لو أُعطي ناموسٌ قادرٌ أن يحيي، لكان بالحقيقة البرُّ بالناموس.» (غل 21:3)

6 - «فماذا كان إذاً تطويبكم؟ لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني.» (غل 15:4)

7 - «أفقد صرت إذاً عدواً لكم لأني أصدق لكم؟» (غل 16:4)

كل هذا الضغط باستخدام الأسلوب البلاغي بالسؤال الاستنكاري ليصير الرد حتماً بالنفي، يستخدمه ق. بولس في الرسالة إلى غلاطية، ليرد قلوبهم وعقولهم التي سلبها منهم الإخوة الكذبة وكأنهم سحروهم أي جذبوهم إلى تعاليمهم بالغش والخداع. فالقديس بولس هنا يضغط على فكرهم المسلوب ليسترد وعيهم الحقيقي.

(ج) كما يتميز أسلوب ق. بولس في هذه الرسالة بالضرب على الوترين: وتر الصوت العالي المؤنِّب بعنف، ومعه وتر الصوت الخفيض الهادئ الذي يحمل مشاعر اللطف والمودَّة الحقيقية لخلاصهم.

فإزاء «**أيها الغلاطيون الأغبياء**» (غل 1:3) ينثني سريعاً ناحية المودَّة «**أيها الإخوة** بحسب الإنسان أقول ...» (غل 15:3)

وأمام «**أهكذا أنتم أغبياء**» (غل 3:3) يعود يتودَّد لهم: «**أتضرَّع إليكم أيها الإخوة كونوا كما أنا ...**» (غل 12:4)

وفي مواجهة الكلام اللاذع «مَنْ رقاكم حتى لا تذعنوا للحق» (غل 1:3)، يودّعهم بكلام كالعسل: «نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الإخوة.» (غل 18:6)

وهذا التوازن والموازنة العجيبة بين الكلمة القاسية والكلمة الحانية يكشف لنا طبيعة الرسول الكاتب للرسالة، فهو يحمل بين ضلوعه قلباً قُدَّ من حنان أبوي، وأحشاء رحمة لأم تحمل أولادها على كتفها. فإذا انتهر وأدَّب وعبَّس وغضب فلكي لا يفلت من حضنه مَنْ تمخَّض بهم وولدهم للمسيح ولا تأكلهم السباع هواناً ومجاناً.

والقديس بولس يهوِّن عليهم ألم التأديب حاسباً إياه ضرورة لميلاد جديد:
+ «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل 19:4)

كلمات من نور لا يقوى عليها غير ق. بولس إلاَّ المسيح!! ودائماً دائماً يُبقي ق. بولس الكلمة الحلوة للآخِر وبالنهاية.

والقارئ الذي يستطيع أن يميِّز بين النبرات والأصوات العالية والخفيضة لكارز جبَّار مثل ق. بولس يستطيع أن يتبيَّن في وسط موجات الغيرة النارية والدفاع الملتهب عبقرية واعظ يسرق القلوب بذكاء منقطع النظير، فإزاء السحرة الذين سحروا الغلاطيين وهم في غفلة من وعيهم، استطاع ق. بولس المتحكم بالنعمة أن يسترد قلوبهم ويردهم إلى وعيهم بالحق، ولكن لو كان ق. بولس توقَّف عند استرداد إيمان الغلاطيين من مخالب المتعصبين للناموس لقلنا إنه نجاح منقطع النظير، ولكن رسالة غلاطية ما توقفت مفاعيلها عند الغلاطيين، بل تلقفتها الكنيسة كلها وفي كل العصور واستودعتها خزانة لاهوتها كسلاح حمله كل المدافعين عن حق الإنجيل تجاه كل إنحرافات الإيمان والعقائد.

وهكذا بقي صوت ق. بولس في رسالة غلاطية حيًّا مسموعاً في الكنيسة كلها في كل الأجيال والعصور وعلى وجه كل الأرض، ينادي بالحرية التي حررنا بها المسيح ليس من أعمال الناموس وحسب بل ومن كل علّة ومن كل قيد[18] «لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو

[18] لا توجد أي أعمال كبيرة أو صغيرة قادرة أن تزكي خلاص الإنسان أو تدفعه أماماً أو تستزيده فعلاً. ولكن «**الخلاص**» إذ يتم ويكمل بالنعمة المنبثقة من دم المسيح يصير له أعمال خاصة لازمة وحتمية: المحبة، البذل، الشهادة، التواضع، الصلاة والتسبيح وكل أفعال الخير وعمل الصلاح.

عطية الله، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد» (أف 2: 8و9)، «متبررين مجاناً بنعمته» (رو 3:24).
حيث كلمة **مجاناً** قادرة بحد ذاتها أن ترد كل يائس من خلاصه ليقوم ويكرز بالخلاص المجاني. لأنها في الحقيقة تهب السعادة لكل مَنْ فقدها. فإن كان الله هو الذي يسعى لخلاصي فمَنْ ذا الذي يزايد على الله، وإن كان المسيح هو الذي فدى نفسي مِنْ كل خطية وإثم ومن كل هلاك وموت فمَنْ ذا الذي يزايد عليه؟ ومبارك الرب الذي فكَّ قيود الموت عني وساقني في موكب نصرته.

الغلاطيون: مَنْ هم وأين مواقع كنائسهم:

قام العالِم ليتفوت[19] ببحث مستفيض عن أصل هذا الشعب وهجراته المتواصلة حتى استقراره في وسط آسيا الصغرى، وعنه أخذ جميع العلماء ولكن لم يزد على أبحاث ليتفوت أحد.

الاسم غلاطيون باليونانية Gal£tai وهو من أصل اللفظ keltoi وبالإنجليزية kelto ولكن باللاتينية هي Gallia.

وأول تقابل مع شعب الكلت في التاريخ كان في وسط أوربا في حوض نهر الدانوب ولا تزال تُدعى حتى اليوم بعض المواضع هناك باسم "كلت kelt" في نواحي فيينا، وحتى كلمة فيينا Vienna هي أصلاً باللاتينية Vindobona من كلمة windos وهي نفسها المعروفة بالكلت وتعني أبيض.

هؤلاء الكلت أو G£lloi أي الغلاطيون نزحوا منذ فجر التاريخ نحو سويسرا وجنوب ألمانيا وشمال إيطاليا حتى إلى الغال Gaule بفرنسا حيث أخذوا تسميتهم الدائمة Gallaia وباليونانية Galatia.

بعد ذلك ارتدوا في الهجرة نحو الشرق واستقروا زماناً في شمال اليونان في تراقيا Thrace ومكدونية Macedonia وتسَّالي Thessaly، ثم اقتحموا اليونان ولكنهم لم يتعدوا مدينة دلفي Delphi ثم طُردوا من اليونان سنة 279 ق.م. فاضطروا للهجرة شرقاً وعبروا المضيق ونزلوا في آسيا الصغرى حين دعاهم نيقوميدس Necomedes ملك بثينية Bithynia طمعاً في استخدامهم ضد أعدائه. وبالفعل هدَّدوا جميع الولايات المحيطة ببثينية حتى قام الملك أتالوس الأول Attalos I

---

(19) ليتفوت هو جوزيف باربر ليتفوت 1828ـ1889. أسقف دورهام، تتلمذ في بداية حياته العلمية على يد العالِم وستكوت (1825ـ1901)، وهو أيضاً كان أسقفاً على دورهام. وشهرة ليتفوت بدأت بسبب شرحه لرسالة غلاطية (1865) وبعدها فيلبي ثم كولوسي مع فليمون وهو عالِم مدقِّق محب للآباء.

ملك برغامس Pergamus في سنة 230 ق.م. فانحصروا في الأقليم الذي كان لفريجية Phrygia وهو شريط عريض من الأرض عند حوالي 200 ميلاً من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي لآسيا الصغرى بين خط طول 31°، 35° شرقاً وخط عرض 39°، 40° شمالاً حول مدينة أنقره Ancyra التي صارت بمرور الزمن عاصمة مملكة الغاليين Galatia والتي أصبحت تسمَّى الآن في تركيا أنقرة كعاصمة لجمهورية تركيا المترامية الأطراف.

ولكن لم يكن الغاليون وحدهم في الأقليم الذي تسمَّى باسمهم بل كان يحيط بهم ثلاث قبائل وكل قبيلة كان يحكمها أحد أربعة رؤساء كل منهم رئيس ربع (4 tetrachies). وكان الغلاطيون أسياد هذه المناطق وخاصة باندماجهم مع الفريجيين، وبمرور الزمن اعتنقوا ديانة الفريجيين وثقافتهم ولكنهم احتفظوا بلغتهم الأصلية، وبمرور الزمن سادت لغة الغلاطيين وذابت لغة الفريجيين ولكن كان الغلاطيون يتقنون اليونانية ويتكلَّمون بها أيضاً في معاملاتهم التجارية.

وفي سنة 190 ق.م. انضم جزء كبير من الغلاطيين إلى أنطيوخوس الثالث ملك أنطاكية ضد الرومان في موقعة ماجنيزيا Magnesia مما أثار حفيظة الرومان وبادلوهم الشر بأشر منه إذ انبرى لهم القنصل مانليوس Consul Manlius وأخضعهم، وإن كان بعد ذلك أعطاهم حريتهم إلاَّ أنه اشترط عليهم أن يلتزموا السكينة والخضوع. وبعدها قويَ اليونان في المنطقة وغزوا كل آسيا الصغرى من سنة 88 حتى سنة 65 ق.م. بعدها ساد سلطان ملك بنتس المدعو مثريداتس الرابع Mithridates على كل شبه الجزيرة، ولكن بالرغم من ذلك ظلَّ الغلاطيون محتفظين بعهدهم في الخضوع والتقرُّب إلى الرومان طيلة الوقت ولكن ذاقوا الأمرَّين من اضطهاد مثريداتس ملك البنتس بسبب صداقتهم لروما، ولكن حينما انهزم ملك البنتس على يد بومبي سنة 64 ق.م. كافأهم الرومان إزاء أمانتهم وتبعيتهم لروما فأعطوا درجة الدولة الصديقة الأولى بالرعاية من طرف روما لمدة أربعين سنة. ولكن عاد ملك بنتس في الشمال وغزى غلاطية ولكن استعادتها روما باعتبارها ولاية رومانية سنة 25 ق.م.

وأثناء هذه الحركات المتوالية اتسعت مملكة غلاطية وامتدت إلى ما وراء حدودها الأولى منذ سنة 36 ق.م، وبمجيء مارك أنطوني كافأ الغلاطيين بسخاء، وأهدى ملكها وكان يُدعى أمينتاس Amyntas مدينة إيقونية Iconium وهي أجمل وأعظم مدن فريجية بالإضافة إلى جزء من ليكاؤنية Lycaonia وأيضاً بمفيلية Pamphylia.

وإن كان أغسطس قد اقتطع من مملكة غلاطية أجزاء من الشرق ليكاؤنية وكيليكية وأعطاها لحليفه أرشيلاؤس ملك كبدوكية Cappadocia، إلاَّ أن أقليم غلاطية امتد بالأكثر نحو أرض الجنوب واستولى على بيسدية مع إيشوريا وغرب ليكاؤنية، وفي سنة 6 م. أُضيفت أرض بافلوجونيا Paphlagonia في الشمال إلى مملكة غلاطية، وبعد أربع سنوات أي سنة 10 م. أُضيفت إليها أجزاء من الأراضي ناحية الشمال الشرقي كانت أصلاً تابعة إلى مملكة بنتس فاحتلتها غلاطية ودعيت بعد ذلك "بنتس غلاطية Pontus Galatius"، ودعيت الأراضي التي استولت عليها مملكة غلاطية من فريجية باسم فريجية غلاطية Phrygia Galatius ومن ليكاؤنية باسم ليكاؤنية غلاطية Lycaonia Galatius تمييزاً عن الجزء الأصلي الذي ظل يسمَّى Phrygia Asiana والباقي من ليكاؤنية باسم Lycaonia Antiochiana التي ظلت منذ سنة 41 م. وفيما بعد تابعة كحليف لروما بملكها المدعو أنطيوخوس الرابع Antiochus IV ملك كومّاين Commagne.

وبمجيء الوالي الروماني لغلاطية وهو سالبيسيوس كيرينيوس Sulpicius Quirinius خضعت مملكة غلاطية نهائياً تحت الحكم الروماني سنة 12 م، عندما توحد العالم كله تحت الحكم الروماني استعداداً لبشارة الإنجيل لتكون بلا مانع!!

غلاطية في الحاضر:

وأقليم غلاطية في الحاضر والمسمَّى Provincia Galatia يمتد من بنتس على البحر الأسود حتى بمفيلية على البحر الأبيض المتوسط.

كنائس غلاطية:

أمَّا كنائس غلاطية فكانت تقع بحسب هذا الشرح داخل هذه الحدود دون تحديد.

مملكة غلاطية في الشمال وغلاطية في الجنوب:

ولكن بحسب التقسيمات التي حدثت على مدى التاريخ لمملكة غلاطية، نجد أنها انقسمت بالتقريب إلى مملكة الشمال وتشمل غلاطية الأصلية العِرْقية (ethnic) التي يتواجد فيها أصل هذا الجنس وهو الوطن الأول لأهل البلاد النازحين من أوربا وتسمَّى غلاطية الشمال.

أمَّا في الجنوب فتشمل "غلاطية المضافة" المقتطعة من فريجية وليكاؤنية المسمَّاة فريجية غلاطية

وليكاؤنية غلاطية.

فإذا كانت هذه الكنائس التي ذكرها ق. بولس في رسالة غلاطية واقعة في الجنوب، وهذا هو الأرجح، تكون هذه الكنائس التي أسسها ق. بولس عندما كان مع برنابا أثناء رحلتهما المسمَّاة الرحلة الأولى وهي المذكورة في سفر الأعمال (13:14-14:26) وتكون في مدن **فريجية** الواقعة في أنطاكية بيسيدية (وهي الآن في تركيا تسمَّى يالفاس Yalvas)، ومدينة **إيقونية** (وتسمَّى الآن في تركيا كونية)، وفي مدينة لسترة الواقعة في **ليكاؤنية** (وهي المسمَّاه في تركيا الآن زوستيرا)، وفي مدينة **دربة** (المسمَّاة في تركيا الآن هياك Huyak).

ويحكي لنا جيروم[20] في القرن الرابع عن زيارة قام بها إلى هذه المناطق وسمع الشعب يتكلّم بلغته الوطنية فوجدها مشابهة إلى حد كبير للّغة أهل مدينة تريير Trier في فرنسا وذلك أثناء إقامته عندهم وهو ابن نحو عشرين سنة.

كذلك فإن غلاطية الشمال كانت لغتهم ـ كما يقول جيروم ـ متشابهة أيضاً مع لغة الشعب الذي كان يعيش بفرنسا آنئذ على نهر الموزل Moselle، مع أن المسافة الزمنية التي تفصل تاريخ الشعب هنا وهناك كانت أكثر من ستة قرون ونصف!! أو ربما أكثر.

كما ينقل لنا جيروم عن الكاتب المسمَّى لكتانتيوس Lactantius[21] قوله أن تسمية شعب غلاطية هو بسبب كلمة g£la وتعني اللبن بسبب بياض جلدهم الناصع. وتأكيداً لهذا فنحن نسمع نفس هذا التعليل من **الأسقف هيلاري أسقف بواتييه بفرنسا** Hilary of Poitiers في أحد أشعاره ـ وكان هو أيضاً من ذات جنس الغال أي غلاطي الجنس Gallic origin.

وكان المعروف عن شعب الغال أنه شعب غير متحضّر (شأن الشعوب الرحّل كثيرة الهجرة) وكانوا أميي المعرفة متأخرين عن ثقافة عصرهم، وكان يصفهم العالم باللاتينية indociles أي المتأخرين غير المطيعين العنيدين، فلا عجب أن يقول عنهم جيروم أن الغلاطيين كانوا بالفعل أغبياء بسبب بطئهم في الفهم.

وبحسب الأبحاث التي قام بها كثير من العلماء، قدماء ومحدثين، نجد أن القدامى منهم كذهبي

(20) Jerome, In Galat., ii, Praef. (Migne PL. 26, 382 C) cited by Bruce, *op. cit.*, p. 6.

(21) Lactantius (240-230. D).

الفم وغيره فضَّلوا أن يكون موضع كنائس غلاطية في غلاطية الجنوب، في حين أن العلماء المحدثين وأهمهم ليتفوت[22] ففضَّلوا أخيراً أن يكون موقعها في الشمال باعتباره الوطن الأصلي لشعب غلاطية عرقياً.

وقد ظهر كتاب شرح رسالة غلاطية للعالم ليتفوت في سنة 1865 ومن بعدها لم يجرؤ أي شارح أن يضيف على ما سجَّل شيئاًذا قيمة. وقد وافق العالِم موفات Moffat ليتفوت فيما شرحه.

تحقيق زمن تأسيس الكنائس في غلاطية على ضوء سفر أعمال الرسل:

يعتبر العالِم ليتفوت أن ما ذكره ق. بولس في رسالة غلاطية هو نفس ما ذكره ق. لوقا في سفر الأعمال:

(غل 13:4): «ولكنكم تعلمون أني بضعفِ الجسدِ بشَّرتُكم في الأول»

(أع 6:16): «وبعد ما اجتازوا في فريجيَّة وكورةِ غلاطيَّة، منعهُم الروح القدس أن يتكلَّموا بالكلمة في أسيَّا»

وكانت هذه هي **الزيارة الأولى** لتأسيس الكنائس.

ثم ما جاء في سفر الأعمال (23:18) كان هو ما يختص **بالزيارة الثانية** لهذه الكنائس: «وبعدما صرف زماناً خرج واجتازَ بالتتابُع في كورة غلاطية وفريجيَّة يُشدِّد جميعَ التلاميذ»

وقد أصبحت كنائس غلاطية نموذجاً نشطاً في جمع الأموال بسخاء لإرسالها لفقراء القديسين في أورشليم كما ذكر ذلك ق. بولس في رسالة كورنثوس الأولى:

+ «وأمَّا من جهة الجمع لأجل القديسين، فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً.» (1كو 1:16)

وقد قام الغلاطيون بهذه المهمة وجمعوا ما تيسَّر لهم وحملها أحد أعضاء الكنيسة وكان من دربة ويدعى اسمه **غايس** المعروف بغيرته وحماسه في الضيافة كما جاء عنه في رسالة رومية (23:16). ونسمع عن غايس هذا المضياف ولقبه **غايس الدربي** في مرافقته للقديس بولس في عبوره من آسيا إلى مكدونية لحراسة ق. بولس من مكيدة كان قد دبرها اليهود لقتله، وهؤلاء هم المرافقون في هذا العبور:

[22] Lightfoot. *op. cit.*, p. 19 ff.

+ «من أهل تسالونيكي: أرسترخُس وسكُوندُس وغايوس الدربيُّ وتيموثاوس. ومن أهل أسيا: تيخيكُس وتروفيمُس.» (أع 20:4)

كذلك فإن كريسكيس كان مندوباً لكنيسة غلاطية في مرافقة ق. بولس في رحلته الطويلة إلى روما، ولكن للأسف رجع هو والآخرون وتركوا ق. بولس مع لوقا وحده كما نسمع ذلك في رسالة ق. بولس مخاطباً تيموثاوس:

+ «بادر أن تجيء إليَّ سريعاً ـ (بولس في سجن روما) ـ لأن ديماس قد تركني إذ أحبَّ العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس إلى غلاطية، وتيطُس إلى دلماطية.» (2تي 9:4و10)

ويذكر ق. بطرس غلاطية كأحد الأقاليم التي كان يعيش فيها اليهود المتنصرون الذين نموا وازدهروا وأثمروا، وربما يكون ق. بطرس قد قام بزيارتهم:

+ «بطرسُ، رسول يسوع المسيح، إلى المتغرِّبين من شتات بنتُس وغلاطية وكبدوكيَّة وأسيَّا وبيثينية، المختارين.» (1بط 1:1)

ومن إشارة ق. بطرس هذه يتضح بنوع ما أن كنائس غلاطية كانت في الشمال.

صفات شعب غلاطية (الغلاطيون):

يقول العالِم الباحث القديم ألبرت بارنس[23] الأمريكي أن غلاطية كانت في البدء مهداً لثلاث أُمم أو قبائل متقاربة لغة ومواصفات، وكانت تدعى منذ القديم بالغال Gaul الذين نزحوا بالنهاية شرقاً وغزوا أسيا الصغرى سنة 479 بعد تأسيس روما وقد ورد هذا في أعمال ق. يوستين[24]. ويوافق هذا التاريخ سنة 272 ق.م. وهو شعب محارب محب للقتال لا يفارق السيف يده، وكان إذا أغار على شعب آخر يضمه إليه، فدخلت فيهم عناصر يونانية من تراقيا Thrace لذلك كان الغلاطيون يتقنون اليونانية. علماً بأن ق. هيلاري كان غلاطياً من جنسهم وقد أسماهم Gallos ووصفهم بصفة Indociles[25] ومعناها الشعب العنيد الجامح غير المطيع، وقد شهد عن ذلك القديس جيروم. ولمَّا عبروا مضيق أسيا (البسفور) انقضُّوا على أسيا الصغرى كالنحل، وكان لهم

(23) Albert Barnes, *op. cit.,* p. 278.

(24) Justin, *Lib*. XXV, 2.

(25) Jerome, *in Galat.* ii, praef. (Migne PL 26, 380 C), Cited by F. F. Bruce, *op. cit.,* p. 6.

جيشٌ مدربٌ يستعين به الملوك حتى صار اسم الغلاطيين رعباً في كل أسيا. ولما استعان بهم ملك بثينية ونصروه اقتسموا مملكته. وكان الغلاطيون وثنيين وقد دعاهم أحد شعرائهم المسمَّى Gallinachos بالشعب الغبي وذاعت هذه الصفة التي استعارها ق. بولس منه. وهذا يعفي ق. بولس من فكرة إهانتهم بقوله لهم: «أيها الغلاطيون الأغبياء.» (غل 3:1)

ويصف المؤرخون القدامى شعب غلاطية **بأنهم كانوا طوال القامة ويميلون إلى العري** وكان سلاحهم السيف بيد والدرع بالأخرى، وكانوا كواسر في اندفاعهم في الحروب ولا يرتدّون في هجومهم، فكانت رعبتهم تحل على محاربيهم لأن انتصاراتهم ذاعت وصارت حقيقة معروفة.

وكانت غلاطية أكثر الممالك كثافة في عصرهم، وكانت أرضهم خصبة فكانوا فلاحين وتُجَّاراً بسبب أن نسبة كبيرة من اليهود كانت تتعايش في أرضهم. ووصفهم يوسيفوس أنهم كانوا أهل تجارة[26].

---

[26] Joseph. *Ant.*, XVI. 6.

شرح رسالة غلاطية عند الآباء القدامى

منذ البدء احتلت الرسالة إلى غلاطية مكانة مرموقة في أعمال الآباء، لذلك فإن المخطوطات الباقية حتى الآن والتي تحمل شرح رسالة غلاطية كاملة أو قِطَعَاً وأجزاءً هي في واقعها أكبر مجموعة في عددها من أي شرح لأي رسالة أخرى من رسائل ق. بولس[27]. والمخطوطات الأكثر قدماً في شرح هذه الرسالة تحمل قيمة ذاتية كبيرة.

الشروحات الأكثر قدماً

(أ) يونانية وسريانية:

1 ـ أوريجانوس:

تُوفّي سنة 253 م. ويتبقى من شرحه أجزاء فقط غير كاملة. وقد اكتشفت حديثاً ضمن كتابات جيروم قائمة لكتابات أوريجانوس حيث يذكر له خمسة عشر كتاباً في شرح رسالة غلاطية بالإضافة إلى سبع عظات أيضاً على شرح رسالة غلاطية، هذا بالإضافة إلى أنه في مقدمة شرح جيروم لرسالة غلاطية يذكر مجموعة كبيرة جداً لأوريجانوس على نفس الموضوع لم يتبق منها إلاَّ القليلُ وباللاتينية في ترجمة بامفيليوس لأعمال أوريجانوس أو في شرح جيروم للرسالة (غل 5:13).

علماً بأن معظم الكتّاب الذين أتوا بعد أوريجانوس أخذوا منه إمَّا نصوصاً بأكملها أو أفكاراً منسوبة إليه، وجيروم نفسه يعترف بأنه اعتمد في شرحه على شرح أوريجانوس. ويقول ليتفوت[28] إن الأخطاء والهرطقات المنسوبة لأوريجانوس من السهل جداً اكتشافها وعزلها من كتاباته. كما أن الصحيح من آرائه واضح أيضاً، وقد اقتبس منه الكثير ممن اعتمدوا على شروحاته. ويقول العالِم ليتفوت عن أوريجانوس إنه: مفكّر عميق ـ وقواعد اللغة والتصنيف عنده

---

(27) Lightfoot, *op. cit.*, p. 227.

(28) Ibid., p. 227.

دقيقة وصحيحة للغاية، وأعماله تشهد أنه مجتهد بالدرجة الأول وأنه مسيحي غيور، وأوريجانوس لم يضع فقط أسساً لشرح الإنجيل بل وبنى أيضاً عليها شوامخ.

2 ـ أفرآم السرياني:

تُوفّي سنة 378 م. شماس إدسّا المشهور باسم قيثارة الروح القدس، ترك شرحاً لرسالة غلاطية توجد منه نسخة بالأرمينية مع شرح الأسفار كلها ومن ضمنها كل رسائل بولس الرسول، وقد طُبِعَت كلها في فينسيا سنة 1836 م. في مطبعة أرمينية!! وهذه النسخة تُحسب ذات قيمة عالية جداً. ويؤكد العالِم المشتغل بالكتابات الرسولية لاجارد Lagarde[29] في كتابه "الأعمال الرسولية" صفحة 6 أن أعمال أفرآم السرياني بما فيها هذه الرسالة أصيلة بكل تأكيد، كذلك العالِم رودجر Rödiger[30]. ويضيف العالِم ليتفوت ـ بعد أن اطّلع على النسخة ـ إنها تحمل سمات الأصالة بالفعل.

3 ـ مدرسة أنطاكية:

يقول ليتفوت عن هذه المدرسة إنها مدينة في مجموعها لأوريجانوس المصري، وقد حمل إليها طرائق أوريجانوس في أسلوبه وفكره وعلمه ونحوه (جراماتيك) المدعو لوسيان Lucian[31] الأنطاكي، وبمفيليوس القيصري[32] Pamphilius of Caesarea وهما شهيدان ماتا على يد دقلديانوس ومكسيمينوس، وكانا غيورين على الإنجيل، ولكنهما كانا يعترضان على أسلوب أوريجانوس في الشرح المجازي. والخمسة الأسماء القادمة كلها من الشرّاح المنتمين لمدرسة أنطاكية.

4 ـ يوسابيوس الذي من إمسّا Eusebius of Emesa:

تُوفّي سنة 359 م. وهو أسقف إمسّا وهو أصلاً من إدسّا، ولم يبقَ من شرحه إلاّ أجزاء جاءت في كاتينة (سلسلة) كرامر (أي شرح مسلسل للإنجيل بواسطة أقوال الآباء). ويعتبر يوسابيوس شارحاً إنجيلياً وإن كان يُحسب أنه نصف أريوسي، وهو تلميذ أسقف قيصرية سابقاً، وحاولوا أن

---

(29) Ibid., p. 228.

(30) Ibid., p. 228.

(31) **لوسيان الأنطاكي الشهيد**: تُوفّي سنة 312 م. كان كاهناً لأنطاكية، وبالرغم من شهرته العالية في القداسة إلاَّ أن تعاليمه المتحررة أخرجت أخطر هرطوقي عرفه التاريخ وهو أريوس.

(32) **بمفيليوس**: (240ـ309) هو تليمذ رسمي لأوريجانوس، مواطن من بيروت تعلَّم في الإسكندرية وكان مديراً للمدرسة اللاهوتية في قيصرية فلسطين حيث استشهد. كتب أثناء سجنه أقوى دفاع عن أوريجانوس الذي كان يوقِّره جداً وقد ساعده في وضع هذا الدفاع يوسابيوس القيصري.

يقحموه على كرسي الإسكندرية لمَّا نفوا أثناسيوس سنة 339 م. وكتاباته في شرح رسالة غلاطية تعتبر من أدق ما يمكن وأكسبته شهرة عظيمة بين زملائه.

5 ـ يوحنا ذهبي الفم John Chrysostom:

تُوفِّي سنة 407 م. ويتميَّز شرحه لرسالة غلاطية أنه لم يأتِ على هيئة عظات متقطّعة ولكن جاء شرحاً متكاملاً بدون توقُّف. وهذا يحسب أنه إضافة كبيرة لأهمية الرسالة. ولكن يبدو أنه كتبها لتُلقى شِفاهاً على الشعب لذلك خرجت ذات طابع بليغ منسَّق شعبي ذا أصالة علمية، وقد كتبها في أنطاكية قبل سنة 398 م. عندما صار بطريركاً على القسطنطينية. ويعرِّفنا جيروم في نقاشه مع أغسطينوس بصدد شرح جيروم لهذه الرسالة أن ذهبي الفم قد كتب مقالة خاصة بخصوص مواجهة بولس لبطرس في أنطاكية بخلاف شرحه للرسالة إلى غلاطية.

6 ـ سافريانوس Severianus of Gabala:

وهو أسقف جبالا في سوريا وتُوفِّي سنة 400 م. بدأ صديقاً حميماً لذهبي الفم وانقلب عليه عدواً مقاوماً. لم يتبقَّ من شرحه لرسالة غلاطية إلاَّ أجزاء في كاتينة (سلسلة) كرامر. وواضح من أسلوبها أنه يتمسَّك بالنص والحرف ضد استخدام الكناية والتشبيه التي تتميَّز بها مدرسة الإسكندرية. وقد وجد شرحه لرسالة غلاطية ترحيباً كبيراً عند جناديوس الذي قال عن سافريانوس إنه شارح مُلهَم.

7 ـ ثيئودور الذي من مبسوستيا[33] Theodore of Mopsuestia:

تُوفِّي سنة 429 م. كتب شرحاً لكل رسائل بولس الرسول سجلها له السمعاني (أمين مكتبة الفاتيكان). وقد تبقَّى أجزاء كثيرة من شرحه لرسالة غلاطية باليونانية ولكن نصَّها الكامل حُفظ باللاتينية، وفي مستواها تعتبر أقل من التي لجيروم والتي لذهبي الفم.

8 ـ ثيئودوريت أسقف قيرش:

توفِّى سنة 458 م. وهو مواطن أنطاكي وتلميذ لثيئودور المبسوستي، قدَّم شرحه لرسالة غلاطية، ويقول عنه العالِم ليتفوت إنه فاق الجميع في الدقة والشهادة الرسولية، ولكن لا تزيد كثيراً عن التي لذهبي الفم الذي اعتبره ثيؤذوريت أحد أنوار المسكونة.

([33]) **ثيؤدور المبسوستي**: (350ـ428م). أنطاكي الأصل شارح إنجيلي ولاهوتي، انضم ليوحنا ذهبي الفم للدراسة معاً تحت ديودور في دير بأنطاكية سنة 369 م. لمدة عشر سنوات ـ وفي سنة 392 رُسم أسقفاً على مبسوستا وله نقد علمي ولغوي وتاريخي على الإنجيل يشابه بيلاجيوس المبتدع، وقد أدين في مجمع أفسس سنة 431 على فكره عن التجسُّد.

(ب) الآباء اللاتين:

1 ـ ماريوس فيكتورينوس C. Marius Victorinus (360م):

أفريقي كان يدعى "الفيلسوف"، وقد تنصَّر وهو كبير في السن ودرَّس البلاغة في روما عندما كان جيروم صبياً. شرح كل رسائل بولس الرسول ومن بينها غلاطية، وهي موجودة في مجموعة آباء ميني Migne[34]، ولو أن شرحه لا يرقى إلى الشروحات الأخرى الهامة: ولكن أهم ما في شرح رسالة غلاطية التي لهذا الفيلسوف هو أنه أقدم شرح لرسالة غلاطية موجود للآن بكامله.

2 ـ هيلاري:

المدعو خطأ في كل المخطوطات بأمبروزياستر Ambrosiaster.

ودعي بهذا الاسم لأن شرحه نُسب خطأ لأمبروسيوس، وقد نقل عنه القديس أغسطينوس تحت اسم "القديس هيلاري". وهو غير هيلاري الذي من بواتييه، ولكن هذا كان شماساً في روما وعاش في أواسط القرن الرابع، ويستحيل أن يكون القديس أغسطينوس قصد هذا الشماس عندما أسماه القديس هيلاري. وقد كتب شرحه أيام حبرية داماسوس أسقف روما (366ـ384 م). ومجموعة شروحاته تشمل الرسائل الثلاث عشرة للقديس بولس. وتعتبر أقوى ما كُتب عنها باللاتينية. وظلَّ يُدعى "هيلاري" فقط أو أمبروزياستر.

3 ـ جيروم = (يوسابيوس صوفرونيوس) هيرونيموس Eusebius Sophronius Hieronymos:

كتب شرحه لرسالة غلاطية سنة 387م. وكتب في المقدّمة أنه إنما يُقدم على شرح غلاطية كعمل لم يسبقه أحد فيه باللغة اللاتينية، ولكن بعد قليل يعترف بأن فيكتورينوس كتب في ذلك ولكن باحتقار لمحتواه، ومن هذا يبدو أنه لم يقرأه. كذلك لم يعتد بالمؤلفين اليونانيين الذين سبقوه، إنما امتدح أوريجانوس معترفاً بأنه أخذ عنه، كذلك يذكر أنه اطّلع على ما كتبه ديديموس في غلاطية (وديديموس تُوفّي سنة 396 م. في عمر متقدّم) مداعباً فقدانه للنظر بقوله عنه "الرائي"، وبالعامية صاحب العيون، ولكن دون أن يعتد بانتاجه، ولكن ليس كأنه بدون فائدة!! كل هذا قرأه قبل أن يصنّف شرحه الخاص.

ويقول عن شرحه العالِم الناقد لايتفوت: إنه إن صرفنا النظر عن أسلوبه المشوش وفقدانه للذوق السليم والإحساس الجيد وأخطاء من كل نوع، فهو بالرغم من ذلك يعتبر أقيم شرح ظهر

(34) Migne, PL. VIII, p. 1145.

للآباء عموماً للرسالة إلى غلاطية. ذلك لأن كثرة أخطائه يعوضها بجدارة علو شأن علمه ودقة نظرته النقدية وعرضه اللطيف الهائل. وقد دافع عن المسيح دفاع بطرس الرسول عندما قال للرب حاشاك يا رب أن تُصلب، فقد قال جيروم إن قول ق. بطرس عن المسيح أنه صار لعنة من أجلنا لا يليق للمسيح وكأنه لا يريد أن نخرج نحن من تحت اللعنة.

4 ـ القديس أوغسطين (= أوريليوس أوغسطينوس) Aurelius Augustinus:

كتب شرحه لرسالة غلاطية سنة 394 م. وغالباً دون أن يرجع إلى أي مرجع من الذين سبقوه، لا تعالياً ولكن لعدم معرفته بهم. ونعته "ترنش Trench" رئيس الأساقفة في تقديمه لشرح العظة على الجبل بأنه ذو مهارة هائلة في شرح الأسفار وذلك في مواجهة خصوم أغسطينوس الذين لم يتجاوبوا مع أسلوبه في التفسير، فضاع منهم إدراك غزارة مواهبه وتعمُّقه الروحي، الأمور التي كانت تُحسب له أهم وأعمق من أسلوبه في النقد، لأنه في النقد كانت تعوزه مواهبه وأدواته. وبسبب ذلك كانت شروحاته على المدى مخيِّبة للآمال. وبالتالي جاء شرحه لرسالة غلاطية دون مستوى معظم الآباء.

إلى هنا نكتفي بتقديم هذه المجموعة ممن شرحوا الرسالة إلى غلاطية منحصرين في مجموعة الآباء الأوائل فقط.

مميزات الرسالة إلى غلاطية

بدراسة الرسائل التي لبولس الرسول، وبالعودة إلى رسالة غلاطية يتضح لنا المميزات التي تبرز هذه الرسالة لتأخذ مكانتها العالية بين الرسائل.

1 ـ وحدة الهدف في الرسالة:

من أول كلمة في افتتاحية الرسالة، والمفروض أن تكون للتحيات والدعوات، وإلى آخر الرسالة لم يغب قط عن ذهن ق. بولس وقلمه القصد الذي يكتب من أجله هذه الرسالة، وهو دحض القائلين بأنه أخذ رسوليته من قِبَل الرسل، وبالتالي جحدوا تعليمه عن النعمة وعملها في العهد الجديد كونها فوق الناموس وفرائضه. وبدخوله في جسم الرسالة، شارحاً المبادئ العقائدية

واللاهوتية، لم يبرح هذا الهدف من أمام عينيه حتى وفي أدق المراحل التاريخية للعقيدة وظروفها.

كذلك ركّز ق. بولس على هذا الهدف الدفاعي المزدوج حتى في توجيهاته من جهة الحياة العملية وقواعدها. أمَّا في ختام الرسالة، وكنا نظن أنه سيغيِّر الأسلوب والاتجاه، نراه قد عاد إلى نفس الموضوع الأساسي الذي كان يشغل باله للغاية في أثناء كتابته لهذه الرسالة والذي لم يغب عنه لحظة. حتى أننا نندهش كيف صاغ دعاءه الأخير لهم حاملاً نفس الموضوع الذي أقلقه وهو جحودهم لنعمة المسيح إذ يبثُّهم دعاءه: «**نعمة** ربّنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الإخوةُ» (18:6). ولو عدنا إلى مقدمة الرسالة نفسها نجده بعد أن يُثبت رسوليته أنها «لا من الناس ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب» نقرأ: «**نعمة** لكم وسلامٌ من الله الآب، ومن ربنا يسوع المسيح» (غل 3:1). هنا سر إلحاح ق. بولس على النعمة الغائبة عن أهل غلاطية.

ولكن ينبغي علينا ونحن بصدد «نعمة المسيح» أن نسأل إن كانت فعلاً غائبة عنَّا كما غابت عن أهل غلاطية وكنائسهم حتى صرنا إلى ما صارت إليه كنائسهم؟ وعندها ينبغي أن تصبح أهمية هذه الرسالة بالنسبة لنا حاضرة وملحَّة. فغياب عمل النعمة في حياتنا وأعمالنا وصلواتنا وكلامنا أضعف سلطان المسيح والإنجيل في حياتنا.

2 ـ علاقة رسالة غلاطية بالرسائل الأخرى:

بالبحث نجد أن الرسالتين إلى أهل كورنثوس تحملان نفس التصحيح للخطأ الذي وقع فيه الغلاطيون من جهة الإعثار فيه كرسول وغياب النعمة أيضاً بعد أن بثَّهم الإيمان بالمسيح: فالرسالة الأُولى لكورنثوس يحمل فيها ق. بولس نفس الهمّ حتى إنه لم يتريَّث بعد افتتاحية الرسالة بل واجههم كما واجه أهل غلاطية مباشرة:

+ «ولكنني أطلب إليكم أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقاتٌ، ... لأني أُخبرتُ عنكم يا إخوتي مِنْ أهل خُلُوي أن بينكم خصوماتٍ.» (1كو 10:1و11)
+ «وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلّمكم كروحيين، بل كجسديين كأطفالٍ في المسيح، ... لأنكم بعد جسديون. فإنه إذ فيكم حسدٌ وخِصامٌ وانشقاقٌ، ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر؟» (1كو 3: 1ـ3)
+ «وأمَّا أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم فيَّ منكم ...» (1كو 3:4)

+ «**نحن جهَّالٌ من أجل المسيح، وأمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح! نحن ضعفاءُ، وأمَّا أنتم فأقوياءُ! أنتم مكرَّمون، وأمَّا نحن فبلا كرامةٍ!** إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونَعْرَى ونُلكم وليس لنا إقامة، ونتعب عاملين بأيدينا. **نُشتم فنُبارك. نُضطهد فنحتمل. يُفترى علينا فنعظ. صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن.**» (1كو 4: 10ـ13)
+ «**ألست أنا رسولاً؟ ألستُ أنا حُرًّا؟ أما رأيتُ يسوعَ المسيح ربنا؟ ... هذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني: ألعلَّنا ليس لنا سلطانٌ... كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا؟**» (1كو 9: 1ـ5)
+ «فسواءٌ أنا أم أُولئك، هكذا نكرزُ وهكذا آمنتم.» (1كو 11:15)

أمَّا في الرسالة الثانية لأهل كورنثوس فهو يحاول جاهداً أن يلطّف الجو على أثر الشدة التي واجههم بها في رسالته الأولى، ولكن لم يسكت عن أخطائهم فكمَّل ما قاله في الرسالة الأولى هكذا:

+ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيَّة حواءَ بمَكرِها، هكذا تُفسدُ أذهانكم عن البساطة (النعمة) التي في المسيح. **فإنه إن كان الآتي** (الإخوة الكذبة) **يكرز بيسوع آخر لم نكرز به،** أو كنتم تأخذون روحاً **آخر** لم تأخذوه، **أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه، فحسناً كنتم تحتملون. لأني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل.**» (2كو 11: 3ـ5)
+ «ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً (الإخوة الكذبة يحاولون تقليدنا) في ما يفتخرون به (يبدو حثّهم على الختان). **لأن مثل هؤلاء هم رسلٌ كذبة، فعلة ماكرون، مغيِّرون شكلهم إلى شبه رُسُل المسيح.**» (2كو 11: 12و13)
+ «قد صرت غبياً وأنا أفتخرُ. أنتم ألزمتموني! **لأنه كان ينبغي أن أُمدَح منكم، إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل،** وإن كنت لستُ شيئاً. **إن علامات الرسول صُنِعَت بينكم في كل صبرٍ، بآياتٍ وعجائب وقواتٍ.**» (2كو 12: 11و12)

واضح للغاية من مفردات الرسالتين إلى أهل كورنثوس نفس المواقف التي وقفها ق. بولس في غلاطية، سواء من جهة إنكارهم لرسولية ق. بولس واستصغار من قيمتها، أو من جهة جحد نعمة الله التي قبلتهم وقدَّستهم.

ومن جهة أخرى تعتبر الرسالة إلى غلاطية أقرب الرسائل إلى رومية. فهي النموذج الأول الذي خرجت رسالة رومية على قياسها ومستواها. وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة (صفحة 9) وسنعود إلى شرح ذلك (صفحة 55).

3 ـ أسلوب التعنيف:

كما أنه ساد في الرسالة إلى غلاطية كلها كشف القصد الذي من أجله كُتبت، وهو جحد النعمة التي قبلوها بالإيمان بالمسيح وجحد رسولية ق. بولس، هكذا وبالمثل لم يغب عن الرسالة أسلوب التعنيف ولكن بشعور الأبوة التي تطلب الخلاص والحياة. فغاب عن الرسالة، ومن البدء، أسلوب التحية القائمة على الثقة والتكريم، فلا هم قديسون في كنائس غلاطية، ولا هم الإخوة المؤمنون، ولا حتى الشكر لله من أجل تقدمهم أو سماع الأخبار الطيبة عنهم. لذلك غابت التهنئة من نحو تقدمهم وغاب أيضاً أي مديح لمنهجهم كلاً وجزءاً، أو المحبة التي تحب وتحنو وترجو فلا أثر لها. كما لم يستطع ق. بولس أن يكتم ضيقه، فانفجرت نفسه في الرسالة من حين لآخر لتعبِّر عمَّا كان يجيش في صدره من جهة سوء تصرُّف هؤلاء القوم: «أهكذا أنتم أغبياء» ! (غل 3:3)

في كل ذلك كان ق. بولس يحسّ أن هؤلاء القوم قد فقدوا الحكمة والتعقُّل، وتصرَّفوا كأطفال في خضوعهم لهؤلاء اليهود المتنصرين المتعصبين للناموس، الذين دخلوا غلاطية خلسة ليفصلوا المؤمنين ويردّوهم إلى ناموس موسى، وفعلاً ختّنوهم.

لذلك نجد أن ق. بولس لم يحتمل هذا النكوص، وقد عنَّفهم عليه، وفي ختام الرسالة من شدة انفعاله مسك القلم وكتب بأحرف كبيرة فاضحاً علناً هؤلاء المضلّلين إذ كشف أن تهرُّبهم من الصليب كان خوفاً من اضطهاد اليهود لهم فتخفُّوا وراء الختان. بل وفضح غيرتهم الكاذبة في تمسكهم بالختان إذ يقرر ق. بولس أنهم بالرغم من ذلك فهم لا يلتزمون بالناموس!! وإنما يريدون أن يتمجدوا ويفتخروا وحسب بالذين يختتنون! وفي مقابل خذلان هؤلاء المضللين لإيمان المسيح الحقيقي يجاهر ق. بولس بافتخاره بإيمان المسيح وصليبه، الذي بالإيمان به أصبح ق. بولس مواطناً سمائياً وليس واحداً من هذا العالم. فالعالم مات في نظر بولس المسيحي، وبولس نفسه مات في نظر العالم عندما صار مسيحياً. وبهذا يكشف ق. بولس بوضوح أن تمسُّك هؤلاء اليهود المتنصرين بالختان هو أمر شكلي استخدموه للهروب من اضطهاد اليهود لهم حتى يستطيعوا أن يحيوا للعالم في السرِّ ويظل العالم حيًّا لهم في العلن.

وهنا يطيب لنا أن نشير إلى عادة آبائنا وأجدادنا الذين عاشوا مفتخرين بصليب ربنا يسوع المسيح، إذ وشموه على أجسادهم في كل المواضع الظاهرة على جباههم وصدورهم وأذرعهم وأيديهم تحدياً للاضطهادات أو التعييرات من الناس غير المسيحيين. فكان الصليب عندهم هو أداة المجاهرة بالإيمان بالمسيح وترديداً لمقولة ق. بولس الإلهية: «فحاشا لي أن أفتخرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالم» (غل 14:6) وكأنها آية استشهاد!!

وينبغي لي هنا أن أقدم للقارئ العزيز رأي جمهرة من العلماء المتدينين حقاً لمدى أهمية هذه الرسالة إلى الغلاطيين في ترسيخ الإيمان المسيحي في قلوب الأجيال الأولى، إيماناً قائماً على المجاهرة بصليب ربنا يسوع المسيح ورفعه في القلب والفكر والفم إلى مستوى الافتخار العلني. لأن انفلات مؤمني غلاطية الذين نصَّرهم ق. بولس وقد غسلهم وقدَّسهم للمسيح، ثم تراجعهم وعودتهم إلى أعمال التخفية التي يختفون فيها وهي الختان خوفاً من مواجهة يهود تلك العصور الأولى وليهربوا من الملاحقة والحصار والاضطهاد والقتل، هذه كانت ـ لو نجح هؤلاء اليهود المتنصرون الجبناء والمضللون والكذبة في إقناع مسيحيي غلاطية البسطاء للعودة إلى الختان وأعمال الناموس ـ أقول لو نجحوا لكان ذلك كفيلاً للإنهاء على المسيحية الصادقة الأمينة للمسيح حاملة الصليب بعزَّة وافتخار. لقد قالها ق. بولس باستعلان بديع أن حمل الصليب بالحق والصدق هو مساوٍ فعلاً للموت الحقيقي عن العالم ولموت العالم نفسه بالنسبة للمؤمن!!

وباختصار هذا يعني أن الإيمان المسيحي لا يحتمل قط أية خشية أو تخفٍّ أو خجل من نحو الإيمان المسيحي، فهو إيمان يقوم على منتهى الصدق والعلانية مع النفس بشبه معاهدة معلنة ومصدَّق على محتواها أن **المسيحي الصادق هو مَنْ مات العالم في نظره فلا يخشى فيه أحداً**، هذا من جهة العالم، وأمَّا من جهته هو نفسه أي الإنسان المسيحي الحق فهو يحمل صليبه ويتبع مسيحه!!

انظر معي يا قارئي العزيز: إن هذه الآية الواحدة الفريدة في رسالة غلاطية التي قالها ق. بولس مرَّة: «حاشا لي أن أفتخرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالمِ» (غل 14:6)، **تُحسب إنجيلاً كاملاً**، تساوي عشرة آلاف عظة، تقوم كمدرسة عليا لتخريج أعظم نسَّاك وقديسين وعلماء لاهوت بل ورُسُل وأنبياء ومعلمين!!

وكأني بالنسبة لرسالة غلاطية بصدد صوت النبي القائل في بيت لحم: "لست الصغرى في رسائل ق. بولس بل منك يخرج مدبر يرعى شعب المسكونة كلها".

«حق الإنجيل»[35] في رسالة غلاطية

يمكن أن نضع عنوان الرسالة هكذا: "دفاع عن حق الإنجيل".

إن محور الرسالة وقلبها النابض هو "**الإيمان بالمسيح**" في مقابل "**أعمال الناموس**"، ويمكن توضيح ذلك بالعناصر الآتية:

ما هو الإنجيل؟
هو البشارة بالخبر السار.

ما هو الخبر السار؟
هو أن المسيح أكمل خلاص الإنسان "**بعمل**" شخصي طاعة لأبيه بحسب خطة الآب مِنْ قبل الدهور. ويقوم هذا العمل على الطاعة الكاملة لله بقصد رفع عقوبة الموت الأبدي عن الإنسان، وذلك بأن بذل نفسه لقبول العقوبة المفروضة على الإنسان بسبب عصيانه لله واقترافه كل أنواع الخطايا التي أبعدته عن قلب الله ورضاه. فتألَّم المسيح كخاطئ، ومات كخاطئ مع أنه هو البار القدوس ابن الله الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه غشٌ. فصار تألمه وموته بالجسد بسبب أن الآب وضع عليه إثم جميعنا، ولكن لأنه ابن الله كان موتُه كفيلاً لرفع كل الخطايا عن الإنسان، واعتبر بذلك أنه فدى الإنسان إذ تألَّم ومات **من أجله** وهو حامل جسد البشرية. وبفدية الإنسان بموت ابن الله بالجسد استحق الإنسان غفران كل خطاياه، فقبلَ الخلاص المجاني من يد الآب السماوي ورُفعت عنه عقوبة الموت المستحقة عليه، فاستحق الحياة الأبدية كمبرَّأ، ومضافاً إلى تبرئته بر الله وعلاقة ابن الله بالله أبيه، إذ بعد أن وهبنا موته وهبنا قيامته وكل ما له عند الله أبيه من محبة أبوية، فصرنا مصالحين لدى الآب السماوي ومحبوبين كأبناء الله في شخص ابنه الذي

(35) حق الإنجيل عند القديس بولس هو باختصار الإيمان بالمسيح بدون أعمال الناموس، ولكن بحسب فكر المسيح نفسه يكون "حق الإنجيل" هو "حق المسيح"، والمسيح عبَّر عن نفسه أنه جاء ليشهد للحق، هذا ما قاله لبيلاطس (يو 37:18). كما أن المسيح قد علَّم بأنه هو الحق: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو 6:14). فالمعنى المسيحي الكامل لحق الإنجيل هو الإيمان والشهادة بموت المسيح وقيامته والعمل بحسب وصاياه تأكيداً لمحبته وحمل صليبه والسير وراءه.

أصبح يحملنا ويمثّلنا لدى الله.

هذا هو عمل المسيح ابن الله لحسابنا لدى الله الآب، وكل مَنْ آمن بالمسيح يكون قد آمن بكل أعماله، وهذا هو إنجيل فدائنا وخلاصنا ومصالحتنا لدى الله الآب مضافاً إلى ذلك الحب الأبوي.

فهل يحتاج إنجيل المسيح إلى تكميل من أي نوع؟ سواء بأعمال الناموس أو غيرها؟ بكل الصدق واليقين فإن عمل المسيح هو إلهي فائق لا يزاد عليه ولا يحتاج إلى تكميل بشري من أي نوع، وإلاَّ يُحسب أن عمل ابن الله ناقصٌ يحتاج إلى التكميل بأعمال الإنسان سواء بأمر الناموس القديم أو بوازع الضمير الناقص المتشكّك. وهذا يعتبر أنه خروج عن الإنجيل الحقيقي أو حق الإنجيل أو يعتبر كأنه إنجيلٌ آخر!!

فإذا ارتد الإنسان المفدي والقابل للخلاص عن إنجيل خلاصه نحو أعمال الناموس من أي نوع أو أعمال الفكر أو الضمير أو الجسد كأنها ضرورة لتكميل خلاصه، فإنه يكون قد خرج عن حدود حق الإنجيل، وبالتالي يكون قد سقط من نعمة الإيمان بالمسيح كما يقول ق. بولس في الرسالة.

فالإيمان بالمسيح هو نعمة التمسك بحق الإنجيل أو نعمة التمسُّك بالمسيح وبأعمال المسيح الفدائية من أجلنا. فأي تحول نحو **أعمال الناموس أو أي أعمال أخرى كأنها ضرورية للخلاص** يعتبرها بولس الرسول سقوطاً من النعمة، وبالتالي من الإيمان بالمسيح وبأعمال المسيح الفدائية:
+ «**قد تبطّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة.**» (غل 4:5)

ولكن يقول قائل: أنا أؤمن أن **عليَّ** أن أصلي وأصوم وأعمل صدقة وأبذل حياتي وجهدي لخدمة الفقراء وجميع الناس حتى يغفر لي المسيح خطاياي وأصبح أهلاً للفداء والخلاص، فهل في هذا عيب؟

الجواب: لا يوجد "**على**" الذين آمنوا بالمسيح وبأعماله الفدائية من آلام وموت أن يعملوا أي عمل كبير أو صغير ليضيفوا على إيمانهم بالمسيح وأعماله استحقاقاً لغفران خطايا أو لخلاص. ولكن **يليق بهم** بعد أن فداهم المسيح من موت الهلاك الأبدي، ووهبهم بآلامه وموته حياةً وخلاصاً كاملاً ودخولاً مجانياً للحياة الأبدية، أن يقدِّموا ـ اعترافهم بفضله ـ بأعمال شكر

وتسبيح، وبصلاة وصوم وكل عمل صالح من بذل وعطاء ومحبة وخدمة بلا حدود، **ولكن** ليس كأنها تزيد فداءهم وبالتالي تزيد خلاصهم أو محبة الله لهم، بـ**ل لتكون تعبيراً عن حبّهم هم لله والمسيح** الذي صنع لهم هذا الحب العظيم بأعماله هو!!

هذا هو أعظم عمل مطلوب من الإنسان بإلحاح دائم: أن يقدِّم بعد إيمانه بالمسيح **أعمال محبة** من كل الإرادة والقوة بلا توقف. فبهذا يكمّل الإنسان حق الإنجيل ويرد على عمل المسيح بالشكر. ولكن إذا عملنا كل أعمال المحبة لا يكون لنا أي فضل لأنه هو أحبنا أولاً وبذل نفسه حتى الموت من أجلنا. فكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان مكتوب عليها لأنه هو «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل 2:20). فبماذا أكافئ الرب عن كل ما أعطانيه؟ فإن كنّا نحبه فلأنه هو أحبنا أولاً (1يو 4:19).

أولاً: الرسالة إلى غلاطية هي أساس وبدء الإيمان بالمسيح القائم على النعمة المجانية:

(أ) «إني أتعجَّب أنكم (أمم عابدو أوثان) تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم (كرازة بولس الرسول الصحيحة لهم) بنعمة المسيح (أي الإيمان المجاني بالمسيح) إلى **إنجيل آخر.**» (غل 1:6)

(أيُّ إنجيلٍ قائم على الناموس ووصايا موسى لا يعتبر حقيقياً أو صحيحاً).

(ب) «ليس هو آخر (أي المحور الأساسي فيه هو المسيح) غير أنه يوجد قوم (يهود متنصرون متعصبون للناموس وأعماله) يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح (من الإيمان المطلق بالمسيح إلى إضافة الناموس وأعمال الناموس عليه).» (غل 1:7)

علماً بأن الإيمان الصحيح ـ حسب حق الإنجيل ـ لا يقوم على الناموس ولا يستند على شيءٍ من جميع أعمال الناموس.

(ج) «ولكن إن بشَّرناكم نحن أو ملاكٌ من السماءِ (بإنجيل آخر) بغير ما بشَّرناكم (بنعمة المسيح بالإيمان المجاني بدون ناموس وأعمال الناموس)، فليكن أناثيما (محروماً: أي مقطوعاً من الكنيسة والإيمان المسيحي الحق).» (غل 1:8)

وهنا يظهر بجلاء وقوة وحكم قاطع أن إضافة الناموس أو أعماله للإيمان المسيحي يعتبر تجديفاً على الإيمان بالمسيح.

(د) «أفأستعطف الآن الناس ... أم أطلب أن أرضي الناس؟ (التملُّق **لليهود** حتى لا يُضطهدوا من رؤساء الكهنة وأعضاء الهيكل اليهودي) ... فلو كنت بعد أرضي الناس (أمالق اليهود وعبادة اليهود)، لم أكن عبداً للمسيح (أي عابداً أميناً للرب).» (غل 1:10)

(هـ) «وأعرِّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشَّرت به، أنه ليس بحسب إنسان (أي هو إنجيل مُعطى من الله والمسيح مباشرة دون وسيط بشري) لأني لم أقبله من عند إنسان (لم يستلمه لا من الرسل الاثني عشر ولا من أي نبي أو وسيط بشري) ولا عُلِّمته (أي لم يستلم الإنجيل على يد معلّم ولا حتى من ملاك لأنه أعطي له بإعلان مباشر من الله والمسيح). بل بإعلان يسوع المسيح (أي أن المسيح قد أعطى كل مفردات الإنجيل للقديس بولس بواسطة إعلان مباشر لا يتدخل فيه العقل البشري ولا الفهم إنما على مستوى الإملاء الرؤيوي).» (غل 1: 11و12)

(و) «فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً (قبل أن يظهر منادياً بالإنجيل) في الديانة اليهودية، أني كنتُ أضطهدُ كنيسة الله بإفراطٍ وأُتلِفُها (أي تحوَّل بقوة إلهية مباشرة من عَدُوٍّ مجدِّف على المسيح والكنيسة إلى مؤمن وكارز منادياً بإنجيل المسيح مباشرة).» (غل 1:13)

(ز) «غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً، يُبشِّر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يُتلفه. فكانوا يمجِّدون الله فيَّ.» (غل 1: 23و24)

أي أنه جاز التحوُّل من عَدُوٍّ للمسيح إلى كارز باسمه بواسطة عمل إعجازي جعل مجرد كرازته باسم المسيح يُحتسب "تمجيداً لله". وهذا يكشف أن كرازة ق. بولس كانت أصيلة للغاية وناطقة بفم الله وقادرة أن تصنع الأعاجيب في قلوب الناس.

(ح) الكرازة بإنجيل المسيح، أي الإيمان بحق الإنجيل، بدخول بولس إلى حق الرسولية كرسول للمسيح مدعو منه شخصياً كرسول خاص بالأمم، جعل إنجيل المسيح الحقيقي الذي يُكرز به لليهود (الختان) هو نفسه الذي يُكرز به للأمم (الوثنيين). أي أن إنجيل الأمم لم يزد حرفاً واحداً عن إنجيل الختان حيث لا يوجد أي إضافة للناموس:

+ «فإن هؤلاء المُعتبرين **لم يُشيروا عليَّ بشيءٍ**. (لمَّا تعيَّنتُ رسولاً من المسيح للأمم)، بل بالعكس، إذ رأوا **أني اؤتُمنتُ على إنجيل الغرلة** (أي البشارة بإيمان المسيح للوثنيين)

كما بطرس على إنجيل الختان، (أي للبشارة لليهود) ـ فإن الذي عمل في بطرس (الروح القدس والمسيح) لرسالة الختان (اليهود) عمل فيَّ أيضاً (بالروح القدس والمسيح) للأمم (أي الوثنيين). فإذ علم **بالنعمة المعطاة لي** (نعمة الكرازة بالإيمان للوثنيين بدون ناموس أو أعماله) يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا **يمين الشركة** لنكون **نحن للأمم، وأمَّا هم فللختان.**» (غل 2: 6ـ9)

مقارنة مع ما جاء في سفر أعمال الرسل:

هنا يلزم أن نرجع إلى سفر الأعمال لنوضِّح هذه الحقيقة:

1 – تعيين ق. بولس رسولاً للأمم:

+ «فقال له الرب: (لحنانيا تلميذ من السبعين) اذهب، لأن هذا (شاول) لي إناءٌ مختارٌ ليحمل اسمي أمام **أممٍ وملوك وبني إسرائيل.**» (أع 9:15)

وقال الرب لبولس مباشرة:

+ «اذهب، فإني سأُرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع 22:21)
+ «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله.» (أع 9:20)
+ «لأنه هكذا أوصانا الربُّ: قد أقمتُكَ نوراً للأمم، لتكون أنتَ خلاصاً إلى أقصى الأرض[36]. »(أع 13:47)

2 – الرسل في مجمع أُورشليم يقنِّنون إنجيل ق. بولس للأُمم أنه غير ملتزم بالناموس أو أعمال الناموس:

+ «وأمَّا من جهة الذين آمنوا من الأمم، فأرسلنا نحن إليهم **وحكمنا: أن لا يحفظوا شيئاً مثل ذلك** (ختان وكل أعمال الناموس)، سوى أن يحافظوا على أنفسهم مما ذُبحَ للأصنام، ومن الدم، والمخنوق، والزنا.» (أع 21:25)

3 – إنجيل اليهود مساوٍ تماماً لإنجيل الوثنيين: والاعتراف بأن نير الناموس لا يُطاق ولم يحتمله الأولون والآخرون:

---

(36) من هذه الدعوة الإلهية للقديس بولس نعتقد أنه فعلاً بشَّر أسبانيا. فبحسب خريطة الأرض أيام ق. بولس كانت أسبانيا تُعتبر من حيث موقعها أنها هي أقصى الأرض (الأرض المعروفة والمسكونة آنئذ).

+ «فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر. فبعد ما حصلت مباحثةٌ كثيرةٌ قام بطرس وقال لهم: أيها الرجال الإخوةُ، أنتم تعلمون أنه منذ أيامٍ قديمةٍ اختار الله بيننا أنه بفمي **يسمعُ الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون. والله العارف القلوب، شَهِدَ لهم معطياً لهم الروح القدس** (قبل العماد وقبل وضع اليد) **كما لنا أيضاً** (يوم الخمسين). ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء، **إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم** (بدون ناموس أو أعمال ناموس ـ بدون ختان أو حفظ السبت أو صلاة في الهيكل أو مواسم أو أعياد يهودية). فالآن لماذا تُجرِّبون الله بوضع نيرٍ على عُنُق التلاميذ (تلاميذ إيمان ونعمة في الأمم) **لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟** (كان بعض الرسل المتعصبين للناموس واليهودية قد طالبوا بوضع الناموس كضرورة للإيمان بالمسيح على الأمم) لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن (نحن اليهود المتنصرين) **أن نخلُصَ (ونحن ننفذ وصايا الناموس وأعماله) كما أولئك أيضاً (الذين لا يعرفون الناموس** ولا يعملون شيئاً من فرائضه**!!)**. فسكت الجمهور كله.» (أع 15: 6ـ12)

من هذا يُفهم تماماً أن اليهود المتنصرين الذين قبلوا دعوة المسيح وآمنوا مثل الرسل كانوا في سبيلهم إلى إهمال الناموس وفرائضه.

ويلزم أن نعرف أنه بدخول الأمم في الإيمان بالمسيح على يد بولس الرسول رسمياً وبموافقة الرسل وعلى أساس عدم الالتزام بالناموس وأعمال الناموس يكون **قد أصبح للمسيح (نظرياً) إنجيلان:** إنجيل الختان وإنجيل الغرلة. الأول لليهود الذين قبلوا الإيمان وكانوا عن جهل يمارسون الناموس وأعمال الناموس، وبعضهم بدأ يتخلَّى ـ عن وعي وإدراك لكفاية الإيمان بالمسيح ـ عن الناموس وأعمال الناموس شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً:

(أ) فبعضهم ظلَّ متمسِّكاً بالناموس وأعماله ومتعصباً للناموس، بل ومضطهداً لمَنْ يتخلَّى عن الناموس سواء كان يهودياً أصلاً أو من الأمم الداخلين إلى الإيمان بالمسيح.

+ «يوجد ربوةً (عشرة آلاف) مِنَ اليهود الذين آمنوا (بالمسيح)، وهُم جميعاً غيورون للناموس.» (أع 21:20)

(ب) والبعض **ومنهم الرسل** كانوا يمارسون الناموس وأعماله ولكن ليس كأنه داخل في الإيمان المسيحي، بل وهم معترفون، أنه نير ثقيل لا يُحتمل وبالتالي لا يجب حمله، إن حملوه فخوفاً من اليهود المسيحيين والمتعصبين للناموس؛ إلاَّ أنهم معترفون أيضاً أن الخلاص هو

بالإيمان بالمسيح فقط!!

+ «فالآن لماذا تُجرِّبون الله (ق. بطرس يخطب في مجمع الرسل والشيوخ المنعقد في أورشليم) بوضع نيرٍ (الناموس وأعماله) على عُنُق التلاميذ (الداخلين في الإيمان بالمسيح) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟ **لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلُصَ كما أولئك أيضاً.**» (أع 15: 10و11)

أي أن الإيمان بالمسيح فقط وبدون نير الناموس هو أساس الخلاص ومصدره الوحيد.

(ج) والبعض الآخر من الرسل كان يمارس الناموس ـ غشاً وخداعاً ـ خوفاً من المتنصرين اليهود المتعصبين:

وهنا نقُصُّ ما دار بين يعقوب أسقف أورشليم وبولس الرسول في زيارته الأخيرة لأورشليم والرسل والهيكل، إذ بدأ ينصحه أن يتظاهر بأنه يحفظ الناموس ويعمل به خوفاً وممالأة (لذلك لم ينجح).

+ «فافعل هذا الذي نقول لك: عندنا أربعة رجال عليهم نذرٌ. خُذ هؤلاء وتطهَّر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهُم، فيعلمَ الجميع أن ليس شيءٌ مما أُخبرُوا عنك، بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس.» (أع 21: 23و24)

من هذا المشهد الحزين المُبكي نُدرك مدى قوة سلطان الناموس المخيف والمرعب والقاتل، ومدى الصعوبة القاسية جداً التي عبرتها كنيسة الختان حتى تخلَّصت من رعبة الناموس!! بل وندرك مدى النعمة والرحمة التي حلَّت على الكنيسة ككل: ختان وغرلة بانتخاب الله لبولس رسولاً مقتدراً موهوباً ليكافح ضد الناموس حتى أبطله. ولقد جاء في دعوته الأولى أنه سيكون مسئولاً لا عن الأمم فقط بل **وإسرائيل أيضاً**، وهذا الأمر وإن كان قد غاب عن فكر كثير من العلماء واللاهوتيين الذين ظنوا أن ق. بولس هو رسول للأمم فقط، إلاَّ أنه يتحتم علينا أن نوضح أن ق. بولس هو الذي وضع اللهُ على عاتقه أن يطهِّر الكنيسة كلَّها يهوداً متنصرين وأمماً من الناموس وأعماله:

+ «لأن هذا لي إناءٌ مختارٌ ليحمل اسمي أمام أُممٍ وملوك **وبني إسرائيل.**» (أع 9:15)

فالآن إذا قسَّمنا اليهود المتنصرين بالنسبة للإيمان المسيحي نجدهم كالآتي:

1 ـ قسم تنصَّر ولا يزال على يهوديته وتقييمه الشديد للناموس وأعمال الناموس وهؤلاء هم

الذين كانوا يُدْعَوْن "جماعة الغيورين على الناموس"، وقد تكون غيرتهم غير مفتعلة ولكن يستحيل أن يُحسبوا من المؤمنين المسيحيين تماماً، لأن الناموس لن يخلّصهم ولن يعتقهم من الدينونة المزمعة.

2 ـ قسم تنصَّر وآمن بالمسيح ولكن يتظاهر بالغيرة على الناموس خوفاً من الاضطهاد الذي كان يشنُّه اليهود ورؤساء الهيكل، وعلامتهم أنهم لا يُلزمون أنفسهم بالناموس عن حق مثل الذين قال عنهم ق. بولس في رسالة غلاطية:

+ «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظراً حسناً في الجسد (الختانة)، هؤلاء يُلزِمُونكُم أن تختتِنوا، لئلاَّ يُضطهدوا لأجل صليبِ المسيح فقط. لأن الذين يختتنون **هم لا يحفظون الناموس**، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم» (غل 6: 12و13)

هؤلاء ما حصَّلوا اليهودية وما حصَّلوا المسيحية.

+ «وانحدر قومٌ من اليهودية وجعلوا يعلّمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا» (أع 15:1)

3 ـ قسم تنصَّر وآمن بالمسيح ولكن **ظلَّ يرائي فلا مانع من أجل المجاملة أن يأكل مع الأمم فإذا حضر اليهود المتنصرون الغيورون على الناموس أفرزوا أنفسهم** ـ والنموذج لهذا القسم هو بطرس الرسول نفسه:

+ «ولكن لمَّا أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم (يهود متنصرون غيورون على الناموس) من عند يعقوب ـ كان يأكل مع الأمم ـ ولكن لمَّا أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان. وراءى معه باقي اليهود أيضاً، حتى إن برنابا (الموضوع عليه اليمين الرسولية للأمم) أيضاً انقاد إلى ريائِهم!» (غل 2: 11ـ13)

4 ـ قسم تنصَّر وآمن بالمسيح **وأسقط الناموس من إيمانه نهائياً، بشجاعة وإصرار مفتخراً بصليب المسيح**، والنموذج هو ق. بولس:

+ «حاشا لي أن أفتخرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالم.»(غل 14:6)

وهؤلاء دفعوا ضريبة الاضطهاد حتى الموت!!

الحساب الختامي:

القسم الأول: واضح أنهم **جعلوا اتكالهم على الناموس** وازدروا بروح النعمة.

القسم الثاني: احتموا في الناموس لينقذهم من الاضطهاد، هؤلاء يسري عليهم قول الرب: «ولكن مَنْ ينكرني قدَّام الناس أُنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات.» (مت 10:33)

القسم الثالث: جاملوا الناموس، هؤلاء تحدَّدت خدمتهم، لذلك نسمع أن ق. بطرس صار على إنجيل الختان فقط أي تحددت خدمته بين اليهود.

القسم الرابع: صار الإناء المختار لحمل اسم المسيح للجميع: ملوك، **وأمم، وبني إسرائيل!** لأنه هكذا قد أوصاه الرب: «قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض»(أع 13:47). علماً بأنه في اللحظة التي جامل فيها ق. بولس الناموس بدأ العد التنازلي لإنهاء الخدمة:

+ «خُذْ هؤلاء وتطهَّر معهم ... فيعلمَ الجميع أن ليس شيءٌ مما **أُ**خبرُوا عنك "أنك تعلِّم جميع اليهود الذين بين الأُمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد"، **بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس.**» (أع 21: 23و24)

وفعلاً أطاع هذه المشورة فأمسكوه في الهيكل وبدأ الطريق إلى روما وسيف نيرون.

وبهذه الخاتمة في التقابل بين النعمة والإيمان إزاء الناموس والأعمال، اتضح لنا وتسجَّل أن الإيمان بالمسيح أبطل الناموس كليًّا، لا لأن الناموس غير صالح أو غير روحي؛ بل صالح هو وروحي أيضاً. ولكن المسيح قد أكمل الناموس بموته وحلَّت نعمة المسيح المجانية محل كل فرائضه ووصاياه لاكتساب بر الله مجاناً. فأصبح العودة للناموس وفرائضه وأعماله يُحسب جحداً للإيمان بالمسيح وانتقاصاً من نعمة الله.

وهنا نأتي إلى آية ق. بولس الشديدة الوضوح: «ها أنا بولس أقول لكم أنه **إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً.**» (غل 5:2)

هذا هو الحد القاطع المانع بين المسيحية والناموس!! الذي يمكن أن يترجم هكذا: إن كل مَنْ يختتن تمسكاً بالناموس يكون قد أنكر المسيح!! ويكون كمن باع المسيح! وكل مَنْ خضع لفرائض الناموس يكون قد سقط من النعمة: «قد تبطّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة.»(غل 5:4)

وهذا نترجمه نحن الأمم الذين قبلنا الإيمان بالمسيح واعتمدنا لموته وسُقينا الروح القدس وقمنا بقيامته فورثنا مع الابن الوحيد ميراث الأبوة والحياة الأبدية، نترجمه بما قاله بولس الرسول:

+ «فإذ قد **تبرَّرنا بالإيمان** لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً **قد صار لنا الدخول بالإيمان، إلى هذه النعمة** التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو 5: 1و2)

والسؤال الآن على ضوء هذه الآية، إن كنّا بالإيمان قد تبررنا وصار لنا سلامٌ مع الله، وبالإيمان بيسوع المسيح صار لنا الدخول إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون الآن، فهل بعد هذا وفي هذا نحتاج أن نقدم للمسيح شيئاً إلاَّ الشكر والتسبيح والصلاة بالليل والنهار لكي يجعلنا أهلاً للخلاص بعطية إيمانه الفائقة ويديم علينا نعمته لنزداد حبًّا وقرباً منه ودالة أمامه؟

وهكذا لا يوجد عمل في الوجود يمكن أن يؤهلنا لعطية الإيمان، أو يجعلنا مستحقين لنعمة المسيح. فالإيمان عطية والنعمة هي استحقاق لكل مَنْ يؤمن.

ولكن للإيمان والنعمة أعمال وسلوك تشهد للإيمان وتشهد للنعمة، فالمؤمن ينضح إيمانه على شفتيه، والمُنعَم عليه تنطق النعمة في كل أعماله وكل تصرفاته. فبالأعمال والسلوك نشهد للإيمان ولنعمة المسيح التي وهبها لنا مجاناً. ولكن لا الأعمال ولا البذل ولا التضحية حتى بالحياة تؤهّل الإنسان للخلاص بدون نعمة الإيمان بالمسيح.

ثانياً: الرسالة إلى أهل رومية تحمل نفس الخطوط الأُولى التي جاءت في الرسالة إلى غلاطية مبسَّطة ومزادة ومشروحة:

واضح من رسالة رومية أن المسيحية دخلت إلى روما على أيدي مبعوثين من كنيسة أُورشليم، بمعنى أن الذين بشّروهم بالمسيح كانوا من اليهود المتنصرين الذين كانوا يمارسون إيمانهم بالمسيح على أصول عبادتهم اليهودية وأعمال الناموس دون أن يبشّرهم أحد بالإيمان بالمسيح القائم على

النعمة فقط بدون أعمال الناموس.

ويرى ق. بولس ذلك أنه عبادة مسيحية ناقصة، **وليست حسب "حق الإنجيل"**، وقد أسماها في الرسالة إلى غلاطية تحوُّلاً، أي ليست على أساس **الإيمان المطلق بالمسيح المخلِّص الذي أكمل فداءنا وخلاصنا بتحمله الآلام والموت بجسد البشرية الذي يحمله،** وبهذا تكون البشرية قد أكملت عقوبة الموت الكامل عن كل إنسان، كل مَنْ يؤمن بالمسيح وأعمال الفداء والخلاص التي أكملها على الصليب.

أي أنَّه يرى أن العودة إلى أعمال الناموس بعد قبول الإيمان بالمسيح والصليب يُحسب نقصاً في صميم إنجيل الإيمان بالمسيح، وانتقاصاً فاضحاً لعمل المسيح الفدائي أي آلامه وموته وكأنها غير كافية للخلاص!

وهكذا يؤكِّد ق. بولس أن الإيمان الكامل بنعمة المسيح الذي هو بعينه الإيمان الكامل بآلام المسيح وموته على الصليب من أجل كل إنسان يهودي أو أممي هو **«الإنجيل الحق أو حق الإنجيل»:** القائم على إلغاء الناموس وكل أعمال الناموس. أمَّا العودة إلى الناموس والتمسُّك بأعماله بعد قبول الإيمان بالمسيح فهي تعتبر انتقاصاً من الإيمان وإلغاءً لنعمة المسيح التي تكفَّلت بخلاصنا مجاناً. وهذا يسميه ق. بولس في رسالة غلاطية تحولاً نحو الاعتراف بالناموس وأعمال الناموس التي ألغاها المسيح بموته الفدائي وقيامته الخلاصية، وهذا يتضمن حتماً وبالضرورة الانتقاص الخطير من الإيمان بالمسيح وعمل نعمته.

إذن، فالقديس بولس يرى أن هناك إيمانين: إيمان كامل بالمسيح وحده الذي أكْمَلَ ـ بعمله على الصليب وقيامته ـ كل فداء الإنسان وخلاصه، وهو «إنجيل الحق» وإيمان آخر بالمسيح ـ «الإنجيل الآخر» ـ وهو على أساس أن عمله الفدائي للخلاص غير كافٍ ويجب تكميل الناموس مع أعماله ليتم الفداء والخلاص. وق. بولس يذكر بوضوح هذين الإيمانين:

(أ) **إيمانكم** (القائم على الإيمان بالمسيح الذي تركَّب - خطأ - على الناموس القديم ولم يبشِّرهم أحد بالنعمة المجانية).

(ب) **وإيماني** (القائم على أساس عمل المسيح الكامل على الصليب بالموت والقيامة) (رو 1: 11و12). ثم يعلِّق ق. بولس على إيمانهم بالمسيح والناموس معاً - كشيء من المجاملة

والملاطفة ـ أنه إيمان يحتاج للتبشير من جديد بالمسيح، بمعنى أنه خطأ من أساسه.

(ج) «فهكذا **ما هو لي** (إيماني) مستعد لتبشيركم (لأن إيمانكم يلغي نعمة المسيح وبالتالي يلغي حق الإنجيل) أنتم الذين في رومية أيضاً. لأني لست أستحي بإنجيل المسيح (الحق) (بسبب إيماني القائم على أساس إلغاء الناموس وكل أعماله) لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن، لليهودي (صاحب الناموس والختان) أولاً ثم لليوناني (الذي بلا ناموس إطلاقاً وفي الغرلة)، لأن فيه **معلن برّ الله بإيمان لإيمان.**» (رو 1: 15ـ17)

وكلمة «تبشيرهم» مع أنهم مسيحيون تكشف مقدار الفرق بين إيمان أهل رومية القائم على الناموس وبين الإيمان المسيحي أو الإنجيل الحقيقي أو حق الإنجيل إلى الدرجة التي جعلتهم محتاجين إلى تبشير من جديد، وهذه البشارة محورها إلغاء الناموس.

(د) «**لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسدٍ لا يتبرَّر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية** (فقط، أما بالمسيح فغفران الخطية).» (رو 3:20)

(هـ) «وأمَّا الآن فقد ظهر برُّ الله (بالمسيح) **بدون الناموس**، مشهوداً له (من التوراة) من الناموس والأنبياء، **برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كُلِّ وعلى كُلِّ الذين يؤمنون. لأنه لا فرق.**»(رو 3: 21و22)

هنا قوله إن الإيمان بالمسيح بدون الناموس جاء مشهوداً له من الناموس لا يلغي الناموس كأنه خطأ، ولكن لأنه أعلى وأفضل وأكثر قوة وشمولاً وبلا جهد أو عمل أو ثمن كالفرق بين عبد تحرَّر، فحالة الحرية أعلى وأفضل وأكثر قوة وشمولاً من حالة العبودية، ولكن العبد نفسه يشهد لحالة حريته أنها أعظم.

(و) «**متبررين مجاناً بنعمته** بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه، مِنْ أجل الصفح عَن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو 3: 24و25)

وطبعاً مجاناً هنا تعني بدون أي عمل أو جهد من جهة الإنسان!!

(ز) «**فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان** (بالمسيح وحده) لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا **الدخول بالإيمان، إلى هذه النعمة** التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على

رجاء مجد الله.» (رو 5: 1و2)

(ح) «فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم **لستم تحت الناموس بل تحت النعمةِ.**» (رو 6:14)

(ط) «وأمَّا الآن إذ أُعتِقتُم مِنَ الخطيةِ (بنعمة الإيمان بالمسيح وعمل صليبه)، وصرتم عبيداً لله (وليس عبيداً للخطية)، فلكم ثمركم للقداسة (بالنعمة والإيمان إذا تمسَّكتم بها كقوة)، والنهاية حياةٌ أبديةٌ.» (رو 6:22)

(ي) «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين **ليس حسب الجسد** (الناموس) بل **حسب الروح.** لأن ناموس **روح الحياة في المسيح يسوع** قد أعتقني من **ناموس الخطية والموت.**» (رو 8: 1و2)

في الخلاص

نحن متمسكون وممسكون لا بفكرة ولا بمبدأ، بل بقوة أنشأها المسيح بموته وقوة أنشأها المسيح بقيامته، الأولى أعطتنا الفداء الكامل من الخطية والموت، والثانية أعطتنا الحياة الأبدية والارتفاع في طبيعتنا. هذه القوة ليست بعيدة عنَّا بل هي فينا لأننا شركاء فيها لأننا متنا مع المسيح وقمنا معه لأنه مات بنا وقام بنا. بقوة الموت نزلنا إلى الهاوية وأكملنا أقصى عقوبة وحكم فُرض علينا كخطاة ومتعدين، وبقوة القيامة صعدنا وارتفعنا من الجحيم والهاوية بل ومن الأرض نفسها إلى مجال الله لنحيا معه في المسيح الذي أقامنا معه ووهبنا كل ما له وما عمله. فقوة الموت ومعها قوة القيامة أصبحت فينا، نحسُّها ونمارسها كل يوم، هي ليست حدثاً زمنياً تمَّ مرَّةً وصار فعلاً ماضياً، ولكن الذي مات بنا ومتنا معه هو ابن الله. فالحدث الزمني فيه صار أبدياً مطلقاً، فالموت الذي مات أنشأ فينا تكميلاً وبالتالي تحريراً أبدياً من الخطية والموت. فقمنا وقيامتنا أيضاً صارت أبدية. فنحن مائتون وقائمون في المسيح «من أجلك نمات كل النهار» (رو 36:8) وبالتالي من أجلك نقوم كل يوم. الحدث الزمني تحوَّل إلى عمل روحي إلى قوة نعيشها ونحياها. الحدث الزمني تحوَّل إلى فعل روحي والفعل الروحي قوة فائقة عن الجسد والزمن والمادة. هذا هو السر في تجسُّد المسيح لكي يتمِّم بالجسد الفعل الزمني اللازم لخلاصنا وهو الموت، فمات ولكن موته قد تحوَّل من فعل زمني إلى فعل روحي، إلى قوة دخلت فينا ودخلنا فيها فصارت لنا وصرنا لها. هكذا صار الموت غفراناً بفعله الروحي والقيامة حياة بفعلها الروحي.

لذلك نقول إننا خلصنا بكل الأفعال والمقاييس ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وأبدياً. هذا الخلاص نمارسه ونعيشه ونمسك به ونتمسَّك، وليست قوة في الوجود قادرة أن تخطفه من قلوبنا ومن داخل أرواحنا لأننا لا زلنا عائشين مع المسيح في موته وفي قيامته. لقد أكملنا موتنا بموته ليصير خارجاً عن الزمن والوجود البشري، وأكملنا قيامتنا بقيامته ففيها نعيش وبها نحيا كل يوم وكل ساعة لأنها قوة رفعتنا فوق الأرض والزمن. لذلك فلا توجد قوة في الوجود الزمني والمادي بقادرة أن توقف قيامتنا أو تعترضها لأنها أصبحت فوق الوجود الزمني والمادي. لهذا نادى ق. بولس عن إحساس اليقين وعن حياة يعيشها في ملء المسيح والله: "أنه لا موت ولا حياة ولا ... ولا ...

تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا." (رو 8: 38و39)

ولأن قوة موتنا قد صارت فينا عاملة روحياً بصورة دائمة وأبدية، لذلك صرنا بها غالبين كُلَّ القوى الشريرة في العالم. لأن قوة موت المسيح التي اشتركنا فيها أحلّتنا من كل خطية وكل لوم فلم يعد للشيطان أو أي قوة شريرة مدخلاً لها فينا. ولأن قوة قيامتنا قد صارت فينا عاملة روحياً بصورة دائمة وأبدية، لذلك جعلتنا أعظم من منتصرين لأنها أخرجتنا نهائياً من مجال الصراع مع العدو إذ وضعتنا في مجال الله في المسيح. نعم قد يُؤذَى الجسد ولكن الروح والنفس لا يُمسَّان. فإننا بالجسد وفي الجسد قد نوجد مغلوبين، لأن الجسد واقع تحت قوى العالم والزمن، أمَّا بالروح فنحن أعظم من منتصرين:

+ «لأجل هذا أُظهِرَ ابن الله (بالجسد) لكي ينقض أعمال إبليس. كل مَنْ هو مولودٌ من الله لا يفعل خطيةً، لأن زرعه (الله) يثبتُ فيه، ولا يستطيع أن يُخطئَ لأنه مولودٌ من الله.» (1يو 3: 8و9)

+ «كل مَنْ يؤمن أن يسوعَ هو المسيح فقد وُلِدَ من الله ... لأن كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الله يغلبُ العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا. مَنْ هو الذي يغلِبُ العالم، إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله؟» (1يو 5: 1و4و5)

+ «نعلم أن كل مَنْ وُلِدَ من الله لا يُخطئُ، بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسُّه.» (1يو 18:5)

+ «نعلم أننا نحن مِنَ الله، والعالم كُلّهُ قد وُضِعَ في الشرير.
ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرةً لنعرف الحق.
ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية.» (1يو 5: 19و20)

الذي مات قد تبرأ من الخطية؟ لماذا؟ لأنه أوفى حكم الله على الخاطيء بالموت الأبدي. ونحن متنا لا بالموت الجسدي العادي بل بالموت الأبدي وهذا يستحيل أن يحصل عليه إنسان، إلاّ بموت المسيح.

فالمسيح مات من أجل خطايانا،
ونحن متنا معه من أجل خطايانا،
موت المسيح هو فعل روحي أبدي ممتد أي أبدي، إذن فموتنا مع المسيح أنشأ لنا تكميل حكم الموت الأبدي، وبذلك تبرأنا من الحكم وبالتالي تبرَّأنا من خطايانا.

والحكم الذي أكملناه بموتنا مع المسيح شامل ممتد على كل الخطايا وبالأكثر على فعل الخطية المميت، وهكذا تبرأنا نهائياً من الخطية كفعل قاتل، فأصبح لا سلطان للخطية ولا لمن له سلطان الإيقاع في الخطية أي سلطان علينا.

ولكن موت المسيح انتهى بالقيامة التي أضافت على التبرئة من الخطية مَنْحَنا بر المسيح وبالتالي بر الله بمعنى قداسته وطهارته. لأن قيامتنا مع المسيح وهبتنا الحياة الأبدية فقدَّمنا المسيح إلى الله أبيه مبرأين من الخطية وحائزين على بره الخاص باعتباره قدوس الله أي بار ويستطيع أن يبرِّر.

لأن قصد المسيح من الموت الذي ماته ليس ليحررنا من الخطية والموت فحسب، ولكن لينقلنا من عالم الخطية والظلمة إلى عالم الله والابن، أي ملكوت الله. وهكذا بموته أنقذنا من الخطية والموت وبقيامته نقلنا الله من عالم الظلمة إلى ملكوت ابن محبته. فأصبحنا بقيامة المسيح لا نحسب أننا من هذا العالم، عالم الخطية والشر والموت، بل من أهل بيت الله كأعضاء في ملكوته الذي هو بيته الأبدي.

كل هذا لا يمنع الشيطان من أن يلطم الجسد ويؤذي، ولكن لا كغضب من الله ولا تخلية إنما للاحتمال باستخدام صبر المسيح للتزكية. وحتى لو أُعطي للشيطان أن يؤلمنا ويضيِّق علينا حتى الموت وكل يوم، فنحن مستعدون أن نموت كل يوم من أجل المسيح حبًّا وكرامة.

فآلامنا كلها ومن كل نوع حتى إلى غصة الموت تُحسب شركة مع آلام المسيح وتزكية لقيامة نعيشها ونكمِّلها كل يوم مع المسيح أيضاً.

ويلزم أن ندرك أن المسيح مات بالجسد لنحيا نحن بالروح، والمسيح تألَّم بالجسد لتتحوَّل آلامه فينا إلى شركة في المجد، لأننا إن تألَّمنا معه فسوف نتمجَّد معه. فنحن لا نتألَّم كأننا خطاة ولا لأجل خطية ما، ولكن لأننا بالآلام نعبر من الجسد إلى الروح، من حياة تحت الآلام لحياة في ملء فرح المسيح ومجده. وهكذا ننتقل كل يوم من الموت إلى الحياة عبر الآلام والضيقات لأن الضيق ينشئ فينا صبراً والصبر ينشئ فينا تزكية، والتزكية هي بحد ذاتها حياة مع الله.

لذلك يقول الرسول: «فرحين في الضيق» دائماً باعتبار ما سيؤول إليه، وكلما تكثر الآلام فينا تكثر تعزيتنا أيضاً (2كو 5:1).

وهكذا بالانتقال الدائم كل يوم من دائرة الموت والآلام إلى دائرة الحياة والتعزية والفرح والمجد يكمل فينا عمل الخلاص العجيب.

بشرح الرسالة

تنقسم الرسالة إلى جزئين:

1 ـ الجزء العقائدي: ويبدأ من الأصحاح الأول حتى الأصحاح الخامس آية (12).

2 ـ الجزء العملي: ويبدأ من الأصحاح الخامس آية (13) حتى النهاية.

الجزء العقائدي

[12:5-1]

الأصحاح الأول

1 ـ [1: 1 ـ 5]: تحيات ليست كالعادة تبدأ بتعريف نفسه ورسوليته.

2 ـ [1: 6 ـ 9]: موضوع الرسالة.

3 ـ [12-10:1]: احتجاج القديس بولس.

4 ـ [14-13:1]: حياة القديس بولس قبل قبوله الإيمان.

5 ـ [24-15:1]: قبول القديس بولس للإيمان وما تَبعَ ذلك.

1 ـ تحيات ليست كالعادة تبدأ بتعريف نفسه ورسوليته [1: 1-5]

1:1 **«بُولُسُ، رَسُولٌ لا مِنَ النَّاس وَلا بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الذي أَقامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ».**

لأول وهلة ينتبه القارئ لماذا يقدِّم ق. بولس رسوليته منزَّهة هكذا عن تدخُّل الناس أو توسط إنسان ثم مدعَّمة بالمسيح والآب؟ في حين تعوَّدنا على صوته في المقدمات الأخرى وديعاً متواضعاً:

+ «بولس **عبد ليسوع المسيح** المدعو رسولاً ...» (رو 1:1)،
+ «**بولس المدعو رسولاً ...**» (1كو 1:1)،
+ «بولس وتيموثاوس **عبدا** يسوع المسيح ...» (في 1:1)،
+ «بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح ...» (تي 1:1)،
+ «بولس **أسير** يسوع المسيح ...» (فل 1)

واضح إذاً أنها ليست رسالة لكرازة عامة غير محددة، فإذ يقدِّم شخصه بالاسم فهذا يعني أن في الأمر دفاعاً شخصياً، ولكننا جميعاً على يقين أن ق. بولس لا يدافع قط عن نفسه إلاَّ إذا كان لحساب الحق والمسيح. لذلك فمن مضمون الآية الأُولى نستشف أنها رسالة توثيق مبادئ لظروف خاصة ودفاع عن حق رسوليته لحساب المسيح.

«رسولٌ لا من الناس»:

هنا تأتي «لا من الناس» بالجمع oÙk ¢p' ¢nqrèpwn وتفيد العلة الأصلية البعيدة the more remote cause [37]، وبعدها يحدِّد «ولا بإنسان» بالمفرد oÙd`e di' ¢nqrèpou وتفيد العلّة الوسيطة أو الواسطة the mediate cause[38]. والقصد أن البشرية بالجمع ليست أصلاً كمصدر رسولية له، ثم بالمفرد تفيد الإنسان كواسطة ويقصد بها أن رسوليته لم يتدخل

(37) Meyer, A. H. W., *op. cit.*, p. 9.
(38) Ibid.

إنسان قط في توصيلها إليه. هنا رفع البشرية جملة وتفصيلاً عن التدخل في أمر رسوليته.

ثم يهدف ق. بولس بقوله: «لا من الناس» إلى أنه ليس تابعاً للاثني عشر رسولاً، لأنه يتحتم على مَنْ يرسله الرسل أن يكرز في حدود الإيمان الذي قبله الرسل وعاشوه. وهنا علينا أن نعلم أن الرسل الاثني عشر وإن كانوا قد آمنوا بالمسيح وانطلقوا يكرزون باسمه إلاَّ أنهم ظلوا يمارسون عبادتهم مع اليهود في الهيكل ويؤدون الفرائض ويسيرون على العوايد ويقيمون في الهيكل كل صلاة في ميعادها كما نسمع في سفر الأعمال:

+ «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفسٍ واحدةٍ ...» (أع 2:46)

+ «وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة.» (أع 3:1)

والله لم يستعجل أن يفطمهم عن الناموس، بل تركهم إلى حين وبدأ من اتجاه آخر يعدّ لإلغاء الناموس وأعماله.

وهنا السر الذي يريد ق. بولس أن يكشفه من أول الرسالة أنه ليس مرسلاً من الناس أي من الرسل، لأننا نعلم أن ق. بولس تعيَّن من المسيح رأساً ليكون رسولاً للأُمم على أساس **«الإيمان بالمسيح»** فقط دون ممارسة للناموس أو أعمال الناموس أو طقوس اليهود وعوايدهم، لأننا نعلم أن الناموس ـ كما سيشرحه ق. بولس ـ كان قد وُضع أساساً لتعريف شعب إسرائيل جميع أنواع الأعمال والممارسات التي يكرهها الله وسُميِّت بالخطايا، لأن قبل الناموس لم تكن تُعرف خطايا ولا كان يسمَّى إنسان ما أنه خاطئٌ، بمعنى أن الناموس أُعطي لمعرفة الخطايا، وعندما تعلَّم الشعب ما هي الخطايا بدقة متناهية على أيدي معلمي الناموس كتبة وفريسيين، وعلموا يقيناً أن كل مَنْ يفعلها يموت بها،

وأدركوا أن الكل أخطأوا وزاغوا وأعوزهم مجد الله (رو 3:23)، وحقَّت عقوبة الموت الأبدي على الجميع ـ عندها جاء المسيح **«كلمة الله»** المتجسِّد ليدفع الخطية عن العالم كله وبالتالي الموت كعقوبة أبدية، إذ وضع الله عليه إثم جميعنا وهو على الخشبة، فمات بالفعل مكمِّلاً عقوبة الموت عن كل خطايا العالم، وبموته أُلغيت عقوبة الموت: «إذ محا الصك الذي كان علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا» (كو 2:14). وبقيامته من الموت حيًّا بجسده تقبَّل الإنسان قوة القيامة أي الحياة الأبدية.

واضح هنا أن إهمال العمل الذي عمله المسيح والعودة إلى الناموس وأعمال الناموس مثلها مثل إنسان كان محكوماً عليه بالإعدام، فجاء محامٍ قديرٌ وأثبت براءته لدى القاضي، فبرَّأه وحكم له بالخروج من سجنه مبرَّأً، ولكنه أبى إلاَّ أن يعود إلى زنزانته ويضع بنفسه القيود في يديه. وقد وصف القديس بولس هذا العمل أنه الغباء بعينه أو ربما أن إنساناً عدواً عمل له سحراً!! أي أخرجه عن رزانة عقله، كما سنرى بعد ذلك.

«ولا بإنسانٍ»:

رأينا أنه «ليس من الناس» حيث الجمع يقصد المصدر أي أنه لم يُرسل من قِبَل الرسل الاثني عشر، وعلمنا أنه بهذا صار في حلّ من الناموس وأعماله، ثم يقول هنا «ولا بإنسان» يقصد العلّة الوسيطة، بمعنى أنه لم يتدخل أحد في رسوليته فأصبح بهذا منفتحاً على المسيح الذي أرسله انفتاحاً مباشراً: منه يتكلّم، ومنه يتعلّم، وبه يحيا ويكرز.

وهنا يصرِّح لنا ق. بولس تصريحاً خطيراً يعبِّر عن هذا المعنى إذ يقول: « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2) بمعنى أنه لم يعد له أي فكر شخصي: «وأمَّا نحن فلنا فكر المسيح» (1كو 16:2)، أو إرادة شخصية أو هدف يسعى إليه في كرازته بالمسيح: «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في 21:1). وهذا يوافق ما جاء في قول الرب يسوع المسيح لحنانيا: «لأن هذا لي إناء مختار» (أع 15:9). وهذا يعني تماماً أن القديس بولس كان يتراءى للناس معلّماً ومتكلّماً والحقيقة أن المسيح الذي فيه كان هو الذي يلقّنه ما يقول ويفعل ويعلّم! وتوكيداً لذلك نسمع ق. بولس يقول:

+ «إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلّم فيَّ، الذي ليس ضعيفاً لكم بل قويٌّ فيكم.» (2كو 3:13)

وقد صرَّح ق. بولس مرَّة أنه ليس محسوباً أنه شيء، فكل ما يجري على فمه أو على يديه هو من عمل نعمة الله:

+ «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المُعطاةُ لي لم تكن باطلةً، بل أنا تعبتُ أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي.» (1كو 15:10)

إذن، فالقديس بولس له الحق أن يقول عن رسوليته إنها «ليست بإنسان» أي لا دخل لبشر في عملها فهي عمل النعمة، وق. بولس يقولها في مواضع عديدة أن رسوليته ممتدة من المسيح

وبالمسيح وفي المسيح:

+ «نسعى كسفراء عن المسيح، **كأن الله يعظ بنا.**» ! (2كو 5:20)

+ «ليس أننا كُفاةٌ مِنْ أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه مِنْ أنفسنا، **بل كفايتنا من الله.**»(2كو 3:5)

«بل بيسوع المسيح والله الآب»:

هنا ارتفع بولس الرسول برسوليته من مستوى البشر منبعاً وواسطة، فأحاطها بمجال إلهي، سواء في منشأها أو في عملها وهدفها، وبالأكثر صفاتها لكي تتنزَّه نهائياً عن تدبيرات جسدية أو فرائض أو أعمال بشرية، إذ يصبح لا دخل لموسى أو ناموس موسى. فهي رسولية نابعة من المسيح والآب لتصب قوتها كلها مباشرة في الإنسان الخاطئ الذي آمن بالمسيح الذي مات من أجله خاصة: « أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل 2:20). بل وقام من أجله خاصة إذ يقول:

+ «إذاً يا إخوتي أنتم أيضاً قد متُّم للناموس بجسد المسيح (الذي مات من أجلكم)، لكي تصيروا لآخر (أي للمسيح وليس لجسدكم بعد)، **للذي قد أُقيم مِنَ الأمواتِ لنُثْمِرَ لله** (في حياة دائمة ليس فيها عقوبة خطية أو موت). لأنه لمَّا كُنَّا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا (قبل أن نموت عنها في المعمودية ونستلم إنساننا الجديد بالروح)، لكي نُثْمِرَ للموتِ!! **وأمَّا الآن فقد تحرَّرنا من الناموس، إذ مات الذي كُنَّا مُمسَكِينَ فيه** (أي جسد الخطية الذي مات في المعمودية)، حتى نعبدَ (في الإنسان الجديد) بجدَّة الروح (روح المسيح) لا بعتق الحرفِ (الناموس).» (رو 7: 4-6)

ويقصد القديس بولس ضمناً في جمعه "المسيح والآب" كمنبع واحد لإرساليته، أن يسلّط النور على الجوهر اللاهوتي الواحد «الآب والابن» وفي هذا يقول ذهبي

الفم:

[ويقول بولس: المسيح والآب، ليس كأنه يضيف عمل المسيح للآب، ولكن ليوضِّح أنه لا تمييز في قانون التعميد "باسم الآب والابن والروح القدس" حيث يذكر فيها **الآب** قبل الابن، فماذا يقولون الآن أمام تسجيل بولس ذاكراً المسيح الابن قبل الآب؟ فهل يمكن أن يُقال هنا أن المسيح أعلى من الآب لأنه ذُكر قبل الآب؟][39]

ونحن بصدد كلام ق. بولس الموجَّه لنا من المسيح بالروح، أن رسولية ق. بولس هي بيسوع

(39) Chrysostom, *ad. loc.*

المسيح والله الآب ـ يلزم أن ننتبه هنا لموقع حرف "الباء = di£"[40] في قوله بيسوع المسيح وكيف أردف ق. بولس في الحال بضم الله ليسوع ليقع اسم الله واسم المسيح معاً دون تفريق بين المسيح والله الآب، فهذا يقصده ق. بولس قصداً بنعمة وحكمة مستترة غاية في التدقيق اللاهوتي. فنحن لا نسمعه يقول بيسوع وبالله، بل بيسوع والله لكي يترسَّخ في عمق فكرنا ووجداننا بل وروحنا أن يسوع المسيح والله الآب هما واحد وليسا اثنين!!

هذا من الناحية اللاهوتية الصرف، ولكن لا يزال لبولس الرسول هدفٌ آخر إذ أنه لمَّا احتفظ للمسيح والله الآب بالوحدة الإلهية احتفظ لنا بالتالي بقوة ووحدة

---

(40) يقول العالِم ليتفوت إن الحرف اللائق استخدامه هنا هو **¢pÒ** الذي يفيد المصدر الذي منه جاء التعيين للرسولية، ولكن ق. بولس استخدم الحرف **di£** الذي يفيد الواسطة، ونحن نرى أن السبب يعتبر بديعاً حقاً لأن مصدر التعيين من قبل الله مخفى غير معلن، فالقديس بولس أرسل من لدن الله الآب والابن، ولكن تأكيده على الواسطة هنا ـ أي بواسطة الله يشير إلى ظهور الواسطة **أي الله واستعلانها العلني. لأن الله دعا ق. بولس بواسطة ابنه بصورة علنية إذ ظهر له** من السماء بوجه منظور ولمعان أكثر من الشمس وبصوت مسموع، الأمر الذي لم يحدث لأي من الرسل الاثني عشر، بل وأدخل في الإعلان عن قصد في تعيينه لشاول إنساناً آخر قديساً هو حنانيا الذي كلَّمه الله علناً أيضاً وأخبره عن أمر تعيينه لبولس رسولاً، فجاء التعيين مدعماً برؤية علنية بصوت مسموع ومنظر واضح وبتوسط إنسان آخر وهو حنانيا الذي إذ أخذ تعليمات مسموعة من المسيح ذهب إلى شاول وقال له ما سمعه **من الله** عن رسوليته هكذا: «**إله آبائنا** انتخبك لتعلم مشيئته وتبصر البار (المسيح) وتسمع صوتاً من فمه لأنك ستكون له شاهداً **لجميع الناس** بما رأيت وسمعت» (أع 22: 13ـ15). وهكذا ننبِّه ذهن القارئ كيف أن اختيار الحرف المناسب عند ق. بولس يكون وراءه معنى كبير للغاية. وق. بولس يؤكد مبدأ لاهوتياً في الدعوة عموماً أن الله الآب هو الذي يدعو لخدمة المسيح والتعرُّف عليه: «**أمين هو الله الذي به دعيتم** إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (1كو 1:9). لهذا ينكشف أمامنا الآن أكثر المعنى والقصد المخفي الذي يقصده ق. بولس من قوله أنه دعي للرسولية: «بالمسيح والله الآب». وواضح فيها أن الله دعاه ليكون رسولاً للمسيح يسوع لخدمة الأمم. ثم يعود في نفس الموضع ويكرر الوضع لمزيد من التأكيد والتعليم والكشف بقوله: «نعمة لكم وسلام **من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح** الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير **حسب إرادة الله وأبينا**» (غل 1: 3و4). لذلك على القارئ اللبيب أن لا يمر بسرعة على قول ق. بولس من جهة رسوليته إنها «لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح **والله الآب**». وهذه التفريدة البديعة يجمعها ق. يوحنا ويعلنها بالروح في قوله بلسان المسيح: «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك.» (يو 21:17)

المجال الإلهي العامل بالآب والابن معاً في رسوليته، وبالتالي في كل ما يقول ويكرز ويعلّم!

وبهذا تمتاز رسولية ق. بولس بأنها من «المسيح والله» أي على أعلى مستوى، حيث نسمع منه أن الله هو الذي أفرزه ودعاه رسمياً للرسولية وهو في بطن أمه: «ولكن لمَّا سرّ **الله** الذي **أفرزني من بطن أمي** ودعاني بنعمته أن **يعلن ابنه فيَّ** لأبشِّر به بين الأمم ...» (غل 1:

15و16) وواضح هنا الفارق بين رسولية الاثني عشر ورسولية ق. بولس، فالاثنا عشر دعاهم المسيح وأعلن لهم الله الآب الذي فيه، أمَّا ق. بولس فالذي دعاه هو الله الآب الذي أعلن ابنه فيه أي في بولس!! وواضح هنا الدعوة الشمولية التي وُهِبَت لبولس كرسول، لذلك عن صحة وصدق ويقين يقول ق. بولس إنه رسول من المسيح والله الآب. وإصراره على ضم المسيح لله الآب يقصد به أن رسوليته حاملة مشيئة المسيح والآب معاً بل وعاملة بمشيئة المسيح والآب معاً.

لذلك حينما يدخل بنا ق. بولس إلى «**الإيمان بالمسيح**»، **فهنا نحن أمام إيمان بالآب والابن، أي إيمان بالله الكلي القدرة**، وإن تكلَّم عن «**نعمة المسيح**» فهي **نعمة الآب والابن حتماً أي نعمة الله الكلي القدرة والفاعلية**، أي نعمة لا تحتاج بأي حال من الأحوال إلى تكميل بعمل بشري أو ناموسي.

ويلزم هنا أن ينتبه القارئ أننا لم نسمع في مفردات الناموس وفرائضه وأعماله كلمة «نعمة الله» أو أي عمل لها!!! **وهكذا فإن نعمة الله لم تظهر كقوة مفردة تعمل لحساب الإنسان إلاَّ في المسيح وبالمسيح**، فحينما نسمع كلمة المسيح فالنعمة حتماً قائمة عاملة فعَّالة. ففي موت المسيح كانت نعمة الله قائمة فعَّالة لحسابنا لم تهدأ ولم تَنِ حتى قام المسيح بجسده بقوة الله. ولكن في قيامته أيضاً كانت نعمة الله قائمة وفعَّالة لحسابنا نحن وليس لحساب المسيح، لأن المسيح بالنسبة لذاته إنما مات ليقوم لأنه إنما مات لأجلنا وقام لأجلنا. فالمسيح لمَّا قام بالجسد قام ومعه ملء نعمة القيامة لحساب الإنسان الجديد، إذ حَّول عمله كله الذي عمله بالجسد لحسابنا سواء في الموت أو القيامة، فبالموت أكمل الفداء وبالقيامة أكمل الخلاص. هذا كله أكمله دون أن يطلب أي عمل من طرف الإنسان إلاَّ "**الإيمان**" بالموت والقيامة: لذلك قال ق. بولس: «لأنكم بالنعمة **مخلَّصون بالإيمان** وذلك ليس منكم هو عطية الله.» (أف

(8:2

وهكذا اعتبر عمل المسيح من أجلنا في موته وقيامته كفيلاً لكي يورثنا الصفح والغفران لكل الخطايا والصلح والسلام مع الله والتبني وميراث الحياة الأبدية مع الابن، هذا كله **مجاناً،** لأن عمل المسيح ابن الله كان كفيلاً باسترضاء الله أبيه كليًّا ومن كل الوجوه، لذلك يقول ق. بولس: «**متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح.**» (رو 24:3) حيث البر هنا هو برّ الله!! أي صرنا بالمسيح أبراراً أمام وجه الله.

وهذه النعمة المجانية الجليلة القدر كقوة عظمى فعَّالة ظهرت لنا ولحسابنا بواسطة المسيح في موته وقيامته، فصارت قادرة لمعادلة كل الناموس القديم بكل أعماله ثم إلغائه إلغاءً كليًّا، وفي هذا يقول ق. بولس: «فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو 14:6)

إذن، واضح أمامنا الآن أن المسيح بموته وقيامته **بالجسد لحسابنا** قد وهبنا قوة موته لإلغاء قوة الخطية وعقوبتها، أي الموت الأبدي، ووهبنا قوة قيامته لإعطائنا الحياة الأبدية في مصالحة كلية مع الآب وتَبنٍّ يكون قد أدخل في حياتنا النعمة، نعمة الفداء والخلاص، كأعظم قوة إلهية مجانية لحساب الإنسان! فأين يكون الناموس بعد ذلك وماذا تكون أعماله؟ هذا هو سؤال ق. بولس لأهل غلاطية.

«الذي أقامه من الأموات»:

وهكذا إذ يرتفع ق. بولس برسوليته من مستوى البشر منبعاً وواسطة، وجعل رسوليته ممتدة من المسيح والله الآب مباشرة، ارتفع بالتالي برسوليته من مستوى موسى والناموس وأحكامه وكل الأعمال الجسدية إلى مستوى المسيح والله الآب عملاً وقوة وروحاً. فأعمال المسيح قد عملها بموته لفداء الإنسان من عقوبة موت الخطية ومن عجزه وقصوره جميعاً، وبقيامته من الأموات لإعطاء حياته للإنسان، فصارت هي قيامة الإنسان وحياته في المسيح!!

فقوله أن الله أقامه من الأموات، واضح للغاية أنه يقصدنا نحن مائة بالمائة، لأن ابنه حي منذ الأزل إلى الأبد لا يموت ولكنه إذ تجسَّد من أجلنا ومات من أجلنا بالجسد وأقامه الله أبوه حيًّا بالجسد من أجلنا، فالموت والقيامة هما لنا، لأن أخذه جسد الإنسان ليتجسَّد به كان لأجلنا. إذن، فالمسيح مات بنا أي بجسدنا وأقامه الله

أبوه بنا بذات الجسد. وهكذا متنا عن الخطية ـ أي أكملنا عقوبة الخطية ـ التي عرفناها بالناموس وقمنا لحياة أبدية في المسيح.

وبهذا لو دقق القارئ وتمعَّن يجد أنه بقيامتنا مع المسيح ـ ابن الله ـ لحياة أبدية صار الله أبانا مع المسيح وفيه، وصرنا أبناءً مع الابن الوحيد لله أبيه وأبينا!!

فقوله في الآية مشدِّداً أن الله أباه هو الذي أقامه من الأموات إنما يقصدنا، إذ صار لنا نصيبٌ مباركٌ في أبوة الله للمسيح. وهنا ننبه ذهن القارئ أن كل كلمة يقولها بولس الرسول

يقولها بالروح وبتوجيه مباشر من المسيح لندرك ما آل إلينا بتجسد ابن الله وموته وقيامته بواسطة الآب.

كذلك بإدخال حالة القيامة في تقديمه لرسوليته وفي مبدأ الرسالة يقصد بتأكيد ظاهر أن ينسب استلام **رسوليته إلى المسيح القائم من الأموات** وهو قائم في أعلى السموات، وضمناً يرفع ق. بولس رسوليته فوق رسولية الاثني عشر لا من حيث القيمة والمجد الرسولي بل من حيث العمل. فنجد أنه بينما ينشغل الرسل في أناجيلهم الأربعة بحياة المسيح **على الأرض** وبأقواله وتعاليمه التي قال بها وعلَّم ـ وبحوادث الموت والقيامة ـ وذلك على مدى ثلاث سنوات ونصف، ينطلق ق. بولس بنوع ممتاز للكرازة بتعاليم وأسرار المسيح التي أعطاه إياها **من السماء** شارحاً له سر ومعنى وقيمة الموت الذي مات، ومعنى ومجد القيامة التي قام، والأهداف المباشرة من الموت والقيامة في مفهوم الفداء والخلاص وهبة **"نعمة"** المصالحة والسلام مع الآب والتبني، الأمور التي لم يذكرها أحد من الرسل بتوضيح مثل ق. بولس. لذلك نسمع ق. بولس لا في افتخار إنما في كشف قوة الأسرار التي استعلنت له بنوع ممتاز:

+ «بسبب هذا أنا بولس، أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأُمم، إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم. أنه بإعلانٍ عرَّفني بالسرِّ. كما سبقتُ فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدِرونَ أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح.» (أف 3: 1-4)

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين، أُعطيت هذه النعمة، أن أُبشِّر بين الأُمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف 3: 8و9)

وهنا يعلو صوت ق. بولس بالاعتراف بقيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات، لأنه يتكلَّم من موقع رؤيا ومشاهدة، هنا ترتفع رسولية ق. بولس فوق كل رسولية لا من حيث القيمة أو الفعل بل من حيث الاستعلان والشهادة العينية لقيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات **ورؤية وجه المسيح القائم من الأموات المضيء** بأكثر لمعانٍ من الشمس، الأمر الذي افتخر به ق. بولس على موسى ولوحا العهد بين يديه لمَّا لمع وجهه ـ أي وجه موسى ـ بضياء نور التوراة إلى حين ثم بعد قليل انتهى نور التوراة وانتهى نور الوجه وانتهى اللوحان. وهكذا يفتخر ق. بولس بوجه المسيح ذي النور الأبدي الأكثر من ضوء الشمس الزائل في الظهيرة، وحتى

ضوء الشمس سيخبو وينتهي أمَّا نور وجه المسيح فسيبقى إلى الأبد يضيء الملكوت وطريق الخلود:

+ «ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراجٍ أو نور شمسٍ، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين.» (رؤ 5:22)

2:1 **«وَجَمِيعُ الإِخْوَةِ الذينَ مَعِي، إلى كَنَائِسِ غلاَطِيَّةَ».**

«وجميع الإخوة الذين معي»:

زملاء السفر، فكل رحلة للقديس بولس كان لها زملاء أسفار وجهاد، فهو يكتب لأهل فيلبي ويقول نفس الشيء: «سلِّموا على كُلِّ قديسٍ في المسيح يسوع. يُسلِّم عليكم الإخوة الذين معي» (في 21:4). ونحن استطعنا أن نفرز لغة ق. بولس في هذا الأمر، فهو يذكر المسافرين معه بهذا الاصطلاح، أمَّا الذين هم دائمون في المدينة التي يكتب منها فيصفهم بالقديسين: «يسلِّم عليكم **الإخوة الذين معي.** يسلِّم عليكم **جميع القديسين** ولا سيما الذين من بيت قيصر.» (في 4: 21و22)

والعالِم ليتفوت[41] يعوِّل كثيراً على هذه الآية، لأنه يعتقد أنهم غلاطيون من المسيحيين الأمميين وليسوا من اليهود المتنصرين، وهم الذين جاءوا إليه من غلاطية وأخبروه بالأمور التي حدثت في غيابه، وكيف أن المسيحيين من الأُمم في غلاطية تزعزعوا عن إيمانهم البسيط بالمسيح القائم على الخلاص بنعمة الإيمان المجاني، وذلك على أثر بعثة غير سلامية جاءت من اليهودية من المتعصبين للناموس أي من الغيورين على الناموس، واندسّوا بين هؤلاء الغلاطيين واستخدموا سذاجتهم (غباءهم) وأقنعوهم بالختان وحفظ الناموس، واليهود مهرة في التأثير على

---

(41) Lightfoot., *op. cit.*, p. 72.

السدّج وكأنهم سحروهم، قائلين إنهم لا يستطيعون أن يخلصوا إن لم يختتنوا ويحفظوا الناموس.

ويرجِّح العلاَّمة ليتفوت أن تلميذ ق. بولس المحبوب تيموثاوس كان بين هؤلاء الزملاء المسافرين مع ق. بولس، لأن كتابة الرسالة إلى غلاطية كانت قبل الرسالة إلى كورنثوس، وهذا نستشفه من قول ق. بولس لأهل كورنثوس في رسالته الثانية: «بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، **وتيموثاوس الأخ**، إلى كنيسة الله التي في كورنثوس ...» (2كو 1:1). كما أنه يذكر أيضاً اسم تيموثاوس في رسالته الأولى (1كو 17:4؛ 10:16). وواضح أن ق. بولس

كتب الرسالة الأولى إلى كورنثوس بعد رحلته إلى كنائس غلاطية وهذا نستشفه من قوله: «وأمَّا من جهة الجمع لأجل القديسين، **فكما أوصيت كنائس غلاطية** هكذا افعلوا أنتم أيضاً.» (1كو 16:1)

كذلك يرجِّح أيضاً أنه كان بين زملاء السفر مع ق. بولس المدعو أراستس وأرسطوس وهذا نستشفه من سفر الأعمال إذ أنه بعد أن غادر ق. بولس كنائس غلاطية انطلق في طريق مكدونية (شمال اليونان) وفي هذا الوقت كما جاء في سفر الأعمال: «فأرسلَ إلى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه: تيموثاوس وأرسطوس، ولبثَ هو زماناً في آسيَّا.» (أع 19:22)

كذلك يُعتقد أيضاً أن **تيطس** كان بين زملاء السفر مع زميل آخر، شاء ق. بولس أن يخفي اسمه ولكن يلمِّح عليه بشدَّة إذ يقول عنه: «وأرسلنا معه الأخ الذي **مدحُهُ في الإنجيل** في جميع الكنائس. وليس ذلك فقط، بل هو منتخبٌ أيضاً من الكنائس **رفيقاً لنا في السفر، مع هذه النعمة** (الأموال والبركات المجموعة من الكنائس والمرسلة لفقراء قديسي اليهودية) المخدومةِ منَّا لمجدِ ذات الرب الواحد، ولنشاطِكُمْ» (2كو 8: 18و19). وقد استقر رأي كثير من الآباء والعلماء على أنه هو لوقا الإنجيلي المحبوب[42]. ولو أن بعض الآباء مثل ذهبي الفم يقترح أن يكون تيطس. ولكن في الحقيقة نرى تأكيد ق. بولس بقوله: «الذي مدحه في الإنجيل في جميع الكنائس» لا تنطبق إلاَّ على ق. لوقا لأنه في الإنجيل بالفعل. أمَّا قول الباحثين أن إنجيل ق. لوقا كُتب متأخراً جداً عن أيام ق. بولس، فهذا مردود عليه بأنه قبل أن يكتب ق. لوقا إنجيله بشَّر به في جميع الكنائس التي

---

[42] هؤلاء الآباء والعلماء بحسب P. E. Hughes, *On 2nd Corinth.*: هم أوريجانوس، أفرآم السرياني، يوسابيوس، جيروم، امبروسيوس، أولسهوزين، وردزورث، بلومر، واستراخان.

عبر عليها. ومعروف جداً أن ق. لوقا كان رفيق سفر وخدمة للقديس بولس حتى إلى روما!! «لوقا وحده معي» (2تي 4:11). وأمَّا السؤال المباشر لماذا يخفي ق. بولس اسم لوقا ومَنْ معه، فالسبب أنهم كانوا يحملون جميع الأموال والهبات التي جمعوها من غلاطية والكنائس الأخرى وكانوا يتحركون في سرِّية تامة حتى لا يهاجمهم اللصوص، ولكن بالأكثر بناءً على إلحاح لوقا نفسه.

«إلى كنائس غلاطية»:

هنا يلزم أن نوعِّي القارئ أن ق. بولس لا يكتب رسائله بأسلوب واحد وعبارات واحدة،

ولكن العجيب في هذا الإنسان الموهوب والملهم أنه أولاً يطبع نفسه على رسالته، فمن فاتحة الرسالة تقرأ حالة ق. بولس النفسية والروحية بإخلاص، ولكن ليس ذلك فقط بل وتحمل الرسالة الأسلوب واللغة والواقع الذي يعيشه أصحاب هذه الكنيسة أو الكنائس. فهو يكتب في افتتاحية رسالته الأُولى إلى التسالونيكيين قائلاً: «إلى كنيسة التسالونيكيين، في الله الآب والرب يسوع المسيح» (1تس 1:1). وفي رسالته الثانية كذلك، ولكنيسة كورنثوس ـ في الرسالة الأُولى ـ مع أنهم كانوا قد دبَّ بينهم الشقاق بسبب دخول أبُلُّوس وصار بعضهم يتشيَّع له والآخر لبولس، فبالرغم من ذلك يخاطبهم: «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس، المقدَّسين في المسيح يسوع، المدعوين قدِّيسين ...» (1كو 1:2)، وفي الرسالة الثانية مثلها تقريباً: «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس، مع القديسين أجمعين ...» (2كو 1:1).

في هذه المقدمات يستشف الإنسان حالة ق. بولس المنبسطة وروحه الوثَّابة، كما يعكس لنا حالة هذه الكنائس وسمو حياة أهلها! كما لا يحس الإنسان بأي هدف واضح من المقدمة.

وعندما نأتي إلى مقدمة رسالته هنا إلى كنائس غلاطية، يتبيَّن بوضوح القطع بالكلام المختصر الواقف، ممتنعاً نهائياً عن أي تعبير يخرج من نفسه ليعبِّر عن أي مجاملة. فلا هم قديسون، ولا هم في القداسة يقيمون، ولا هم محبوبون كما في رسالة رومية، ولا أي كلمة مديح ولا حتى أبسط قواعد البروتوكول التي عوَّدنا عليها ق. بولس، بل وبالأكثر جداً والذي يبشِّر بإكفهرار الجو والخروج عن المألوف هو غياب الشكر لله كما جاء في رسالة فيلبي المحبوبة جداً عند ق. بولس: «**أشكر إلهي** عند كل ذكري إياكم دائماً **في كُلِّ أدعيتي،** مقدِّماً **الطلبة** لأجل جميعكم **بفرح**» (في 1:3). أو كما جاء في رسالة كولوسي: «**نشكر الله** وأبا ربنا يسوع المسيح **كل حينٍ، مصلِّين لأجلكم ...**» (كو 1:3). أو في الرسالة

الأولى لتسالونيكي: «نشكر الله كل حينٍ من جهة جميعكم، ذاكرين إيَّاكم في صلواتنا، متذكرين بلا انقطاعٍ عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم ... »(1تس 1:2و3)، أمَّا في رسالته إلى أفسس فيؤلّف أنشودة بركة وتمجيد: « مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكلِّ بركةٍ روحية في السماويات في المسيح.» (أف 3:1)

وبهذا يكون ق. بولس قد أعلن في مقدِّمة رسالته هذه مدى خروج هؤلاء القوم عن القداسة وعمل القديسين وأصول المحبة الإلهية، وأن وضعهم لا يتناسب مع الشكر لله ولا يستحق ذكرهم

والطلبة من أجلهم ومباركة الله عليهم. ولكن في أدب الإنجيل يذكر بصعوبة الآية القادمة:

3:1 «**نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ».**

يُلاحَظ عامةً أنه في افتتاحيات الرسائل نجد أن اليونانيين يتميَّزون بتصدير كلمة: "افرحوا "ca…rein" = rejoice، بينما افتتاحية اليهود هي بالكلمة: "شالوم salom" = e„r»nh = peace، وتطوَّرت عند اليهود بعد ذلك وصارت: «رحمة وسلام »كما ذكرها ق. بولس في نفس رسالته هذه إلى غلاطية عندما جاء ذكر كلمة إسرائيل هكذا:

+ «فكلُّ الذين يسلكون بحسب هذا القانون (أن لا الغرلة ولا الختان ينفع شيئاً في المسيح بل الخليقة الجديدة) عليهم **سلامٌ ورحمة**، وعلى إسرائيل الله.» (غل 16:6)

أمَّا «النعمة والسلام» فهي تحية الدعاء الصادق ومن القلب للقلب التي تميَّز بها ق. بولس، حيث يقصد باهتمام ملء السلام وملء النعمة كقوة صادرة من المسيح لكل مَنْ يؤمن حقاً. حيث النعمة هي نعمة الله بالدرجة الأُولى التي هي عطية الله المجانية الصالحة نحو الإنسان، كل إنسان، **المعبَّر عنها بالعمل الخلاصي المجاني الذي أكمله في ابنه يسوع المسيح**، ويسمِّيها ق. بولس: «**بنعمة المسيح»:** (6:1) و «**نعمة الله.»** (21:2)

والقديس بولس يضع نعمة المسيح أو نعمة الله في مواجهة الناموس حيث **أن الإيمان بالمسيح (أي بنعمة المسيح) يبطل الناموس، والعودة إلى الناموس تبطل الإيمان (النعمة) بالمسيح!!**

«لستُ أُبطِلُ نعمة الله. **لأنه إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذاً مات بلا سببٍ**» (غل 21:2)، وبالتالي: «**قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة.**» (غل 4:5)

أمَّا السلام عند ق. بولس فهو ليس السلام اليهودي "شالوم" لأنه سلام الإنسان مع الإنسان، أمَّا سلام المسيح عند ق. بولس فهو سلام الإنسان مع الله الذي اكتسبه المسيح برفع حالة الغضب الإلهي عن الإنسان كمتعدٍ على الله، عندما أكمل المسيح العقوبة عن الإنسان بموته، وقام لينشئ صلحاً وسلاماً للإنسان الجديد فيه، مع الله.

وارتفاق «النعمة والسلام» معاً هو أمر حتمي، فكل مَنْ نال نعمة الله في المسيح دخل في سلام

كامل مع الله، والعكس صحيح لأن كل مَنْ صار في سلام مع الله يكون قد حاز على نعمة المسيح. ويقول العالِم لوهمير(43) إن أصل هذه التحية: «نعمة وسلام» هي مخاطبة ليتورجية قبل أن تصير مخاطبة رسائلية. وطبعاً كلنا يؤمِّن على هذا، فالأسقف (أصلاً) أو الكاهن يبدأ خدمة التقديس على القربان بـ"نعمة وسلام لجميعكم". حيث النعمة والبركة مترادفان.

وبمجرد ذكر "النعمة والسلام" يلزم ذكر مصدرهما: «من الله الآب، ومِنْ ربنا يسوع المسيح» وذكر الله الآب والمسيح هو في الحقيقة حتمي بحسب عمل الخلاص. فالله الآب أكمل لنا نعمة الخلاص بالمسيح الابن، فذكر الآب والابن من جهة وحدة الله والعمل الخلاصي هو حتمي.

وذكر كلمة **«ربنا»** هنا توصيفاً للمسيح هي مناسبة لمجد القيامة التي أُكمل بها عمل الخلاص، حيث ارتفع المسيح إلى أعلى السموات وجلس عن يمين عظمة الآب إيذاناً باستعلان التساوي المطلق بين الآب والابن الذي كان مخفياً في المسيح وهو يحيا في الجسد، فإذ ارتفع بيمين الله وأخذ اسماً أعلى من كل اسم: "رب = كيريوس = سيد" الذي هو اسم الله، وباستعلان التساوي المطلق بين الآب والابن انكشف أن عمل الخلاص أكمله الله في ذاته لمَّا أعوز الإنسان الانعتاق من الموت الأبدي.

4:1 **«الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا».**

على القارئ أن يُلاحِظ أن بولس الرسول ينبِّر على تجاهل أهل غلاطية للموت

(43) E. Lohmeyer, cited by Bruce., *op. cit.,* p. 74.

الفدائي الذي قدَّمه المسيح لأجل خطاياهم، باعتبار أن العودة إلى الناموس هي تجاهل غفران الخطايا التي رفعها المسيح بموته الفدائي!! وهي الحقيقة التي أشهرها ق. بولس بعد ذلك في وجههم علانية: « لأنه إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذاً مات بلا سببٍ.» (غل 2:21)، وعاد وكررها معيِّراً جهلهم: «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة» (غل 5:4)

«لأجل خطايانا»: per^ tîn ¡martiîn ¹mîn

على القارئ الدارس أن ينتبه أن «من أجل» تأتي باليونانية بالنسبة **للأشخاص** **øpšr**، أمَّا بالنسبة للأشياء مثل الخطايا فتأتي ...per كما جاءت في هذه الآية.

وقد جاءت في رسالة بطرس الأولى للأشياء والأشخاص كُلٍّ بما يناسبه وذلك:

+ «فإن المسـيح أيضاً تألَّم مرَّة واحـدةً **من أجـلِ الخطايا**، البـارُّ **مِنْ أجـل الأثمةِ** ... per^ ¡martiîn ¢pšqanen dika…oj **Øper** ¢d…kwn «(1بط 3:18)

ولكنهم قليلون هم الذين يراعون هذه القاعدة اللاهوتية التي يتقنها ق. بولس، فلمَّا جاءت per… على الأشياء وعلى الأشخاص في الرسالة إلى العبرانيين (5 : 3) شك العلماء أن يكون ق. بولس هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين. وعلى العموم فإن الحرف "Øpšr" يمتاز بمعنى حيوي عن "per…" حيث تتضمن «من أجل» بالنسبة للأشخاص معنى الاهتمام أو العوز، أمَّا «من أجل» بالنسبة للأشياء فتكون بلا هوية.

وينبغي على القارئ أن يلاحظ أن هذه الآية الرابعة هي امتداد للآية الثالثة أي تعليق هام على منح النعمة والسلام بواسطة المسيح، فالقديس بولس لا يمنح « النعمة والسلام» للغلاطيين بلا شرط، لأنهم غير مستحقين للنعمة والسلام من المسيح إلاَّ إذا علموا أن المسيح الذي يهب النعمة والسلام إنما يهبها على أساس الإيمان بالعمل الفدائي، الذي بذل فيه نفسه للموت، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير. لذلك ربط النعمة والسلام بالبذل الفدائي.

والجميل في هذا الأسلوب أنه مأخوذ من منطوق إيمان كان سارياً في الكنيسة في التعليم، كما نسمع رنينها في إنجيل ق. مرقس: «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِمَ **وليبذُل نفسهُ** فديةً عن كثيرين» (مر 10:45). وهي منطوقة من فم المسيح ولذلك أُخذت كقانون إيمان، وأخذها ق. بولس لنفسه فجاءت منه رائعة: « فما أحياهُ الآن في الجسد، فإنما أحياه **في الإيمان**، إيمان ابن الله، **الذي أحبني وأسلَمَ**

نفسه لأجلي» ! (غل 20:2). وواضح هنا جداً أن «من أجلي » Øpšr يظهر فيها عنصر المسرَّة، فالمسيح يحب الذي بذل نفسه **من أجله:**

+ «ليس حبًّا أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه من أجل أحبائه.» (يو 13:15)

وقول القديس بولس في الآية التي نحن بصددها أن المسيح بذل نفسه: «لأجل خطايانا» فإن المعنى فيه لا يقصد الخطايا بل غفران الخطايا. وقد فسَّرها إشعياء النبي تفسيراً دقيقاً: «وهو مجروحٌ **لأجل** معاصينا مسحوقٌ **لأجل** آثامنا.» (إش 5:)

ويعود إشعياء النبي ويفسِّرها أكثر: «سكب للموت نفسه وأُحصيَ مع أثمةٍ، وهو **حملَ خطيَّة**

كثيرين وشفع في المذنبين» (إش 12:53). ويأتي ق. بولس ويسجِّلها بأدق وأقل كلمات: «الذي **أُسلم مِنْ أجلِ خطايانا وأقيمَ لأجل تبريرنا**» (رو 25:4)، وكذلك يشرحها ق. بولس بقوة: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس (كخطاة) إذ **صار لعنة لأجلنا** لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة.» (غل 13:3)

ويعود ق. بولس ويصوِّر موقف الآب من هذه الفدية القاسية والعجيبة:

+ «الذي **لم يشفق على ابنه**، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو 32:8)

وركَّز ق. بولس على خطر الخطية ذاتها وقوتها قائلاً:

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه.» (2كو 21:5)

ثم إذ يريد ق. بولس أن يرفع ميزان **«الفدية»** لكي تصير جزءاً حيًّا من حياتنا وبلا انقطاع، يقول: «الذي مات لأجلنا، **حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه**» (1تس 10:5). يا لروعة التعبير الحي والتوجيه الذي لا مثيل له في تعليمنا كيف نقيِّم الفداء في حياتنا، ثم يكمِّل ق. بولس هذه الآية موضِّحاً الجوهرة الثمينة المخفية في الآية السالفة بقوله: «**عزُّوا بعضُكُم بعضاً وابنُوا أحدكم الآخر**، كما تفعلون أيضاً.» (1تس 11:5)

ويا ليت سادتنا الرهبان يقرأون هاتين الآيتين حتى يقيِّموا التسبحة الإلهية الموهوبة لهم كل يوم، ولا يفضِّلوا النوم على **السهر للعزاء الروحي** الذي يبني نفوسهم وأرواحهم!

«لينقذنا من العالم الحاضر الشرير»:

هنا الهدف المباشر الذي هوَّن على المسيح أن يبذل ذاته للموت!! فالهدف

القريب لأنظارنا هو مغفرة خطايانا الذي يساوي تماماً العتق من عبودية الخطية والموت، ولكن الهدف الأكثر مشقَّة بالنسبة للمسيح والاستحالة بالنسبة لنا هو أن «**ينقذنا من العالم الحاضر الشرير**»، لأنه بعد غفران الخطايا سنبقى في العالم نجاهد فيه متمسكين بخلاصنا. هنا الاستحالة أن ننجو من فخ الشيطان المتعدد الحيل، إذ ونحن موجودون في العالم ومغفورو الخطايا نحتاج لمن ينقذنا من أباطيل العالم وشباك العدو ومكر الحيَّة: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيَّة حواءَ بمَكرِها، هكذا تُفسدُ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (2كو 3:11). هكذا بعد أن نُفك من عبودية الخطية

والموت نواجه العالم كمَنْ يعبر المحيط في قارب، لأن إمكانياتنا لا تزال تحتاج للإنقاذ من قوى عاتية شريرة تملك سلطان الزعزعة والاختبار وتسوق الكوارث والمحن بلا هوادة.

فكلمة «لينقذنا » ¹m©j ™xšlhtai بحد ذاتها تفيد ما وراءها من محنة عظمى محيطة بالإنسان لا يقوى عليها بمفرده بأي حال من الأحوال. كما وصفها ق. بولس باهتمام وإحساس بالخطورة: «فإن مصارعتنا ليست مع دَمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساءِ، مع السلاطين، مع ولاةِ العالم، على ظُلمةِ هذا الدهر، مع أجنادِ الشرِّ الروحيَّةِ في السماويَّات. » (أف 12:6)

وقد حاول ق. بولس في رسالته إلى تيطس أن يجعل الفداء نفسه إن عشناه في واقعه بإيمان وثقة ويد ماسكة بالصليب ننجو من هذا العالم الشرير: «الذي **بذل نفسه** لأجلنا، **لكي يفدينا من كُلِّ إثمٍ،** ويطهِّر لنفسه شعباً خاصًّا غيوراً في أعمالٍ حسنة» (تي 14:2). هنا رنين كلمة: «**يفدينا من كل إثمٍ**»، وكأنه واقف معنا مستعد لتطبيق الفدية التي أكملها لنا على كل حالة وحالة نواجهها، من الداخل والخارج حتى نليق به كشعب طهَّره بالدم.

«من العالم الحاضر الشرير»: toà a„înoj toà ™nestîtoj ponhroà

هنا يعتبر أن ما قاله ق. يوحنا في رسالته الأولى عن هذا العالم أوضح صورة تشرح ما يقوله بولس الرسول هنا: «نعلم **أننا نحن من الله، والعالم كله قد وُضِعَ في الشرير**» (1يو 19:5) وهي نفسها ـ كما قلنا ـ نحن نعلم أن **المسيح فدانا** واعتقنا من الخطية والموت، **ولكن أمامنا عالم وضع كله في يد الشرير.** وهو نفس ما يقوله ق. بولس: «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير

»

وواضح أن ذهن بولس الرسول يلمع فيه عالم الملكوت الآتي بكل سلامه الذي يفوق العقل، وهو إذ ينظر إلى العالم الحاضر على هذه الخلفية، لا يراه إلاَّ وقد وُضِعَ كله في يد الشرير، فالآن إذ المسيح فدانا وجعلنا أهلاً للخلاص وحياة الدهر الآتي، يشفق علينا ـ خاصة وأمامه صورة أهل غلاطية ـ من صعوبة العبور من هذا العالم الذي وضع في الشرير إلى العالم الذي وضع في يد الله. ولا رجاء لنا إلاَّ فيما أكمله المسيح من فدية وتكميل الخلاص. فبالفداء نحن غلبنا العالم الحاضر الشرير، وبالخلاص نمسك بالرجاء في الآتي. فآزرنا بنعمتك يا ابن الله!!

العالم الشرير: a„ën ponhrÒj

لا يعني ق. بولس أن العالم نفسه شرّ لأن الله قد خلق كل شيء حسناً، ولكن القوة الشريرة تسوده أخلاقياً، وبالمقابل فإن إرادة الله الصالحة ضد هذه القوة الشريرة، وهذا يكفي للإنسان إذا تمسَّك بإرادة الله الصالحة يغلب بالقوة الكائنة بالإيمان في قلبه: «بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف 20:3)

«حسب إرادة الله وأبينا»:

أي أن ما عمله المسيح بالفداء عمله حسب إرادة الله وأبينا، وذلك في مواجهة العالم الحاضر الشرير ليكون للإنسان بالإيمان بالمسيح والفداء الذي صُنع والخلاص الذي أُكمل، قوةٌ وسلطانٌ يقهر بهما العالم.

وهنا نقف مواجهة أمام إعلان انتصار ق. بولس بالصليب: «وأمَّا من جهتي، فحاشا لي أن أفتخرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالمُ لي (العالم غير موجود) وأنا للعالمِ (أنا غير موجود للعالم).» (غل 14:6)

وكانت صيحة بطرس الرسول في يوم الخمسين وقد أحسَّ بقوة الخلاص تدب في قلبه وروحه فنادى في قومه الملتجئين إليه للخلاص بقوله: «اخلُصوا مِنْ هذا الجيل الملتوي.» (أع 40:2)

ولكن يُعزَى الفضل للقديس بولس في النداء بالتفريق بين **العالم الحاضر** Ð a„ën Ð ™nestîj وبالعبرية: haolam hazzeh والمعروف أنه شرير، وبين العالم الآتي: Ð a„ën Ð ™rcÒmenoj وبالعبرية: haolam habba. والإنجيل قد شدَّد وأكَّد على المفارقة الهائلة في التمييز بين أخلاقيات أهل هذا العالم وأخلاقيات أبناء العالم الموضوع في يد الله. والقديس يوحنا الرسول هو أول مَنْ أسمعنا صوت المسيح نفسه مؤكِّداً أنه ليس العالم المادي هو الشرير بل

الشرير الذي في العالم هكذا:

+ «لأنهم ليسوا من العالم (تلاميذه)، كما أني أنا لستُ من العالم، لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن **تحفظهم من الشرير.**» (يو 17: 14و15)

كذلك فإن ق. بولس يعطي المخرج العجيب الذي به نخرج من العالم الحاضر لنصير من مواطني العالم الآتي دون أن نخرج من هذا العالم ماديًّا حسب فكر ق. بولس هكذا:

+ «لا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم (بحسب إنجيل المسيح)، لتختبروا ما هي **إرادة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة** (شكل أبناء الدهر الآتي).» (رو 2:12)

هذه هي الإرادة التي يشدِّد عليها ق. بولس لأهل غلاطية: «لينقذنا من العالم الحاضر الشرير **حسب إرادة الله وأبينا**» فهي ليست فقط أن ننقَذ من العالم الحاضر الشرير، بل وبالدرجة الأُولى أن نحيا ونسلك بحسب إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

وهنا نتمنَّى أن ينتبه القارئ إلى الصلة السرِّية الممتدة من الرسالة إلى غلاطية إلى الرسالة إلى رومية، فالقديس بولس يضع حجر الأساس في رسالة غلاطية ثم يبني عليه في رسالة رومية كما سبق وقلنا في المقدِّمة صفحة 55 ـ 58.

كذلك نود لو يلحظ القارئ كيف يمتد ق. بولس من الحاضر الشرير إلى المستقبل المجيد والمبارك، فأولاً وقبل كل شيء فالقديس بولس يضع أساس البناء الأخلاقي الحميد بل المجيد في الزحف من الفداء الذي تمَّ بموت الجسد إلى القيامة التي تمَّت بانطلاق الروح والجسد إلى المجد الآتي. بمعنى أن الأخروية أو التمسك أو التشبث بالحياة الأبدية الآتية تبدأ من هنا من على الأرض وفي هذا العالم بل وفي وسط شر هذا العالم، كما انطلق المسيح من الأرض إلى السماء حاملاً البشرية فيه من موت الخطية إلى قيامة المجد والجلوس عن يمين العظمة في السماويات، وبذلك رسم أو افتتح لنا طريق الخلود وأنار لنا الحياة. هكذا دعانا أن نسير خلفه بل وعلى وقع أقدامه وآلامه وجروحه بنفس القوة الغالبة للخطية والموت، والصاعدة إلى سماء الله والمجد، لأننا حاملون دمه عنصر الغفران وعنصر الحياة:

+ «فإذ لنا أيُّها الإخوةُ ثقةٌ بالدخولِ إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا

حديثاً **حيًّا**، بالحجابِ، أي جسده، ... لنتقدَّم بقلبٍ صادقٍ **في يقين الإيمان، مرشوشةً قلوبنا من ضميرٍ شريرٍ**، ومُغتَسِلةً أجسادنا بماءٍ نقيٍّ. لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعدَ هو أمينٌ.» (عب 10: 19-20)

ولا يغيب عن ذهننا أن المسيح هو الآن فوق، في السماء، جالسٌ عن يمين العظمة والقوة، وهو يجذبنا إليه بروحه، بدمه الذي تركه لنا زاداً ودواءً وشفاءً. ودليل الطريق إليه في قلبنا وفي روحنا، فإن رفعنا وجهنا نحوه فنحن واصلون، حتماً واصلون.

نعم نحن في العالم الحاضر الشرير محاطون بقوى الشر المنبثّة في الأرض وفوقنا، ولكن قوة الانطلاق فوق العالم بكل شروره قد وضعها المسيح سراً في قلوبنا بالإيمان به وبدمه، فلا العالم ولا الشر الذي في العالم بقادر أن يمنعنا من الانطلاق بروحنا نحو المسيح: «فإن **كنتم قد قمتم مع المسيح** فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله» (كو 3:1). فالقيامة التي نحياها تربطنا حتماً بالقائم الحي.

وق. بولس يؤكّد لنا أننا بإيماننا وحبنا للمسيح نحن نكتب كل يوم سيرتنا في السموات في المسيح:

+ «فإن **سيرتنا نحن هي في السماوات،** التي منها أيضاً ننتظر مخلّصاً هو الربُّ يسوع المسيح، الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكونَ على صورة جسد مجدهِ، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كلَّ شيءٍ.» (في 3: 20و21)

والقديس يوحنا يحذرنا من خداع شهوات العالم مستندين على كلمة الله:

+ «لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير. لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم: شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة،ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأمَّا الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد. »(1يو 2: 14-17)

ولكن نعود وننبِّه أن كل هذا الكم من المعونات والتشجيعات الهائلة للغلبة على العالم وشهواته والخلاص من فخاخه يكمن في الحقيقة الأولى والعظمى وهي أن: « المسيح **مات لينقذنا** من العالم الحاضر الشرير» وتعتبر هذه الحقيقة كما يقول العالِم

بروس[44] هي أول إشارة تلقيناها عن أهمية وقيمة موت المسيح. لأننا نحن المسيحيين نُعتبر الذين «انتهت إليهم أواخر الدهور» (1كو 11:10) المظلمة لهذا العالم الحاضر: «الموضوع في الشرير» (1يو 19:5)، لأننا حقاً وبالحقيقة قد انتقلنا «من الظلمة إلى ملكوت ابن محبته.» (كو 13:1)

نحن هنا نتحرك في بؤرة الإنجيل باعتباره إنجيل الخلاص والبشارة المفرحة. صحيح لم يكن ق. بولس أول مَنْ رصد حركتها، لأنه ربما يكون مرقس الرسول هو أول مَنْ قالها على لسان المسيح نفسه: «هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي **يُسفك من أجل كثيرين**» (مر 24:14). وأيضاً: «لأن

(44) Bruce, *op. cit.*, p. 77.

ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدم **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**» (مر 45:10). وأخذها ق. متى وأوضح السر المكنون فيها: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين **لمغفرة الخطايا**» (مت 28:26). فإن الخطايا إن كانت تربطنا بالعالم الحاضر بواسطة الناموس، فمغفرة الخطايا فكَّت ربطنا من العالم الحاضر الشرير بموت المسيح وسفك دمه لتربطنا بالمسيح نفسه الحي في السماء.

5:1 **«الَّذِي لَهُ المَجْدُ إلى أبَدِ الآبدِينَ. آمِينَ».**

ú ¹ dÒxa e„j toÝj a„înaj tîn a„ènwn ¢m»n.

هذا هو انفعال ق. بولس التلقائي الذي خرج من أعماق قلبه كرد فعل شخصي للتصوير الذي صوَّره عن بذل المسيح نفسه الذي أنقذنا من العالم الحاضر الشرير. فلمَّا انطبقت هذه الصورة على بذل المسيح، وهي الصورة التي يعيش عليها ويسبِّح ويمجِّد ويعظ ويكرز، انفجرت أعماقه لتمجِّد الذي له المجد وتردِّده ليردِّد صداه الأبد!

«الذي»:

اسم موصول يعود للآية السابقة ولمن ذُكر في آخرها وهو الله، فهي تكاد تكون بمثابة الشكر له. أمَّا ما هو **«المجد»** الذي يعنيه ق. بولس هنا، فهو معروف في العهد القديم باسم kabod فهو انبعاث الجلال والنور والبهاء عند استعلانه للعيون المستحقة، فحضرة الله تخطف العيون والعقول:

+ «**وحلَّ مجد الرب** على جبل سيناء وغطَّاه السحابُ، وكان منظرُ **مجدِ الرب** كنارٍ آكلةٍ على رأسِ الجبل أمام عيون بني إسرائيل.» (خر 24: 16و17)

+ وتجرَّأ موسى: «فقال **أرني مجدك**، فقال (له) أجيز كل جودتي قدَّامك وأنادي

باسم الرب قدَّامك وأتراءف على مَنْ أتراءف وأرحم مَنْ أرحم. وقال: **لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش ...** ويكون متى **اجتاز مجدي** أني أضعك في نقرة من الصخر وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي **فتنظر ورائي وأمَّا وجهي فلا يُرى!!**» (خر 33: 18-22)

أمَّا تمجيد الرب أو اعطاؤه المجد فهو التسبيح والمديح والشكر والعبادة لأن هذه هي حقوقه

لدى البشر:

+ «**قدِّموا للرب مجداً** يا أبناء الله، **قدِّموا للرب مجداً** وعزاً. **قدِّموا للرب مجداً** لاسمه. اسجدوا للرب في زينةٍ مقدَّسةٍ.» (مز 29: 1و2)

ولكن الجميل حقاً في الموضوع هنا حيث يقول ق. بولس المجد لله في نهاية مقدمته إنه بقراءة هذه الرسالة في كنيسة الغلاطيين فإنهم عند سماعهم المجد لله يردّون بفم واحد: **بـ«آمين».** وقصد ق. بولس أن يدخلهم في الإحساس بالوجود في حضرة الله.

2 ـ موضوع الرسالة
[1: 6-9]

6:1 **«إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُم بِنِعمَةِ المسِيح إلى إنْجِيلٍ آخَرَ».**

يلزمنا أن نوضِّح للقارئ أنه في موضع هذه الآية ـ بعد الديباجة التي انتهت في الآية (5:1)، اعتاد بولس الرسول في جميع رسائله أن يقدِّم الشكر لله أو المباركة من أجل المرسل إليهم بسبب تقدمهم أو غيرتهم أو محبتهم للمسيح ... إلخ. ولكن هنا يفاجئ ق. بولس أهل كنائس غلاطية بتقريع يحمل مشاعر الغضب، فهو لم يستطع أن يكبت ضيقه إلى حين أن يدخل قليلاً في الرسالة ولكنه طفح انزعاجه في افتتاحية الرسالة، مما يكشف عن الخطأ الجسيم بل ربما الجرم الذي وقع فيه أهل غلاطية. ولكن قد يكون السبب في البدء بالرسالة هكذا بهذه الصورة من التوبيخ الثقيل هو أن ق. بولس لم يكن قد استقر إلى بروتوكول إنشاء أو تدبيج الرسالة بالصورة التي نراها في بقية الرسائل بتقديم الشكر لله في هذا الموضع، باعتبار أن هذه الرسالة إلى غلاطية هي في الواقع أول رسالة يدبجها يراعه[45] هكذا يقول العلاَّمة بروس[46].

على أي حال نشعر أن ق. بولس كان بسبب انزعاجه متعجِّلاً الدخول في المشكلة، وواضح من قوله «سريعاً» بهذه الدرجة (هكذا سريعاً) oÛtwj

[45] التدبيج هو كتابة الديباجة، والديباجة هي مطلع الرسالة، أمَّا اليراع فهو الريشة (القلم).

[46] Bruce, *op. cit.,* p. 80.

tacšwj، لأنه بمجرد الانتهاء من الكرازة لهم وما عاناه من مهام افتتاح الكنائس وتعيين القسوس وتعليم الشعب ووضع أساس الإيمان المسيحي، انحدر جنوباً ليواصل رحلته، وإذ بأخبار وافته سريعاً من قوم جاءوا من هذه الكنائس لينقلوا له على عجل ما حلَّ بهذه الكنائس. ونحن نعلم أنه من الأشخاص الذين يقول عنهم في بدء الرسالة: «بولس ... وجميع الإخوة الذين معي ...» (غل 1: 1و2) يوجد بالفعل مواطنون من هذه البلاد مثل تيموثاوس الذي من لسترة وتيطس (انظر صفحة 74و75). فبمجرد أن سمع منهم ما

حدث كتب رسالته مع أنه كان يود أن يكون بينهم ليسمعهم ويرد عليهم بنفسه: « ولكنِّي كنت أُريد أن أكونَ حاضراً عندكم **الآن** وأُغيِّر صوتي (أزعق)، لأني متحيِّرٌ فيكم!» (غل 20:4).

وهكذا واضح أنه عوض الشكر لله الذي كان يود أن يهنئهم به على تقدمهم، حلَّ في قلبه ونفسه السخط عليهم وعلى الذين يضلّلونهم: «ياليتَ الذين يُقلِقونكم يَقطَعُونَ أيضاً!» «ولكنني أثِقُ بكم في الربِّ أنكم لا تفتكرون شيئاً آخر. ولكن الذي يُزعجكم سيحملُ الدينونة أيَّ مَنْ كان» (غل 5: 12و10) فالقديس بولس يواجه خطر هدم الإنجيل الذي جاهد في تدعيم أركانه.

«إني أتعجَّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً»:

«تنتقلون ... سريعاً»: metat…qesqe tacšwj

هنا كلمة «**تنتقلون**» استخدمت في التوراة في **نقل** عظام يعقوب من مصر إلى شكيم (أع 16:7) أو **نقل** أخنوخ من الأرض إلى السماء (عب 5:11)، أمَّا في تراث الدين والعقيدة فتعني نقل التخوم الموروثة في الدين والراسخة في العقيدة. وهكذا نرى أن الكلمة لها ثقلها المعنوي الموروث، فهي تلمِّح نحو الجحود وقلب المواريث.

أمَّا كلمة «سريعاً tacšwj»: فتفيد أن ق. بولس أحسَّ أنه لم يمض وقت بين تسليمهم الإيمان وبين مجيء خبر انتقالهم أو ارتدادهم الذي أحزنه وكسر نفسه، لأنه بذل وضحَّى ووضع نفسه لخدمة إيمانهم وتسليمهم وديعة النعمة الغالية التي استلمها من الرب ذاته. فالقديس بولس بقوله: «هكذا سريعاً» إنما يحكي عن اندهاشه الذي أحزنه كمن خسر خسارة كبيرة لم يعد يقيِّم طولها وعرضها. فما بناه في سنة أو أكثر هدموه بغبائهم في أيام. فالإنجيل الذي دعَّمه في قلوبهم بالنعمة قد اهتز وهو

على وشك الضياع. وق. بولس يبدو هنا منزعجاً ولكنه لم يفقد الثقة فيهم لأنه يحبهم غير أنه متعجِّب من غبائهم. لأن طباع بولس الرسول تمنعه من أن يرفض ولكنه يطيل أنَّاته بصبرٍ: يعنِّف ويراجع بشدَّة، ويهدِّد، ولكن بالنهاية تنقشع سحابة التهديد لتشرق شمس الرضا: «ولكنني أثق بكم في الرب أنكم لا تفتكرون شيئاً آخر (أي تعودون إلى فكركم الأول)» (غل 5:10). ولكن الذي زاد من انزعاجه أنهم انتقلوا أيضاً من نحو أمانتهم له، فهو يذكر لهم ويذكِّرهم بأمانتهم السابقة بل علاقة محبتهم الشديدة نحوه ـ هذا يزيده اندهاشاً ـ «كملاكٍ مِنْ الله قبلتموني، كالمسيح يسوع» (غل 4:14). «فمَنْ صدَّكم حتى لا تطاوعوا للحق؟» (غل 5:7)

«عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر»:

يقصد هنا أنهم تحولوا عن الله نفسه، فالله هو الذي دعاهم بنعمة المسيح ابنه: «هذه المطاوعةُ ليست من الذي دعاكم» (غل 8:5) أي ليست من الله، وأن إطاعتهم لهؤلاء الإخوة الكذبة لا تمت بأي صلة إلى طاعة الله بل على العكس محسوبة نكراناً له.

«عن الذي دعاكم»: kalšsantoj

هذا الفعل(47) يستخدمه ق. بولس في لغته للتعبير عن الدعوة الإلهية للخلاص وشركة المسيح كما جاء في قوله:

+ «فإنكم إنما **دُعيتم** للحرية أيها الإخوةُ» (غل 13:5)

+ «أمينٌ هو الله الذي به **دُعيتم** إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (1كو 9:1)

والقديس بولس بقوله: **«الذي دعاكم بنعمة المسيح»** لا يكتب إنشاء أو كلمات وعظ، بل يصف حقيقة إلهية حيَّة سكنت نفسه وروحه وبها يعيش ومنها يتكلَّم، فهي خبرته الأُولى وبالدرجة الأُولى: «ولكن لمَّا سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أُمي، **ودعاني بنعمته أن يُعلن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأُمم**» (غل 1: 15و16). هنا اندهاش ق. بولس من قوم دعاهم الله بنعمته على يديه هكذا، وهو واثق من النعمة التي قبلوها منه، فكان ينتظر أن يصبحوا مبشِّرين بهذه النعمة وخادمين لهذه الدعوة، لا أن يتحوَّلوا عنها إلى ناموس وختانة!!

وهنا يلزم جداً أن ينتبه ذهن القارئ عندما يقول ق. بولس لهم: **«الذي دعاكم بنعمة المسيح»**، فهي لا تعني إعطاء بركة أو دعوة من حالة إلى حالة أفضل أو أمجد، ولكن **"دعوة الله بنعمة المسيح"** تعني مباشرة وبقوة إلى فعل خلاصي يتم

---

(47) Bruce, *op. cit.,* p. 80.

أو قد تمَّ بموت المسيح الفدائي لكي يسري هذا الفعل الفدائي في الفاجر وغير المستحق والمستبيح ـ بالإيمان ليبرره ببر الله فيتبرر الفاجر في عين الله ويتصالح ويقبل التبنِّي! فإن كان الله دعاهم بنعمة المسيح فقد دخلوا في بر الله الكامل حيث لا يمكن أن يزاد بر الله بالأعمال وإلاَّ فالاتكال على الأعمال يلغي بر الله!

+ «فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلاَّ فليست النعمة بعد نعمةً. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة» (رو 6:11) ـ لاحِظ أن هذه الآية في رسالة رومية.

إذن واضح الآن أن ق. بولس في رسالة غلاطية يضع الأساس الراسخ لعمل النعمة، ولعمل الأعمال والتفريق بينهما حيث تلغى الواحدة منها الأخرى. فالنعمة تلغي الأعمال، وبالتالي الرجعة إلى الأعمال تلغي النعمة. وهنا الخطر الكبير ليس على إيمان أهل غلاطية فقط بل على إيماننا بنعمة المسيح التي لا تقبل الاستزادة بأي عمل كان حتى ولا إلى تقطيع الجسد! وقد بلورها ق. بولس في رسالة رومية هكذا:

+ «**متبرِّرين مجاناً بنعمته** بالفداء الذي بيسوع المسيح.» (رو 3:24)
+ «لأنكم **بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان،** وذلك ليس منكم. هو عطية الله.» (أف 2:8)

لذلك فإن قول ق. بولس في رسالة غلاطية: «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة» (غل 5:4) يعتبر أساس إنجيل ق. بولس الذي بشَّر به بين اليهود والأمم سواء بسواء وبالتالي أساس كل الرسائل[48].

ولكن هنا ينشأ السؤال الخطير، إن كان الغلاطيون قد حازوا على دعوة الله التي لا بد وأن تكون بالروح القدس لقبول نعمة المسيح التي هي عمل الفداء والقيامة بمعنى كلِّي للخلاص، فكيف تحولوا عن دعوتهم إلى الناموس والختان؟ أليس هذا لا يتناسب قط مع قوة نعمة المسيح وسلطان الروح القدس المنوط به حفظ المؤمنين وتنبيه قلوبهم حتى يظلوا أمناء لدعوتهم ولنعمة المسيح التي فيهم؟

هنا يتحتَّم أن نفسِّر الأمر:

(أ) أمَّا من حيث الغلاطيين الذين وصفهم ق. بولس **بالغباء** بمعنى عدم

---

[48] أيها الخاطئ الذي يشعر بثقل خطيته اعلم أن النعمة هي أمك الجديدة وأنك إن آمنت بالمسيح ستولد منها خليقة جديدة بلا عيب وبلا لوم، بل قديساً وسط قديسيه حيث لا يعوزك إلاَّ الشكر والتسبيح والحمد أثناء الليل وأثناء النهار.

الإمساك بالنعمة **"ونور"** الروح القدس، فهذا يشير إلى أنهم تهاونوا بالعطية العظمى التي نالوها تحت إغراء الحيَّة مرَّة أخرى في شخص اليهود المتنصرين الكذبة، الذين أبقوا ولاءهم للناموس وأعماله ورفضوا قوة النعمة ومفاعيلها، فتسرَّب إليهم سم الحية من أفواه هؤلاء الإخوة الكذبة وسكن أحشاءَهم ودخلوا في عملية الانتقال من عمل النعمة إلى عمل الناموس كما ينتقل **"الأعمى"** من الطريق الصحيح المعبَّد إلى السقوط في حفرة بدفع غاش يأتيه من خلف بيد أعمى مثله، حسب قول الرب: «هل يقدر أعمى أن يقود أعمى؟ أما

يسقط الاثنان في حفرة؟» (لو 39:6)

(ب) أمَّا من جهة المسيح ونعمته، والله ودعوته، والروح القدس وعمله فلم يهن عليه الذين تعامل معهم وأهملوه، فاستدار وأعاد لهم صوت ق. بولس الذي بالنعمة التي فيه كان قادراً أن يحرق الرُقْيَة (السحر) ويستعيد لهم نور الروح القدس المنطفئ في قلوبهم ليعيدهم إلى حظيرة النعمة من جديد. وقد تعلّمنا من ق. بولس أن النعمة أو الروح القدس قد يحزن ولكن لا يغادر إلاَّ بالجحود العلني، وقد ينطفئ ولكن مستعد أن ينير مرَّة أخرى عشرة أضعاف. لأن المسيح أو الله أو الروح القدس لا يغلق على الإنسان في النعمة، بل يعطيه الحرية ليعمل بالنعمة وتعمل النعمة به دون أن تقيِّد حريته بل تزيده انطلاقاً. ولكن يظل المجرِّب بالباب يحاول أن يسرق الإنسان من يد النعمة بكل وسيلة ممكنة. فإن أطاع الإنسان صوت العدو أكثر من صوت النعمة استطاع أن يجذبه إليه، ولكن تظل النعمة لها اليد الطولى والقوة الأعلى، حتى إذا ندم أو تيقَّظ أو صرخ تعود وتجذبه إليها، ولكن إن فقد الندم واحتقر التوبة فلا رجاء ولا أمل.

فإذا قاوم الإنسان صوت العدو وتمسَّك بالنعمة التي فيه، فلا تستطيع قوة في الوجود أن تخطفه من النعمة «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي.» (يو 10: 27-29)

ولكن المحزن حقاً أن العدو قد دخل إلى الغلاطيين في شبه ملاك نور يهود متنصرين مسيحيين وهم ليسوا مسيحيين، لهم صورة التقوى وهم لصوص، لم يأخذوا منهم إنجيلهم ولا هم عابوا عليهم إيمانهم، ولكن عملوا عملاً أشنع من هذا

وذاك، أضافوا إليه قوة أخرى كاذبة غاشة لتلغيه وهو في أيديهم، أدخلوا عليه ضرورة الختان وحفظ الناموس والعوايد. وهكذا أُسْقِطُوا من النعمة دون أن يدروا.

«إلى إنجيل آخر»: e„j ›teron eÙaggšlion

أولاً ليتنا نضع بدل كلمة إنجيل كلمة بشارة حتى يتضح المعنى أمامنا. كذلك يلزمنا أن نكمِّل هذه الآية بالآية القادمة حتى نوازن بين كلمة آخر teron› ، وآخر التي أتت بعدها: ¥llo.

7:1 «لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إنجِيلَ الْمَسِيحِ»

«ليس هو آخر»: Ó oÙk œstin ¥llo

هنا وفي الآيتين معاً يصف ق. بولس ما وقع فيه الغلاطيون بإغراء الحية في شكل يهود مسيحيين كذبة، أنهم انتقلوا من إنجيل المسيح والنعمة المجَّانية إلى إنجيل آخر. بمعنى بشارة أخرى لها خلفية مسيحية كاذبة ولكن عمادها الناموس والختان والعوايد القديمة، وكأنهم لم يُبشَّروا بالمسيح ولا قبلوا نعمة الله، أو في الحقيقة قبلوها باطلاً إذ ألغاها وأبطلها الناموس وهي في فمهم.

والكلمة التي حيَّرت العلماء هي: «إنجيل آخر - ليس هو آخر» وهي في اللغة العربية فاقدة المقابلة، لأنه باليونانية تجيء «آخر» الأولى teron‹، و «آخر» الثانية ¥llo أي هناك فرق في المضمون، والفرق في المعنى أن «آخر» الأولى teron‹ تعني: "من نوع آخر مختلف تماماً"، و «آخر» الثانية ¥llo تعني: "إنجيل ثانٍ قد يكون من نفس النوع أو المضمون"[49]. وهنا يظهر المعنى الذي يقصده ق. بولس وهو: أنهم تحوَّلوا إلى إنجيل آخر teron‹ في المعنى أي في المضمون، أي نوع الإيمان الذي فيه فلم يَعُدْ إيماناً، أي أنه إيمان ملغي، لأن الناموس ألغى النعمة التي في الإنجيل فانتهوا إلى لا شيء، لا إنجيل بالمرة. ثم استطرد ق. بولس بسرعة بسبب أنه قال: أنه **إنجيل آخر** لئلاً يحسب أهل غلاطية أنه يقصد أن الإنجيل الذي أفسدوه هو إنجيل أيضاً، فاستدرك بسرعة وقال: «ليس هو آخر» وهنا أورد الكلمة اليونانية الواضحة ¥llo أي "ثاني"، ليس له نفس النوع أصلاً بل تحوَّل إلى شيء آخر. وهكذا نفى أن يكون هذا إنجيلاً بالمرة!!

---

(49) R. C. Trench, *Synonyms of the N. T.,* cited by Bruce, *op. cit.,* p. 81.

مؤكداً ما قاله في الأول أنه إنجيل آخر في المضمون وفي الإيمان الحق، أي إنجيل كذب وغش.

وهذه الربكة في التفريق بين الاثنين أحدثته اللغة العربية لعدم قدرة المترجم أن يجد الكلمة الموازية في اللغة العربية، فهو لم يفرِّق ما فرَّقته اللغة اليونانية.

والمعنى النهائي الذي يضمره ق. بولس من هاتين الآيتين هو توبيخهم، كيف يتحولون من بشارة النعمة والخلاص المجاني، إلى بشارة قائمة على تعليم الناموس وأعمال جسدية ميتة. وهو عندهم بشارة مفرحة وهي ليست بشارة مفرحة بالمرة.

«ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوِّلوا إنجيل المسيح»:

«ليس هو آخر» كما سبق وقلنا تعني بهذا أنه ليس إنجيلاً بالمرة، وكأنه يقول لهم: ليكن هذا في علمكم أن الحقيقة من جهة إنجيلكم الكاذب هذا هو أنه يوجد قوم ـ طبعاً يعرِّفهم ق. بولس أنهم اليهود المتنصرون الآتون من اليهودية بقصد إقحام الناموس بالقوة أو بالحيلة على الإيمان المسيحي ـ إن كنتم قد اعتقدتم أنهم يفيدونكم حسب زعمهم أنهم بالناموس والختان والعوايد يضمنون لكم الخلاص، فهم في حقيقة أمرهم بحسب الإيمان الصحيح سيسببون لكم خسارة كبيرة، وعندما تفطنون إليها سوف تنزعجون. أي أن ق. بولس بقوله: إنهم قوم مزعجون، فذلك بسبب زعزعتهم لإيمان الغلاطيين، وإن كانوا لا يشعرون في البداية، فهي توعية من ق. بولس. لأن قصد هؤلاء القوم بالأساس هو محاولة تحويل إنجيل المسيح إلى إنجيل عبودية للناموس اليهودي بحفظ الختان والسبت وكل عبادة الهيكل.

«يحوِّلوا إنجيل المسيح»: metastršyai

هنا نستطيع أن نفهم من كلمة «**يحوِّلوا**» نوع هذا التحول أنه التحول العكسي الذي ليس إلى الصحيح بل إلى الخطأ والباطل، وذلك إذا عرفنا مصدره وغايته من جهة أخلاق أو صفات هؤلاء القوم الذين ينعتهم ق. بولس هنا **بـ"المزعجين** tar£ssontej" من كلمة "الانزعاج «tarac". ثم ينعتهم بعد ذلك أيضاً **بـ"المقلقين** ¢nastatoàntej" (12:5) من كلمة "القلق ¢nast£twsij". كما في موضع آخر ينعتهم **بـ"الرسل الكذبة"** (2كو 13:11)، وقد ذكرهم سفر الرؤيا من فم الرب نفسه وهو يخاطب ملاك كنيسة أفسس: «وقد جرَّبت القائلين إنهم رسلٌ وليسوا رسلاً، **فوجدتهم كاذبين.**» (رؤ 2:2)

فإن كانوا يريدون أن يزعجوا ويقلقوا هؤلاء الغلاطيين، فماذا يكون عملهم إلاَّ

أن يقلبوا إنجيل المسيح ليصبح ليس إنجيلاً بحسب تعبير القديس بولس. أمَّا الانزعاج الذي سيحل على الغلاطيين فهو بعد أن يسيروا خطوات في حفظ الناموس وتأدية الختان، فلابد أنهم سينتبهون بعد ذلك فيجدون أنفسهم في متاهة وقد حملوا أثقال الناموس التي لم يحتملها أصحابه حسب قول ق. بطرس الرسول:

+ «فالآن لماذا تُجرِّبون الله بوضع نيرٍ (الناموس) على عُنُق التلاميذ (المؤمنين بالمسيح) **لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟**» (أع 15:10)

والقديس بولس أيضاً ـ وليس ق. بطرس فقط ـ أدرك أعظم خدعة أوقعه فيها الناموس إذ جعله كالمجنون يضطهد المسيحيين ويتعقبهم رجالاً ونساءً، ويسجن ويقتل ويرجم بدافع من غيرة جامحة على الناموس معتقداً أنه بذلك يؤدي خدمة لله وواجباً مقدَّساً للناموس. وأخيراً اكتشف أنه واقع في ضلالة خطيرة جعلته يضطهد المسيح نفسه ويؤذي أولاده بل جسده باسم الناموس والغيرة على الناموس. والانزعاج الذي عاشه ق. بولس وهو تحت خداع الأمانة للناموس، ومدى القلق الذي نغَّص حياته ليرفع من كرامة الناموس كان لا يمكن أن يفارق ذهنه، فهو هنا يوعِّي الغلاطيين من الانزعاج والقلق الذي سيجلبه عليهم هؤلاء الغيورون على الناموس غشاً وخداعاً. فالقديس بولس إنما يقدِّم لهم هذه التوعية كخبير وكمن عاش في هذه الضلالة مخدوعاً تحت غيرة الناموس ولم يسعفه الناموس ولا الأمانة على الناموس برؤية تصحح موقفه، بل زاده ظلماً وظلاماً وجعله يجدِّف على المسيح. ثم لا ينسى ق. بولس مدى الحرية والفرحة والانفتاح على كل الآفاق التي نالها لمَّا تخلَّص من الناموس عندما دعاه الله ليقبل نعمة المسيح فقبلها وعاش أهنأ أيام عمره تحت قيادة نعمة المسيح، ليُخرج من قلبه أغلى درر الإنجيل وأسعد مفرداته ليفرِّح قلب العالم ويُسعد كل مختاري الله على وجه الأرض. هذا هو ق. بولس الذي يعنِّف أهل غلاطية كيف يتحولون من نعمة المسيح إلى عبودية الناموس؟ فليس أحد قط يستطيع أن يحس بمرارة هذه الخسارة مثل ق. بولس الذي جلس يُملي رسالته إلى أهل غلاطية من عمق أعماق خبرته.

8:1 **«وَلَكِنْ إِنْ بَشَّرْنَـاكُمْ نَـحْنُ أَو مَلاَكٌ مِنَ السَّماءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَـاكُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَـاثِيمَا».**

ق. بولس يترك جانباً المزعجين المبشرين بإنجيل العبودية للناموس، ويركز على نفس البشارة أنها باطلة وتؤدي إلى حرمان المؤمنين من إيمانهم وسقوطهم من

نعمة المسيح التي دعيوا إليها. فإن كانت البشارة هكذا خطرة ومؤذية فلا يهم بعد ذلك مَنْ الذي يدعو إليها حتى ولو بشَّرهم بولس نفسه أو ملاكٌ من السماء بهذا الإنجيل الكاذب المؤدي إلى عبودية الناموس، فليكن محروماً من نعمة الله عينها، وهذا تحصيل حاصل!! ولكن ق. بولس لا يقلل من قيمة نفسه بل يؤكد أن هذه القيمة تفقد أصالتها إذا بشَّر أحدٌ بإنجيل يحوِّل حرية الخلاص والحياة إلى عبودية الخطية والموت، حتى ولو كان ملاكاً.

هذا يعني من جهة أخرى أن نوع البشارة هو الذي يقيِّم المبشِّر وليس العكس كان مَنْ كان. فالذي يبشِّر بإنجيل النعمة والخلاص هو حقاً رسول وملاك من الله يلزم أن يقبلوه كما قبلوا ق.

بولس بالرغم من صورته المزرية وضعف الجسد، أمَّا الذي يبشِّر بغير ما بشَّر به ق. بولس الذي بشَّرهم بإنجيل النعمة والخلاص فهو مرفوض كان مَنْ كان.

«أناثيما»: ¢n£qema

لقد شرحها ق. يوحنا بصوت من السماء هكذا:

+ «لأني أشهدُ لكل مَنْ يسمع أقوال نبوَّة هذا الكتاب: إن كان أحدٌ يزيدُ على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب. وإن كان أحدٌ يحذِفُ مِنْ أقوال كتاب هذه النبوَّةِ، يحذِفُ الله نصيبه مِنْ سفر الحياة، ومِنَ المدينةِ المقدَّسة، ومِنَ المكتوبِ في هذا الكتابِ.» (رؤ 22: 18و19)

هكذا كل أمور "إنجيله المقدَّس" فكل مَنْ يزيد عليه ناموساً أو سبتاً أو ختاناً أو أي شيء غير موجود في هذا الإنجيل، فالله يزيد عليه ما يستحقه من عقوبة ودينونة منصوص عليها فيه. وكل مَنْ يحذف منه يحذف الله نصيبه مما نُصّ عليه فيه. بمعنى أن كلمات الله لا يزاد عليها ولا يُنتقص منها وإلاَّ تنقلب ضد مَنْ يفعل ذلك. فالذين حوَّلوا إنجيل المسيح وقبلوه هكذا يصير حالهم، والذين أضافوا عليه وصايا ميِّتة ومميتة تضاف عليهم هي نفسها. فكلمات الله لا تُمسُّ والذي يمسُّها يمسّه الله.

وإن كانت الأناثيما تترجم بالعربية "حرماً" فهي مأخوذة من العبرانية herm وكلمة يحرِّم تظهر خطورتها في العهد القديم في حروب الله المقدَّسة، فالذي "يحرمونه" في الحرب يعني مباشرة أنهم يهلكونه ويُحرقون كُلَّ ما له كما حدث لعخان بن كرمي (يش 7: 1-26). أمَّا لماذا وما معنى ذلك، فلأن الأشياء المقدَّسة هي ملك مطلق لله، فكل مَنْ يمسُّها أي يتعدَّى عليها معناه أنه تعدَّى على ما لله، وكل مَنْ يتعدَّى على ما لله يفقد نصيبه في الحياة هنا على أيدي الناس وهناك على يد الله: وهي اللعنة بعينها.

فهنا أناثيما تعني فليكن "ملعوناً" أي يفقد نصيبه في الحياة، وهي عكس يكون **مباركاً** أي تزاد له الحياة بخيراتها الزمانية والأبدية لكل مَنْ قدَّس ما لله.

والقديس بولس يقدِّم معناها وقوتها بصورة مؤثرة للغاية في قوله: «فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد» (رو 3:9). بمعنى أن إسرائيل رفضت دعوة الله لقبول نعمة المسيح فوقعت في حالة رفض وحرم "أناثيما". هنا ق. بولس يود أن

يأخذ دور المسيح بأن يتبنَّى موتهم وحرمهم لينالوا هم حريته وحياته في المسيح.

فالقديس بولس يقول إنه إن بشَّر أحد بغير نعمة المسيح للخلاص المجاني فهو كأنما يضع فخ الموت تحت أرجل المؤمنين الأبرياء، ذلك بإدخال الناموس والختان وعوايد اليهود التي تبطل الإيمان بالمسيح جملة وتسقطهم من النعمة، وهذا معناه الحرمان من المسيح والنعمة والخلاص والحياة الأبدية الذي هو الموت واللعنة بعينها.

وهنا يظهر ويستعلن سرّ عملية الخلاص العظمى التي أكملها المسيح ضد الناموس بأن قَبِل في جسده لعنته الواقعة على كل الخطاة بسبب تعديهم على الله ومقدساته التي كان ينص عليها الناموس، أي أنه قبل لعنة الناموس ومات بها ثم قام، وهكذا ألغى كل عقوبة الناموس، والناموس كان قائماً على عقوبات وحسب، لذلك يكون المسيح قد ألغى الناموس بموته، وبقيامته أدخل **النعمة** بغفران الخطايا مجاناً عوض الناموس وعقوباته.

فكل مَنْ كان في نعمة المسيح وبالتالي حاصل على غفران كل الخطايا وفي استحقاق الحياة الأبدية يعيش، إن هو عاد إلى الناموس وأعماله فكأنه يلغي غفران خطاياه ويلغي الحياة ويدخل بإرادته تحت لعنة الخطايا والموت الأبدي.

9:1 «**كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضاً: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا.**»

«كما سبقنا فقلنا»:

قد يبدو أن القصد منها هو الآية التي سبقتها، ولكن على أكثر يقين يقصد بها ق. بولس أنه في نهاية زيارته الثانية لكنائس غلاطية كلَّمهم صراحة عن هذا الموضوع

الذي كان دائماً يشغل باله من جهة الإخوة الكذبة وإفسادهم للإيمان. وهذا يتضح جداً في آخر زيارة لمثل هذه الأقاليم بعد كتابته هذه الرسالة بمدة سبع سنوات إذ حدث نفس الشيء، وعبَّر ق. بولس عن ذلك وحذَّر بشدة هكذا:

+ «ولكنني لست أحسب لشيءٍ، ولا نفسي ثمينةٌ عندي، حتى أُتمِّمَ بفرحٍ **سعيي والخدمة التي أخذتُها مِنَ الرب يسوعَ، لأشهدَ ببشارة نعمة الله.** والآن ها أنا أعلمُ أنكم لا ترون وجهي أيضا، أنتم جميعاً الذين مررت بينكم (غلاطية) كارزاً بملكوت الله. لذلك أُشهِدُكُم اليوم هذا أني بريءٌ مِنْ دَمِ الجميع، لأني لم أُؤخِّر أن أُخبركُم بكلِّ مشورةِ الله. احترزوا إذاً

لأنفسكم (القسوس) ولجميع الرعيَّة التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفةً، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه. لأني أعلم هذا: أنه بعد ذهابي سيدخُلُ بينكم ذئابٌ خاطفةٌ لا تُشفِقُ على الرعيَّة ...» (أع 20: 24-29)

ذلك في سنة 57 م قبل رجوعه إلى أُورشليم للمرة الأخيرة. وهنا تظهر روح ق. بولس التي كتب بها رسالته لهم سنة 49 م أي قبل ذلك بسبع أو ثماني سنين.

إذن فالقديس بولس حذرهم في زيارته الثانية بنفس هذا الكلام الوارد في سفر الأعمال في زيارته الأخيرة، والتي فيها يظهر بوضوح مقدار المحبة والإخلاص والتعلق الشديد الذي كان يكنُّه أهل آسيا للقديس بولس. إذن فشدة ق. بولس وربما قساوته وتعنيفه وتوبيخه الشديد قد أثمر للجميع ثمر إيمان ومحبة. فلا عتاب على ق. بولس في شدته بل هو يستحق المديح كمعلّم ملهم يستطيع أن يؤدِّب ويكسب مَنْ يؤدِّبه وهذه نعمة الله عليه، اسمعه يقول:

+ «هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضدَّ معرفةِ الله، ومستأسرينَ كُلَّ فكرٍ إلى طاعة المسيح، ومستعدينَ لأن ننتقمَ (من الخارجين على الإيمان) على كُلِّ عصيانٍ، متى كَمِلَت طاعتكم.» (2كو 10: 5و6)

«إن كان أحد يبشِّركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما»:

«بغير ما قبلتم» parel£bete، هنا نحن أمام كلمة رسمية في التقليد الإيماني. فهذا الفعل paralamb£nw (= قَبِلَ أو استلم) يأتي في مقابل الفعل parad...dwmi (= سلَّم)[50]، ويعني **"استلم وديعة الإيمان"** التي يلزم أن تُفتدى بالنفس، فهي أغلى من الحياة لأنها تحيي من الموت. فالإنسان يموت ولا يفرِّط في

---

(50) تظهر أهمية هذين الفعلين في الآية 1كو 11:23: «لأني **تسلَّمت** paršlabon من الرب ما **سلَّمتكم** paršdwka أيضاً ...»

مفردات إيمانه التي استودعها الله في روحه، لأنه لو مات على الإيمان عاش واغتنم الحياة الأبدية، ولكن لو فرَّط في الإيمان مات وهو حيٌّ.

لذلك فإن ق. بولس يقيِّم الذي يفسد الإيمان للآخرين بنفس عقوبة الذي يزدري بالإيمان ويفرِّط فيه وهو الحرم أو اللعنة. لذلك فالإنسان مسئول عن إيمانه كروحه وحياته وبالتالي يكون مستعداً لحراسته والدفاع عنه إزاء المفسدين حتى الموت.

3 ـ احتجاج القديس بولس
[1: 10-12]

10:1 «**أَفَأَسْتَعطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمْ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ**».

الآن القديس بولس يقف وقفة قصيرة أمام نفسه متكلّماً في أذن الذين يعنّفهم على قصورهم، وأمام أعداء الإيمان الذين يسعون لنزع روح الإيمان والحق من الغلاطيين. فيقول متسائلاً: هل أنا بهذا التعنيف لكم يا أهل غلاطية وأنا من أجلكم ألعن هؤلاء الدخلاء الذين يزعجون إيمانكم، هل بهذا أرضي الناس أم الله؟ ولكن أصلاً وقبل كل شيء أنا لو كنت أسترضي الناس لما حصلت على هذه النعمة التي أنا فيها أي أن أكون عبداً مستأمناً على خزائن نعمة المسيح.

والمعنى الذي يقصده ق. بولس هو أنه في تعنيفه لأهل غلاطية هو ليس مخيّراً بل إنما ينفذ وصايا سيده، لأنه ليس حرًّا في نفسه لنفسه بل هو باع نفسه وحياته للمسيح وصار عبداً مؤتمناً على أوامر سيده، فإن سمعوا له وهم حتماً وإلزاماً لا بد أن يكونوا سامعين لأنها أوامر مخلّصهم وفاديهم الذي مات من أجلهم ليحييهم ويقيمهم قديسين ومباركين أمام الله أبيه، وهو ليس إلاَّ عبداً ليسوع المسيح استؤمن على رسالة خلاصهم ليكمّل لهم مشيئة فاديهم ومخلّصهم، وحتماً وإلزاماً لابد أن ينفذها حتى النهاية.

وكأن ق. بولس يقول: اسمعوا أيها الغلاطيون، أنتم لستم أحراراً لتعملوا ضد مَنْ فداكم وخلّصكم وضد أنفسكم التي اشتراها بدمه، وأنا أيضاً لست حرًّا في رسوليتي

التي استلمتها منه لكي أنفِّذ كل واجباتها مهما كلَّفني ... هذه هي أمانة ق. بولس العجيبة في أداء واجبات رسالته.

والأمر الذي لا ينبغي أن يغيب عن بالنا هو أن هؤلاء اليهود المتنصرين الغيورين على الناموس والمتمسكين باليهودية وعوايدها يتَّهمون ق. بولس بأنه جعل الأمم يكرهون الناموس، وأقنعهم بعدم نفع أعمال الناموس والختان، ليس عن حق ولا من الله ولكن بأسلوبه الأدبي الخدَّاع، فهو

يبيع الناموس وينكر فضله لإرضاء نفسه وزعامته. والقديس بولس كان يعلم هذا تمام العلم وقد ردَّ عليهم في الرسالتين الأولى والثانية لأهل كورنثوس هكذا:

+ «وأنا لمَّا أتيت إليكم أيها الإخوة، **أتيتُ ليس بسموِّ الكلام** أو **الحكمة** منادياً لكم بشهادة الله، ... وكلامي وكرازتي **لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُقنِع**، بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمةِ الناس بل بقوة الله.... التي نتكلَّم بها أيضاً، لا بأقوالٍ تعلّمها حكمةٌ إنسانيةٌ، بل بما يعلّمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات.» (1كو 2: 1-13)

+ «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًّا، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» (2كو 4:5)

+ «لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله، لكن كما من إخلاصٍ، بل كما من الله نتكلَّم أمام الله في المسيح.» (2كو 2:17)

+ «... غير سالكين في مكرٍ، ولا غاشين كلمة الله، بل بإظهار الحق، مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدَّام الله.» (2كو 4:2)

وهنا يدور بالدائرة على هؤلاء المعادين له قائلاً:

+ «ولكن إن كان **إنجيلنا** (إنجيل ق. بولس يعني إنجيل النعمة والخلاص المجاني بدون ناموس وأعمال الناموس) مكتوماً، فإنَّما هو مكتومٌ في الهالكين (الإخوة الكذبة)، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلاَّ تُضيءَ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله.» (2كو 4: 3و4)

وكان هؤلاء اليهود المتنصرون الغيورون على الناموس يتَّهمون ق. بولس بأنه تجرأ وألغى الناموس وأعمال الختانة لكي يرضي الناس ويسهِّل الإيمان بالمسيح أمامهم ويجعل الخلاص بالكلام وليس بالعمل، بل ويتَّهمونه أنه يحاول أن يقنع الله

نفسه لكي يقبلهم ولا يضع عليهم مشقَّات كالتي على الذين يعيشون بالناموس. ويتَّهمونه أنه تحت الإحراج يخدم الختان ويكرز به. فيرد ق. بولس: «وأمَّا أنا أيها الإخوة فإن كنتُ بعدُ أكرز بالختان، فلماذا أُضطهَدُ بعدُ؟ إذاً عثرة الصليبِ قد بَطَلَتْ. ياليتَ الذين يُقلِقونكم يَقطَعُونَ أيضاً!» (غل 5: 11و12)، وطبعاً كان هؤلاء الإخوة الكذبة يرصدون حركات ق. بولس ليصطادوا ما يهاجمونه به، فقد علموا وربما رأوه وهو يختن

تيموثاوس: «وإذا تلميذٌ كان هناك (دربة ولسترة) اسمه تيموثاوس ... فأراد بولس أن يَخرُجَ هذا معه، فأخذه وختَنَهُ ...» (أع 16: 1-3)

ولكن كان غرض ق. بولس أن يؤهِّل تيموثاوس **للكرازة بين اليهود أولاً** حسب فلسفة ق. بولس: «فصرت لليهود كيهوديٍّ لأربح اليهود.» (1كو 9:20)

وهكذا يبدو واضحاً أمام القارئ الدارس أن المعركة مع هؤلاء القوم المزعجين المقلقين لم تكن هينة على ق. بولس، فقد أرهقته. ولكن مُبارَكٌ هذا الإرهاق الذي زوَّدنا بمفردات غالية وثمينة كشفت أمامنا أفاقاً كثيرة للإنجيل وعرَّفتنا بأسرار المسيح ونعمته.

ومن هنا نستطيع أن نرى في رسالة غلاطية حتى الآن بدايات كل شيء: **بداية الكرازة بالنعمة، وبداية الدفاع عن حق الإنجيل، وصدق الشهادة، مع الدفاع عن أصالة رسولية ق. بولس وحقِّها الإلهي.**

والأمر الذي يتوجَّب توضيحه هنا أننا كمسيحيين لم يعد لنا أي صلة بناموس موسى ولا بأعمال الناموس وعوايد اليهود، فماذا يخصنا من تعنيف ق. بولس هذا وإنذاره؟

الحقيقة قالها ق. بولس إن الذين بلا ناموس هم ناموس لأنفسهم (رو 2:14)، « لأن كل مَنْ أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلكُ. وكل مَنْ أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان.» (رو 2:12). بمعنى أن الناموس لا يحمي الذي يخطئ بالنسبة لليهودي، أمَّا بالنسبة لمَنْ ليس تحت الناموس فمتى أخطأ فهو لا بد أن يعاقب، لأن الخطية بالناموس أو بغير الناموس هي تعدٍّ على الله. لذلك فإن ق. بولس لا يعفي اليهودي الذي تنصَّر إذا أخطأ في حق الله والمسيح، كما أنه لا يعفي الأممي المسيحي الذي بلا ناموس إن هو أخطأ في حق الله والمسيح. وكما أن عودة

الغلاطيين إلى أعمال الناموس أبطلت عمل المسيح فيهم إذ حُسبوا أنهم سقطوا من النعمة، كذلك فالمسيحيون إن هم لم يتمسكوا بنعمة المسيح كأساس غفران خطاياهم وتبريرهم أمام الله، واخترعوا لأنفسهم أعمالاً تبريرية ووسائط أخرى لمحو خطاياهم أو لاسترضاء وجه الله غير ما تمَّ على الصليب، فهم في الحقيقة يتبنون غباء الغلاطيين ويزكون الرقية، ويحتاجون إلى صوت ق. بولس في رسالة غلاطية.

1:11و12 «**وأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ**

أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ ولا عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».

هنا يبدأ ق. بولس بالكشف الحذر والمركّز عن حوادث حياته ليس كأنها رواية منمَّقة ولا شاملة وإنما اختار بدقة وحكمة ما يتعلّق **بدعوته الإعجازية كرسول، وبالإنجيل الذي أعلنه له المسيح.** والملاحَظ أن الإنجيل الذي استُعلِن للقديس بولس لا يحوي قصة المسيح في ميلاده وكرازته كما أدركه بقية الرسل، ولكن يقتصر على موضوعين هما على أقصى ما يمكن من الأهمية:

الأول: أنه **يخلو تماماً من الناموس** وكل ما يتعلّق به من الفرائض اليهودية.

والثاني: شرح سر الخلاص المجاني موقّعاً على الصليب والموت والقيامة باتساع مهول ودقائق لاهوتية بالغة السرية، يعسر علينا جداً أن نجمعها ونسردها لأنها تشمل كل رسائل بولس الرسول!

وهكذا يتضح أن الإنجيل الذي أُعلن للقديس بولس يمتاز بهذين الموضوعين اللذين يشكّلان قلب الحياة المسيحية ولاهوت الخلاص الكامل الذي يُعتبر روح الإنجيل. وق. بولس ليس تعظُّماً أو افتخاراً على بقية الرسل يطرح إنجيله للعالم ويسمِّيه "إنجيله"، ولكن يرى في إنجيله هذا كل العظمة الإلهية وكل فخر المسيحية. ويكفي ق. بولس فخراً بالله والمسيح وإنجيله هذا أنه إذا كان الرسل الاثنا عشر حملوا همّ الختان وبشَّروا اليهود، فالقديس بولس حمل همّ العالم على كتفه وحده وبشَّر المسكونة كلها.

ولكي ينبِّه ق. بولس ذهن العالم على مدى كل الدهور بخطورة وعظمة "إنجيله" الذي أسماه أيضاً: «إنجيل الله» و «إنجيل المسيح» روى لنا كيف أفرزه الله من بطن أُمه ودعاه للكرازة بإنجيله الذي أعلنه له مباشرة على مستوى فك ختوم السر المكنون منذ الأزل في قلب الله. فالإعجاز الإلهي الذي تمّ في تعيين ق. بولس رسولاً

للأمم أي للعالم بصوت المسيح نفسه ومن السماء يتصل اتصالاً وثيقاً بإعجاز الإنجيل الذي أُعلن له خاصة ليكرز به للأمم.

والذي يؤلمنا أن معظم العلماء لم يفهموا قصد ق. بولس من قوله: «إنجيلي »واعتبروه مغالياً في هذا الأمر حتى أن أحدهم(51) يقول صراحة إن قول ق. بولس إنه لم يستلم إنجيله من إنسان لا يعني إلاَّ أنه لم يستلمه بأسلوب بشري وحسب!! ويعود وينفي عن إنجيل ق. بولس أي شيء

(51) Hendriksen., *op. cit.,* p. 48.

جديد فيقول: "إنه قبله بإعلان من المسيح تماماً كما استلمه باقي الرسل"؟؟[52]

وهكذا يفوت على هذا العالِم الأمريكي ومعظم العلماء الآخرين أن إنجيل ق. بولس يعني **المسيح** بدون ناموس وختان وسبت، **والخلاص** بدون أعمال الناموس. وهذا لم يستلمه من الرسل ولا من إنسان، لأن الرسل كانوا يمارسون مع الإيمان المسيحي مطالب الناموس واحترام السبت والختان وعوايد الآباء.

وهل كان يوجد أيام الرسل وأيام ق. بولس أي إنسان آخر يعرف الله والمسيح ويكون غير يهودي؟؟ وبالتالي غير متمسِّك بالناموس؟

وحادثة واحدة تكشف أن كرازة ق. بولس كانت غير مقبولة عند اليهود جميعاً ومرفوضة كل الرفض لأنها كانت كرازة بدون ناموس وبدون ختان وبدون سبت:

+ «وحدث لي بعد ما رجعتُ إلى أُورشليم وكنت أُصلّي في الهيكل، أني حصلت في غيبةٍ، فرأيته **قائلاً لي: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتكَ عنّي** ... **اذهب، فإني سأُرسِلُكَ إلى الأُمم بعيداً.**» (أع 22: 17و18و21)

والأمر الذي أذهلني أنه حتى شيخ الشرَّاح والمفسرين العالِم الكبير ليتفوت يقول نفس الشيء:

[وبهذا المعنى ـ أي لم يستلمه من إنسان ـ فالأمر نفسه يستخدمه بقية الرسل الذين استلموا الإنجيل مباشرة من الرب كما سلَّموه للآخرين][53].

وهكذا فات على هذا العالِم أن الرسل استلموا الإنجيل من المسيح ولكن لم

---

(52) Ibid.

(53) Lightfoot, *op. cit.*, p. 80.

يسلموه كما هو، إذ استلموه وهم في الختان وهم يمارسون الناموس وكل فرائضه وعوايده ويتمسكون بالسبت والختان وسميوا رسل الختان، لذلك لم ينادوا إطلاقاً بعدم نفع الناموس أو الختان أو السبت الذي هو إنجيل المسيح حقاً أو حق الإنجيل كما يقول بولس الرسول.

ولكن تيقَّظ العالِم بروس وأدرك قوة المعنى أن ق. بولس لم يستلم إنجيله من إنسان بمعنى "خلوه من الناموس والختان"[54].

(54) Bruce, *op. cit.,* p. 88.

«الإنجيل الذي بشَّرت به»: tÕ eÙaggšlion tÕ eÙaggelisqšn

يلاحِظ القارئ هنا أن الكلمتين «الإنجيل» و «بشَّرت» هما كلمة واحدة في اليونانية. واحدة اسم «إنجيل» والأخرى الفعل من الإنجيل، لأن أصل كلمة الإنجيل هي البشارة المفرحة eÙ-aggšlion. وق. بولس دائماً يتكلَّم عن الإنجيل أنه **إنجيله:**

+ «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس **حسب إنجيلي بيسوع المسيح.**» (رو 2:16)

ولكنه يصفه أيضاً أنه **إنجيل الله:**

+ «هكذا إذ كنَّا حانِّين إليكم، كنَّا نرضَى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتُم محبوبين إلينا.» (1تس 2:8)

بمعنى أن الله هو الذي أعطى هذه البشارة المفرحة.

كذلك يدعوه أيضاً **إنجيل المسيح:**

+ «فأرسلنا تيموثاوس أخانا، وخادم الله، والعامل معنا في إنجيل المسيح، حتى يثبِّتكم ويعظكم لأجل إيمانكم.» (1تس 3:2)

لأن **المسيح** هو **موضوع** (الإنجيل).

ويعطي ق. بولس أيضاً اسماً للإنجيل يحيط بكل معناه ومبناه هكذا:

+ «بولس عبدٌ ليسوع المسيح، المدعوُّ رسولاً، المفرز **لإنجيل الله**، الذي سبقَ فوعدَ بهِ بأنبيائه في الكتب المقدَّسة، **عن ابنه ...**» (رو 1: 1-3)

والقديس بولس يعطي تعبيرات تفسِّر معنى الإنجيل ومبناه هكذا:

+ «أن يُعلن ابنه فيَّ **لأبشِّر** به ...» (غل 1:16)

هنا **"إعلان الله عن ابنه"** في قلب ق. بولس هو **"البشارة"**، هو **"الإنجيل"**.

+ «فإننا لسنا **نكرز** بأنفسنا، بل **بالمسيح يسوع ربًّا ...**» (2كو 5:4)
هنا **الكرازة** (الإنجيل) هي «**بالمسيح يسوع ربًّا**» **موضوع الإنجيل.**

+ «ولكننا نحن **نكرز بالمسيح مصلوباً ...**» (1كو 23:1)
هنا **الكرازة** (الإنجيل) هي «**بالمسيح مصلوباً**» هو **موضوع الإنجيل.**

+ «أن الذي كان يضطهدنا قبلاً، **يُبشِّر** الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يُتلفه.» (غل 23:1)

هنا **البشارة** (الإنجيل) هي «**الإيمان» موضوع الإنجيل.**

+ «فجاء وبشَّركم بسلامٍ، أنتم البعيدين والقريبين ...» (أف 2:17)
هنا **البشارة** هي "**بالسلام" موضوع الإنجيل.**

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين، أُعطيت هذه **النعمة**، أن أُبشِّر بين الأُمم **بغنى المسيح الذي لا يُستقصى.**» (أف 3:8)
هنا **البشارة** هي "**نعمة غنى المسيح الذي لا يُستقصى" موضوع الإنجيل.**

فانظر الآن عزيزي القارئ أن الإنجيل عند ق. بولس هو:

إعلان الله عن ابنه، المسيح مصلوباً، المسيح يسوع ربَّـا، الإيمان، السلام، نعمة غنى المسيح الذي لا يُستقصى.

«أنه ليس بحسب إنسان»:

المعنى هنا يلزم أن يكون واضحاً: وهو أن ق. بولس ينادي بعدم نفع الناموس وأسقط السبت والختان من الإيمان المسيحي، ونادى بأن اليهودي كالأُممي أمام المسيح وفي قبول الخلاص المجاني بدون أعمال الناموس! هذا لم يستلمه الرسل جميعاً ولا علَّموا به وبالتالي بولس لم يستلم إنجيله هذا لا من الرسل ولا من أي إنسان.

ومرَّة أخرى ق. بولس هو أول إنسان يهودي في العالم نادى بعدم نفع الناموس والسبت والختان وبقية فرائض وعوايد الناموس. هذا هو المعنى المباشر أنه لم يستلمه من إنسان، ولكن استلمه بإعلان الرب يسوع المسيح من السماء.

«لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته. بل بإعلان يسوع المسيح»:

هنا لم يستطع العالِم ليتفوت أن يشرح هذه الآية وانشغل في شرح القواعد

والأصول اليونانية للكلام وحسب. كذلك هنا للأسف يقول العالِم بروس إن القديس بولس يناقض نفسه بخصوص الاستلام والتسلُّم[55]. لأنه قال:

+ «فإنني **سلَّمت** إليكم في الأول **ما قبلته (استلمته) أنا أيضاً:** أن المسيح مات مِنْ أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا

(55) Bruce, *op. cit.,* p. 88.

ثم للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعةً واحدةً لأكثر من خمسمئة أخٍ، أكثرهم باقٍ إلى الآن. ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل ـ كأنه للسقطِ ـ ظهر لي أنا.» (1كو 15: 3-8)

والآن يهمنا أن نزيل هذا الالتباس، فالقديس بولس قَبِلَ الإيمان كاملاً من المسيح على طريق دمشق وإلى مدى ثلاث سنوات متوالية والرب يعلن له كل شيء. ولكن قبل ذلك كان يسمع من الذين كان يضطهدهم عن المسيح، وسمع كل شيء عن المسيح من استفانوس الشهيد الذي كان راضياً بقتله، ولكن هذا كله يدخل في نطاق السماع دون تسليم ودون إيمان ودون تصديق بالمرة، فلم يكن استلاماً بالمرة.

فعن استلامه من المسيح رأساً حتى وفي أدق الأسرار يقول:

+ «**لأني تسلَّمت من الرب ما سلَّمتكم** أيضاً: إن الرب يسوع في الليلةِ التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر فكسَّرَ، وقال: خُذوا كُلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشَّوا، قائلاً: هذه الكأسُ هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلَّما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيءَ. »(1كو 11: 23-26)

هذا الاستلام والتسليم، لا يمنع أن يكون ق. بولس بعد أن أُعلن له ذلك من المسيح أنه عاد وسمعه من الرسل، ولكن لا يصح القول إنه استلمه من الرسل وهو نفسه يقول إنه استلمه من المسيح. كذلك حتى وإن كان قد عرَّفه الرسل بقيامة المسيح وذكروا له وقائعها ولكن لا أحد قط من الرسل غير ق. بولس رأى المسيح في السماء بوجهه المضيء وهو في أوج مجد قيامته متكلّماً ومعلناً خفايا وأسرار الخلاص.

هذا هو الرب الروح من السماء معلّم ق. بولس الوحيد الذي كشف له كل أسرار عمله منذ الأزل وكل أسرار الخلاص بطوله وعرضه وعمقه وارتفاعه:

+ «**أنه بإعلانٍ عرَّفني بالسرِّ.** كما سبقتُ فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدِرونَ أن تفهموا **درايتي بسرِّ المسيح ... لي أنا أصغر جميع القديسين، أعطيت** (وحدي) **هذه النعمة، أن أبشِّر بين الأُمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى وأنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.**» (أف 3: 3و4و8و9)

يُلاحَظ هنا أن السر الذي يكرر ذكره هو **سر الخلاص المجاني بنعمة المسيح، أمَّا غنى المسيح الذي لا يُستقصى فهو عمل نعمته** التي أصبحت محور إنجيله كله!

وسوف نقرأ له حالاً قوله أن الله نفسه هو الذي أعلن ابنه فيه!! (غل 16:1). حيث الإعلان هنا هو الأبوكاليبسيس: «**أعلن ابنه فيَّ** ¢pokalÚyai tÕn ufÕn aÙtoà » وهذا يعني **أن الله الآب هو الذي أعلن ابنه يسوع المسيح في ق. بولس،** هذا هو الإعلان الذي استلم به ق. بولس إنجيله من الله الآب والمسيح ليعلنه بالتعليم للأُمم، كل الأُمم!

وعلى القارئ أن يُلاحِظ الصلة الوثيقة والأساسية بين "إعلان الإنجيل والقيامة" فالإنجيل استُعلن من **داخل قيامة المسيح** وبدافع قوتها وسموها!! لهذا فإن إنجيل ق. بولس يحوي كل أسرار القيامة وفعلها وأمجادها وشركة الحياة فيها!! لذلك اختص إنجيل ق. بولس برجاء مجد القيامة كقوة وفعل حاضر مَرئي ومُعاش، لا كأن القيامة بأمجادها عمل مخفي وراء الدهور الآتية، بل كرجاء حيّ واقع وممسوك: « أمسِك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيتَ» (1تي 12:6). هذا لا يمكن أن يقوله أحد إلاَّ إذا كان هو نفسه ماسكاً بهذه الحياة بل وناظراً إليها وحيًّا بقوتها ويترجَّى استعلانها أكثر كل يوم. هذا صدق وحق وهذا هو الذي جعل ق. بولس يقول: «لي اشتهاءٌ أن أنطلق وأكونَ مع المسيح. ذاك أفضل جدًّا» (في 23:1). ويعيش عمره متحصناً برجاء نعمة الله: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما هو فوق حيث المسيح جالس» (كو 1:3)، هذه هي الحياة في القيامة:

+ «بالرجاء خَلَصْنَا» (رو 24:8)

+ «**فرحين في الرجاء.**» (رو 12:12)

+ «وليملأكُم **إله الرجاءِ** كُلَّ **سرورٍ وسلامٍ** في الإيمان، لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس.» (رو 15:13)
هنا ازدياد الرجاء كل يوم حقيقة إنجيلية.

+ «منتظرين **الرجاء المبارك وظهور مجد الله** العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح.» (تي 2:13)
فالذي يحيا الرجاء يترجَّى ظهور المسيح كُلَّ يوم.

+ «وبيتهُ نحن إن **تمسَّكنا بثقة الرجاء** وافتخاره ثابتةً **إلى النهاية.**» (عب 3:6)
تمسُّكنا بالرجاء عن ثقة يشهد لنا أننا نحيا مع الله وقديسيه.

+ «ولكننا نشتهي أن كل واحدٍ منكم يُظهِرُ هذا الاجتهاد عينه **ليقين الرجاء إلى النهاية.**» (عب 6:11)

الاجتهاد في حياة الرجاء شهادة للمسيح.

+ «تكون لنا تعزيةٌ قويةٌ، نحن الذين **التجأنا لنمسِكَ بالرجاء** الموضوع أمامنا، الذي هو لنا كمرساةٍ للنفس مؤتمنـةٍ وثابتةٍ، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا.» (عب 6: 18-20)

الالتجاء إلى الرجاء هو تعزيتنا في الحاضر وهو الذي يجذبنا ويربطنا بالمسيح الجالس الآن في السماء عن يمين الله.

+ **«نفتخر على رجاء مجد الله.»** (رو 5:3)

ليس لنا أي افتخار في العالم إلاَّ بالرجاء في مجد الله.

+ **«هو المسيح فيكم رجاء المجد.»** (كو 1:27)

مجد الله مستعلن في قلبنا لأن المسيح يحيا فينا.

+ «بولس عبد الله، ورسول يسوع المسيح، لأجل إيمان مختاري الله ومعرفة الحق، الذي هو حسب التقوى، **على رجاء الحياة الأبدية، التي وعدَ بها الله** المنزَّه عن الكذب، قبل الأزمنة الأزليَّة ...» (تي 1: 1و2)

رجاؤنا في الحياة الأبدية هو حقنا الأزلي.

فماذا نقول إلاَّ أن إنجيل ق. بولس قد صار إنجيل الرجاء لحياة أبدية نمسك بها ونمتد كل يوم. بل ويكفينا منه آية واحدة فقط، نُحمل عليها لنبلغ بها النهاية: «بالرجاء خلصنا» فالرجاء بداية ونهاية.

4 - حياة القديس بولس قبل قبوله الإيمان [1: 13-14]

13:1 «**فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا**».

ربما كانت قد وصلتهم أخبار ق. بولس وسيرته السابقة، ولكن الأرجح أنه هو نفسه سردها عليهم، والقصد أن يعطي المقارنة بين ما كان عليه وهو في الناموس والختانة من جحود للمسيح وخروج عن اللياقة إلى أقصى حد كما أملته عليه يهوديته المتعصبة وفريسيَّته المتزمِّتة ليهين المسيح باسم الناموس والمؤمنين به إكراماً لموسى، وطبعاً لا يذكر المؤمنين أفراداً بل ذكرهم ككنيسة موضحاً كثافة الاضطهاد، في مقابل دعوة المسيح الكريمة له، بل إفرازه من البطن، متجاوزاً عن كل إساءاته وجهالاته، وظهوره له كصديق يخاطبه من السماء وهو سائر

على طريق دمشق يدبِّر خطة إتلاف كنيسته بكل غيرة على الناموس وكل قوة وتصميم آزره بها الشيطان كآلة صوِّرت ضد الكنيسة فلم تنجح:

+ «أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً ولكني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان.» (1تي 13:1)

ولكن لماذا يسرد ق. بولس سيرته في اليهودية؟ واضح أنه يريد أن يبرهن على أنه لم يدرس المسيحية على أيدي رسل أو معلمين، بل نشأ يهودياً متعصباً مضطهداً للمسيح ومقلقاً للكنيسة، وهو في غيِّه السادر(56) هذا داهمه الرب من السماء، لا

(56) السادر: مِن سَدَرَ: ذهب فلم يَثْنِه شيءٌ.

لعقاب ولا لإنذار ولكن بصوت الله اللطيف الهادئ وبوداعة المسيح وحلمه دعاه للرسولية! ق. بولس لم يذكر هنا مفردات مغامراته المريعة التي روَّع بها المسيحيين في كل أُورشليم وما حواليها حتى أفرغ أُورشليم كلها من المسيحيين. ولمَّا وجد أن حقده لم يسترح، أخذ يتعقبهم في البلاد البعيدة، فشدّ الرحال متجهاً نحو

دمشق، ولكنه اكتفى بتصوير الاضطهاد أنه **بإفراط** Øperbol»n أي أكثر من الحدود المعقولة = أو أكثر من كل قياس. ولم يكتفِ بالإفراط في الاضطهاد ولكنه أضاف النية الداخلية في هذه العملية الخطيرة، وهي إتلاف الكنيسة. والإتلاف هنا = ™pÒrqoun يعني به أن يفرغ الكنيسة ممن فيها(57). ولكن جاءت هذه الكلمة في (أع 9 : 21) بمعنى "يهلك"(58): «فبُهِتَ جميعُ الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلكَ = porq»saj في أُورشليم الَّذِينَ يَدعُونَ بهذا الاسم»

14:1 **«وَكُنْتُ أَتَقدَّمُ في الدِّيَـانَةِ اليَهُودِيَّـةِ عَلى كَثِيرينَ مِنْ أتراَبي في جِنْسِي، إذْ كُنْتُ أوْفَرَ غِيرَةً في تَقْلِيدَاتِ آبَـائي».**

على القارئ أن ينتبه لإسلوب ق. بولس العميق، فبعد أن ذكر أولاً مقدار المغالاة في العنف الذي استعمله في اضطهاد المسيح والمؤمنين أي الكنيسة التي أتلفها إتلافاً يفوق العقل، يعود هنا ويعطي الأسلوب والعوامل والدوافع التي ساقته إلى مثل هذا الخروج الجنوني عن المعقول في اضطهاد الكنيسة.

فهو يذكر تقدّمه في الديانة اليهوديةعن زملائه من بني جنسه **ليدلّل على أن التعمّق والفحص والدراسة في الديانة اليهودية مسئولة مسئولية مباشرة عن الجهالة وعدم الإيمان، والاضطهاد الخارج عن حدود العقل الذي عامل به الديانة المسيحية. وهنا يُظهر عن دراية ووعي مقدار تعارض التعمق في اليهودية بدون نعمة وحكمة وبصيرة مع الحق الإلهي الكائن في المسيح والإيمان والكنيسة!!** وهذه المضادة غذّتها الجهالة.

(57) Bruce, *op. cit.*, p. 91.
(58) Lightfoot, *op. cit.*, p. 81.

«إذ كنت أوفر غيرة»: perissotšrwj zhlwt»j

والمعنى أكثر من كلمة أوفر، بل إلى أقصى حد، أمَّا الـ «غيرة» فهي كلمة يهودية مترادفة مع الديانة اليهودية ومع الناموس، ولكن الـ «غيرة» بحد ذاتها تحتمل "الحق" و"الباطل". فإن كان يواكبها الحكمة والروح العاقلة فهي تؤدي إلى التقوى والتمهّر في الدراسة والحق، أمَّا إذا كانت دوافعها خالية من النعمة والحق فهي تنشئ ضلالة حتماً وتؤدي بصاحبها إلى الكوارث. فعندنا من

التلاميذ القديسين كان سمعان الغيور (لو 15:6)، وعندنا في التاريخ ما قبل المسيح مباشرة يهوذا الجليلي الذي هلك ومَنْ معه (أع 37:5).

وعلى العموم يقول ق. بولس: «حسنة هي الغيرة في الحسنى» (غل 18:4)، طالما كانت النعمة ظاهرة في حياة الإنسان.

«تقليدات آبائي»: patrikîn mou paradÒsewn

لقد درس ق. بولس على أيدي أعظم معلّم في إسرائيل وهو غمالائيل الأول معلّم الناموس:

+ «أنا رجلٌ يهوديٌّ وُلِدْتُ في طرسوس كيليكية، ولكن رَبَيْتُ في هذه المدينة مؤدَّباً عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي. وكنتُ غيوراً لله ... »(أع 3:22)

ويسرد ق. بولس مؤهلاته القديمة بأكثر تدقيق هكذا: «من جهةِ الختانِ مختونٌ في اليومِ الثامن، من جنسِ إسرائيل، مِنْ سبطِ بنيامين، عبرانيٌّ مِنَ العبرانيينَ. مِنْ جهة الناموسِ فريسيٌّ. مِنْ جهةِ الغيرةِ مُضطهدُ الكنيسة. مِنْ جهةِ البرِّ الذي في الناموسِ بلا لومٍ[59]» (في 3: 5و6). حيث درس على يدي غمالائيل كتاب الهالاكاه وهو يحوي كل التعاليم الرسمية لليهود حسب التقليد الأبوي الذي لا يدرسه إلاَّ الفريسيون.

ولينتبه القارئ ويفهم القصد الذي يهدف إليه ق. بولس من سرد هذه المؤهلات وهذه المهارة التي اكتسبها من الأصول والعادات والتقاليد اليهودية بجوار التوراة. فكل هذا إنما يدلل به على أنه لم يكن أحد كان مَنْ كان بقادر أن يقنعه بالمسيحية أو

(59) وهذا الذي كان في الناموس بلا لوم صنع ضد الحق والرحمة والتعقل والإنسانية كل لوم. هذا هو الناموس.

الإيمان بالمسيح فهو فريسي دارس ومتعصِّب، ولغير تقاليد آبائه يستحيل أن يميل أو ينحاز!! إذن فلا بد أن تكون قوة إلهية فائقة على التوراة والناموس والعوايد والتقاليد الآبائية كلها ـ قوة الحق الإلهي ـ هي التي اختطفته من يهوديته خطفاً «كشعلة منتشلة من النار» (زك 2:3) وألغت كل ما كان له ربحاً من وراء فريسيته وجعلت مكاسب العالم والدراسة والفقه اليهودي عنده خسارة في خسارة بجوار نور الإيمان الطاغي ووجه المسيح المضيء في السماء الذي ملأ فكره وقلبه وروحه:

+ «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل 20:2)

+ «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (1كو 10:15)

5 ـ قبول القديس بولس للإيمان وما تابع ذلك [1: 15-24]

القديس بولس يصير رسولاً (1: 15-17)

15:1 **«وَلَكِنْ لمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ».**

لو علمنا أن كلمة "فرِّيسي" باللغة العبرية تعني "مفرز"، لأدركنا أنه إنما يكمِّل هنا المقارنة على مستوى التلميح الذي يرن في قلبه وفكره هو دون أن يحاول شرحه لسامعيه. فكما كانت مسرَّته ومسرة أبيه بالجسد أن يكون فرِّيسيًّا أي مفرزاً للناموس، هنا كانت مسرة الله أيضاً هي التي أفرزته ودعته على مستوى النعمة أي بتكليف دون دفع مصاريف أو تعليم أو حتى تلقين. فالفريسية الناموسية تكلِّف كثيراً، أمَّا الإفراز المسيحي فهو نعمة. ونحن لو جمعنا كلمة **«سَرَّ»** (من السرور) بكلمة **«نعمة»** تصبح أمامنا كل شروط التعيين أو الاختيار على المستوى الإلهي: فرح مجاني مع دعوة تحيطها العناية الإلهية مع رضىً من الله ومسرة.

ولكي يزيد ق. بولس الإحساس عند القارئ بأن دعوة الله كانت فريدة من نوعها لم يتدخل فيها وسيط أو أي شيء من جانب الإنسان، فالدعوة المجانية برضى الله أتته حتى دون وعي منه أو فكر، إذ وافته وهو جنين في بطن أُمه قبل أن يعمل عملاً ما لا ناموساً ولا شبه ناموس، أي دون كفاءة منه أو مجهود. وهكذا بقوله: المسرة والنعمة في الدعوة أخرجها من دائرة الاستحقاق بالأعمال كما استبعد عنها

الوسيط البشري. ثم بقوله إن الدعوة أتته وهو جنين يكون قد أخلاها من اللياقة الذاتية أو أي مجهود، ثم إنه **اختيار فائق الحكمة يتناسب مع العمل الذي دُعي له.** حيث التلميح هو المقارنة بين الدراسة عند رجلي غمالائيل حكيم إسرائيل والدعوة المباشرة وهو جنين بحسب حكمة الله الفائقة.

وهكذا تعيَّن ق. بولس رسولاً وهو حرّ من الناموس والمعلمين والاستحقاق بالأعمال، على مستوى دعوة الله للأنبياء: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك جعلتك نبيًّا للشعوب» (إر 5:1). هنا ترتفع رسولية بولس الرسول فتُرسم بيد الله على مستوى النبوَّة أي لتلقي تعليمات الله وعلمه من فمه مباشرة دون وسيط:

+ «فقال: إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، وتُبصر البار، وتسمع صوتاً من فمه» (أع 14:22)

وهكذا فإن رسولية بولس الرسول بحسب رؤيتنا تعيد أمامنا ـ من واقع إلهي ـ عهد النبوَّة في العهد الجديد حيث يتكلَّم الله بفم الإنسان. وبنوع من الحذر، واضعين اعتبار الفوارق، نسمع ما يقوله إشعياء النبي أيضاً وإن كان من أجل ميلاد الرب نفسه قدوس القديسين:

+ «والآن قال الرب **جابلي من البطن** عبداً له لإرجاع يعقوب إليه فينضمُّ إليه إسرائيل فأتمجَّد في عيني الرب **وإلهي يصير قوتي.** فقال قليلٌ أن تكونَ لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب وردِّ محفوظي إسرائيل. **فقد جعلتُك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.**» (إش 49: 5و6)

ولكن لا تقف المقارنة هنا على مستوى الدعوة وهدفها العجيب أن يكون المسيح نوراً للأمم وخلاصاً إلى أقصى الأرض، وتخصص دعوة ق. بولس أيضاً للأمم: «فقال لي: اذهب، فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً» (أع 21:22). ولكن المقارنة تمتد إلى ما قيل عن يسوع بعد ذلك مباشرة في نبوَّة إشعياء أن دعوة الرب للأمم كلَّفته الإهانة والمهانة وكره الأمة واستعباد المتسلطين هكذا: «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين» (إش 7:49)، وهكذا بالفعل تعطَّرت خدمة ق. بولس بنفس الإهانة والمهانة وكره الأمة! حتى قال

ق. بولس بعد أن استكفى أحزاناً وآلاماً: «في ما بعدُ لا يجلبُ أحدٌ عليَّ أتعاباً، لأني حاملٌ في جسدي سمات الرب يسوع» (غل 6:17). نعم وليس جزافاً يقول ق. بولس نفس القول: «لأنه هكذا أوصانا الربُّ: **قد أقمتُكَ نوراً للأُمم، لتكون أنتَ خلاصاً إلى أقصى الأرض.**» (أع 13:47)

وهكذا تأهَّل ق. بولس أن يكمِّل ما بدأه المسيح ويتمِّمه. لذلك ليس جزافاً أيضاً أن يقول: «الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأُكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة،» (كو 1:24)

16:1 **«أَنْ يُعْلِنَ ابنَهُ فيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بينَ الأمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرِ لَحْماً وَدَماً».**

«أن يعلن ابنه فيَّ»: ¢pokalÚyai tÕn ufÕn aÙtoà ™n ™mo…

هنا يوضِّح ق. بولس ما سبق أن قاله: «لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته بل **بإعلان** ¢pokalÚyewj يسوع المسيح» (غل 12:1)، ولكنه كان إعلاناً منظوراً ومسموعاً ومفهوماً:

+ «ألستُ أنا رسولاً؟ ألستُ أنا حُرًّا؟ **أمَا رأيتُ يسوع المسيح ربَّنا؟** ...» (1كو 1:9)
+ «وآخر الكل ـ كأنه للسقطِ ـ **ظهر لي أنا.**» (1كو 8:15)
+ «... وتُبصر البار، وتسمع صوتاً من فمه ...» (أع 14:22)
+ «فرأيته قائلاً لي: ...» (أع 18:22)

هنا "إعلان الله لابنه في ق. بولس" هو هو الإنجيل بإنارته الداخلية في القلب والفكر، كاختيار حيّ مقروء يتكلَّم عنه ق. بولس بالنسبة للذين أخفي عنهم هذا الإعلان والإيمان: «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلاَّ **تُضيءَ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله**» (2كو 4:4). هذه الإنارة التي للإنجيل المنعكسة على القلب والذهن والروح هي خبرة ق. بولس الرسول، وهي نعمة الله الفائقة التي استؤمن عليها هذا الإنجيلي الفريد في الرسل. ثم يستمر ق. بولس في نفس الآية السابقة ليحكي عن خبرته في هذا الأمر: «لأن الله الذي قال أن يُشرق نورٌ مِنْ ظُلمةٍ (في الخليقة الأولى في العهد القديم)، هو الذي أشرقَ في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجهِ يسوع المسيح (للخليقة الجديدة في العهد الجديد)» (2كو 6:4). ولقد نظر ق. بولس ورأى وشاهد هذا الوجه المضيء إضاءة منظورة بأكثر لمعان من الشمس. إنها خبرة إنجيلية حيَّة لأنه لمَّا رأى وجه

المسيح عياناً انطبع وجه الإنجيل في قلبه، فكان يقرأ فيه كما يقرأ من كتاب!!

هذا هو معنى «أن يعلن ابنه فيَّ» بالرؤيا والسمع والقراءة لأبشِّر به بين الأمم. فإنجيل ق. بولس الذي طالما تغنَّى به هو هو المسيح الحي منظوراً ومتكلّماً كالوعد الذي صار إليه: «تبصر البار وتسمع صوتاً من فيه!!» (أع 14:22)

والقديس بولس حينما يقول عن المسيح إنه: «بهاء مجد الله ورسم جوهره» (عب 3:1)، لا يقول هذا عن تأمل بل عن رؤيا وسماع. لأن ظهور الرب للقديس بولس صاحبه استعلان أسراره فأصبح يحوي كل غنى المسيح الذي لا يستقصى، لأنه ليس ظهوراً بالمنظر العيني بل بالمنظر المعقول

الذي يحوي كل أسرار الله وإعلاناته. فقوله: «أن يعلن **ابنه فيَّ**» وليس أن يعلن المسيح فيَّ، تحمل أعمق وأقوى أسرار ومعاني علاقة الآب بالابن، فهو إعلان كل لاهوت الابن والآب، هذا هو إنجيل ق. بولس!

كذلك هذا الإعلان يشمل قول ق. بولس: «وآخر الكل كأنه للسقط **ظهر لي أنا ...**»(1كو 7:15). هذا الظهور هو بعينه إعلان القيامة بكل مضامينها وأسرارها، لأن رؤية المسيح قائماً من الأموات لا تعني رؤية شكل وهيئة بقدر ما تعني إعلان أسرار كل مفردات القيامة وقوتها ... لأنها تحمل حتماً سر دخول ق. بولس في مجال وقوة ومجد القيامة، بمعنى استحالة أن يغيب شيءٌ بعد ذلك من مفهوم القيامة وحقيقتها وفعلها ولاهوتها عن وعي ق. بولس فصار هذا إنجيله، لا كأنه تقبَّل معرفة وفهماً وحسب، بل بالحري تقبَّل قوة وفعل وامتداد عمل القيامة. فالقديس بولس في بشارته للأمم لم ينقل لهم شيئاً عن المسيح، بل المسيح. إذ كان يعطيهم ويسلِّمهم ما أخذ واستلم على مستوى عطاء المسيح ذاته: «أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً.» (غل 1:3)

والله باختياره للقديس بولس، إذ لم يراعِ فيه أي استحقاق من الجهة اليهودية والناموسية، رسَّخ في ذهنه وقلبه أن الدعوة واستعلان المسيح والإنجيل لا تقوم قط على أي استحقاق يهودي أو ناموسي حتى يستطيع أن يبشِّر الأمم على هذا الأساس والقياس بكل إقناع ويقين: «لأني تسلَّمت من الرب ما سلَّمتكم ...» (1كو 13:11). لذلك نسمعه يبشِّر الجهَّال والضعفاء والأدنياء هكذا:

+ «فانظروا **دعوتكم أيها الإخوة**، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد (يهود أو فلاسفة يونان)، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل **اختار الله جُهَّال العالم ليُخزيَ الحُكماءَ** (الفريسيين)**. واختار الله ضُعفاء العالم ليُخزيَ الأقوياءَ. واختار الله أدنياءَ العالم والمُزدَرَى وغير الموجودِ ليُبطِلَ الموجودَ،**

لكي لا يفتخر كُلُّ ذي جسدٍ أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسةً وفداءً. حتى كما هو مكتوبٌ: مَنْ افتخر فليفتخر بالرب.» (1كو 1: 26-31)

ويلزم للقارئ أن ينتبه لبناء الفكر عند ق. بولس، فهو يقدِّم عمل الله المجاني في إعلان ابنه، ثم يعطي بعد ذلك مباشرة السبب والهدف وهو لكي يبشِّر به بين الأمم. فالإيمان هو رأس مال العمل، أي أن يعلن ابن الله **بعلاقته الجوهرية بالآب** وبوضعه في **حالة قيامة، وفي السماء، وبوجه**

مضيء بأكثر من لمعان الشمس، وهو منهج البشارة وتفاصيل الكرازة التي انطلق ق. بولس يخدم منها ويعلّم بها وبالكاد على مستوى أربع عشرة رسالة استطاع أن يجمع وباختصار شديد للغاية مفردات هذا المنهج المتكامل.

«للوقت لم استشر لحماً ودماً»:

إن كان الله هو الذي أفرزه من بطن أُمه، ودعاه بنعمته، ثم أظهر له ذاته وتكلَّم معه بصوت فمه من السماء، وهو الذي أرسله بعيداً للأُمم، فهنا لا يشعر ق. بولس بأي حاجة لأن يتعلَّم شيئاً من أحد، ولا أن يستشير أحداً في إرساليته التي استلم من الرب مادتها وخط سيرها وقوة عملها بل وتفسيرها، في حين انحصر الرسل في أُورشليم أو حتى خارجها لا يخدمون إلاَّ أهل الختان، لذلك ظهرت رسالته بين الأُمم غريبة عن باقي الرسل.

ولكن لنا هنا وقفة لأن الرب لمَّا ظهر لهم أيضاً بعد قيامته سلَّمهم بمقتضى إرساليتهم أن يخدموا ويبشِّروا أُورشليم واليهودية والسامرة **وإلى أقصى الأرض،** أي أن الأُمم كانت جزءاً أساسياً في رسالتهم (مت 28:29). ولكن يبدو أن إرساليتهم حتى وإن كانت خارج إسرائيل وفي عمق الأُمم كانت بالنسبة لأهل الختان فقط أي لليهود الذين يعيشون في الشتات، هذا نراه واضحاً أشد الوضوح في رسالة بطرس الرسول الأُولى فهي مرسلة إلى: «المتغربين (يهود) من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية المختارين» (1بط 1:1). هؤلاء هم يهود الشتات. أمَّا رسالة بطرس الثانية فهي مرسلة للأُمم بدون تحديد. وفي الرسالة الوحيدة التي أرسلها ق. يعقوب أخو الرب فهو لم يذكر فيها أُمميين بل تركزت في اليهود فقط: « يعقوب، عبد الله والرب يسوع المسيح، يُهدي السلام **إلى الاثني عشر سبطاً الذين في الشتات**» (يع 1:1). ولهذا فإن دعوة الله للقديس بولس وتخصيصه لخدمة الأُمم كانت نتيجة مباشرة لإحجام الرسل عن خدمة الأُمم، ولهذا أيضاً خصَّ الله القديس

بولس بالظهور السمائي والحديث الشخصي واختياره إناءً مختاراً يحمل اسمه إلى ملوك وأمم الأرض، وميَّزه بنعمة تعريفه خاصة بسرّ المسيح في الأُمم أنهم شركاء الميراث والجسد وباقي أسرار المسيح (أف 6:3)، وبسرّ الكنيسة، حتى صارت له دراية بكل أسرار المسيح وخاصة في الفداء والخلاص والمصالحة والتبنِّي. لذلك كله حقّ للقديس بولس لا عن كبرياء بل عن اكتفاء أن لا يستشير لحماً ودماً ولا هو انطلق نحو أُورشليم وبالتالي لم يعرض خدمته على الرسل إلاَّ مؤخراً وبعد أن كرز للأُمم بأربع عشرة سنة!!

17:1 **«وَلاَ صَعِدْتُ إِلى أُورُشَلِيمَ، إِلى الرَّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلى العَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلى دِمَشْقَ».**

هنا ينبِّه ذهن الغلاطيين أنه رسول من قِبَل الله مباشرة ومعيَّن للأمم، لذلك عن عمد، إنما عن توجيه إلهي لم يذهب إلى أُورشليم لتظل رسوليته مستقلة عن باقي الرسل حتى لا يقال عنه أنه مُرسل من الاثني عشر أو حتى يحمل رسالته بناءً على توجيه أو تعليم أو تسليم الرسل. وهكذا ظلَّت رسوليته فريدة من نوعها شكلاً وموضوعاً. كل هذا يقوله ق. بولس ليقطع خط الرجعة على الرسل الكذبة، الذين تسرَّبوا إلى كنائس غلاطية بادعاء أنهم تبع الرسل الاثني عشر، وبالتالي لهم السلطان على مراجعة تعاليم بولس الرسول وشجب تعليمه الخاص بعدم الالتزام بالناموس والفرائض والعوايد التي لليهود ونقض السبت والختان، ومحاولة استمالتهم وإعادتهم إلى الخضوع للناموس والختان بدعوى أنه لا خلاص لهم بدون الناموس والختان.

فالقديس بولس ينفي هنا بادئَ كل ذي بدءٍ أن يكون تابعاً للرسل أو كارزاً بما يكرزون به، بل هو رسول من الله لخدمة الأمم، وبالتالي فخلاصهم بالإيمان بالمسيح فقط. وهو في ذلك لا ينفي أن يكون لليهود المتنصرين والعائشين بالختان خلاصٌ كخلاص الأمم:

+ «غير أنه كما قَسَمَ الله لكل واحدٍ، كما دعا الرب كل واحدٍ، هكذا ليسلُكْ. وهكذا أنا آمُرُ في جميع الكنائس. دُعي أحدٌ وهو مختونٌ، فلا يصِر أغلف. دُعي أحدٌ في الغرلةِ، فلا يختتن. ليس الختان شيئاً، وليست الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله. الدعوةُ التي دُعيَ فيها كُلُّ واحدٍ فليلبَثْ فيها.» (1كو 7: 17-20)

+ «فسواءٌ أنا أم أُولئك، هكذا نكرزُ وهكذا آمنتم.» (1كو 15:11)

إذن فالقديس بولس وهو صاحب هذا القانون الأساسي في الإيمان بالمسيح منفصلاً عن ظروف الإنسان الاجتماعية والجسدية وحتى الجنسية، كان على حق وصواب أن لا يستشير الرسل الذين قبله فيما يخص دعوته المتميِّزة والخاصة للأُمم أي أهل الغرلة.

«بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق»:

المتفق عليه والموافق أيضاً لروح ق. بولس، أنه بعدما ظهر له الرب على طريق دمشق احتاج ق. بولس إلى مزيد من الوجود في حضرة الرب لمراجعة الحياة برمَّتها فيما عرف وتعلَّم وفيما استلم

وتربَّى، وفيما عمل وسلك بمقتضى وصايا الناموس التي طوَّحت به في هوَّة مقاومة الرب والتجديف عليه واضطهاد أولاده الذين هم من لحمه وعظامه، كان يتحتَّم على ق. بولس أن يراجع كل مشوار حياته في لحظة رؤية وجه المسيح وهو يوبِّخه على عمله ويؤنِّبه على سلوكه الخاطئ، الذي كان يظن أنه بهذا السلوك الخاطئ يؤدِّي خدمة لله فإذ هو تجديف وتعدٍّ وجنون.

فالمتفق عليه أنه انطلق على وقع أقدام إيليا صوب جبل حوريب ليتزوَّد بالروح لخدمة الطريق الطويل الذي سينتهي به إلى خارج أسوار روما!!

«ثم رجعت أيضاً إلى أورشليم»:

ويبدو أن طريق دمشق كان لا يزال يخط في شعوره خطوطه الذهبية التي صنعت منه رسولاً بعد أن كان مجدِّفاً ومفترياً. ودون أن يدري كان هناك على ميعاد مع الحارث والي دمشق في كمين نصبه له للقبض عليه، لأنه يبدو أنه سمع بكرازته في النبطية في بلاد العرب وفي بترا العاصمة، وحسب العادة هيَّج الشيطان عليه الشعب هناك حتى بلغت الأخبار إلى الحارث والي دمشق فعزم على القصاص منه.

القديس بولس في أُورشليم لأول مرة سنة 38م[60]
[1: 18-20]

18:1 **«ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً».**

القديس بولس لا يزال مشغولاً في سرد قصة حياته فيما يهم الغلاطيين بالتتابع بعدما دُعي للكرازة جاعلاً زياراته لأُورشليم محور تحقيقاته دون أي فراغات في السرد ودون أن تسقط أي زيارة وكل ما حدث فيها حتى لا يتطرَّق الشك عند الغلاطيين، لذلك نجد التتابع واضحاً جداً وإن كانت الفترات الزمنية متباعدة. فأول زيارة تمَّت بعد ثلاث سنوات من ظهور المسيح له وكانت ليست بذات شأن في موضوع رسوليته، ثم أعقبها زيارة أخرى بعد أربع عشرة سنة وكانت زيارة حاسمة بالنسبة لهؤلاء الإخوة الكذبة المناكيد إذ اتخذ الرسل قراراً هاماً سنتعرَّض له في حينه. طبعاً قضى ق. بولس هذه الثلاث سنوات التي قضاها قبل أن يصعد إلى أُورشليم يكرز كلَّما واتته الفرص دون أن يعرف الرسل عن ذلك شيئاً، وهذا هو المهم في رواية ق. بولس.

«لأتعرَّف ببطرس»:

في اليونانية جاءت كلمة Khf©n وأصل الكلمة أرامية "كيفا" وتعني "صخرة" وتقابلها باليونانية كلمة Pštrv، واسمه الأول "سمعان" ودُعي: « سمعان بطرس» «وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس "صخرة" وعلى هذه الصخرة Pštrv أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.» (مت 18:16)

---

(60) انظر كتاب: "القديس بولس الرسول: حياته ـ لاهوته ـ أعماله" صفحة 621.

وهكذا حوّل المسيح نفس الاسم إلى واقع روحي حيّ.

«أتعرَّف»: ƒstorÁsai

وهذا الفعل قد يفيد أكثر من تعرَّف، فهو يفيد التباحث معه: [61] to make inquiry of him.

[61] Bruce, *op. cit.,* p. 98.

وكان القديس بطرس محسوباً أنه مقدِّم الرسل والرئيس الأعلى لكنيسة أورشليم ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[إن كلمة "إيستوريسا" المستخدمة هنا تُستخدم عادة لرؤية أو التعرُّف على الأشياء أو البلاد التي تعتبر هامة أو غير عادية.][62]

وقد مكث عنده خمسة عشر يوماً. وإلى هنا تنقطع فجأة رواية ق. بولس، ولكن بالرجوع إلى سفر الأعمال نجد أن تركه لأورشليم كان فجأة وعلى عجل بسبب مكيدة حبكها اليهود لقتله، ويذكر سفر الأعمال أنه صعد إلى أُورشليم بعد نجاته من محاصرة الحارث والي دمشق عندما دلّوه من السور في زنبيل هكذا:

+ «فأخذه التلاميذ ليلاً وأنزلوهُ من السورِ مُدلّين إيَّاهُ في سلٍّ. ولمَّا جاءَ شاول إلى أُورشليم حاولَ أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميعُ يخافونه غير مصدِّقين أنه تلميذٌ. فأخذهُ برنابا (خال مرقس ومن أعضاء كنيسة أُورشليم) وأحضره إلى الرسل، وحدَّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلَّمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. فكان معهم يدخل ويخرج في أُورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع. وكان يخاطب ويباحث اليونانيين (اليهود)، فحاولوا أن يقتلوه. فلمَّا علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية (الميناء) وأرسلوه إلى طرسوس (بلده).» (أع 9: 25-30)

ولكن وراء هذه المكيدة كان هناك تدبيرٌ إلهيٌ أن لا يبقى في أُورشليم لأن ذلك يتعارض مع أسباب تعيينه رسمياً للأُمم بواسطة الله نفسه، وهذا يتضح من أن ق. بولس خرج مسرعاً من أُورشليم بناءً على رؤيا والمسيح يدفعه إلى الهروب سريعاً هكذا:

---

[62] Lightfoot, *op. cit.*, p. 84.

+ «وحدث لي بعد ما رجعتُ إلى أُورشليم وكنت أُصلّي في الهيكل، أني حصلت في غيبةٍ، فرأيته قائلاً لي: **أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتكَ عنّي** ... **فقال لي: اذهب، فإني سأُرسِلُكَ إلى الأُمم بعيداً.**» (أع 22: 17-21)

ولكن كانت خمسة عشر يوماً كافية لكي يستمع ق. بولس إلى كل قصة المسيح مع التلاميذ إلى أن رأوه بعد القيامة وأكلوا وشربوا معه.

19:1 «**ولكنَّني لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرَّسُلِ إِلاَّ يَعقُوبَ أَخَا الرَّبِّ**».

كان اشتياق ق. بولس شديداً للتعرُّف على التلاميذ والحديث معهم، وكانت فرصة جيدة له أن تعرَّف أيضاً على **يعقوب أخي الرب:** ومعلوماتنا عن يعقوب أخي الرب نقدِّمها للقارئ في النقاط الآتية:

أ ـ من إنجيل العبرانيين[63]:

وهو أوثق كتابات الأبوكريفا وأقدمها بحسب تحقيق العالِم ليتفوت وجاء فيه: [أن يعقوب هذا كان قد قطع على نفسه أن لا يأكل خبزاً بعد أن شرب الرب الكأس (كأس الموت) حتى يراه قائماً من الأموات، وبعد القيامة ظهر له الرب، وأخذ خبزاً وباركه وكسر وأعطى **"يعقوب البار"** قائلاً كُلْ خبزك يا أخي لأن ابن الإنسان قد قام من بين الأموات]. وهذه الرواية تأتي مصداقاً لما كتبه ق. بولس في رسالته الأولى لكورنثوس بحسب ما استلم وهو في أُورشليم في زيارته الأُولى:

+ «وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعةً واحدةً لأكثر من خمسمئة أخٍ، أكثرهم باقٍ إلى الآن. ولكن بعضهم قد رقدوا. **وبعد ذلك ظهر ليعقوب،** ثم للرسل أجمعين (70). وآخر الكل ـ كأنه للسقطِ ـ ظهر لي أنا.» (1كو 15: 5-8)

ومعلوم أن كاتب **إنجيل العبرانيين** هو يهودي متنصِّر وقد جمع أخبار يعقوب البار بتدقيق يعوَّل عليه بحسب رأي العالم ليتفوت.

ب ـ إنجيل بطرس:

وهو أبوكريفا من القرن الثاني (قبل نهايته) وقد وجده سيرابيون أسقف أنطاكية متداولاً في مدينة روسوس Rhossus إحدى مدن كيليكية وقد وصل ليوسابيوس

---

(63) Lightfoot, *op. cit.,* p. 274., *Hebrew Gospel according to Jerome (De Vir. Illustr. 2).*

القيصري[64] قطعة من كتابة سيرابيون الأسقف هذا يقول فيها إن هذا الإنجيل كان متداولاً منذ أيام قديمة.

ويقول العالِم المصري أوريجانوس إنه اطّلع على هذا الإنجيل وفيه أن **أخوة الرب كانوا أبناء ليوسف القديس من زوجة سابقة. وهكذا يؤكِّد دوام بتولية القديسة مريم العذراء.**

Eusebius, *H. E.* VI. 12, cited by Lightfoot, *op. cit.,* p. 275. [64]

ج ـ أبوكريفا يعقوب: Protevanglium Jacobi

يمتاز بقدمه إذ يُعتبر أنه من منجزات ما قبل منتصف القرن الثاني.

وهو يقدِّم **يوسف كرجل متقدِّم في الأيام عندما خُطِبَت له القديسة مريم العذراء،** وكان له أولادٌ من زوجة سابقة ولكن لم يكن له بنات(65).

د ـ كليمندس الإسكندري: (حوالي 200 م)

في إحدى الصفحات من كتابه: "هيبوتيبوسيس Hypotyposeis" المحفوظ باللاتينية المترجم بواسطة كاسيودوروس Cassiodorus وضع أساس المقولة التي أخذ بها القديس إبيفانيوس فيما بعد:

[**يهوذا الذي كتب الرسالة الجامعة المنسوبة له هو واحد من أبناء القديس يوسف وأخو الرب،** ويهوذا هذا كان ذا تقوى صادقة، ونراه كيف وهو يعرف العلاقة التي تربطه بالمسيح إلاَّ أنه لم يقل في رسالته إنه أخو الرب بل كتب يقول: «يهوذا عبد يسوع المسيح ـ باعتبار المسيح هو سيده ـ وأخو يعقوب» (يه 1). وهذا حق لأنه ابن يوسف.](66)

وينقل لنا يوسابيوس المؤرِّخ عن كليمندس الإسكندري أنه:

[في الكتاب السادس من مؤلفه المدعو Hypotyposeis مكتوب أن بطرس ويعقوب ويوحنا بعد القيامة لم يكونوا طامحين في المناصب ـ وإذ رفضوها ـ اختاروا "يعقوب البار" ليكون أسقفاً على أُورشليم ـ وفي الكتاب السابع يقول كليمندس أن الرب بعد قيامته سلَّم المعرفة gnosis ليعقوب البار مع يوحنا وبطرس وهؤلاء سلموا المعرفة لبقية الرسل السبعين وكان برنابا

(65) § 9. ed. Tisch. p. 18, cited by Lightfoot, *op. cit.,* p. 275.

(66) ed. Potter, p. 1007, cited by Lightfoot, *op. cit.,* p. 279.

واحداً منهم. وهناك شخصان باسم يعقوب أحدهما البار الذي ألقاه اليهود من فوق جناح الهيكل ومات مضروباً بالعصي ويعقوب الآخر هو الذي قُطعت رأسه (أع 12:2).][67]

هـ ـ أوريجانوس: (تُوفي سنة 253م)

وهو يعلن إنحيازه بكل وضوح إلى النظرية المنسوبة فيما بعد لإبيفانيوس أن إخوة الرب هم أولاد للقديس يوسف من زوجة سابقة، ويعود فيقول إن يعقوب المذكور في رسائل ق. بولس

(67) Eusebius, *H. E.* II, 1,3-4, cited by Lightfoot, *op. cit.,* p. 280.

«أن يعقوب هو أخو الرب ليس لأنه كان قريباً له ولا لأنه كان يعيش معه ولا حتى من جهة أخلاقه» ويعود أوريجانوس ويقول: "إنه بالتقليد يقول بعض الناس بحسب إنجيل بطرس وبحسب إنجيل يعقوب (بروتوافانجيليم ياكوبي) أن إخوة الرب كانوا أولاداً ليوسف من زوجة سابقة كان قد تزوجها قبل ـ أن يخطب ـ مريم العذراء. وواضح أنهم كانوا يرغبون في حفظ كرامة بتولية العذارء الدائمة". وأنا أظن أن هذا من التعقل لأن يسوع كان باكورة الطهارة والبتولية بين الناس هكذا أيضاً مريم بين النساء لأنه غير لائق أن تُنسب بداية البتولية لأي امرأة سواها(68).

و ـ يوسابيوس القيصري: (تُوفي سنة 340م)

يُميِّز يعقوب أخا الرب عن بقية الرسل الاثني عشر جاعلاً إياه رسولاً فوق العدد الرسمي للرسل مثل القديس بولس(69).

ويعود ويؤكد أن يعقوب دعي أخا الرب لأن يوسف كان معروفاً أنه أبوه(70).

ز ـ هيلاري من بواتييه: (تُوفي سنة 368م)

يقول مهاجماً الذين يدّعون أن أخوة الرب هم أولاد مريم محاججاً كيف يهتم الرب على الصليب أن يسلّم أُمه ليوحنا الرسول باعتبارها **أمه!!**(71)

ح ـ امبروزياستر:

إن يعقوب يدعى أخا الرب كالبقية (يهوذا وسمعان ويوسف) لأنهم أولاد يوسف. وهكذا فإن امبروزياستر في شرحه لغلاطية (19:1) هو طبق الأصل من الذين

---

(68) *In Matt.* XIII, 55, 3, cited by Lightfoot., *op. cit.,* p. 281.

(69) Euseb. *H. E.* I, 12; comp. vii, 19.

(70) Ibid. II, 1.

(71) Hilar. Poit. *Comm. on Math.* I, 1.

سبقوه.

ط ـ إبيفانيوس:

رُسم أسقفاً على مدينة قسطانطيا بقبرص عام 367م. كتب قبل زمن جيروم كتاباً دفاعاً عن بتولية العذراء الدائمة البتولية أم الرب وذلك في خطاب رعوي موثّق. وفيه يشرح فكره بإسهاب، وقد ضم الخطاب إلى كتابه ضد الهراطقة من صفحة 1034 ـ 1057 (طبعة بتافيوس Petavius). وفي مواضع أخرى من مؤلفه اعتنى كثيراً بتوضيح فكره. **ويقول إن يوسف كان ابن 80 سنة**

عندما خُطبت العذراء له، ومن زوجته السابقة كان له ستة أولاد أربعة ذكور وبنتان ماري وسالومة. ويعقوب على الخصوص دعي أخا الرب وقد تربوا مع الرب ـ وبقيت العذراء إلى النهاية عذراء. فالتي أنجبت أسد يهوذا لا تنجب بجواره أحداً. **وهو يقول إنما أنا أنقل ذلك عن تقاليد اليهود. وكان إبيفانيوس غيوراً للغاية على دوام بتولية العذراء لذلك كل مَنْ قال بدوام بتولية العذراء نسب إلى إبيفانيوس!!**

ي ـ امبروسيوس:

كتب كتابه سنة 392 وأسماه De Institutione Virginis ابتدأها بدحض كل أقوال المهاجمين لبتولية العذراء الدائمة. ثم يقول إن إخوة الرب تسمّوا هكذا لأنهم أبناء ليوسف وليس مريم العذراء.

ك ـ كيرلس الكبير الإسكندري:

وقد كانت نظرية إبيفانيوس قد رسَّخت أقدامها في الشرق كله، وتبنَّاها القديس كيرلس الكبير في كتابه جلافير[72] وقد تبنَّاها بعد ذلك كل الكتَّاب باليونانية عموماً، بحسب العالِم ليتفوت. وكذلك تبنَّاها الطقس الكنسي سواء كان عند الأروام أو السريان أو الأقباط ـ وهذا التقرير هو للعالم ليتفوت[73].

أمَّا في الغرب فقد أخذوا بفكر جيروم وأغسطين الذي أيده أنهم أولاد خؤولة للرب من مريم زوجة كلوبا، ولكن يَنقُض ذلك بتأكيد، القول كيف يكونون أولاد مريم زوجة كلوبا ويعيشون مع مريم خطيبة يوسف وهي عذراء؟ ولا يُذكرون قط ولا مرة واحدة في كل الإنجيل منسوبين لمريم زوجة كلوبا ولا لكلوبا أي حلفاؤس؟

من هذا نرى نحن الأقباط بكل وضوح وإصرار أن إخوة الرب كانوا أبناءً

(72) Cyril, *Glaphyr. in Gen.*, lib. vii, PG. 69, 352 C.

(73) Lightfoot, *op. cit.*, p. 290.

ليوسف ما من شك، وكما سُمِّي يوسف أباه سُمِّي يعقوب أخاه وكذلك إخوته بمقتضى الوضع القائم الذي حتَّم على يوسف أن يرعى مريم كل أيام حياته واستلم هذه المهمة أولاده من بعده. وهم وإن كانوا لم يؤمنوا به في البداية إلاَّ أنهم صاروا من أشد المتعبدين له بعد القيامة. ويكفي أن يكون يعقوب هو أول أسقف على كنيسة أُورشليم وعلى الرسل الاثني عشر، ويكفيه تقريظاً من كل الجهات حتى

يوسابيوس أنه كان أتقى رجال جيله ومات شهيداً للإيمان المسيحي. كذلك يكفي يهوذا أخو الرب أن يكتب مفتخراً في رسالته: «يهوذا، عبد يسوع المسيح، وأخو يعقوب» (يه 1) ولم يستطع قلمه أن يخط لفظة "أخو الرب" تعظيماً وتكريماً ومهابة لسيده!!

والمعروف عن يعقوب أخي الرب أنه كان باراً تقيًّا حكيماً حليماً محبوباً. ويُقال إنه استشهد بأن ألقاه اليهود بحكم من السنهدريم سنة 62م من فوق جناح الهيكل وأكملوا قتله رجماً. ويُظن أن ذلك بسبب شهادته للمسيح ولمريم العذراء. وقد رويت روايات كثيرة عن قداسته وتقواه(74).

ويقول كليمندس الإسكندري إنه بمجرد أن خرج ق. بطرس من أُورشليم هارباً من هيرودس، ترأس يعقوب الكنيسة على الرسل: «وأمَّا بطرس فلبث يقرع (بعد خروجه من السجن بواسطة الملاك) فلمَّا فتحوا ورأوه اندهشوا فأشار إليهم بيده ليسكتوا وحدَّثهم كيف أخرجه الرب من السجن. وقال أخبروا يعقوب والإخوة بهذا ثم خرج وذهب إلى موضع آخر» (أع 12: 16و17). وكان هذا في سنة 44م وقد ترأس على مجمع أُورشليم (أع 15) بحضور القديسين بطرس وبولس.

وإن كان يعقوب وبقية إخوته يهوذا ويوسف وسمعان، ظلوا لا يؤمنون بالمسيح ورسالته كل أيام وجود المسيح على الأرض، إلاَّ أنه بمجرد إعلان قيامة المسيح من الأموات وزيارة الرب ليعقوب (1كو 15:7)، دخل الجميع في الإيمان وصاروا من العاملين والمرافقين للرسل والعذراء القديسة، ونجدهم في العلية معاً يصلُّون بانتظار حلول الروح القدس:

+ «هؤلاء كلُّهم كانوا يواظبون بنفسٍ واحدةٍ على الصلاة والطلبة، مع النساء،

---

(74) *The Oxford Dict. of Chr. Church.*

ومريم أُم يسوع، ومع إخوتهِ.» (أع 14:1)

وهكذا بعد أن حلَّ الروح القدس عليهم ونالوا قوة من الأعالي أخذوا يبشرون بالإيمان، وبدأ القديس يعقوب يأخذ مكانته الكبيرة في كنيسة أُورشليم، فبعدما تسلَّم الكنيسة بعد هروب بطرس من أورشليم تحت وطأة اضطهاد هيرودس (أع 17:12)، نسمع عنه وهو يترأس مجمع أُورشليم الأول لفحص شكوى بولس وبرنابا من جهة تدخُّل اليهود المتنصرين في شئون الكنائس الجديدة ومحاولة التأثير على المسيحيين للارتداد إلى حفظ الناموس والختان، وبعد فحص القضية ودفاع ق.

بطرس عن الإيمان وضرورة رفع قيود الناموس والعوايد، قام القديس يعقوب وختم المجمع بكلمة قاطعة أنهت على كل محاولة بعد ذلك لتلويث الإيمان المسيحي بمتعلقات الناموس: «لذلك أنا أرى أن لا يثقَّل على الراجعين إلى الله من الأمم» (أع 19:15). وختم محضر المجمع بكلمة مكتوبة للكنائس فيها نص القرارات.

وهكذا أظهر يعقوب حكمة ورؤية صافية واتزاناً بالرغم من شدة تعلُّقه هو نفسه بالناموس وعوايد اليهود. ولكن ولشدة الأسف والحزن لمَّا صعد ق. بولس إلى أُورشليم للمرة الأخيرة ومعه بركات وحسنات من جميع الكنائس لتوزيعها على فقراء الكنيسة، أفتى يعقوب فتوى للقديس بولس أن يتطهَّر مع آخرين في الهيكل لكي يتظاهر بحفظه للناموس، الأمر الذي فشل فشلاً ذريعاً ودخل منه ق. بولس إلى محاكمات وراء محاكمات حتى استقر تحت سيف نيرون: «فافعل هذا **الذي نقول لك:** عندنا أربعة رجال عليهم نذرٌ. خُذ هؤلاء وتطهَّر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهُم، فيعلمَ الجميع أن ليس شيءٌ مما أُخبِرُوا عنك، **بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس**!!» (أع 21: 23و24) ففعل وكانت هذه الفتوى هي نهاية حياته وكان هذا تدخلاً حاسماً من الله **حتى يحتفظ الإيمان المسيحي ـ سواء ببولس أو بغير بولس ـ بنقاوته الكاملة وعدم المزج بين الإيمان المسيحي وأي عمل ناموسي آخر.**

كذلك نقرأ للقديس يعقوب مع بطرس ويوحنا الرسولين عن هذا العمل العظيم الذي تمَّ على أيديهم بمشورة الله العظمى، كيف أعطوا للقديس بولس حرية الكرازة كرسول لأهل الغرلة رسمياً: «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأمَّا هم فللختان» (غل 9:2)

ويُلاحَظ هنا مكانة يعقوب كسابق على بطرس ويوحنا، ولكن لم يكن هذا وضع

يد بل إعطاء حرية كاملة على مستوى الرسل رأساً برأس أن يكون الاثنا عشر للختان والقديس بولس (برنابا تخلّى) وحده للأمم.

ولكن الأمر العجيب الذي نندهش له أن ق. يعقوب ظلَّ يمارس العبادة اليهودية وداخل الهيكل سواء بسواء مع ممارسة العبادة المسيحية. نسمعه يقول مهتماً بأمر اليهود هكذا: «لأن موسى منذ أجيالٍ قديمةٍ، له في كل مدينةٍ مَنْ يكرزُ به، إذ يُقرأ في المجامع كل سبتٍ» (أع 21:15) وذلك في معرض وصاياه للمسيحيين من الأمم.

أمَّا رقّته في المعاملة فتظهر في مخاطبته لبولس وبرنابا أول مرة متكلّماً بلسان الرسل: «رأينا وقد صرنا بنفسٍ واحدةٍ أن نختار رجُلين ونُرسلهُما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس» (أع 25:15)، وقد أظهر حكمة بالغة في إعطاء المسيحيين تعليمات من شأنها أن لا تثير عليهم مشاعر اليهود المتنصرين وفي ذات الوقت ترضيهم لما قال بالوصية الوحيدة التي ينبغي للمسيحيين من الأُمم تنفيذها: «بل يُرسَل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق، والدمِ.» (أع 20:15)

20:1 **«وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ».**

الآن ق. بولس يضع نفسه شاهداً على نفسه أمام الله، وهذا يُحتسب نطقاً بالقسم بغير ذكر القسم واسم الله، معتبراً نفسه أمام منصة قضاء الله على غرار المحاكم الرومانية ولو أن المحاكم[75] الرومانية في ذلك الزمان كانت لا تطلب القسم إلاَّ في أحوال خاصة جداً.

والقضية التي يثيرها ق. بولس وكأنه متهم فيها يعتبرها خطيرة للغاية وتختص بالله نفسه وبنفسه. فهو يترافع بسبب إنجيل الله أنه حق وأنه استلمه من الله وليس من إنسان وليس فيه ما يختص بالإنسان إلاَّ حق العبادة الطاهرة وبلا ناموس أو كل ما يختص بالناموس، أمَّا بالنسبة لنفسه فهو بالحق يتكلَّم ومِنْ الحق يتكلَّم لوجه الله ولا مجاملة لإنسان قط. كذلك فقول ق. بولس إنه لم يلتق من كل الرسل إلاَّ باثنين فقط أمر يحتاج إلى مراجعة لذلك هو يقدِّم قسمه تأكيداً لذلك. وفي نفس الوقت هو يقدِّم هذا الخبر غير المعقول ليثبت من ناحيته أنه لم يستلم شيئاً. وفي الحقيقة نحن نعلم أن الرسل تشتتوا في ذلك الوقت بالذات بسبب اضطهاد هيرودس. ولكن وإن كان ق. لوقا يدوِّن في الأعمال (9: 1-30) أن ق. بولس قابل الكثيرين وحاجج الكثيرين:

(75) Bruce, *op. cit.*, p. 102.

«فكان معهم يدخل ويخرج في أُورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع وكان يخاطب ويباحث اليونانيين ...» إلاّ أن ق. بولس يركّز على عدم مقابلة الرسل، فعدم تواجدهم في أُورشليم كان لأنهم ربما كانوا يكرزون في مناطق اليهودية الأخرى.

والذي يؤكد صحة كلام ق. بولس وشهادته أنه لم يستلم شيئاً من الرسل، أنه مذكور ومسجَّل في سفر الأعمال أنه بعد أيام قليلة من عماده قام وبشَّر وبقوة:

+ «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله.» (أع 9:20)

مكان خريطة

ولكن الذي يلفت نظرنا أيها القارئ العزيز هو إحساس ق. بولس الدائم بالوجود أمام الله وكأنه في الحضرة الإلهية يعيش وإليك الأمثلة:

+ «أولاً، أشكر إلهي بيسوع المسيح مِنْ جهة جميعكم، أن إيمانكم يُنادى به في كل العالم. **فإن الله الذي أعبده بروحي، في إنجيل ابنه، شاهدٌ لي كيف بلا انقطاع أذكُركم.**» (رو 1: 8و9)
+ «مَنْ سيفصِلنا عن محبَّة المسيح؟ أشدَّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ أم خطرٌ أم سيفٌ؟» (رو 8:35)
+ «ولا خليقة أُخرى، تقدِرُ أن تفصلنا **عن محبَّة الله التي في المسيح يسوع ربنا.**» (رو 8:39)
+ «**أقول الصدق في المسيح لا أكذبُ، وضميري شاهدٌ لي بالروح القدس.**» (رو 9:1)

21:1 «**وَبَعْدَ ذلِكَ جِئْتُ إلى أقَالِيمِ سُورِيَّة وَكِيلِيكِيَّة**».

نحن لا نزال أمام سرد ق. بولس لقصة رسوليته، فبعد أن دعاه الله سنة 36م، مكث ثلاث سنوات يكرز بعيداً عن أُورشليم في العربية ودمشق وبعدها زار أُورشليم لمدة خمسة عشر يوماً سنة 38م ولم ير فيها إلاَّ ق. بطرس وق. يعقوب أخا الرب. ويقول الآن أنه غادر أورشليم ـ ومعروف أنه غادرها هرباً وعلى عجل بناء على مكيدة كانت قد دُبِّرت لقتله ونمى إلى علمه تفاصيلها، وفي ذات الوقت عرفنا من رواية ق. لوقا في سفر الأعمال أن المسيح ظهر له شخصياً وأمره بالإسراع والهرب من أُورشليم لأنهم لا يقبلون شهادته عن المسيح (أع 22: 17-21).

وارتحل القديس بولس شمالاً نحو إقليم سورية وكيليكية، أما لماذا يجمع ق. بولس بين سورية وكيليكية فلأنهما انضما معاً تحت الحكم الروماني كإقليم واحد سنة 25م وسمِّي إقليم سوريا الكيليكية Syria-Cilicia وذلك بعد أن انتصر بومبي سابقاً على القراصنة Pirates سنة 67ق.م وانتصاره في سوريا على المثراداتس Mithradates سنة 64ق.م، وهذا النظام ظلَّ باقياً حتى سنة 72م، وبعد ذلك انفصل الجزء الشرقي من كيليكية عن سورية وانضمت مع كيليكية الغربية لتكوِّن إقليم كيليكية المستقل (انظر الخريطة صفحة 127).

على أن رواية ق. بولس هنا تتوافق مع ما سجَّله ق. لوقا في سفر الأعمال إذ بعد أن هرب من مكيدة اليهود في أُورشليم وأمره الرب بالخروج بسرعة من أُورشليم يكمِّل هكذا:

+ «فلمَّا علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية (ميناء) وأرسلوه إلى طرسوس (وهي عاصمة كيليكية).» (أع 9:30)

كذلك ينطبق هذا الكلام على تسجيل آخر للقديس لوقا هكذا:

+ «ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول. ولمَّا وجده جاء به إلى أنطاكية. فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة (أنطاكية سورية) سنةً كاملةً وعلَّمَا جمعاً غفيراً. ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً.» (أع 11: 25و26)

وإليك أخبار أُسقطت ما بين الآية (1:21)، (1:22) مؤداها كالآتي بحسب سفر الأعمال:

أنه بينما كان بولس وبرنابا يخدمان في أنطاكية سورية وعلَّما كثيرين، جاء أنبياء من أُورشليم إلى أنطاكية وتنبأ واحد منهم أن جوعاً عظيماً عتيدٌ أن يصير على المسكونة، وهذا حدث في التاريخ بالفعل أيام القيصر كلوديوس وذكره المؤرِّخ يوسابيوس[76] وحدَّده بين سنة 44-46م وبناء على ذلك وجدها ق. بولس فرصة مناسبة ليجمع عطايا وأموالاً من أنطاكية وينزل بها إلى اليهودية ويوزعها على فقراء أُورشليم وما حولها ثم عادا مسرعين، وهذا مسجَّل في سفر الأعمال (11: 25-30)، (12:25) هكذا: «ورجع برنابا وشاول من أُورشليم بعدما كمَّلا الخدمة (توزيع المال والعطايا) وأخذا معهما يوحنا الملقَّب مرقس»

ثم يعود ق. بولس يروي قصته لأهل غلاطية حيث يتبيَّن للقارئ أن الكلام مقطوع وقد استكملناه أعلاه من سفر الأعمال.

---

(76) انظر كتاب: "القديس بولس الرسول: (حياته ـ لاهوته ـ أعماله)" صفحة 623.

زيارة القديس بولس الثانية لأورشليم واليهودية سنة 44م
[1: 22-24]

22:1 **«وَلَكِنَّنِي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسَ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ».**

سقط هنا خبر قيام بولس وبرنابا ومعهما بعثة من أنطاكية متجهة نحو اليهودية محمَّلة بعطايا الشعب والتبرعات التي جمعوها تخوفاً من المجاعة التي تنبأ بها أغابوس أحد الأنبياء الذين نزلوا من أُورشليم إلى أنطاكية وأذاعوا هذه النبوَّة. والمعروف أنهم عادوا بعد أن وزعوا هذه التبرعات ولم يشر سفر الأعمال ولا رسالة غلاطية إلى أية زيارة رسمية لأُورشليم. ولكن قولهما إنهما أخذا معهما يوحنا الملقَّب مرقس هذا يعني أنهم زاروا العلية مركز تجمع الرسل لأن العلية تقع فوق بيت يوحنا مرقس.

هنا يقول ق. بولس لأهل غلاطية أنه كان غير معروفٍ بالوجه عند كنائس اليهودية وهذا يعني ضمناً أنه لم يكرز هناك بصورة عملية، ولكنها حسبت له زيارة ثانية لأُورشليم.

«كنائس اليهودية»:

هي الكنائس المذكورة في سفر الأعمال وقت أن كان ق. بولس هناك في زيارته الأُولى والتي قطعها مسرعاً نحو طرسوس عبر قيصرية: فقد قال عنها ق. لوقا في ذلك الوقت بالذات أي سنة 38م. هكذا:

+ «وأَمَّا الكنائس في جميع اليهوديَّةِ والجليل والسامرةِ فكان لها سلامٌ، وكانت تُبنَى وتسيرُ في خوفِ الرب، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثرُ.» (أع 31:9)

وقد زارها القديس بولس هنا لثاني مرَّة ومعه تبرعات الشعب وجال بنفسه مع البعثة التي رافقته من أنطاكية ليوزع هذه التبرعات ويقيناً كان يكرز ويعلّم في كل كنيسة، وبحسب رأينا فإن ق. بولس كوَّن معهم بعد ذلك علاقات حميمة التي بمقتضاها كتب لهم رسالته المسمَّاه "إلى العبرانيين". وطبعاً وبالتأكيد أن نواة هذه الكنائس هي جماعات المؤمنين الذين وقع عليهم اضطهاد ق. بولس نفسه (شاول) في أُورشليم فتركوها وهربوا إلى كل البلاد المجاورة: «وكان شاول راضياً

بقتلهِ (استفانوس الشهيد). وحدث في ذلك اليوم اضطهادٌ عظيمٌ على الكنيسة التي في أُورشليم، **فتشتَّت الجميع في كُورِ اليهوديةِ** والسامرةِ، ما عدا الرسل» (أع 8:1). **وأنشأوا نواة كنائسها.**

فالشكر لله، وأيضاً للقديس بولس لأنه حتى في جهالة وجنون أعماله وقبل أن يقبل هو الإيمان تسبَّب في إنشاء هذه الكنائس. وهنا هو يمسح عار سلوكه بأن يقدِّم لهم هذه التبرعات السخية مع كلمات المحبة والتعزية، ثم أكمل معروفه معهم برسالته إلى العبرانيين الجزيلة القدر والثمينة المحتوى.

والقديس بولس يبدو عارفاً بأحوال كنائس اليهودية بدقة ربما من هذه الزيارة التي لا نعلم كم من الوقت قضاه بينهم، ولكن بدرت من ق. بولس معلومة تفيد هذه الصلة الوثيقة عندما كتب رسالته الأُولى إلى التسالونيكيين هكذا:

+ «فإنكم أيها الإخوة صرتم **متمثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع، لأنكم تألَّمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها، كما هم أيضاً من اليهود،** الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءَهُم، واضطهدونا نحن، وهم غير مُرضِينَ لله وأضدادٌ لجميع الناس.» (1تس 2: 14و15)

من هذه البيانات يتبيَّن لنا أن ق. بولس كتب رسالته الأُولى إلى تسالونيكي بعد مدة وجيزة من زيارته الثانية لأُورشليم وذهابه إلى كنائس اليهودية التي اطلع على حالها من الفقر واضطهاد اليهود لهم بشدة.

ومن هذه المعلومة التي ينقلها ق. بولس لأهل تسالونيكي أن كنائس اليهودية وقعت تحت اضطهاد ثقيل من اليهود يتضح لنا أن ق. بولس هو بالفعل كاتب سفر العبرانيين الذي فيه يقول لهم نفس القول بإسهاب:

+ «ولكن تذكَّروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أُنِرتُم صبرتم على مجاهدة آلامٍ

كثيرةٍ. من جهةٍ مشهورينَ بتعييراتٍ (اليهود لهم) وضيقاتٍ (أعمال السنهدريم لملاحقتهم)، ومِنْ جهةٍ صائرينَ شركاءَ الذين تُصرِّف فيهم هكذا. لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً (بعدما قُيد وسُجن في قيصرية استعداداً للمحاكمة في روما إذ لا بد أنهم زاروه في السجن)، وقبلتُم سلب أموالكم بفرحٍ، عالمينَ في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السماوات وباقياً.» (عب 10: 32-34)

أمَّا كون ق. بولس كان غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية فهذا يتفق فقط مع الزيارة

الأولى. أمَّا بعد ذلك فتكوَّنت صِلات حميمة دعته لكتابة رسالته لهم خصيصاً.

23:1 «**غَيْرَ أنـَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطهِدُنَا قَبْلاً، يُبشِّرُ الآنَ بالإِيمَان الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتلِفُهُ**».

«غير أنـهم كانوا يسمعون»:

«غير أنهم» تفيد أنه بالرغم من أن ق. بولس لم يكن معروفاً بالوجه على مستوى الكارز الرسولي غير أنه من المؤكد عندهم، أي عند الكنائس التي في اليهودية، أن مؤمنيها كانوا يسمعون من بعضهم قصص الاضطهاد المريع الذي كان يباشره شاول بولس قبل دعوته للإيمان والرسولية. لأنه من المؤكد أن منهم مَنْ عاصر هذا الاضطهاد وأذاع تفاصيله وحوادثه التي كانت تحدث كل يوم، فهي قصة حزينة ومؤلمة للغاية يستحيل أن تنسى عند الذين طالتهم ولا من ذاكرة الكنيسة كلها على مدى الدهور!

«الذي كان يضطهدنا»:

تحوّل الرواية من فم الغائب إلى فم المتكلّم يفيد تماماً أنهم كانوا يتكلّمون عمَّا عانوه أنفسهم، فالمتكلمون هم أنفسهم الذين أذاقهم ق. بولس العذاب والضرب والسجن والتقديم للموت.

«يبشِّر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه»:

«يبشِّر» eÙaggel…zetai**:** فعل مستخرج من لفظة الإنجيل eÙaggšlion = البشارة المفرحة. والبشارة المفرحة بالمفهوم الإنجيلي واللاهوتي هي الخلاص. فهنا التركيز قائم على التبشير بالخلاص كبشارة مفرحة، التي كان يكرز بها ق. بولس بعد أن كان يعمل ضدها وينكرها ليجعلها أخباراً مفزعة ومخيفة تحمل العذاب والهلاك.

هنا تبدو عودة ق. بولس أنها معجزة الإنجيل ذاته كمعجزة الإنجيل في حقيقة قوته الإعجازية. هذا هو إنجيل ق. بولس الذي كان يسميه «إنجيلي» الذي شرحه شرحاً سريًّا عجيباً بسيرة حياته من مبشِّر بالهلاك إلى مبشِّر بالخلاص، وهو في الأول كان مندوباً رسمياً فوق العادة للناموس فكأن الناموس كان بواسطته يقدِّم صورة صادقة للبشارة بالهلاك، ثم تحول إلى مندوب رسمي فوق العادة للمسيح، فكأن الخلاص صار بواسطته يقدِّم أجمل صورة للمسيح. وكان حماس ق. بولس لحساب الناموس يعود إلى تمكن ق. بولس من الناموس كفرِّيسي على أعلى **دراية.**
كذلك كان حماس

وصدق بشارة ق. بولس بالتالي لحساب المسيح كان بسبب عمل المسيح نفسه في حياته فصار على **دراية** بسر المسيح لم يبلغها رسول أو مؤمن من يوم ق. بولس حتى اليوم، وصار يفتخر بها بصدق: «الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدِرونَ أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح. الذي في أجيالٍ أُخَرَ لم يُعرَّف به بنو البشرِ» (أف 3: 4و5)

وهكذا كان ق. بولس أكبر خبير بدهاء الناموس، كيف كان يلتف على رقبة اليهودي ليسوقه إلى الموت مع أن الناموس بذاته صالح وروحي هو! لأن هذا كان عمل الناموس بالأساس أن يُشعر الإنسان **أنه خاطئ وفي نفس الوقت لا خلاص له بالناموس!** لأن الناموس الذي يقول لا تعمل هذا وذاك وإلاَّ موتاً تموت بلا رحمة لم يكن في قدرته ولا في منهجه أن يعطي قوة أو نعمة أو فهماً أو حيلة كيف لا يُعمل هذا وذاك من الخطية والشر، ثم يُعمل هذا وذاك. وهذا نفسه مثَّله ق. بولس أروع تمثيل في حياته كيف كان يجر الرجال والنساء إلى السجن ويعاقبهم حتى الموت باسم الناموس!! ولكن بعدما كشف له المسيح سرّه الأعظم أنه، أي المسيح، مات هو نفسه من أجل الخطاة ـ وكل مَنْ يعمل هذا وذاك من الخطية ـ ليكمل حكم الناموس "في نفسه في جسد البشرية" بلا رحمة على الصليب، فماتت البشرية **معه** مكمِّلاً في نفسه حكم الناموس بلا رحمة.

وهكذا بموته وموتنا معه مات الناموس إذ أفرغه المسيح من وجوده كما أفرغ منه حكم الموت، فمات الناموس أيضاً وبالتالي **لنا** لأننا متنا مع المسيح **له.** ليظهر المسيح ويعلن ويستلعن جهاراً نهاراً وعلناً ومنظوراً قائماً من الموت تاركاً الناموس في القبر وقائماً بالبشرية لحياة جديدة بلا ناموس ولا أعمال الناموس ولا ختان ولا سبت بعدا!! **فبالقيامة أكمل الخلاص من الخطية المميتة التي قتلت المسيح بمقتضى حكم الناموس:** «لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت» (يو

30:18). ومات ابن الله حاملاً خطايا الإنسان، وهكذا انتهى سلطان الناموس إلى الأبد ليحيا الإنسان بلا خطية بإيمان المسيح.

24:1 **«فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ فِيَّ».**

ومعناها أنهم كانوا يعطون لله المجد بسبب ق. بولس، كيف غيَّره الله من قاتل إلى مبشّر بالحياة الأبدية. فبولس المضطهد للمسيح الذي اضطر الناس للتجديف على المسيح وعلى الإيمان بالمسيح صار هو نفسه الذي يجعل المؤمنين يمجِّدون المسيح والإيمان بالمسيح ويعطون الشكر لله.

وما قيمة ذلك بالنسبة للغلاطيين الذين يكتب إليهم هذه الرسالة شارحاً تحوّله من مضطهد للمسيح والإيمان إلى سبب لتمجيد المسيح والإيمان به؟

القديس بولس يود أن يشرح لأهل غلاطية ماذا يمكن أن يعمل الإيمان بالناموس؟ وماذا يعمل الإيمان بالمسيح مقدِّماً نفسه وحياته نموذجاً ناطقاً يتكلَّم. فكرازة ق. بولس بالمسيح هي شهادة خبرة واستعلان وليست تسليماً من أحد. فإنجيله لم يستلمه من الناس ولا بإنسان تعلَّمه بل بإعلان المسيح، وبحياة ق. بولس وكرازته اختفى الناموس من حياة الكنيسة.

وفي هذه المدة التي أقام فيها ق. بولس في أُورشليم واليهودية لثاني مرة، حيث المرة الأُولى كانت سنة 38م، حدثت أحداث جسام هامة جداً في تاريخ الكنيسة. منها قتل يعقوب أخي يوحنا، وسجن بطرس وخروجه وهروبه، وسُمع بإيمان كرنيليوس على يد بطرس الرسول (أع 30:11)، (25:12). ثم رجع ق. بولس إلى أنطاكية في نفس السنة أي سنة 44م[77].

الأصحاح الثاني

(77) نفس المرجع السابق صفحة 621.

1 ـ [2: 1 ـ 10]: العلاقات مع أعمدة كنيسة أورشليم.
2 ـ [2: 11-16]: الاصطدام مع بطرس الرسول.
3 ـ [2: 17-21]: الموت بالناموس للناموس والحياة مع المسيح يسوع بالإيمان.

القديس بولس في مجمع أورشليم الأول سنة 49م
لقاء الأعمدة، والعد التنازلي لأفول نجم كنيسة الختان

وهنا نستسمح القارئ لنقدِّم له هذا البحث الذي يجعله على مستوى الأحداث الجارية في هذه الرسالة.

هي مرَّة كانت ولم تتكرَّر قط في عمر الكنيسة والمسيحية، أن يتلاقى أعمدة الختان الثلاثة خلاصة الفكر الرسولي للاثني عشر مع عملاق الأُمم الرسول المعيَّن من السماء من فم المسيح مباشرة. هؤلاء الأربعة جمعهم المسيح معاً وجهاً لوجه ليحملوا همّ العالم في صورته المصغَّرة آنئذ وليرسموا معاً مناطق الخدمة وحمل المسئولية ورسم خريطة المسيحية لمستقبل العالم المسيحي وحدود نمو الرسالة وتقدمها. وكان ق. بولس يمثِّل الباب المفتوح على مصراعيه لدخول كل الأُمم بلا مانع وعن سعة، في مقابل الانحصار الختاني فيما لليهود المتمحورين في أُورشليم والمشتتين في كل بقاع العالم أقلية قليلة منغلقة على ذاتها لا ينفذ من خلالها شعاع رجاء لخلاص الأُمم.

أمَّا سر الاجتماع الذي أخذ المسيح على عاتقه دعوتهم إليه ليقولوا فيه ما يمليه على قلوبهم، كما أعلن ق. بولس ذلك بوضوح أنه جاء إلى أُورشليم بناء على إعلان: «وإنما صعدتُ (إلى أُورشليم) بموجب إعلان» (غل 2:2)، فقد احتفظ ق. بولس للأسف بسر الإعلان وملابساته ومفرداته في نفسه وكل ما أفصح عنه قوله: «وعرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأُمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين.» (غل 2:2)

لذلك من وجهة نظر التاريخ المسيحي، ومن واقع خطورة الاحتمالات الواردة، الأمر الذي تكشّف من خلال سرد الوقائع، أن هذا المجمع صار من أهم وأخطر حوادث التاريخ المسيحي على وجه الإطلاق، وبذلك صار جديراً أن ندرس معاً وبدقة ووعي ما تمَّ في هذا الاجتماع المنقطع النظير.

فمن خلال الحوار الجاد الذي رفع انتباه رسل الختان إلى أقصى الإحساس بالمسئولية عن مستقبل المسيحية في العالم كله يتبيَّن لنا الآتي:

أولاً: مدى التوافق أو التنافر الذي يمكن أن يحدث بين الأمم الداخلين للإيمان كأعضاء في

كنيسة المسيح وبين أهل الختان المؤمنين بالمسيح في الكنيسة الواحدة؟

ثانياً: ما نوع العلاقة التي يجب أن تكون بين ق. بولس الذي أؤتمن على الإيمان بالمسيح والكرازة لأهل الغرلة وبين إيمان رسل الختان المنحصر تحت الناموس.

ثالثاً: مدى تحمُّل رسل كنيسة أُورشليم القائمين على تدبير الكنيسة وتنظيم العمل والخدمة ووضع القوانين الرسولية وتنفيذها في كل ما يخص الخارجين عن الإيمان الصحيح من مدَّعي الأصولية بل ومدَّعي الرسولية أحياناً الذين أسماهم ق. بولس رسلاً كذبة على مستوى الشياطين الذين يتراءون كملائكة نور!!

وهنا نُلفت نظر القارئ العزيز أن هذا كله تعرَّضت له الرسالة إلى غلاطية، وبذلك صارت أخطر ساعة من ساعات عمر الكنيسة والتي فيها رسمت الخطوط الحاكمة لمستقبل الإيمان والكنيسة والرسولية. والعجيب أن هذه الأهمية العظمى تأتي مع اكتشافنا أن رسالة غلاطية هي أقدم وثيقة مسيحية متداولة بين أيدينا بعد إنجيل مرقس والتي اعترف لها العلماء حديثاً بأنها أسمى من أن يقربها ناقد. وذلك بسبب أنها خرجت من يد كاتبها دون أن تعبر على وسيط كسفر الأعمال مثلاً. فالقديس بولس في رسالة غلاطية هو الذي يحكي بفمه عن حياته وكل تحركاته وتنقلاته دون أن يترك منفذاً لمؤاخذ أو لناقد، وهو يؤكِّد ما يقول بل يستشهد الله على صدق ما يقول وكأنه يكتب ويتكلَّم تحت مسئولية الله. وقد أذهل النقاد قدرة ق. بولس الفذَّة على طرح حقيقة ما يقول ويعمل على مواقف متفرقة وآيات متباعدة. فعندما جمعها النقاد وقارنوها معاً وجدوا التطابق والصحة تنطق في كل كلمة. وهي في جملتها تحسب وثيقة على أعلى مستوى من الأهمية لوضع الكنيسة الأُولى إن

في الختان أو الأمم الذي انطلقت منه تبنى مستقبلها. وإن كانت قد كشفت للأسف عرضاً عن عوامل التآكل الحتمية التي بدأت تدب في كنيسة الختان والتي كانت تنبئ بعدم قدرتها على الوقوف في وجه تيار الحرية الجارف الذي غرسه ق. بولس في كنيسة الأمم بمقتضى الحرية التي حرَّرنا بها المسيح.

والآن نحاول بعد أن اطلعنا على كل التحقيقات التي قام بها العلماء أن نضع هيكلاً عاماً لدرجات النمو والتقدُّم في العلاقات بين كنيسة الختان بقيادة الثلاثة العظام بطرس ويعقوب ويوحنا، وكنيسة الغرلة بقيادة ق. بولس وذلك في السنين الأولى المتوالية التي مرَّت عليها الكنيستان، وهذا بحد ذاته ما تقدِّمه وتوصي به الرسالة إلى غلاطية.

وذلك ما تمَّ على ثلاث مراحل متوالية:

المرحلة الأولى: امتداد الكنيسة نحو الأُمم الذي حتَّم به الرب في وصيته الأخيرة (مت 28:19).

المرحلة الثانية: ظهور الوعي المسيحي لحركة الحرية التي تميَّزت بها كنيسة الأُمم.

المرحلة الثالثة: رفع يد الوصاية اليهودية عن كنيسة الأُمم.

المرحلة الأُولى: امتداد الكنيسة نحو الأُمم:

وأول حركة ظهرت باتجاه الأُمم ظهرت في كنيسة أُورشليم نفسها، وبواسطة رسل الختان أنفسهم، كما تشهد به المدونات الرسولية أن المسيحيين الأوائل من اليهود المتنصرين التزموا تماماً بالعوائد والطقوس[78] في العبادة اليهودية التي كانوا يمارسونها داخل الهيكل من صلوات السواعي، بل وممارسة الطقوس كل طقس بطقسه وتأدية شعائر الأعياد اليهودية. وكانت الكنيسة محصورة في الشعب الواحد ملتزمة بالأنظمة والقوانين للسياسة اليهودية.

ولكن كانت هذه كلها يستشعرها المؤمنون وكأنها أقمطة مؤقتة للكنيسة الوليدة التي تحبو في سنيها الأُولى، ولكن كان من الواضح جداً أن اتصال الرسل بالهيكل والأنظمة اليهودية يعيق حركة الكنيسة ونموها بحسب فكر الإنجيل الذي يكرزون به، وكانت تشعر بضرورة التحرر منها. وهذا كان يشكِّل أصعب عملية تحتم عليها اقتحامها.

ولكن الأمر الذي كان يحيِّر الرسل أن المسيح لم يترك لهم توجيهات بهذا الأمر،

(78) Lightfoot, *op. cit.*, p. 297.

إلاَّ أنه أوصاهم بوضوح أنه من صميم مسئوليتهم الرسولية أن يكرزوا لجميع الأمم!! ولكن كيف ينتقلون من كنيسة يهودية وطنية إلى كنيسة أُممية عالمية، فقد كان هذا يحيِّرهم.

ولكن المسيح سبق وعلَّمهم أن الروح يتحتم أن يعلو ويسود على الحرف، وحوار المسيح مع نيقوديموس هو النموذج الأعظم الذي تركه للرسل:

+ «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روحٌ. لا تتعجَّب أني قلت لك: ينبغي أن تولدوا من فوق.» (يو 3: 6و7)

أمَّا من حيث المواريث التقليدية الأزلية التي رسخت في روعهم كالسبت، فالمسيح أعطى رأيه بوضوح أن السبت قد خُلق للإنسان وليس الإنسان للسبت.

وكان الله قد هيأ لليهود عملية الهجرة في عصور أُولى سابقة إلى أنحاء العالم وهم الذين كوَّنوا يهود الشتات، وهؤلاء اختلطوا بفلسفات اليونان وآسيا الصغرى، وتصوُّف الشرق والإسكندرية ومارسوا التحرر الفكري الاجتماعي في المدن الكبرى، فبرز منهم مَنْ برز على المستوى الذي تعايشوا معه وأعلى، وكوَّنوا فئة رائدة لأمتهم في الخارج، ولكن برزت الفوارق التي تباعد بينهم وبين تراث أجدادهم المنحصرين في اليهودية فلم يستفيدوا منهم. ولكن في نفس الوقت طرق باب العبادة اليهودية على ممر العصور جماعات من الأُمم ودخلوا كدخلاء في المجامع يمارسون العبادة دون أن يلتزموا بفرائضها وهم البروزيليت pros»lutoi أي الدخلاء، وهؤلاء شكَّلوا حلقة وصل لما آمنوا بالمسيح بقبولهم الإيمان ـ إذ كانوا أول مَنْ رحَّب بكرازة الرسل داخل المجامع.

ولكن نقطة التحوُّل الكبرى كانت يوم الخمسين لمَّا حلَّ الروح القدس على جميع الآتين من الأُمم يهود ودخلاء (بروزيليت)، واعتمدوا وقبلوا الإيمان بالمسيح وصاروا باكورة مسيحيي جميع الأمم، وفتحوا الباب بهدوء أمام اليهود المتحفظين من ناحية والأمم الذين يتعايشون معهم من ناحية أخرى. وبعمليات الحج السنوية في الأعياد والمواسم التي كان يقوم بها هؤلاء المسيحيون اليهود من الأُمم ومعهم الدخلاء من اليونان، وبكثرة احتكاكهم بالمسيحيين اليهود المتمركزين في أُورشليم من رسل ومؤمنين عاديين، نقلوا إليهم شيئاً فشيئاً الانفتاح والحرية الاجتماعية والتخلص من الحواجز اليهودية الموروثة.

وقد سجَّل سفر الأعمال حركة من أكبر الحركات التي أثَّرت في الكنيسة الأم بأورشليم وهي اضطلاع الكنيسة بحركة بيع الممتلكات من بيوت وحقول وجمع الأموال، ثم إعادة توزيعها على المؤمنين جميعاً كلٍّ حسب احتياجه:

+ «وكان لجمهور الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدةٌ، ولم يكن أحدٌ يقولُ إنَّ

شيئاً مِنْ أمواله له، بل كان عندهم كل شيءٍ مشتركاً. وبقوةٍ عظيمة كان الرسل يؤدُّون الشهادةَ بقيامة الرب يسوع، ونعمةٌ عظيمةٌ كانت على جميعهم، إذ لم يكن فيهم أحدٌ محتاجاً، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقولٍ أو بيوتٍ كانوا يبيعونها، ويأتون بأثمان المبيعات، ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزَّعُ على كل أحدٍ كما يكون له احتياجٌ.» (أع 4: 32-35)

طبعاً كان هذا المنهج الجديد للكنيسة هو ثمرة انفعال روحي ضاغط وسمو نفساني فائق كنتيجة

مباشرة لحلول الروح القدس. وكان لهذا السلوك تأثير كبير على مستوى فكر الكنيسة وروحها، لأن النتيجة السريعة والمباشرة كانت: «**وبقوةٍ عظيمةٍ كان الرسل يؤدُّون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم**». ولا يغيب عن البال أن الذين قاموا بهذا العمل الجبَّار والعظيم من الإخلاء الذاتي والتخلِّي المادي والتجرّد الشخصي هم أصلاً يهود!! وهذا معناه أن الروح القدس بدأ بكسر أطواق الطبيعة اليهودية مثل الأنانية وحب المال والقنية والمتاجرة والتعالي بالغنى والمال وهي صفات الجنس اليهودي. فكان هذا بحد ذاته تأهيلاً لكنيسة أُورشليم أن يتعبأ فيها الاستعداد للانفتاح حينما يحين الوقت للدخول في الإيمان المسيحي خلواً من عوائق طقسية ونفسانية موروثة. فواضح إذاً أن تحوُّل كنيسة أُورشليم البطيء نحو مسيحية بلا قيود كان آتياً من فوق، إذ لا استطاعة قط للطبيعة البشرية أن تغيِّر ذاتها.

ومع توزيع الأموال والمقتنيات نشأت في الحال الحاجة إلى التنظيم والرعاية وأشخاص ذوي اختصاص في الشئون المالية والاقتصادية فنحن أمام نموذج « المدينة الفاضلة» وبالفعل اضطر الرسل أمام شكوى المظلومين اليهود المتنصرين من اليونانيين في التوزيع أن يقيموا سبعة شمامسة للقيام بهذه المهمة. وكانوا كلهم من اليهود المتنصرين من شتات الأمم (يونانيون) وأهم شخصيتين فيهم كانا استفانوس وفيلبس. وكان استفانوس ممتلئاً من الروح القدس. وحدثت مناظرة عنيفة بينهم وبين يهود الشتات المتعصبين للناموس كان من نتيجتها ـ لما أخفق هؤلاء اليهود في أن يقاوموا النعمة المتدفقة من قلب استفانوس ولسانه ـ أن هيَّجوا عليه الكتبة والفريسيين وحاكموه وحكموا عليه بالرجم. وكان رجم استفانوس إيذاناً بتحرك الروح القدس مرة أخرى في قلب الشاهد على قتله وهو شاول، الذي صار بولس رسول الأمم، الذي بشَّر بالإيمان المسيحي نقيًّا صافياً خالياً من أي اتجاه

ناموسي لا من بعيد أو من قريب.

كذلك حدث فتح نافذة الحرية على الرسل وكنيسة أُورشليم من جراء دفاع استفانوس العجيب. والنتيجة أن بدأ أول تحرّك يهودي رسمي بصورة عامة لاضطهاد كنيسة أُورشليم بشدة: «وحدث في ذلك اليوم اضطهادٌ عظيمٌ على الكنيسة التي في أُورشليم، فتشتَّت الجميع في كُورِ اليهوديةِ والسامرةِ، ما عدا الرسل» (أع 1:8). وكانت هذه أقوى ضربة على تمسُّك كنيسة أُورشليم بالناموس والفرائض والعوايد سواء خوفاً من اليهود المتعصبين أو بتأثير الطوطمية الموروثة في التمسُّك بالقديم حتى ولو ظهر عدم نفعه.

وهكذا يعتبر التاريخ المسيحي أن استفانوس كان السابق للرسول بولس وهو بحد ذاته شهيد حرية الإنجيل في المسيح، لأنه محسوب أنه أول مَنْ رفع مِعْوَل الهدم على ما بقي من التراث اليهودي الميت. ويكفي أن نعلم ذلك من نفس الاتهام الذي وجَّهه إليه قاتلوه من الكتبة والفريسيين:

+ «هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلَّم كلاماً تجديفاً ضِدَّ هذا الموضع المقدَّس (الهيكل) **والناموس،** لأننا سمعناه يقول: **إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع** (الهيكل)**، ويغيِّر العوائد التي سلَّمنا إياها موسى.**» (أع 6: 13و14)

إذن، فاستفانوس هو أول مَنْ طبَّق كلام المسيح على الواقع المنظور، أي أول مَنْ نادى بحق الإنجيل وهي النواة التي بنى عليها ق. بولس **إنجيله** الخاص، أي الإنجيل خلواً من ناموس وختان وسبت وعوايد ميتة.

نظرة إلى ما تمَّ بواسطة استفانوس:

1 ـ تشتت كنيسة أُورشليم خارجاً عن أُورشليم والهيكل، وبذلك انتهت العلاقة المريبة بين المسيحية والهيكل وعوايد اليهود.

2 ـ انفتحت طاقات النعمة على حقيقة الإنجيل ليتخلص من الناموس وكل عوايد وعبادة الهيكل أمام ذهن الرسل بقوة وعنف هزت مرتكزاتهم حتى الأساس. فسمعنا بعد ذلك أن ق. بطرس ذهب إلى لدّة ثم إلى يافا ثم إلى قيصرية وعمَّد كرنيليوس الأممي هو وكل بيته.

3 ـ «أمَّا الذين تشتَّتوا مِنْ جراءِ الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية (لبنان) وقبرس وأنطاكية، وهم لا يكلِّمون أحداً بالكلمة **إلاَّ اليهود فقط. ولكن** كان منهم قومٌ، وهم رجالٌ قبرسيُّون وقيروانيُّون (يهود متنصرون)، الذين لمَّا دخلوا أنطاكية **كانوا يخاطبون اليونانيين (الأمم)**

مبشرين بالرب يسوع. وكانت يد الرب معهم، فآمن عددٌ كثيرٌ ورجعوا (من الأوثان) إلى الرب.» (أع 11: 19-21)

وكان من جراء هذا التشتت أن تكوَّنت أول كنيسة للأمم خارج أُورشليم، وصحَّ القول أن دماء الشهداء بذار نمت عليها الكنائس، وكان دم استفانوس أول دم شهيد استقر في الأساس.

4 ـ «فيلبُّس» وقد سمِّي بالمبشِّر أي **«الإنجيلي»** ويعتبر هذا اللقب تعزيزاً للإنجيل نفسه إذ

صار مميزاً في مواجهة الناموس، وهذا يعود إلى نعمة التبشير التي صار عليها فيلبُّس خلواً من ناموس. وفيلبُّس هو زميل استفانوس، اختطَّ طريقه بالروح القدس وعاش سائحاً يتنقَّل من قطر إلى قطر. فبعد أن جاهر بالإنجيل في السامرة عاد وبشَّر الحبشة في شخص الخصي ... بوحي من الملاك. أمَّا عن كرازته في السامرة فيقول سفر الأعمال:

+ «فالذين تشتَّتوا جالوا مبشِّرين بالكلمة. فانحدر فيلبُّس إلى مدينةٍ مِنَ السامرةِ وكان يكرزُ لهم بالمسيح. وكان الجموع يصغون بنفسٍ واحدةٍ إلى ما يقوله فيلبُّس عند استماعهم ونظرهم الآيات التي صنعها، ... ولكن لمَّا صدقوا فيلبُّس وهو يبشِّر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح، اعتمدوا رجالاً ونساءً.» (أع 8: 4ـ6و12)

وهكذا جرَّ رِجْل الرسل ـ ولأول مرَّة ـ إلى السامرة:

+ «ولمَّا سمع الرسل الذين في أُورشليم أن السامرة قد قَبِلَتْ كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا.» (أع 8:14)

وهكذا كسر الروح القدس الحواجز اليهودية القديمة الموروثة بالتعالي واحتقار السامرة والتي قيل عنها أن مَنْ يأكل خبز السامرة هو كمَنْ يأكل لحم خنزير، وأن كل سامري به شيطان، والسامري لن يقوم في القيامة المزمعة أن تكون ولن يرى ملكوت الله. ولكن السامري قام من الأموات على يد فيلبُّس وأشرق له نور المسيح. وهكذا استنارت السامرة وبقي الظلام يخيِّم على اليهود.

5 ـ وأخيراً تجرأ الذين تشتَّتوا ودخلوا أنطاكية ليبشِّروا بالإنجيل إلى الأُمم بعد أن كانوا من الفزع لا يكلِّمون إلاَّ اليهود فقط. وبعد أن وصل النور

إلى كرنيليوس ثم إلى الخصي وزير كنداكة بصفتهما دخيلين أي بروزيليت إذ كانا على كل حال خائفين الله مع الذين يعبدون من بعيد، بدأ الروح يقود علانية توصيل النور إلى الأُمم الذين لم يكن لهم لا خوف ولا معرفة بالله وذلك في أنطاكية حيث دخل الإنجيل خلواً من ناموس أو هلال أو سبت أو ختانة: «لمَّا دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع» (أع 20:11). وهكذا دخلت كنيسة أُورشليم لتكون شريكاً في توصيل النور للأمم:

+ «فسُمِعَ الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أُورشليم ـ (كما حدث في السامرة) -

فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية. الذي لمَّا أتى ورأى نعمة الله فرح، ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب لأنه (أي برنابا) كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان. فانضمَّ إلى الرب جمعٌ غفيرٌ.» (أع 11: 22-24)

وهناك في أنطاكية تسمَّى المؤمنون **بالمسيحيين** لأول مرة.

وهكذا بدأ نجم كنيسة الأُمم يعلو في سماء الإنجيل فوق كنيسة أصحاب الختان.

المرحلة الثانية: ظهور الوعي المسيحي لحركة الحرية في الإنجيل التي تميَّزت بها كنيسة الغرلة:

إن دخول طبقة البروزيليت (الدخلاء في اليهودية) إلى المسيحية وقبولهم المعمودية والإيمان المسيحي، ومن بعدهم دخول الأُمم الوثنيين ـ أصلاً ـ إلى الإيمان المسيحي واعتبارهم «**مسيحيين**» كان عملاً مثيراً بالنسبة للفكر اليهودي المسيحي المغلق ـ لذلك ظهرت الأسئلة المحيِّرة: هل يُطلب من الأُمم الراجعين إلى الإيمان المسيحي أن يتهوَّدوا أولاً ويختتنوا ويحفظوا الناموس والسبت وبقية الفرائض والعوايد؟ وما هو مدى علاقة اليهودي المتنصر بالأممي المسيحي؟ وهل للأممي المسيحي نفس الحقوق في الكنيسة مثل اليهودي المسيحي؟

ثم والأخطر، هل لكي يتم التآخي المسيحي بين اليهودي المتنصِّر مع الأُممي المسيحي يلزم أن يترك اليهودي الذي تنصَّر تعلقاته اليهودية التقليدية وعاداته؟

هذه كلها تطلَّبت الفحص والفهم والحلول على المدى.

وفعلاً في البداية كان يطلب اليهود المتنصرون من الأُممي لكي يدخل الكنيسة أن تجري عليه طقوس يهودية خاصة من ختان وخلافه! وهنا تدخّل الله سريعاً بدعوة

شاول الطرسوسي الذي لمَّا كان حاضراً وموافقاً على قتل استفانوس الذي كان أول مَنْ نادى بكسر الحواجز اليهودية عن المسيحي ورفع وصايا الرب إلى مستوى التحدِّي مع اليهود المتعصبين، حدث أن انطبع على قلب شاول منهج استفانوس ولم يستطع أن ينسلخ عنه وزاده انطباعاً برؤية المسيح في السماء يدعوه لنفس الخدمة بنفس بنودها التي قُتل استفانوس بسببها. وهنا بدأ الصراع العنيف رسمياً بين تحرر الإنجيل من كل ما هو يهودي وأصالة الديانة المسيحية الخالية من الناموس وبين التعصُّب الأعمى للناموس وفروض وعوايد التهوُّد التي أرادها اليهود المسيحيون المتعصبون لميراثهم وتراثهم السابق في اليهودية. وقد حرص الله أن يسلّح هذا الرسول الجديد المعيَّن للأمم بمؤهلات يهودية بتعصُّب

أعمى للناموس وعوايده وفروضه بتدقيق دون التنازل عن حرف واحد مما استلمه على يد أعظم معلِّم في إسرائيل، حتى يستطيع ـ بعد أن أشرق عليه نور المسيح وقبول الحق الإنجيلي نقياً خلواً من الناموس وكل متعلقاته ـ أن يقارع اليهود المتنصرين المتزعمين لحتمية حركة التهوُّد بالنسبة لمسيحيي الأُمم. وبآن واحد كان شاول يملك ناصية الفلسفة الفكرية اليونانية والروح القانونية التنظيمية الرومانية إنما بمواهب روحية عالية، مما جعله أكفأ مَنْ يحاجج اليهود ضد ادعاءاتهم للتهود، ويحاجج فكر اليونانيين والرومانيين ويخضعه لحق إنجيل المسيح. وكل هذه المواهب التي كانت مذخرة في أعماق هذا اليهودي المتعلِّم على اليهودية واليونانية والرومانية انطلقت من رقادها بدعوة المسيح وهو مطل عليه من السماء على طريق دمشق.

وهكذا سلَّم المسيح كنيسته التي وضع **أساسها** بنفسه على الصخر، لذلك **البنَّاء الحكيم** ليبني عليها كنيسة مقدَّسة بلا عيب تليق أن تكون عروساً لسيدها. وأمام هذا المد المؤهَّل بكل قوة وعلم وفهم وروح من الله، بدأ نجم كنيسة الأُمم يرتفع في الأفق رويداً رويداً، في الوقت الذي انحصر فيه نجم كنيسة الختان المزمع أن يهوى نحو الأفول. وقد سهَّل على سرعة انحدار كنيسة الختان المخنوقة بأطواق اليهودية نحو الاختفاء ثلاثة عوامل أساسية:

الأول: انسحاب الرسل من أُورشليم.

الثاني: عطايا **وتبرعات الأُمم** لفقراء كنيسة أُورشليم اليهودية وما نتج عنها!

الثالث: خدمة ق. بولس "بحق الإنجيل" خدمة ملتهبة وظهور كلمة **"المسيحيين"** لتمسح كلمة اليهود، وهذا العامل الثالث غني عن البيان وسنكتفي الآن بعرض العاملين الأول والثاني.

العامل الأول: انسحاب الرسل من أورشليم:

+ كانت حادثة قتل استفانوس أول إشارة لتنبيه اليهود المتعصبين ضد المسيحيين عموماً سواء من اليهود أو الأمم وذلك بسبب عنف ق. استفانوس في **الضرب على تجاوزات الناموس بطول تاريخ إسرائيل حتى الجيل الأخير،** فاضحاً الناموس ذاته مدللاً على أنه أفرغ ذاته من أي قيمة لحق العبادة الصادقة، وكانت أقسى ضربة أصاب بها استفانوس الناموس هي حكم السنهدريم بقتل المسيح فكان أقوى شهادة ضد الناموس. هنا أُثير اليهود واستُنفرت عداوتهم وبدأوا الهجوم المنظَّم ضد الكنيسة ككل. فأفرغوا الهيكل من المسيحيين وقيَّدوا دخولهم، وجاء هذا الفعل لفائدة المسيحيين إذ انعزلوا عن اليهود.

+ أمَّا الحادثة الأخرى فهي قتل يعقوب أخي يوحنا بعد حوار ساخن أيضاً وشهادته العلنية للمسيح (سنة 44م) ـ ويقال أيضاً أنه دافع عن بتولية العذراء ـ وهنا بدأ الضرب ضد الرسل أنفسهم وبعنف، فقتل يعقوب أرضى اليهود جداً (أع 3:12)، وهكذا خططوا لقتل بطرس أيضاً فسجنوه استعداداً لقتله في الفصح، وإذ نجَّاه الملاك هرب من أُورشليم، وهكذا بدأ التفكك بشدة في هيئة الرسل أنفسهم.

وهكذا تمَّت نبوَّة المسيح[79] للتلاميذ بحسب التقليد المسلَّم لهم آنذاك أن الكنيسة في أُورشليم لن تبقى أكثر من 12 سنة ليتبدد بعدها الرسل الاثنا عشر خارجها للكرازة إجبارياً بالإنجيل.

ويؤكِّد العالِم ليتفوت[80] أنه بحضور ق. بولس إلى أُورشليم في زيارته الثانية سنة 44م كان هيرودس في أعنف أحوال اضطهاده للكنيسة المسيحية استرضاءً لليهود، وهذا مما جعله لا يمكث إلاَّ أياماً قليلة خرج بعدها سريعاً ربما أثر سجن ق. بطرس: «وفي ذلك الوقت مدَّ هيرودس الملك يده ليسيء إلى أُناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف» (أع 12: 1و2). علماً بأن تسليم ق. بطرس رئاسة الكنيسة للقديس يعقوب أخي الرب قبل هروبه (أع 17:12) أعطى فرصة هدوء وقتية بسبب أن يعقوب أخا الرب كان مُكرَّماً لدى اليهود بشهادة يوسيفوس المؤرِّخ، وطبعاً ذلك كان أيضاً بسبب تعلُّق ق. يعقوب بالهيكل والعبادة اليهودية وتتميم الناموس

---

(79) وقد ذكر هذا التقليد ـ الذي استلمه التلاميذ من الرب ـ أبولونيوس (حوالي سنة 200م)، وسجَّله يوسابيوس في: *H. E.* V, 18.، كما ذكره كليمندس الإسكندري (*strom*. vi p. 762)، مؤكِّداً ذلك عن تسليم أقدم منه في تاريخ مبكِّر.

راجع: Lightfoot, *op. cit.*, p. 127 n.1.

(80) Lightfoot, *op. cit.*, p. 124 n3; p. 303.

بدقة في ذلك الوقت.

ولكن بهروب ق. بطرس وتشتت التلاميذ فقدت كنيسة أُورشليم أكثر من نصف تأثيرها وعملها وذلك بحسب رأي ليتفوت[81].

وهكذا صارت كنيسة أُورشليم أُمًّا لكنائس الأمم بعد أن فقدت مركزها المستمد من الأمة اليهودية.

العامل الثاني: عطايا وتبرعات الأمم لفقراء كنيسة أورشليم اليهودية وما نتج عنها:

وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه هيرودس اضطهاده وضغطه على الكنيسة والرسل، حدثت المجاعة التي كان أغابوس النبي الأورشليمي قد تنبأ بها في أنطاكية. وقد أصابت المجاعة أُورشليم بشدة بل

[81] Ibid.

وفلسطين كلها، وضربت ازدهار المسيحية ونموها في أُورشليم واليهودية وما حولها بشدة، حتى إلى العوز والفاقة. وفي هذا الوقت قام ق. بولس بوعيه الروحي المسيحي المنقطع النظير بسرعة جمع التبرعات من أغنياء أنطاكية وجمع الشيء الكثير حتى أن بعثة كاملة قامت حاملة هذه المعونة للإسعاف لسوء حالة الإخوة في اليهودية وأورشليم. وهكذا حدث أمران كنتيجة حتمية:

أولاً: شعور الأُمم بأهميتهم وقيمتهم بالنسبة لليهود المتنصرين وحتى للرسل.

ثانياً: وبآن واحد شعور الرسل وبقية مسيحيي اليهودية بعوزهم واحتياجهم الشديد للأُمم كمنقذين وهذا بالتالي خفَّض من كبريائهم وتعاليهم على الأُمم الذي كان أكبر عقبة في التوحيد بين الكنيستين.

وهذا الشعور نراه بوضوح إنما في حياء واتضاع في مجمع أُورشليم الأول بحضور ق. بولس حيث كان آخر القرارات وأهمها بالنسبة للرسل هو:

+ «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة (شركة في ذات الرسولية ومع الرسل) لنكون نحن للأُمم، وأمَّا هم فللختان. **غير أن نذكر الفقراءَ. وهذا عينه كنتُ اعتنيتُ أن أفعله.**» (غل 2: 9و10)

ويتهيأ لنا أنه لولا هذه المعونة الضخمة التي جاء بها ق. بولس لكانت القرارات قد أخذت شكلاً أقل ترحاباً واستجابة!! وكان هذا بتدبير الله العجيب. علماً بأن هذه المجاعة بقيت سنينَ، كما أنها تكررت بحسب قول العالِم ليتفوت[82].

ويلاحظ القارئ أن جمع التبرعات لفقراء اليهودية وأورشليم استمر طول حياة ق. بولس بطول كرازته في كل الأُمم وجميع الكنائس. وقد استطاع أن يمد أُورشليم

---

(82) Lightfoot, *op. cit.*, p. 304.

واليهودية بصورة دائمة وبسخاء بالمعونة الفعَّالة، وكانت أول معونة من أنطاكية سورية ولكن تلاها معونات من كل كنيسة. ولا ننسى تذلل ق. بولس لكل كنيسة أن تجمع التبرعات، على أن كنيسة فيلبي فاقت الكل وأثلجت صدره وفرَّحت قلبه بعطاياها السخية وإليك ما يشبه الأنشودة:

+ «أشكر إلهي عند كل ذكري إياكم دائماً في كُلِّ أدعيتي، مقدِّماً الطلبة لأجل جميعكم بفرحٍ، لسبب مشاركتكم في الإنجيل مِنْ أول يومٍ إلى الآن. واثقاً بهذا عينهِ أن الذي ابتدأ فيكم

عملاً صالحاً يُكمِّلُ إلى يومِ يسوع المسيح. كما يحقُّ لي أن أفتكر هذا مِنْ جهةِ جميعكُم، لأني حافظكم في قلبي، في وثُقي، وفي المحاماةِ عن الإنجيل وتثبيته، أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة. فإن الله شاهدٌ لي كيف أشتاق إلى جميعكم في أحشاءِ يسوع المسيح. وهذا أُصلّيه: أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر ... مملوئين مِنْ ثمرِ البرِّ.» (في 1: 3-11)

+ «ثم إني فرحت بالرب جداً لأنكم الآن قد أزهر أيضاً مرَّةً اعتناؤكم بي الذي كنتم تعتنونه، ... ليس أني أقول مِنْ جهةِ احتياج (شخصي)، فإني قد تعلَّمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. ... قد تدرَّبت أن أشبع وأن أجوعَ ... غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقتي (ضيقه هو ضيقة فقراء اليهودية). وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيُّون أنه في بداءةِ الإنجيل، لمَّا خرجتُ من مكدونية، لم تشاركني كنيسةٌ واحدةٌ في حساب العطاء والأخذِ، إلاَّ أنتم وحدكم (غلاطية أعطته قبل ذلك). فإنكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم إليَّ مرَّة ومرتين لحاجتي (لا يريد أن يقول حاجات الآخرين). ليس أني أطلب العطية، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم. ولكنِّي قد استوفيتُ كل شيءٍ واستفضلتُ. قد امتلأت إذ قبلت من أبفرودتُس الأشياء التي مِن عندكم، نسيم رائحةٍ طيبةٍ، ذبيحةً مقبولةً مرضيَّةً عند الله. فيملأُ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع.» (في 4: 10-19)

كذلك أيضاً وبنفس الأسلوب يتوسَّل وكأنه يستجدي عطف كنيسة كورنثوس أن ترسل المعونة، المعتادة هكذا:

+ «ثم نعرِّفكم أيها الإخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية، أنه في اختبارِ ضيقةٍ شديدةٍ فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم، لأنهم أعطوا حسب الطاقةِ، أنا أشهدُ، وفوق الطاقةِ، من تلقاءِ أنفسهم، ملتمسين منَّا، بطلبةٍ

كثيرةٍ، أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين. وليس كما رجونا، بل أعطوا أنفسهم أولاً للرب، ولنا، بمشيئة الله. حتى إننا طلبنا من تيطس أنه كما سبق فابتدأ، كذلك يتمِّم لكم هذه النعمة أيضاً. لكن كما تزدادون في كل شيءٍ: في الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهادٍ ومحبتكم لنا، **ليتكم تزدادون في هذه النعمة أيضاً.** لست أقول على سبيل الأمر، بل باجتهاد آخرين، مُختبراً إخلاص محبتكم أيضاً. فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره. أعطي رأياً في هذا أيضاً، لأن هذا ينفعكم أنتم الذين سبقتم فابتدأتم منذ

العام الماضي، ليس أن تفعلوا فقط بل أن تريدوا أيضاً. ولكن الآن تمِّموا العمل أيضاً، حتى إنه كما أن النشاط للإرادة، كذلك يكون التتميم أيضاً حسب ما لكم. لأنه إن كان النشاط موجوداً فهو مقبولٌ على حسب ما للإنسان، لا على حسب ما ليس له. فإنه ليس لكي يكون للآخرين راحةٌ ولكم ضيقٌ، بل بحسب المساواة. لكي تكون في هذا الوقت فُضالتكُم لإعوازهم، كي تصير فُضَالَتُهُم لإعوازكم، حتى تحصل المساواةُ. كما هو مكتوبٌ: الذي جمع كثيراً لم يفضل، والذي جمع قليلاً لم ينقص.» (2كو 8: 1-15)

وعليك أن تتصوَّر أيها القارئ العزيز كيف كان اهتمام ق. بولس وإنشغاله لجمع العطايا لليهودية وكأنها له، وكأنها لشدة احتياجه مع أنه كان يشتغل بيديه ليل نهار حتى لا يثقِّل على أحد. وكأن كرازة ق. بولس بإنجيله المحبوب كان على وجهين، وجه عطاء نعمة وقوة للخلاص، ووجه جمع المعونة لفقراء أُورشليم واليهودية. وكان هذا الدافع المقدَّس في قلب ق. بولس هو ـ ودون أن يعلم ـ العامل الأقوى والفعَّال في تحويل كنيسة الختان المتغطرسة والمنعزلة والمتعالية إلى كنيسة تطلب ود كنيسة الغرلة وعلى منتهى الاستعداد أن تعترف لها بالفضل والكرامة. إن هذا أمر مذهل حقاً. وهكذا تقاربت الكنيستان وبالنهاية اتحدتا:

+ «لأنكم جميعاً أبناءُ الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كُلَّكُم الذين اعتمدتُم بالمسيح قد لبستُم المسيح. ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ ولا أُنثى **لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع.**» (غل 3: 26-28)

+ «ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً! ... لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة.» (غل 5: 2و6)

وبهذا الإسلوب الذي تدخل به الله بواسطة المجاعة خضعت كنيسة الختان المتعالية بالختان والناموس لتكون تحت أمر وحسن ظن الأمم السخية بالروح، السخية بالعطاء والفرح ورسولها الذي تعلَّم كيف يجوع ليطعم الذين في ضيقة.

المرحلة الثالثة: رفع يد الوصاية اليهودية عن كنيسة الأمم:

تهاوي نجم كنيسة الختان كان إيذاناً بارتفاع شمس الإنجيل:

لم تتعالى كنيسة الأمم ولكن الذي تعالى هو حق إنجيل ربنا يسوع المسيح خلواً من ناموس

وسبت وختان! وهكذا دخل الإنجيل في عصر النور والقوة والمجد ولكن برسوله الذي جاهد له وغلب. وبالتالي انتهت قوة الكنيسة وعملها ونصرتها ورئاستها من يد ق. بطرس إلى يد ق. بولس!! وتمَّ قول الرب: «**تمد يدك،** وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء» (يو 21:18). وبالتالي انتقل مركز الكنيسة من أُورشليم على يد رسل الختان، إلى أنطاكية الأُمم والعالم كمركز إبحار سفينة الإنجيل عبر كل العالم، وانتهى **اسم كنيسة الختان** أي اليهود حيث **تسمَّى المؤمنون مسيحيين أولاً في أنطاكية:** «ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً» (أع 11:26). بعد ذلك انطلق القديسان بولس وبرنابا في أول رحلة لهما عبر الأمم.

توقَّف الإيمان بالمسيح عند اليهود:

وماذا عن إقبال يهود الختان على المسيحية؟ واضح أن الكرازة تحوَّلت نهائياً من يهود الختان في كل الأُمم إلى الأُمم الذين أقبلوا على الإيمان بالمسيح بفرح:

+ «فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرةً، وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدِّفين. فجاهر بولس وبرنابا وقالا: كان يجب أن تُكلَّموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم، وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياةِ الأبدية، هوذا نتوجَّه إلى الأُمم. لأن هكذا أوصانا الرب: قد أقمتُكَ نوراً للأُمم، لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض.» (أع 13: 45-47)

وبعد كل رحلة كانوا يعودون إلى أنطاكية، ومنها يقلعون من جديد ولكن لم يكف اليهود عن مقاومة الكنيسة.

1 ـ العلاقات مع أعمدة كنيسة أورشليم
[2: 1-10]

1:2 **«ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا، آخِذاً مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً».**

يحتار العلماء هل هذه الأربع عشرة سنة محسوبة من زيارته الأولى سنة 38م، أم أنها منذ أن رأى ق. بولس الرؤيا على طريق دمشق، ولكن واضح لنا كل الوضوح أنها وبحسب تسلسل الكلام محسوبة من الزيارة السابقة سنة 38م خاصة وأن رؤية طريق دمشق قد قدّر بعض العلماء حدوثها سنة 36م[83] وبعضهم في زمان سابق أيضاً. ولكن في ظننا أنها قبل ذلك.

ويتفق العلماء بعد نقد كثير ومراجعة ثم اتفاق أن المكتوب في الرسالة الثانية إلى كورنثوس بخصوص رؤية السماء الثالثة أنها حدثت أثناء مرور هذه الأربع عشرة سنة التي يذكرها هنا ق. بولس في رسالته إلى غلاطية: «إنه لا يوافقني أن أفتخر. فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنةً. أفي الجسد؟ لست أعلم، أم خارج الجسد؟ لست أعلم. الله يعلم. اختُطِفَ هذا إلى السماء الثالثة ...» (2كو 12: 1و2). وذلك أثناء خدمته في ليكاؤنية لأنه تألم هناك كثيراً. ونعتقد أن هذه الرؤية حصلت للقديس بولس وهو يُرجم رجماً أفقده الوعي حتى ظنوا أنه مات بالفعل، فجرُّوه خارج المدينة كأنه ميت: «ثم أتى يهودٌ من أنطاكية وإيقونية وأقنعوا الجموع، فرجموا بولس وجرُّوه خارج المدينة، ظانين أنه

(83) انظر كتاب: "شرح رسالة رومية" صفحة 30.

قد مات. ولكن إذ أحاط به التلاميذ، قام ودخل المدينة، وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربَة» (أع 14: 19و20). وهكذا صعدت روح ق. بولس حرَّة إلى السماء الثالثة ثم عادت.

أمَّا بخصوص برنابا فهو الزميل الأقدم للقديس بولس وقد رافق ق. بولس في كل زياراته لأورشليم بحسب سفر الأعمال باعتباره عضواً في هيئة الكنيسة هناك وهو أخو مريم صاحبة العليَّة:

+ «فحتَّم التلاميذ حسبما تيسَّر لكل منهم أن يُرسِلَ كل واحدٍ شيئاً، خدمةً إلى الإخوة

الساكنين في اليهودية. ففعلوا ذلك مُرسلين إلى المشايخ بيد **برنابا** وشاول.» (أع 11: 29و30)

+ «ورجع برنابا وشاول من أُورشليم بعد ما كمَّلا الخدمة، وأخذا معهما يوحنا الملقَّب مرقس (ابن أخت برنابا).» (أع 12: 25)

«فلمَّا حصل لبولس وبرنابا منازعةٌ ومباحثةٌ ليست بقليلةٍ معهم، رتَّبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأُناسٌ آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أُورشليم مِنْ أجل هذه المسألةِ» (أع 15: 2)، حيث نال هو وبولس يمين الشركة مع الرسل لخدمة الأُمم. لذلك ذكره ق. بولس في الرسالة إلى غلاطية هنا في هذه الآية، وفي رسالة كورنثوس الأُولى هكذا: «أم أنا وبرنابا وحدنا ليس لنا سلطان أن لا نشتغل؟» (1كو 9: 6). وفي سفر الأعمال (13: 2) أفرزه الروح القدس هو وبولس (شاول) لبدء عمل الخدمة حيث سافرا معاً إلى قبرص وأنشأوا هناك أول كنيسة وعمَّدوا أول مسيحيين في الجزيرة. وهكذا يظهر من سفر الأعمال وفي الرسائل أن برنابا كان مرافقاً مختاراً للقديس بولس.

وبرنابا هو من سبط لاوي (سبط الكهنة) ومواطن قبرصي وكان اسمه الشخصي يوسف وكان زميلاً للرسل في الأيام الأُولى لكنيسة أُورشليم، والرسل هم الذين أعطوه اسم برنابا أي ابن العزاء أو الوعظ (أع 4: 36)، وكما قلنا إنه أخو مريم أم يوحنا مرقس صاحبة العليّة في أُورشليم التي ظل الرسل يجتمعون فيها هناك، والرب أيضاً صنع فيها العشاء الأخير، وقد أقام فيها الرسل بصورة دائمة بعد قيامة الرب وظهوره لهم وهم مجتمعون معاً في العلية وفيها حلّ الروح القدس.

وقد صار برنابا أسقفاً على قبرص. كما أنه كان أول مَنْ أرسله الرسل نيابة عن كنيسة أُورشليم لرعاية كنيسة أنطاكية وظل يخدم هناك مع ق. بولس وعلى أيديهما

تسمَّى مؤمنو أنطاكية مسيحيين أولاً. وهو الذي ذهب إلى طرسوس واستدعى بولس ليخدم معه في أنطاكية[84].

«آخذاً معي تيطس أيضاً»:

وهو أُممي كما ذكره ق. بولس: «لكن لم يضطرَّ ولا تيطُس الذي كان معي، وهو يونانيٌّ، أن يختتن» (غل 2:3). وعلى الأرجح هو من أنطاكية وقد أظهر من المواهب ما جعل ق. بولس يختاره للسفر معه، وقد استأمنه ق. بولس على معالجة الأمور في كنيسة كورنثوس فيما يخص

(84) J. Bauckham, «*Barnabas in Galatians*», cited by Bruce., *op. cit.,* p. 107.

علاقة ق. بولس نفسه بالكنيسة هناك (2كو 13:2؛ 7:5-16)، كذلك على جمع العطايا والتبرعات: «ولكن شكراً لله الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس» (2كو 16:8). وقد برع تيطس في الخدمة بتعليم ق. بولس حتى صار أسقفاً على كنيسة جزيرة كريت بل وكتب له ق. بولس رسالته الرعوية.

ويقول العلماء إن غياب اسم تيطس في كل سفر الأعمال يوحي أنه أخو لوقا وقد حذف اسمه كعادته كما حذف اسم نفسه(85).

2:2 **«وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِم الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ بِالانْفِرَادِ على المُعتَبَرِينَ، لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَو قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً».**

لم يعطنا ق. بولس أية معلومات هنا أو سابقاً عن هذا الإعلان، وبالرغم من أن بعض المفسرين ينسبونه لنبوات أغابوس والذين معه، أو لحلول الروح القدس عندما قال افرزوا لي برنابا وشاول للخدمة التي دعوتهما إليها، إلاَّ أنه من الواضح أنه يتكلَّم عن إعلان خاص جداً يتعلَّق بكرازة الإنجيل بين الأُمم فيما يخص خلوّه من الناموس والختان والسبت.

ونعتقد أن قصد الله من إعلانه للقديس بولس لعرض إنجيله كان بداية سعي الله لإقناع الرسل بواسطة ق. بولس لكسر حلقة الناموس من حول رقبة الرسل التي لم يستطيعوا أن يتخلَّصوا منها. لذلك نسمع عن مقابلة القديسَين بولس وبرنابا ومعهما آخرون مع الرسل التي سجَّلها ق. لوقا في سفر الأعمال بما يشير إلى نجاح الخطة: «ولما حضروا إلى أُورشليم قَبِلَتهُم الكنيسة والرسل والمشايخ، فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم ... فسكت الجمهور كله. وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدِّثان

(85) Bruce., *op. cit.,* p. 108.

بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم.» (أع 15: 4و12) وجاء قرار المجمع موافقاً لهما.

طبعاً كانت هذه أول مرة تُصدم أسماعهم عن الكرازة بإنجيل المسيح للخلاص بدون ناموس ولا هلال وسبت وختان أو أية عوايد قديمة، وهوذا قد استحسنوها، بمعنى أنهم وافقوا على صحتها بالنسبة للأمم بل في واقعها المؤدي للخلاص العام، أي البشارة بموت المسيح وقيامته.

وواضح أن ق. بولس ورَّطهم لاستخلاص هذه الموافقة بسرد أعمال الله العظيمة ودخول الأُمم بفرح في الإيمان بالمسيح وإنشاء الكنائس بلا عدد، فلم يستطيعوا المعارضة بسبب النتائج الناطقة. وهذا هو القصد من قوله: «لئلاَّ أكونَ أسعى أو قد سعيت باطلاً» (غل 2:2). وكان السؤال الموجه للرسل من وراء ذلك هو: هل إذا نجحت الكرازة بدون ناموس هذا النجاح تكون باطلة؟ الإجابة مستحيل، والنتيجة أنه إذا كان هو قد سعى بالحق وبحق الإنجيل تكون كرازة الرسل أنفسهم هي الباطلة على أساس إقامة الناموس وكل عوايد وفرائض الناموس بلا داعٍ!!! بل وإنها تُبطل عمل المسيح وتسقط عمل النعمة.

ويلاحظ القارئ عدم اكتراث ق. بولس برأي رسل أُورشليم من جهة أي قيمة أساسية بخصوص صحة الإنجيل الذي يكرز به كما جاء في قوله: «**وأمَّا المعتبرون أنهم شيءٌ، مهما كانوا، لا فرق عندي:** الله لا يأخُذُ بوجهِ إنسانٍ ـ فإنّ هؤلاء المُعتبرين لم يُشيروا عليَّ بشيءٍ» (غل 6:2). وهذا يفيد في الحال أن قوله: « لئلاَّ أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً» ليس تعبيراً يخصه بل يخصهم هم. فهو واثق من إنجيله أنه من الله، ولكن لئلاَّ يكون الرسل قد اعتبروا أنه سعى باطلاً.

ويلزم أن ندرك أن ق. بولس لا يستجدي موافقة الرسل على إنجيله وإلاَّ يكون قد نقض نفسه أن إنجيله من الله وبإعلان الله وليس من الناس أو بإنسان، بل هو يسعى لإعلان الرسل بصحة إنجيله رسمياً حتى يواجه الإخوة الكذبة المدَّعين أنهم رسل وأنهم يتبعون الرسل كذباً لإفساد الإيمان بإنجيل ق. بولس. وهذا هو الذي تمَّ إذ لمَّا طرح أمامهم عناصر إنجيله الأساسية من موت المسيح وقيامته وصعوده مع شرحه للمعاني التي تتعلَّق بالخلاص، فإن الرسل استحسنوا إنجيل ق. بولس ولم يشيروا عليه بشيء. هذا معناه بكل وضوح وتأكيد أن إدخال حفظ الناموس بعد ذلك مع الختان والسبت على إنجيل المسيح هو باطل وبلا أي قيمة بل ومبطل للإيمان بالمسيح

وملغٍ لعمل نعمته!

ولكن ق. بولس لا يهاجم إنجيل الرسل القائم على الختان وعوايد الناموس، بل يؤكد أن ذلك إن كان يمكن التجاوز عنه بالنسبة لليهود الذين قبلوا الإنجيل وهم على هذا الحال، لكن لا يمكن بأي حال من الأحوال إضافة شيء من هذا على إنجيل المسيح وإلاَّ تصير الكرازة باطلة!! بمعنى أن كرازة ق. بولس بإنجيل بولس للغرلة ـ الأُمم ـ بدون ناموس أو ختان أو سبت، أو كرازة الرسل لليهود بإنجيل المسيح، فكلاهما كرازة واحدة:

+ «فسواءٌ أنا (رسول الأمم) أم أُولئك (رسل الختان)، هكذا نكرِزُ وهكذا آمنتم.»

(1كو 15:11)

«ولكن بالانفراد على المعتبرين»:

لم يكن اجتماع ق. بولس بالرسل الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا ـ وهم المعتبرون أعمدة ـ على المستوى المفتوح بل في اجتماع مغلق يضمهم هم فقط، لأن الرسل أنفسهم مقتنعون بصحة إنجيل بولس ولكن ليس من السهل إقناع بقية الشيوخ لأن منهم مَنْ هم متعصبون للناموس ويرفضون أي إيمان بالخلاص لا يأخذ بالناموس والختان. ولكن بعدما استقر الرأي لدى الرؤساء الثلاثة مع تكوين براهين وحجج على ذلك، عقدوا بعد ذلك المجمع وجعلوا طرح الموضوع علناً متأكدين أنهم قادرون على إقناع البقية المتعصبة:

+ «ولكن قام أناسٌ من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين، وقالوا: إنه ينبغي أن يُختتنوا، ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى. فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر. **فبعد ما حصلت مباحثةٌ كثيرةٌ** قام بطرس وقال ... وبعدما سكتا أجاب يعقوب قائلاً ... حينئذ رأى الرسل والمشايخ مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم، فيُرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا ...» (أع 15: 5-7 و13و22)

3:2 **«لَكِنْ لَمْ يَضْطَرَّ وَلاَ تِيطُسُ الَّذِي كَانَ مَعِي، وَهُوَ يُونَانِيٌّ، أَنْ يَخْتَتِنَ».**

هنا يوضِّح ق. بولس ثباته على مبدأ حق إنجيل المسيح الذي يكرز به، أنه لم يضطر أحد أن يختتن، ولا حتى تيطس الذي يخدم معه وهو يوناني ـ أي أُممي ـ آمن واعتمد دون أن يجري عليه طقس الختان. وهنا تبدو الآية مبهمة من حيث قواعد اللغة إذ كان يجب أن يذكر ق. بولس من هُم الواجب اختتانهم حتى يجعل تيطس المثل الأكثر تحدٍّ، وطبعاً القصد هنا مضمر وهو أنه إن كان من التحدِّي

الأقل أن كل الذين آمنوا من الأمم كان ينبغي ختانتهم في نظر الإخوة الكذبة، فالقديس بولس يتحدَّاهم بالأكثر أنه حتى الذي يكرز معه بالإنجيل أي تيطس لم يضطر أن يختتن وهذا يتناسب مع الآية القادمة.

فالقديس بولس بهذه الآية يُظهر مدى التحدِّي الذي يعلنه في مواجهة الإخوة الكذبة.

ولكن إذا سأل سائل ولماذا خَتَن ق. بولس تيموثاوس؟ فالرد لأن أُمه كانت يهودية، فإن كان أبوه يونانياً فهو إنما يتحوَّل لا من الأممية إلى المسيحية بل خَتَنَه لكي يكون تحوله من اليهودية إلى

المسيحية ليخدم به بلا مانع بين الختان الذين في وسط الأمم أي اليهود المتنصرين. أمَّا تيطس فهو يوناني أُختير ليكرز بين الأمم، لذلك لم يضطَّر ق. بولس أن يختنه. إذن فوضع تيموثاوس هو خاص للغاية وهو لا يمكن أخذه حجة على ق. بولس أنه يدعو للختان وليس للمسيح، بل بالعكس فإنه ختنه ثم عمَّده لكي يحوِّله من اليهودية إلى المسيحية. فالقديس بولس يفتخر بختانة تيموثاوس أنه حوّله من اليهودية الناموسية إلى المسيحية ليلغي عمل الناموسية فيه. أمَّا من جهة تيطس فكان من المستحيل أن يخضع ق. بولس للإخوة الكذبة ويختنه لئلاً **يلغي نعمة الله التي استلمها من الله ليسلِّمها للأمم** ليكون خلاصهم بلا ختان ولا ناموس ولا سبت بل بنعمة المسيح وحده أي بعمل موت الفداء والقيامة للخلاص.

4:2 «**وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الكَذَبَةِ المُدْخَلِينَ خُفْيَة، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتي لَنَا في المَسِيح كَي يَسْتَعبِدُونَا**».

هذه الآية تتبع مباشرة الآية قبل السابقة، أمَّا الآية السابقة مباشرة فهي آية اعتراض، حيث يأتي المعنى هكذا: إنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم، ولكن (ذلك كان) بسبب الإخوة الكذبة ... أي أني صعدت إلى أُورشليم بعد أربع عشرة سنة (مرَّة أخرى) بموجب إعلان لكي أعرض عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلاً أكون سعيت أو قد سعيت باطلاً ... ولكن بسبب الإخوة الكذبة ... والجملة الساقطة هنا قبل كلمة "**لكن**" تأتي بمعنى ليس كأني أتعلَّم منهم شيئاً "**ولكن**" بسبب الإخوة الكذبة حتى يتخذوا ضدهم إجراءً رادعاً الأمر الذي تمَّ فعلاً، حيث يقول ق. بولس أنهم استحسنوا إنجيلي وأعطوني يمين الشركة واتخذوا قراراً ضد الإخوة الكذبة الذين خرجوا خلسة من أُورشليم كأنهم من الرسل وهم رسل كذبة.

ويبدو أن هؤلاء الإخوة الكذبة كانوا شوكة في خدمة ق. بولس ولذلك ذكرهم ضمن الضيقات التي أحاطت به للإساءة إليه وإلى خدمته، فهو يذكرهم في سلسلة آلامه على مستوى أخطار اللصوص. «بأخطار لصوص ... بأخطار من إخوة كذبة »(2كو 26:11). ومرَّة أخرى يصفهم في رسالته إلى كورنثوس باعتبارهم رسل كذبة «لأن مثل هؤلاء هم **رسل كذبة، فعلة ماكرون** مُغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خدَّامه أيضاً يغيِّرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون

حسب أعمالهم.» (2كو 11: 13-15)

«المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاساً»:

هنا فعلان وضعهما ق. بولس ليعبِّرا معاً عن حالة تلصُّص غريبة بالنسبة للإخوة الكذبة، الفعل الأول مبني للمجهول "مدخلين خفية" أي دخلوا سراً بدون دعوة أو إرسالية علنية، والفعل الثاني يصوِّرهم وهم يندسون خلسة أيضاً على مستوى التلصُّص أو السرقة. والمعنى يطال آخرين أيضاً ربما بعض الرسل باعتبارهم أنهم حرضوا هؤلاء الإخوة الكذبة أن يتجسَّسوا على كرازة بولس الرسول التي ألغى منها الناموس والختان وعوايد اليهود. وفعلاً استطاع هؤلاء الجواسيس أن يندَّسوا وسط المؤمنين في الكنائس التي افتتحها بولس الرسول في البلاد.

«ليتجسَّسوا حريتنا التي لنا في المسيح»:

كان مقصد هؤلاء الإخوة الكذبة أن يتعرَّفوا على ماذا يكرز به بولس بالنسبة للناموس والختان والسبت، أي العبادة اليهودية، ومدى عدم التقيُّد بفروضها التي اعتبرها ق. بولس أنها كلها نافلة وقد ألغاها المسيح بموته فأصبحت كلها ملغاة. وهذا هو الذي يقصده من قوله: «حريتنا التي لنا في المسيح» أي عمل النعمة الذي ألغى فروض العبادة اليهودية بكل ثقلها التي كانت بمثابة عبودية.

«كي يستعبدونا»:

هنا يقصد أن غرض الإخوة الكذبة بالأساس هو ربط المؤمنين المسيحيين مرة أخرى بالناموس الذي تحرروا منه، وهذا يسميه ق. بولس استعباداً لفرائض الناموس التي فقدت فعلها وقوتها وبالتالي وجودها بموت المسيح وقيامته، ولكن حينما يربط الإخوة الكذبة إيمان المؤمنين بالناموس فالمحصلة النهائية أنهم يربطونهم بأنفسهم باعتبارهم معلمي الناموس بالضرورة. فهو استعباد لفرائض

الناموس وبالتالي حرمانهم من حرية الإيمان بالمسيح واستعبادهم لتعاليمهم وطاعتهم هم الشخصية عوض طاعة الإنجيل.

5:2 «**الَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبقى عِنْدكُمْ حَقَّ الإِنْجِيلِ**».

حدث إشكال كبير في هذه الآية إذ وردت في النسخة الغربية اللاتينية بالإيجاب وليس بالنفي أي "خضعنا لهم ساعة" أي بعض الوقت كما قرأها ق. إيرينيئوس أسقف ليون[86] وقرأها أيضاً

[86] Irenaeus: (*A. H.* 3. 13, 3).

العلاَّمة ترتليان(87). ولكن لم يستطيعوا أن يبرهنوا على وضعها الإيجابي، كما قالها ماريوس فيكتورينوس(88) في اللاتينية وأشار إلى إمكانية قولها بالنفي معاً بحسب قراءتها اليونانية، أمَّا القراءة الغربية التي جاءت بالإيجاب فيعزونها إلى ختانة تيموثاوس والتي بالنفي لتيطس حسب قول بولس الرسول: «صرت ... للذين تحت الناموس كأني تحت الناموس ... وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس.» (1كو 9:20و21)

أمَّا جيروم(89) فكان لديه معرفة بالنسخة الإيجابية الغربية بجوار النسخة العامة ولكن لم يستطع أن يعطي معنى واضحاً للنسخة الغربية.

لذلك استقر الرأي العام على القراءة باليونانية كما جاءت في جميع النسخ.

«ليبقى عندكم حق الإنجيل»:

هنا «حق الإنجيل» يعني به ق. بولس الخلاص الذي تمَّ بالنعمة مجاناً للمؤمنين، يهوداً ويونانيين لا فرق، وقبولهم للروح القدس كعطية وهبة من الله بلا مقابل سوى الإيمان بالمسيح يسوع. وبلا أي مَطالب مسبقة أو أي إجراءات رسمية، فإن أي خضوع لمثل هؤلاء المدَّعين بأهمية الناموس ولو إلى ساعة يكون معناه إلغاء للنعمة المجانية وعطية الله بالروح القدس وقبول الخلاص الذي تمَّ بيسوع المسيح. على أن الخضوع هنا يعني به ق. بولس أي إجراء ناموسي وبالذات الختان. لأن الختان يعني بالأساس وبالفكر اليهودي أن المختتن صار ابناً لإبراهيم على مستوى التجُّنس بالجنسية اليهودية والارتباط لعمل الناموس بالإلزام. في حين أن المسيح

(87) Tertulian (*Adv. Marc* 5. 3. 3).

(88) Marius Victorinus (*In Galat*. ad loc).

(89) Jerome (*In Galat*. ad loc).

جاء ليعطي الخلاص لكل الناس وليس لأبناء إبراهيم فحسب، وبالتالي يعطي النعمة المجانية بلا قيد ولا شرط لكل مَنْ يؤمن. لهذا اعتبر ق. بولس أن الختان هو إلغاء للنعمة:

+ «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة» (غل 4:5)

لذلك كان همّ ق. بولس الأعظم أن يحفظ للمدعوين من الأُمم حقيقة إنجيل الخلاص أو إنجيل النعمة بلا ختان ولا ناموس، لأنه كان يعلم تماماً كما قال بطرس الرسول علانية أمام مجمع أُورشليم حينما أراد بعض اليهود المتنصرين المتعصبين للناموس أن يضعوا على الأُمم أن يتهوَّدوا

أولاً ويحفظوا الناموس: «... وقالوا: إنه ينبغي أن يختتنوا، ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى ... فقام بطرس وقال لهم: ... فالآن لماذا تُجرِّبون الله بوضع نيرٍ على عُنُقِ التلاميذ **لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟**» (أع 15: 5و7و10)

ولكن إن كان اصطلاح **«حق الإنجيل»** هنا في موضوع تيطس يرمي مباشرة إلى **«عدم الختان»**، إلاَّ أن هذا الاصطلاح عينه أي «حق الإنجيل» جاء مرَّة أخرى ليعبِّر عن حقيقة أخرى وذلك في المشادة التي جرت بين القديسين بطرس وبولس في أمر الأكل والاختلاط بالأُمم هكذا: «لكن لمَّا رأيت أنهم لا يسلكون (بطرس وبرنابا) باستقامة "حسب حق الإنجيل"، قلت لبطرس قدَّام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً (لأنه كان يأكل مع الأمم ولمَّا أتى قوم من عند يعقوب أفرز نفسه) لا يهودياً، فلماذا تلزم الأُمم أن يتهوَّدوا؟» (غل 2:14). فهنا ينصب معنى عدم السلوك باستقامة حسب حق الإنجيل على إجبار الأُمم أن يعيشوا حسب عادة اليهود.

وواضح أن ق. بولس إنما يحكي لأهل غلاطية هنا (2: 1-5) عمَّا حدث له في أنطاكية سواء من جهة بطرس أو من جهة محاولة الإخوة الكذبة الذين أرادوا أن يتدخلوا في كرازة ق. بولس ويرغموه على اختتان تيطس كما جاء في سفر الأعمال الأصحاح 15 من الآية (1-20) الأمر الذي بسببه انحدر بولس وبرنابا ومعهم تيطس إلى أُورشليم ليرفعوا أمر هؤلاء الإخوة أمام الرسل.

وباختصار شديد نلخِّص ما جاء في سفر الأعمال (15: 1-20) وما يقابله في غلاطية (2:1-5) بالآتي: يحكي ق. بولس لأهل غلاطية ما عمله الإخوة الكذبة في كرازته وهو في أنطاكية ليوضح لهم نفس ما حدث لهم من تدخل الإخوة الكذبة عندهم في كنائسهم.

ففي أنطاكية حاول هؤلاء الإخوة الكذبة المندسُّون في أعمال كرازة ق. بولس خلسة أي بدون إذن من الرسل أن يرغموا ق. بولس على تهوُّد الأُمميين وفرض حفظ الناموس والختان، فلم يذعن لهم ق. بولس ولا حتى تيطس الذي كان يكرز معه لم يختتنه، ولمَّا أراد هؤلاء الإخوة الكذبة أن يقلبوا له الإنجيل الذي يبشِّر به أخذ بولس برنابا وتيطس وبعض الإخوة وصعد إلى أُورشليم وعرض الأمر على الرسل إنما على انفراد لأن كنيسة أُورشليم كانت مملوءة بمثل هؤلاء اليهود المتنصرين المتعصبين للناموس الذين كانوا من فئة الفريسيين. لذلك آثر ق. بولس أن يكون عرض الأمر على الرسل على انفراد حتى يفوز بالموافقة أولاً قبل عرضه على المجمع المجتمع من الرسل والشيوخ جميعاً. وفعلاً نجحوا في ذلك وأخذوا في النهاية قراراً مجمعياً بموافقة الجميع. وقامت بعثة

من أُورشليم مع ق. بولس وبرنابا وتيطس لعرض النتائج على كنيسة أنطاكية.

وكأن ق. بولس يقول لأهل غلاطية إن إذعانهم لهؤلاء الإخوة الكذبة وقبول الختان هو منافٍ لأمر الرسل وقرار المجمع.

وهكذا أرسل ق. بولس رسالته لأهل غلاطية متضمِّنة قرار المجمع المقدَّس مع شرح لكل ظروفه.

6:2 **«وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّـهُمْ شَيءٌ، مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي: اللهُ لاَ يَأْخُذُ بوَجْهِ إِنْسَانٍ ـ فَإِنَّ هؤُلاَءِ الْمُعتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ.».**

ليحترس القارئ من أن يحسب أن ق. بولس هنا ينتقص من كرامة الرسل، ولكن في الحقيقة هو يوازن بين ما للرسل وما له باعتبار أنه رسول مثلهم وعلى مستواهم وإن كان يعتبر نفسه أفضل منهم من وجهة أنه تألم من أجل الإنجيل أكثر منهم. وإليك ما يجول بفكر ق. بولس في هذا الأمر:

(أ) «قد صرت غبياً وأنا أفتخرُ. أنتم ألزمتموني! لأنه كان ينبغي أن أُمدَح منكم، إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل، وإن كنت لستُ شيئاً.» (2كو 11:12)

(ب) «لأني أحسِبُ أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل.» (2كو 5:11)

(ج) «الذي يجترئُ فيه أحدٌ، أقولُ في غباوةٍ: أنا أيضاً أجترئُ فيه. أهُم عبرانيُّون؟ فأنا أيضاً ... **أهُم خُدَّامُ المسيح؟ أقولُ كمختلِّ العقل: فأنا أفضلُ.** في الأتعابِ أكثر ...» (2كو 11: 21-23)

(د) «أعرف إنساناً في المسيح (بولس) ... **اختُطِفَ إلى الفردوس**، وسَمِعَ كلماتٍ لا يُنطَقُ بها، ولا يسوغُ لإنسان أن يتكلَّم بها. مِنْ جهةِ هذا أفتخِرُ.

ولكن مِنْ جهةِ نفسي لا أفتخر إلاَّ بضعفاتي.» (2كو 12: 2و4و5)

(هـ) «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المُعطاةُ لي لم تكن باطلةً، بل أنا تعبتُ أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي.» (1كو 15:10)

وفي هذه الأصحاحات إنما يؤكد القديس بولس أن خدمته وكرازته لا تحتاج إلى دعم من رسل أو غيرهم فهو على نفس مستوى خدمة الرسل يخدم ويكرز بل يرى أنه في ذلك يَفْضُلُهم جميعاً.

«الله لا يأخذ بوجه إنسان»:

وأمَّا بصدد الآية (6:2) التي أمامنا فهي تضمر أمراً يحاول بولس الرسول أن يرد عليه، وهو أن بعض الناس يرفعون من سلطان الرسل أكثر من سلطان ق. بولس بسبب أمور لا تمت إلى الإنجيل. هذا هو الذي يحز في نفسه لأنه كان يرى أن ذلك إنما يضر بالكرازة وبالإنجيل ضرراً بليغاً، خاصة وأن ق. بولس قد أؤتمن على سر المسيح وهو مصمم أن هذا السر الذي أؤتمن عليه يرفعه إلى مستوى أعلى من الرسل جميعاً، وهو أن الله أعلن له خاصة أن الأُمم شركاء في الميراث والجسد والخلاص بدون ناموس أو ختان أو سبت، الأمر الذي اختص المسيح به ق. بولس بوضوح بسرٍّ خاص.

فهنا دفاع ق. بولس عن رسوليته لا يخصه شخصياً ولكن يخص حق الإنجيل في الصميم. لذلك يقول صراحة أن المعتبرين من الرسل أو الأعمدة كما يقول ليسوا أعلى في رسوليتهم منه، فالله لا يأخذ بالوجوه كما يأخذ الإنسان، فالله الذي دعاهم والذي أرسلهم أرسله ولم يميزهم عنه بشيء.

وفي قوله: **«مهما كانوا»**، يضرب إلى بعيد فهو يلمِّح إلى بطرس كرئيس ويوحنا كتلميذ حضن المسيح وحبيبه ويعقوب كأخي الرب الذي سمَّاهم فائقي الرسل.

ودليل ق. بولس على ذلك أنه لمَّا عرض بنفسه عليهم إنجيله لم يحذفوا منه شيئاً أو يضيفوا عليه شيئاً ولا أشاروا عليه بشيء من جهة كل ما علَّم به خاصة من جهة التعليم بدون الناموس أو الختان. وهذا بحد ذاته يؤكِّد حق دفاع ق. بولس عن صدق رسوليته وسمو مستواها، وعن حق إنجيله وفرادة مستواه.

علماً بأن ق. بولس يكلِّم أهل غلاطية لكي يقتنعوا قناعة مدعَّمة بسلطان كل

الرسل أن ما بشَّرهم به من جهة إسقاط الناموس من الإيمان بالمسيح جملة وتفصيلاً ورفض الختان والسبت وكل عوايد اليهود هو أمر إلهي مدعَّم من الرسل كما هو مدعَّم من فمه لهم. ذلك حتى لا يفتحوا آذانهم لمن يأتونهم بادعاء النبوَّة أو الرسولية ليقنعوهم بالرجعة للناموس أو الختان، بل ولا يحسبونهم قط أنهم خدَّام أو أنبياء أو رسل بل هم إخوة ورسل كذبة.

7:2 **«بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ».**

هنا كلمة «العكس» تفيد الإيجابية المطلقة لقبول الرسل ـ حتى الأعمدة منهم والفائقين في المقام ـ لإنجيل ق. بولس بالكرازة للأُمم بدون ناموس وختان، أي أنهم لم يشيروا عليه بشيء بل

استحسنوه كما هو. وهنا إعلان واضح وصريح من الرسل أن الالتزامات الخاصة بحفظ الناموس والختان والسبت لا تدخل في صحة الإنجيل أو بحسب تعبير ق. بولس أنها لا علاقة لها بحق الإنجيل وبالتالي تضعفه بل تبطله.

«أؤتُمِنتُ على إنجيل الغرلة»:

المبني للمجهول هنا يشير إشارة قوية إلى الله ونعمة المسيح. فالله اعتبر ق. بولس أهلاً ليكون رسولاً خاصاً للأمم. وقوله: «الغرلة» تعني في الحال إلغاءً لقيمة الختان بالنسبة للإيمان، وبالتالي ارتفاعاً بالغرلة ـ أي ما كان محسوباً نجساً في عرف ناموس موسى ـ إلى مستوى القداسة بعامل تدخل نعمة المسيح التي رفعت معنى القداسة إلى مستوى الروح لا الجسد وبالتالي ألغت أحكام الناموس من جهة الطاهر والنجس، الأمر الذي أعلنه الله بالروح للقديس بطرس على ثلاث مرات توكيداً لحق الإنجيل: **«ما طهَّره الله لا تُدَنِّسه أنتَ!»** (أع 15:10)، يا للمجد ويا لنعمة المسيح!! بمعنى أن كل ما كان نجساً في عرف اليهودي من جهة الجسد أصبح بتدخل الله بواسطة المسيح مطهَّراً وبلا لوم!!

والذي يخطف أبصارنا ويستحوذ على تعجبنا واندهاشنا أن تطهير الله للنجس عند اليهود والناموس تمَّ ليس بإجراء أو ممارسة بشرية قط بل بكلمة الله التي كلَّفته موت الابن على الصليب، فالثمن الذي دفعه الله وتغرَّم به الابن المحبوب ليصير النجس (الأمم) عند اليهودي مقدساً هو أفدح ثمن: فهو يفوق كل ما يمكن أن يتغرَّم به الإنسان بسبب خطاياه ونجاساته، لأنه إن كانت عقوبة الإنسان عن خطاياه ونجاساته هي الموت بلا رحمة أي بلا استئناف أو رجوع في الحكم، فالثمن الذي تحمَّله الله في ابنه هو أشنع من مجرَّد موت إنسان بل هو موت ابن الله الذي يتضمن موت الكل!! «لأن محبة المسيح تحصُرُنا. إذ نحن نَحسِبُ هذا: أنَّهُ **إن كان واحدٌ قد ماتَ لأجل الجميع، فالجميعُ إذاً ماتوا.**» (2كو 14:5)، ليدخل في صميم موته **موت**

كل إنسان الذي انتهى بالقيامة الأبدية وشركة الحياة في مجد الله إلى الأبد!!!

فالآن نحن نتوسَّل لدى القارئ أن يحس بمشاعر ق. بولس عندما يرى نفسه **كرسول وحيد** استؤمن من الله **ليبشِّر بانفتاح البر والقداسة أمام** كل الأُمم في كل العالم **وقبول الخلاص مجاناً والدخول إلى الحياة الأبدية وشركة مجد الله** كأقدس يهودي أكمل كل الناموس وفرائضه وأعماله!! هذا الإحساس الغامر جعله يقول بلا تحفُّظ: «أهُم خُدَّامُ المسيح؟ أقولُ كمختلِّ العقل:

فأنا أفضلُ.» (2كو 11:23). والأفضلية التي يقصدها ق. بولس هنا ليست أفضلية شخصية بل أفضلية خدمة وبالتالي أفضلية إنجيل. لأن الإنجيل الذي يطالب بالناموس والختان ليس إنجيلاً بالمرة، فإنجيل المسيح الذي يضمن معنى البشارة المفرحة والحسنة هو الإنجيل الذي ينادي بالخلاص المجاني بلا ناموس أو ختان أو سبت! ولكن لم يجترئ ق. بولس أن يقلّل من خدمة الختان أي الكرازة لليهود لأنها قامت بيد ق. بطرس بإرسالية من الله ورافقها الروح القدس بالمعجزات والآيات كما حدث لإرسالية الأمم على يد بولس الرسول. ولكن لم يكن قبول المسيح لدى اليهود (الختان) كقبول المسيح والإيمان لدى الوثنيين من الأمم. فالمسيح أصلاً جاء بحسب كل الوعود والنبوات السابقة التي كان يحفظها اليهود وينتظرونها بفارغ الصبر، جاء كقول إنجيل القديس يوحنا: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله، وأمَّا الذين قبلوه ـ من اليهود والأمم ـ فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو 1: 11و12). فاقتبال اليهود أي الختان للمسيح والإيمان به لا يمكن أن يقارن بقبول الوثنيين أي الأمم للمسيح. فإن شبَّهنا قبول الختان للمسيح بقبول **المريض للطبيب** ليشفيه، يكون قبول الوثنيين للمسيح **كقبول "الميت لإله"** ليحييه ويقيمه من الموت!!

فإن كان صحيحاً أن ق. بولس قد أُؤتمن على إنجيل الغرلة مثل ق. بطرس الذي أُؤتمن على إنجيل الختان إلاَّ أنه شتان بين مريض يُطرح بين يدي طبيب، وميت يقدَّم محمولاً ليقبل الحياة من فم الله. كذلك إن شبَّهنا عمل ق. بطرس بعمل المسيح في الإنسان ذي الثماني والثلاثين سنة ملقى على سريره، يكون عمل ق. بولس كعمل المسيح في لعازر بعد موت استبد به إلى أربعة أيام في القبر.

ولكن البديع حقاً ومن واقع ما جاء هنا في رسالة غلاطية أن كليهما يقبل رسالة الآخر، فالقديس بطرس ومعه الأعمدة أعطوا يمين الشركة للقديس بولس، والقديس

بولس اعترف بأنهم أعمدة الخدمة والرسالة في أُورشليم واليهودية.

كذلك نجد أنه قد بدر من ق. بولس في هذه الرسالة تعريفٌ لإنجيل الختان بديعٌ حقاً إذ اعتبره أنه ليس إنجيلاً آخر، ولكن بالنسبة للوثني الذي يتحوَّل من إنجيل ق. بولس الذي لأهل الغرلة إلى إنجيل الختان فهذا يعتبره **تحوَّلاً عن حق الإنجيل الذي للأُمم.** لأن ق. بولس يؤكِّد ويصمِّم أن الإنجيل الذي يبشِّر به هو **الإنجيل الحق أو حق الإنجيل** باعتباره البشارة المفرحة لإنسان كان ميتاً فعاش بحسب تعبير "الأب" عن الابن الأصغر (لو 32:15)! «إني أتعجَّب أنكم تنتقلون هكذا

سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. **ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح**» (غل 1: 6و7). هذا يعني أن الإنجيل الحق هو ما يكرز به ق. بولس للأُمم: أي خلاصٌ بدون ناموس أو ختان، فإن زاغ الوثني ـ بعد أن يكون قد قبل الخلاص بحسب الإنجيل الذي له ـ نحو الناموس والختان يكون قد تحوَّل فقط عن الإنجيل الخاص به إلى ما هو ليس في حق الإنجيل، وهي أمور اليهود التي لا تخص الخلاص في شيء بالنسبة للأممي. ولكن ق. بولس يؤكد بوضوح أن الخدمة والكرازة هي على السواء إن كان لليهود في الختان بواسطة الرسل أو بدون الختان بالنسبة للأُمم: «فسواءٌ أنا أم أُولئك، هكذا نكرزُ وهكذا آمنتم.» (1كو 15:11)

والمعنى المستخلص هو أن ق. بطرس يكرز بالإنجيل الذي يكرز به ق. بولس ولكن لقوم يعيشون بالناموس في الختان ـ كضرورة كان يتحتَّم التخلِّي عنها ـ ولكن ليس جميع أهل الختان من المؤمنين يستطيعون ذلك لضرورة واقعة لا يمكن إغفالها. ولكن إن عاد الأُمم إلى الناموس والختان وقبلوا أن يتهوَّدوا كان ذلك تحوُّلاً عن الإنجيل وسقوطاً من النعمة للدخول في عبودية الناموس. لذلك يصرخ فيهم ق. بولس قائلاً:

+ «فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية (للناموس) ... إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً! ... قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة.» (غل 5: 1و2و4و5)

والقديس بطرس وإن كان قد تقَبَّل الرسولية ليكرز بالمسيح بين المختونين فليس هذا معناه قط أنه يكرز بالختان. تماماً كما أن ق. بولس تقبَّل الرسولية خاصة ليكرز بالمسيح بين الغرلة (الوثنيين) فليس هذا معناه أنه يكرز بالختان بل يتحتَّم أن يكرز

بعدم الختان وإلاَّ يكون قد تحوَّل من حرية المسيح إلى عبودية الناموس.

8:2 **«فإنَّ الَّذِي عَمِلَ في بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الخِتَانِ عَمِلَ فيَّ أَيْضاً لِلأُممِ».**

هنا يرتفع ق. بولس فوق مستوى الحالة العامة والخاصة التي للإنسان عند قبوله الإنجيل، فالإنجيل مصدره ومضمونه ومبناه واحد لأنه «إنجيل المسيح» أي البشارة بالمسيح كمخلِّص عام لكل البشرية. لا فرق إطلاقاً بين طاهر ونجس بحسب الناموس أو أفكار اليهود فالمسيح واجه

الإنسان أيًّا كان وكيفما كان وأينما كان. **فالإنجيل الذي بشَّر به المسيح هو إنجيل خلاص الإنسان العام والخاص.** على أن الكل أخطأوا وزاغوا وأعوزهم مجد الله. ليس بار ليس ولا واحد!! (رو 3: 23و10و12)

لأنه من المعروف والمقطوع به أن المسيح مات من أجل الجميع فالجميع إذاً قد ماتوا (2كو 5:14). فإن كان أصل الإنجيل واحداً وهو موت المسيح من أجل جميع الخطاة، وقيامته لأجل إحياء جميع الخطاة، كل مَنْ يؤمن، إذن أصبحت رسالة الإنجيل واحدةً حتماً وبالضرورة لكل مَنْ يسمعها لا فرق بين يهودي وأُممي. وبالتالي يكون الذي عمل في ق. بطرس للكرازة بين الختان هو هو الذي عمل في ق. بولس للكرازة بين الأُمم. فليس بطرس بعد ولا بولس بل المسيح الذي يعمل في الجميع.

2:9 **«فإذْ عَلِمَ بالنِّعْمَةِ المُعْطاةِ لي يَعْقُوبُ وَصَفا ويُوحَنَّا، المُعْتَبَرُونَ أنَّهُمْ أعْمِدَةٌ، أعْطوني وبَرنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحنُ لِلأمَم، وَأمَّا هُمْ فَلِلخِتَان».**

محتوى هذه الآية هو متوازٍ تماماً مع ما جاء في الآيتين (7و8):

فبدلاً من قول ق. بولس في الآية السابقة: «فالذي عمل في بطرس عمل فيَّ» فإنه هنا يقول: «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا» وبدلاً من قوله: «بطرس لرسالة الختان» «وفيَّ للأُمم» قال: «لنكون نحن للأُمم وأمَّا هم فللختان» وبدل أن قال في الآية (7): «رأوا أني أؤتمنت» قال هنا: «علم بالنعمة المعطاة لي» لأن النعمة التي أعطيت للقديس بولس هي نفسها نعمة الرسولية لإنجيل الغرلة التي عبَّر عنها في الآية (1:16) هكذا: «أن يعلن ابنه فيَّ لأبشِّر بين الأمم»

تماماً كما أوضحها أيضاً في الرسالة إلى رومية هكذا:

+ «**الذي به، لأجل اسمه، قبلنا نِعمَةً** ورسالةً، لإطاعةِ الإيمانِ في جميع الأمم،

»(رو 5:1)

وألمح إليها أيضاً بقوله:

+ «فإني أقول بالنعمةِ المعطاةِ لي، لكُلِّ مَنْ هو بينكم: أن لا يرتئيَ فوق ما ينبغي أن يرتئيَ، بل يرتئيَ إلى التعقُّل، كما قَسَمَ الله لكلِّ واحدٍ مقداراً مِنَ الإيمان.
»(رو 3:12)

وكررها بأكثر توضيح هكذا:

+ «ولكن بأكثرِ جسارةٍ كتبتُ إليكم جزئياً أيها الإخوةُ، **كمذكِّرٍ لكم، بسببِ النعمة التي وُهِبَتْ لي مِنَ الله.**» (رو 15:15)

وذكرها أيضاً في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس:

+ «**حسبَ نِعمَةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ ...**» (1كو 10:3)

وأيضاً في أفسس:

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين، **أعطيت هذه النعمة، أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى.**» (أف 8:3)

«يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة»:

أخيراً أفصح ق. بولس عن الأعمدة الثلاثة وفائقي الرسل، والمعتبرين. أمَّا هذا الترتيب في الأسماء فهو القانون الذي أخذت به الكنيسة، على أن يعقوب أخا الرب تولَّى أسقفية كنيسة أُورشليم بعد هرب بطرس من السجن بيد الملاك وخروجه من أُورشليم، ولو أن ق. بطرس عاد بعد ذلك ولمدة قصيرة ليدبر الكنيسة. والمعروف حسب أبحاث العالِم بروس[90] أن الرسل توزعوا على كنائس الشرق ولم يُسمع لهم عن عمل في أُورشليم بعد منتصف القرن الأول، وحين هُدِم الهيكل وأُحرق بيد تيطس لم يكن هناك أيٌّ من المسيحيين. على أن العالِم الألماني ج. كِلين[91] يقول إن ق. بطرس كان مترئساً على المجمع الذي عُقد في أُورشليم بحضور ق. بولس وبطلب منه. ورئاسة ق. بطرس واضحة جداً في رسالة غلاطية بالرغم من أولوية ق. يعقوب في التسمية، لأن ق. بولس لا يوازن نفسه إلاَّ ببطرس باعتباره أنه هو الذي أُؤتمن على إنجيل الختان (غل 7:2) كذلك باعتبار أن نعمة

(90) Bruce., *op. cit.,* p. 122.

(91) Klein, *Rekonstruktion,* pp. 107-115, cited by Bruce, *op. cit.,* p. 122.

الاختيار للإنجيل على الختان أُعطيت للقديس بطرس بالاسم (غل 2:8).

أمَّا ذكر القديس يوحنا الرسول هنا فهو حسب المعتاد أنه دائماً يُذكر مع ق. بطرس ولو أنه يُذكر دائماً بدون ذكر لأعماله.

والقديس بولس ولو أنه يذكر هذه الأسماء الثلاثة باعتبار أنهم أعمدة كنيسة أُورشليم إلاَّ أنه

من وراء الكلام لا يُلزِم نفسه بهذه الحقيقة. فهو إنما يذكرها للآخرين فقط دون أن يلزم نفسه بها، إذ رأيناه ينفي مرَّة واحدة كل امتياز لهؤلاء الرسل هكذا: «وأمَّا المعتبرون **أنهم شيءٌ (عند الناس)**، مهما كانوا (أول الرسل وأخو الرب والتلميذ المحبوب)**، لا فرق عندي ...**» (غل 6:2). وذلك المبدأ واضح في منهج ق. بولس إذ يعتبر أن لا شيء يميِّز الرسل إلاَّ النعمة، والنعمة للرسولية واحدة للجميع إنما الأفضلية بين الرسل واقعة فقط في حدود تعب الخدمة وآلامها وحسب، لأن الرسل ككل أسمعونا صوت المسيح الواحد: «الذي يسمع **منكم** يسمع مني» (لو 16:10)، وأناروا العالم بنور المسيح: **«أنتم نور العالم»** (مت 11:5)، **«أنا نور العالم»** (يو 5:9)، وحفظوا الأرض من فساد مميت: **«أنتم ملح الأرض»** (مت 13:5)، «أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم.» (يو 10:13)!!

وكانوا ليسوا من هذا العالم: «كما إني أنا لست من العالم.» (يو 14:17)

وصاروا اثني عشر أساساً لأورشليم النازلة من السماء من عند الله: «وسورُ المدينةِ كان له اثنا عشر أساساً، وعليها أسماءُ رُسُلِ الخروفِ الاثني عشرَ» وكأنما **حملوا لنا السماء كأعمدة** وعلى قواعدهم قامت الكنيسة وقمنا لأنهم اُضطهدوا حتى الموت فغلبوا: **«مَنْ يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ...»** (رؤ 12:3)، وهيكل الله نحن: «لأن هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو.» (1كو 17:3)

وهكذا نجد في وصف الرسل الثلاثة أنهم أعمدة صورة اسخاتولوجية للكنيسة الواحدة المحمولة على حياة الرسل وكرازتهم، والأنبياء والمسيح نفسه حجر الزاوية (أف 20:2)!! فمهما كانت درجات الرسل وتمايزها فهي تحمل حملاً واحداً، هيكلاً للرب: البشرية المخلوقة جديداً على صورة خالقها في القداسة والحق ولها صورة المسيح.

فلا يستطيع أحد قط أن يقول أنا لبولس وأنا لبطرس (1كو 12:1) لأنهما وإن تمايزا شكلاً واسماً على الأرض فهما عمودان طبق الأصل من صورة المسيح وإلاَّ يُخَلُّ اتزان: «هيكل إلهي» (رؤ 12:3) المحمول عليهم بالتساوي!!

ومن تحديدات ق. بولس بالنسبة لنعمة الله التي اختارت ق. بطرس لليهود نراه يُدخل في دائرتها يعقوب ويوحنا، كذلك هنا في نعمة الله التي اختارت ق. بولس للأمم يُدخل برنابا.

«أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأمَّا هم فللختان»:
فهنا ليس تمايز بل اختصاص. هكذا نرى أن الثلاثة الرسل المعتبرين أنهم أعمدة الممثّلين في بطرس لخدمة الختان، يقابلهم بولس وبرنابا ممثّلين لخدمة الغرلة أي الأمم. وبين الثلاثة الرسل والاثنين قامت يمين الشركة بين الرسل الاثني عشر للختان وبولس للغرلة ومعه برنابا. وذلك في توافق رسولي منقطع النظير لخدمة المسيح في دائرتي الختان والأمم أي كل العالم. والكنيسة حُسبت منذ البدء أنها كنيسة واحدة للأمم كما للختان. فإن كان ق. بولس قد ركّز على إرساليته هو وليس برنابا فذلك بسبب أن إرسالية برنابا لم تكن تهم المرسَل إليهم الرسالة، وإنما بولس وإرساليته هي التي كانت تحت الفحص بالنسبة للغلاطيين، لذلك تمادى ق. بولس في شرح علاقته الشخصية برسل أُورشليم واختزل في ذكر خدمة برنابا علماً بأن برنابا لم تدم خدمته مع بولس كثيراً.

10:2 **«غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ».**

نعم قد أثلجت صدر الرسل ويعقوب بالذات تلك المساعدات المالية والعطايا التي جمعها ق. بولس من أنطاكية في مجيئه إلى أُورشليم ونبَّهت فكر الرسل بقيمة الأمم. ولا نغالي إذا قلنا أن هذه العطايا السخية هي التي سهَّلت مهمة ق. بولس. والقديس بولس يذكر أنه قام بهذه المهمة قبل أن يطلب منه الرسل ذلك. فنكاد نقول إنها كانت بإلهام من الله ليفتح قلب رسل الختان ـ "اليهود" ـ فإن كانت العطايا والأموال تسهِّل خدمة الإنجيل فمرحباً بالعطايا والأموال. ولربما كانت البشارة بالإنجيل بعد ذلك أخذت طريقها إلى البلاد البعيدة في كل العالم وعبر كل العصور الأُولى عن طريق المساعدات والمعونات.

ولكن لكي يدرك القارئ أن ق. بولس كان يجمع العطايا والأموال، لا ليتقرَّب

إلى الرسل ولا ليمالئ إنساناً، ولكن ليريح جسد المسيح الذي استبدت به جروح الفقر والعوز حتى الفاقة بسبب محنة المجاعة التي عمَّت العالم آنئذ، ليقرأ ما تسجَّل في سفر الأعمال:

+ «وقامَ واحدٌ منهم اسمه أغابُوس، وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونةِ، الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر. **فَحَتَم التلاميذ** حسبما تيسَّر لكل منهم أن يُرسِلَ كل واحدٍ شيئاً، خدمةً إلى الإخوة الساكنين في اليهودية. ففعلوا ذلك مُرسِلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول.» (أع 11: 27-30)

ويُلاحَظ هنا أن الجمع كان على مستوى كل إنسان مسيحي فكان كاكتتاب لأن الآية تقول: «**فحَتَم** التلاميذ» أي كان الجمع **إجبارياً وعلى مستوى كل فرد**، فكانت العطية والمعونة المالية ضخمة. وهنا التحتيم بالجمع إجبارياً وعلى مستوى كل إنسان كان هو المناسب لعظم المجاعة وشمولها للمناطق الفقيرة.

أمَّا المناسبة الأخرى التي يذكر فيها سفر الأعمال جمعاً مماثلاً فهي مناسبة صعود ق. بولس الأخير إلى أُورشليم حيث تمَّ القبض عليه هناك وتقديمه للمحاكمة والموت بعد ذلك. وهذا يذكره في دفاعه أمام فيلكس الوالي في قيصرية:

+ «وبعد سنين كثيرة جئتُ أصنع صدقاتٍ **لأُمتي**...» (أع 17:24)

وإنما الإنسان يتعجَّب من القلب الكبير لهذا الرسول، إذ وبالرغم من العداوة التقليدية اليهودية الموروثة للوثنيين واحتقارهم لهم، والكبرياء والتعالي من نحوهم بل نحوه، نجده يقدِّم حياته كلها لخدمتهم ويتودَّد لهم باتضاع منقطع النظير حتى يقول للتسالونيكيين إن ثبوتهم في الرب يعتبره مساوياً لحياته: «لأننا الآن نعيش إن ثبتم أنتم في الرب» (1تس 8:3). ويقول لأهل كورنثوس: «من يضعف وأنا لا أضعف، مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب» (2كو 29:11). وأيضاً يقول لهم: «وأمَّا أنا فبكل سرورٍ أُنفِقُ وأُنفَقُ لأجل أنفسكم، وإن كُنتُ كُلَّما أُحبكم أكثر أُحَبُّ أقل!» (2كو 15:12)

أمَّا من جهة اليهود بني جنسه الذين اضطهدوه وصمَّموا على قتله بل وقتلوه (رجموه حتى الموت) (أع 19:14)، فلم يكف عن جمع العطايا والمساعدات من كل كنيسة بنفسه ليوزعها بيديه على فقراء اليهود بني جنسه كما سبق وقلنا. فصورة القديس بولس التي استقر عليها هي الرسول الجائل حول العالم يصنع خيراً وينادي

باسم من أحبَّه حبًّا ملك عليه فكره وقلبه وكل حياته. عاش فقيراً يطعم فمه من صنع يديه ويستعطي ليوزع على مَنْ هم يمثلون جسد الرب الذي مات من أجل كل العالم.

2 ـ الاصطدام مع بطرس الرسول
[2: 11-16]

11:2 **«وَلكِنْ لمَّا أتَى بُطْرُسُ إلى أنْطاكِيَة قاوَمْتُهُ مُواجَهَة، لأنَّـهُ كَانَ مَلُوماً».**

متى ذهب ق. بطرس إلى أنطاكية ولماذا؟

هذا السؤال أشغل بال قديسينا الأوائل وعلماء الحاضر، فمنذ أيام القديس أغسطينوس(92) الذي قال بأن مواجهة ق. بولس للقديس بطرس حدثت قبل اجتماع مجمع أُورشليم المذكور في رسالة غلاطية (2: 1ـ 10)، وتبع رأي أغسطين كل من العالمين الألمانين ت. زاهن(93) وج. مونك(94) والعالِم الفرنسي هـ. م. فيريه(95). كذلك فإن زمن الاجتماع المذكور في رسالة غلاطية (غل 2:1ـ10)، يذكره بعض العلماء(96) قبل مواجهة القديس بولس بالقديس بطرس إذ يضعون المواجهة في زمن لاحق بكثير.

كذلك يقول العالِم بروس إن كثيراً من العلماء يضعون الاجتماع الذي ذُكر في (غل 2:1ـ10) في زمن سابق للقرارات التي اتخذت في مجمع أُورشليم المذكور في سفر الأعمال (15:28). أي أن هناك مجمعين مختلفين من جهة الزمن، وأن المواجهة بين ق. بولس وق. بطرس حدثت بين الاجتماعين باعتبار أن القرارات التي اتخذت في الاجتماع في (أع 15:28) هي لحل الإشكال الذي أحدث هذه الأزمة بين ق. بولس وق. بطرس أثناء زيارة ق. بطرس لأنطاكية(97).

ويقترح العالِم بروس أن زمن المواجهة بين ق. بولس وق. بطرس يلزم أن يكون بعد وصول

(92) August. *Ep*. 82. 11.

(93) T. Zahn., *Galater,* p. 110.

(94) J. Munck, *Paul,* pp. 100-103.

(95) H. M. Féret, *Pierre et Paul à Antioche et a Jérusalem,* (Paris, 1955).

(96) Bruce., *op. cit.,* p. 128.

(97) Ibid.

القديسين بولس وبرنابا إلى أنطاكية قادمين من تبشير قبرص وجنوب غلاطية: «ولمَّا اجتازا في بيسيدية أتيا إلى بمفيليَّة. وتكلَّما بالكلمة في بَرجَة، ثُمَّ نزلا إلى أتالية. ومن هناك سافرا في البحرِ إلى أنطاكية ... »(أع 14: 24ـ28). وواضح أن هذا هو الأقرب إلى الواقع.

والآن لماذا ذهب ق. بطرس إلى أنطاكية وهي مركز الكرازة للأمم؟ علماً بأن ق. بولس يقول إن ق. بطرس كان يشترك في المائدة (المقدَّسة) مع مسيحيي الأمم. من هنا أصبح سلوك ق. بطرس ـ بحد ذاته ـ مُلاماً. أي أن ق. بولس لم يلمه بل أوضح أن سلوكه هو الذي أصبح يلومه إذ انتقل من مخالطة الأمم إلى المعيشة مع أهل الختان.

وفي اعتقادنا أن ق. بطرس ذهب إلى أنطاكية في رحلة بدأت من لدة هكذا: «وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع (اليهودية)، نزل أيضاً إلى القديسين الساكنين في لدَّة، ... وكان في يافا ... ومكث أياماً كثيرةً في يافا، عند سمعان رجلٍ دبَّاغ. وكان في قيصرية ...» (أع 9: 32ـ43، 10:1). **وهناك أخذ أوامر صريحة من الله** لتعميد أول أممي وهو كرنيليوس وكل عائلته وقال قولته المشهورة: «بالحقِّ أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أُمَّةٍ، الذي يتقيهِ ويصنعُ البرَّ مقبولٌ عنده.» (أع 10: 34و35)

ولمَّا حلَّ الروح القدس على الموجودين في البيت قبل العماد وقبل وضع اليد عليهم اقتنع ق. بطرس مرغماً أن يعمِّدهم بعد ذلك جميعاً قائلاً:

+ «**حينئذٍ أجاب بطرس: أتُرى يستطيعُ أحدٌ أن يمنع الماءَ حتى لا يعتَمِدَ هؤلاء الذين قبلُوا الروح القدس كما نحن أيضاً؟ وأمر أن يعتَمِدوا باسم الربِّ.**» (أع 10: 46ـ48)

هكذا نرى أن ق. بطرس دُعي من الله بعلامة ثلاث مرَّات (أع 10:16)، أن يكرز ويعمِّد للأمم، فكرز وعلَّم وعمَّد!!

ولمَّا عاد ق. بطرس إلى أُورشليم دخل في مُسَاءَلَة مع الرسل ولكنه دافع عن نفسه بقوة وأقنع الرسل والمشايخ:

+ «فسَمِعَ الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأممَ أيضاً قبلُوا كلمة الله. ولمَّا صَعِدَ بطرس إلى أُورشليم خاصمه الذين من أهل الختان، قائلين: **إنك دخلت إلى رجالٍ ذوي غُلفةٍ وأكلتَ معهم.** فابتدأ بُطرُسُ يشرحُ لهم بالتتابع ... فلمَّا سَمِعوا ذلك سكتوا، وكانوا

يمجِّدون الله قائلين: إذاً أعطى الله الأُمم أيضاً التوبة للحياةِ!» (أع 11: 1ـ4و18)

بعد ذلك حدث اضطهاد عظيم على الكنيسة وقتل هيرودس يعقوب أخا يوحنا ومدَّ يده على ق. بطرس وسجنه ليقدمه في الفصح ذبيحة هدية لليهود، وحدث ما حدث وأطلقه الملاك بيد قويَّة وخرج ومرَّ على العلية: «وأمَّا بطرس فلبثَ يقرع. فلمَّا فتحوا ورأوه اندهشوا. فأشارَ إليهم بيده ليسكتوا، وحدَّثهم كيف أخرجه الرب من السجن. وقال: أخبروا يعقوب والإخوة بهذا. ثم خرج وذهب إلى موضع آخر» (أع 12: 16و17). ونحن نعتقد أن هذا الموضع الآخر الذي صار سرًّا بينهم هو "أنطاكية"[98]. ولا عجب في ذلك فقد سبقه إلى هناك بعثة أُرسلت من الرسل أنفسهم هكذا:

+ «أمَّا الذين تشتَّتوا مِنْ جراءِ الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية، ... ولكن كان منهم قومٌ، ... لمَّا دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع ... فسُمِعَ الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أُورشليم، **فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية ...** ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول. ولمَّا وجده جاء به إلى أنطاكية.» (أع 11: 19و20و21و25)

وهكذا تقابل ق. بطرس الهارب من هيرودس مع ق. بولس وحدث ما حدث.

وهنا نلاحِظ أن ق. بطرس أخذ أمراً مباشراً من الله ليكرز ويعمِّد الأُمم، وفعلاً كرز وعمَّد وأكل معهم كما رأينا. فلا نستغرب من أن شاول لمَّا جاء إلى أنطاكية وجد ق. بطرس يعاشر الأُمم ويأكل معهم (والقصد من الأكل هو الاشتراك في مائدة الرب وكسر الخبز).

12:2 **«لأنَّـهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ ـ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ ـ وَلَكِنْ لَمَّـا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الخِتَانِ».**

مَنْ هؤلاء القوم الذين أتوا من عند يعقوب؟ ولماذا أتوا؟

يتضح هذا بسهولة من سرد الكلام، فإن كان الإخوة المتعصبون للناموس سواء من مشايخ السنهدريم أو حتى بعض الرسل الذين منهم يعقوب نفسه الذين يمارسون الناموس بدقة من

(98) وهناك رأي آخر يقول إن بطرس هرب مع زوجته إلى مصر واستقر زماناً وسط الجالية اليهودية ببابليون مصر التي تنصر جزء كبير فيها ثم عاد إلى فلسطين (انظر شرح إنجيل ق. مرقس "تحت الطبع").

صلوات وأصوام وطقوس، هؤلاء سبقوا وساءلوا ق. بطرس عن كرازته للأمم وتعميده لهم وأكله معهم: **«قائلين: إنك دخلت إلى رجالٍ ذوي غُلفةٍ وأكلتَ معهم»** (أع 3:11)، فالآن لمَّا علم هؤلاء بتمادي ق. بطرس في تعميده لأهل الغرلة في أنطاكية واشتراكه معهم في كسر الخبز أي المائدة المقدَّسة، لم يحتملوا هذا الأمر حتى يعقوب نفسه لأنهم وجدوا أن خبر تعميد أهل الغرلة أثَّر على كرازتهم لليهود إذ امتنع اليهود أن يقبلوا العماد والإيمان بالمسيح إن كان ذلك سيجبرهم على المعيشة مع أهل الغرلة.

وبذلك يكون قد توقف عملهم نهائياً مع اليهود. ولهذا أسرعوا بإرسال بعثة[99] على مستوى الحماس والغيرة على الناموس معضَّدة مِنْ يعقوب نفسه لكي يسائلوا ق. بطرس ويمنعوه عن أكله واختلاطه مع أهل الغرلة. فلمَّا سمع ق. بطرس بمجئ هؤلاء القوم المؤيدين من يعقوب لمساءلته ومنعه من الشركة مع أهل الغرلة أفرز نفسه في الحال خوفاً منهم وبدأ يشترك بكسر الخبز فقط مع هؤلاء الإخوة اليهود المتنصرين. وطبعاً وبكل تأكيد كان هذا يخالف ضميره بل ويخالف صوت الله الذي سمعه ثلاث مرات أن لا يقول عن إنسان ما إنه نجس أو دنس. من هذا ظهر موقف ق. بطرس أمام ق. بولس ملوماً ومداناً من واقع عمل ق. بطرس نفسه. ولكن من أجمل الاستخلاصات التي استخلصها أحد العلماء الكاثوليك في هذه الأيام الأخيرة من موقف ق. بطرس هذا أنه اعتبره أول رسول جمع الكرازة بين أهل الختان وأهل الغرلة وعمَّدهم هؤلاء وهؤلاء فصار أول مصالح وموحِّد بين اليهود والأمم. وهكذا صار ق. بطرس رمز الوحدة وقيام الكنيسة الكاثوليكية بمفهومها أنها الكنيسة الجامعة بين اليهود والأمم[100].

He was the bridge-man (pontifex) who did more than any other to hold together the diversity of first century Christianity.

---

(99) وهم غير **الإخوة الكذبة** الذين ذهبوا من تلقاء أنفسهم المذكورين في سفر الأعمال: «وانحدر قومٌ من اليهودية وجعلوا يعلِّمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا» (أع 1:15). وهم الذين ذكرهم يعقوب في المجمع بأورشليم بقوله: «إذ قد سمعنا أن أُناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال، مُقلِّبين أنفسكم، وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم» (أع 24:15). وأيضاً هم الذين ورد ذكرهم أيضاً في سفر الأعمال: «ولكن قام أناسٌ من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين، وقالوا: إنه ينبغي أن يختتنوا، ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى» (أع 5:15). وهم أصلاً من الشيعة اليهودية المتعصبة من الفريسيين المذكورين في إنجيل لوقا: «وكان جميع العشارين والخطاةِ يدنون منه ليسمعوه. فتذمَّر الفريسيون والكتبة قائلين: هذا يقبلُ خطاةً ويأكل معهم» (15: 1و2). فردَّ عليهم بمَثَلٍ يكشف أن هؤلاء الخطاة والعشارين كانوا يمثلون الأُمم عند المسيح هكذا: «فكلَّمهم بهذا المثلِ قائلاً: أي إنسانٍ منكم له مئةُ خروفٍ، وأضاع واحداً منها، ألا يترك التسعةَ والتسعينَ في البريَّةِ، ويذهب لأجل الضالِّ حتى يجده؟» (لو 15: 3و4)

(100) J. D. G. Dunn, *Unity and Diversity in the New Testament* (London, 1977), p. 385f., cited by Bruce, *op. cit.*, p. 134.

وللقديس بطرس الحق في أن يخاف فعلاً من هؤلاء اليهود الغيورين على الناموس بعد أن تنصَّروا إذ بقوا أمناء على الناموس بصورة طاغية. وقد ذكرهم ق. بولس كمصدر خطر مثلهم مثل اللصوص والسيول (2كو 11:26) لأن يدهم كانت سريعة بالرجم. ولكن يبدو لنا أن خوف ق. بطرس لم يكن على نفسه بل على استمرار البشارة وخدمة الاسم المبارك.

وقد وصلتنا أخبار مبكِّرة من مؤرخين وقديسين تؤكِّد أن بذهاب ق. بطرس لأنطاكية بعد عبوره على قيصرية وتعميد كرنيليوس بناءً على تكليف رسمي من الله لبشارة الأمم، تقول الأخبار أن ق. بطرس هو الذي أسس كنيسة أنطاكية. كذلك يشترك في تأكيد ذلك يوسابيوس، وذكر هذا أيضاً القديس جيروم في شرحه على غلاطية على نفس الآية التي نحن بصددها مؤكداً أن بطرس كان أسقفاً على أنطاكية وبعدها ذهب إلى روما وصار أسقفاً على الكنيسة هناك. وأيضاً يقول بذلك يوحنا ذهبي الفم(101).

13:2 **«وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ!».**

«وراءى معه باقي اليهود أيضاً»:

هؤلاء اليهود الباقون هم يهود أنطاكية الذين تنصَّروا واشتركوا مع الأمميين المسيحيين على ذات المائدة (المقدَّسة) الواحدة. وهم أصلاً يهود وطنيون وهؤلاء راءوا مع ق. بطرس أي أفرزوا أنفسهم من الأمميين.

راءوا مع بطرس sunupekr…qhsan ومعنى اسم الفاعل من هذا الفعل في اليونانية "مُرائي" (كما تُنطق في الإنجليزية هيبوكريت hypocrite) بمعنى يسلك سلوكاً يرضي الآخرين على تزييف وكذب. ويسميها العالِم بروس: playacting وتعني يلعب على الصفين، أو يسلك بعدم لياقة أو بدون ذوق، آخذين موقف ق. بطرس. والقديس بولس حينما يدعو هذا العمل بالرياء فهو يقصد أنهم يعملون عملاً غير مقتنعين به أصلاً لإرضاء الآخرين ضد ضميرهم. لأن ق. بطرس كان يأكل في ذات المائدة الواحدة مع الأمميين عن اقتناع ومسرَّة.

---

(101) Chrysostom, *op.* III, p. 70, cited by Lightfoot, *op. cit.*, p. 111.

«حتى إن برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم»:

وهذا آخر ما كان يظنه ق. بولس لأن برنابا أخذ رسالته بين الأمم من الروح القدس نفسه وبمؤازرته. لذلك فإن رجعة برنابا إلى الناموس والفرائض اليهودية كسرت قلب ق. بولس إذ أحسَّ ق. بولس أن رجعة برنابا متأثراً برياء ق. بطرس وباقي اليهود الآتين من عند يعقوب هي أقصى ضربة لحِقتْ الإنجيل الذي أخذاه معاً من الروح القدس، وللكرازة به خلواً من ناموس وعوائد وطقوس لإعلان حقيقة نعمة الخلاص المجاني. وبالفعل خدما معاً بهذا الإنجيل مدة طويلة.

على أن برنابا خدم مع ق. بولس في كنائس غلاطية، وهو معروف لديهم بالوجه والاسم معاً، لذلك فالقديس بولس يعرف مدى التأثير السيء الذي سيتركه سلوك برنابا في هذا الأمر عند أهل غلاطية.

وللأسف والحزن فإن ما عمله برنابا أساء بشدة إلى علاقات الزمالة عند ق. بولس، وبالفعل لم يُسمع لبرنابا أي عمل مع ق. بولس بعد ذلك في أي كنيسة. ولكي يظهر للقارئ مدى الأثر السيء الذي تركه برنابا بعمله هذا على قلب ق. بولس وخدمته، فليعرف أنه حتى المشادة التي حصلت بين ق. بولس وبرنابا بسبب عدم أخذ يوحنا مرقس معهما في السفر لم تؤثر على علاقة بولس وبرنابا مثل ما أثَّر عمله بانضمامه إلى مراءاة ق. بطرس والعودة إلى التهوُّد، مع أن يوحنا مرقس هو ابن أخت برنابا!!

والآن إذ يسمع الغلاطيون عن هذه المنازعة التي أدَّت إلى انحياز برنابا نفسه الذي سبق وبشَّرهم بإنجيل المسيح دون ناموس أو ختان، بل وسمعوا أيضاً عن ق. بطرس وهو مقدِّم التلاميذ أنه عاد إلى الناموس والفرائض والختان، وجد ق. بولس أن هذا سيترك في أنفسهم بلبلة خطيرة، لذلك عاد ق. بولس لمهاجمة ق. بطرس نفسه جهاراً لكشف خطأ سلوكه ليكون عند الغلاطيين صورة للقديس بولس وإنجيله أقوى من سمعة ق. بطرس وبرنابا فقال:

14:2 **«لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ باسْتِقامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: إِنْ كُنْتَ وأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُممِيًّا لاَ يَهُودِيًّا، فلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟»**

«لكن لمَّا رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل»:

وعدم السلوك باستقامة حسب حق الإنجيل يُفهم على أنهم **أخطأوا الطريق** الحق الذي هو

الإيمان بالمسيح عن طريق النعمة وعدم الاتكال على الناموس أو فرائضه، لأن هذا هو هدف الكرازة بالإنجيل: الخلاص المجاني وهبة النعمة للجميع (يهود وأمم).

«قلت لبطرس قدَّام الجميع»:

وتعني أن ق. بولس عاتبه ليس في الخفاء وإنما عاتبه علناً وأمام الجميع، لأن خطر هذا السلوك حتى ولو كان لا يضير ق. بطرس في ذاته إلاَّ أنه يتلف إيمان الكنيسة بأجمعها في أنطاكية وغيرها. لأن ما عمله ق. بطرس لا يحسب **خطية شخصية** يمكن التغاضي عنها بل خطأ في حق الإنجيل!!

فالخطأ الذي يصيب الجماعة يلزم كشفه وإصلاحه علناً أمام الجماعة. كما يقول ق. أغسطينوس: إنه يتحيَّر أحياناً هل يتبع في ذلك إنجيل ق. متى (15:18) الذي يقول: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك ... إلخ» أم يتبع رسالة تيموثاوس الأولى حيث يقول ق. بولس: «الذين يخطئون وبِّخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف.» (1تي 20:5)[102]

«إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهوَّدوا؟»:

واضح أن ق. بولس يؤنِّب ويراجع ويؤاخذ معاً ق. بطرس لأنه كان يعيش سابقاً في أنطاكية بل وفي قيصرية أيضاً مهملاً العوايد اليهودية التي وُلِدَ فيها وتاركاً كل الفرائض اليهودية أيضاً، فالآن بتركه للأمم كأنهم أنجاس وإفراز نفسه عن الاختلاط بهم كخطاة ممتنعاً عن كسر الخبز معهم يفرض على الأمم إلتزاماً[103] بالناموس ويضع فرائضه وعوايده عليهم حتى يحق لهم الشركة مع اليهود المتنصرين وكسر الخبز معهم! هذا السلوك يعود ق. بولس في الآية (18) ويعبِّر عنه تعبيراً شديد النقد: «فإني إن كنت أبني أيضاً (الناموس وعوايده وفرائضه) هذا الذي هدمته فإني أظهر نفسي متعدياً» (غل 18:2). بمعنى أنه إن كان قد أهمل الناموس والفرائض وداس على كل العوايد اليهودية وعاش وأكل مع الأمم ثم عاد ثانية خوفاً من اليهود إلى الناموس يكرم فرائضه وعوايده من جديد فإنه بذلك يعتبر في الحال مداناً على عمله الأول كمخالف وخارج على الناموس. ثم بهذا السلوك يتبنَّى نفس موقف الكتبة والفريسيين ضد المسيح هكذا:

---

(102) Augustine, *Ep.* 95. 3.

(103) هذا هو رأي العالِم ليتفوت والعالِم بروس معاً. (Lightfoot *op. cit.*, p. 114.)، (Bruce, *op. cit.*, p. 132.).

+ «وكان جميع العشارين والخطاةِ يدنون منه ليسمعوه. فتذمَّر الفريسيون والكتبة قائلين: **هذا يقبلُ خطاةً ويأكل معهم.**» (لو 15: 1و2)

بل ومعروف أن ق. بطرس تقبَّل من الله الصوت قائلاً: «فصار إليه أيضاً صوتٌ ثانية: **ما طهَّره الله لا تُدنِّسه أنتَ!**» (أع 10:15). وعاد ق. بطرس مطبقاً صوت الله كمبدأ عاش به: «فقال لهم: أنتم تعلمون كيف هو محرَّمٌ على رجل يهوديٍّ أن يلتصق بأحدٍ أجنبيٍّ أو يأتي إليه. وأمَّا أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسانٍ ما إنه دنِسٌ أو نجِسٌ» (أع 10:28). وهكذا فإنه هنا يناقض الصوت الذي سمعه من السماء ويناقض نفسه بإفرازه لنفسه عن الأُمم وامتناعه عن كسر الخبز وأكله معهم!

ولكن يأتي العلاَّمة ترتليان ويعطي معنى إيجابياً لموقف بطرس الرسول ـ محاولة لتكريم الرسولية بغير وجه حق ـ ويرفع خطأه إلى مستوى المديح إذ يقول كما أن بولس كان يفتخر وينادي أنه صار الكل للكل ليكسب على كل حال قوماً (1كو 9:22)، هكذا صنع بطرس[104].

15:12 «**نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلَسْنَا مِنَ الأُمَمِ خُطَاةً**».

هنا يقول العالِم بروس إن ق. بولس يبدو الآن أنه حوَّل توجيه الكلام للقديس بطرس وبدأ يلتفت للغلاطيين ليقول لهم في سماع الإخوة الكذبة:

«**نحن بالطبيعة يهود**»: fÚsei 'Iouda‹oi

أي لسنا أُمميين بل ولسنا دخلاء ولكن نحن يهود أولاد يهود ديناً ووطناً وأن كل شيء قد عُمل من أجلنا، الأمر الذي عبَّر عنه مرَّة أخرى في رسالة فيلبي هكذا:

+ «لأننا نحن الختانَ، الذين نعبد الله بالروح، ونفتخرُ في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد. مع أن لي أن أتكل على الجسد أيضاً. إن ظنَّ واحدٌ آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى. من جهةِ الختان مختونٌ في اليومِ الثامن، من جنس إسرائيل، مِنْ سبطِ بنيامين، عبرانيٌّ مِنَ العبرانيينَ. مِنْ جهة الناموس فريسيٌّ.» (في 3: 3ـ5)

«**ولسنا من الأمم خطاة**»:

بمعنى أن نسبي ومولدي ليس من بين الأمم المحسوبين خطاة لدى اليهود قبل مجيء المسيح

---

(104) Tertullian, *Adv. Marc.* 4,3, cited by Bruce, *op. cit.,* p. 133.

والإيمان. لأن كلمة "خاطئ" هي الاسم الآخر الدال على الأممي في لغة الدين اليهودي، وقد أسموهم أيضاً كلاباً على أساس أن الكلب أنجس الحيوانات عندهم.

وماذا بعد ذلك؟

16:2 **«إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتبرَّرُ بأَعْمَالِ النَّامُوسِ بَلْ بإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَتَبَرَّرَ بإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بأَعْمَالِ النَّامُوسِ، لأَنَّهُ بأَعْمَالِ النَّامُوسِ لا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا».**

يقول هنا ق. بولس مكمّلاً الآية السالفة: إنه ونحن يهود ونمارس العبادة بالناموس وفرائضه، علمنا أن الإنسان لا يتبرَّر بأعمال الناموس بل بإيمان المسيح لذلك آمنّا بيسوع المسيح. ويُلاحِظ العلماء هنا في الحرف السابق للإيمان في اللغة اليونانية سواء di£ أو k™ وحتى الحرفين ...p™ أو n™ تفيد معاً أن **الإيمان ليس مصدر التبرير ولكن وسيلة.** فالإيمان وحده لا يبرِّر ولكن **بالإيمان يتبرَّر الإنسان** لأن مصدر التبرير هو الله والمسيح.

وبذلك يتضح أن بأعمال الناموس لا يتبرَّر أحد لأن أعمال الناموس ليست في ذاتهامصدراً للإيمان أو التبرير، في حين أن واضع الناموس الذي هو الله والمنفذ الوحيد لكل أعمال الناموس وهو ابن الله يكون مصدراً للإيمان بكل تأكيد. وواضح كذلك أن فارقاً عظيماً بين واضع العمل والعمل ذاته. وشتَّان بين تكريم العمل وتكريم واضع العمل. فعبادة العمل في حد ذاته لا شيء بالمرَّة أو هي ضلالة، أمَّا عبادة صاحب العمل وهو الله فهي كل شيء. وهكذا يصير تفسير هذه الآية واضحاً كل الوضوح: **«الإنسان لا يتبرَّر بأعمال الناموس»** في مواجهة: **«آمنَّا بيسوع المسيح لنتبَّرر بإيمان يسوع».**

لذلك نجد لدى العامة من الناس هذه الحقيقة معمول بها ومحقّقة عُرفاً فالذي يكون أميناً جداً للعمل في حد ذاته دون أي اعتبار لصاحب العمل يقولون عليه إنه "حمار شغل" أي فاقد الفهم لفلسفة العمل لأن العمل لا ينتهي عند ذاته بل إنه يُعمل لأجل صاحبه. أمَّا تطبيق ذلك روحياً فهو قائم في مثل الذين يؤدون فرائض العبادة بكل دقة واهتمام دون أن يكون لهم علاقة شخصية حيَّة بالمسيح. وهذا هو خلاصة المفارقة بين اليهودي والمسيحي. بل أو ليس هذا لا يزال يمارس بيننا عند الذين يكرِّمون الطقوس والواجبات الدينية وليس لهم حياة روحية تشهد بإيمانهم وحبهم للمسيح وأمانة سلوكهم الروحي؟

3 ـ الموت بالناموس للناموس
والحياة مع المسيح يسوع بالإيمان
[2: 17-21]

17:2 «**فَإِنْ كُنَّا وَنَحْنُ طالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ في الْمَسِيحِ، نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً خُطَاةً، أَفَالْمسِيحُ خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ؟ حَاشَا!**».

يتكلَّم القديس بولس هنا عن الذين بعد أن آمنوا بالمسيح من اليهود عادوا ليضيفوا على إيمان المسيح أعمال الناموس، وهنا جمع ق. بولس ثلاث خطوات معاً.

أولاً: الرجل الأممي هو رجل خاطئ في اعتبار اليهود، وقد تنازل المسيح وقدَّم نفسه ذبيحة عنه ليصير الأممي ـ بإيمانه بالمسيح ـ ليس خاطئاً بعد، حيث لا يُطلب منه أي أعمال للناموس. لأن الإيمان بالمسيح أصبح يبرِّر الإنسان الخاطئ.

ثانياً: اليهودي لمَّا رأى أن الإيمان بالمسيح يبرِّر الخاطئ بدون أعمال الناموس آمن بالمسيح فتبرَّر بإيمان المسيح.

ثالثاً: اليهودي الذي تخلَّى عن أعمال الناموس وآمن بالمسيح وتبرَّر بإيمان المسيح إذا عاد وتعبَّد لأعمال الناموس يكون كمن وضع المسيح تحت عبودية الناموس وأعماله، وجعل أعمال الناموس أعلى من بر المسيح. وحاشا.

وقد قرَّر ق. بولس في موضع آخر واصفاً هذا العمل هكذا:

+ «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة.» (غل 5:4)

كذلك يهمنا هنا أن نوضِّح للقارئ المعنى العميق من هذا الكلام: فأولاً وقبل كل شيء نعلم أن المسيح جاء من أجل الخطاة ليعطيهم توبة وحياة أبدية ويتبرروا بإيمان ابن الله.

فإن قال اليهود بعد أن آمنوا بالمسيح: نحن أبرار بالناموس، فإيمان المسيح لا يفيدهم شيئاً.

فإن آمن اليهود بالمسيح وعادوا يعملون بالناموس وفرائضه فلن ينفعهم المسيح ويكونون أيضاً قد سقطوا من النعمة. ولكن لا يحسب اليهودي الذي **ترك الناموس** ليؤمن بالمسيح أنه خاطئ بل هو يحسب أنه خاطئ إذا عاد إلى الناموس بعد أن آمن بالمسيح.

بل والأخطر من ذلك أن اليهودي الذي تنصَّر إن عاد يعمل بفرائض الناموس وتعبَّد للسبت والختان وبقية عوايد الناموس ومتطلباته وأعياده، فهو يحسب نفسه بالضرورة أنه خاطئ يطلب أن يتبرَّر بأعمال الناموس. فإن كان الأمر كذلك ـ وهو مسيحي يؤمن بأن المسيح غفر الخطايا وأعطانا برَّه المجاني ـ أفلا يكون إيمانه المسيحي الجديد تجديفاً على الصليب والغفران والتبرير الذي أكمله المسيح للذين يؤمنون به؟

بولس الرسول لا يتردَّد بأن يقول عن ذلك الإنسان أنه يجعل المسيح خادم الخطية! فأي ضلالة هذه؟

ولكن هذا العمق من الإحساس والموافقة اللاهوتية لحقيقة الخلاص يحتِّم أن يخلع الإنسان ما ترسَّب في ذهنه هذه السنين بل هذه الأجيال من حاجته الملحَّة لاسترضاء الله بالأعمال، لأن الإنسان في صميم حقيقته أضعف من أن يستوعب قوة الخلاص وفعل النعمة وعظمة المصالحة. لذلك نحن نصلّي، ونود القارئ أن يصلّي، لدى المخلّص والفادي العظيم أن يأخذ بيد الضمير ليعيش حقاً في نور نعمة الخلاص وقوته، مستمداً من المخلّص نفسه فعل الخلاص وضميره ـ ليصير الإيمان بحد ذاته قوة تجرُّ الأعمال وراءها. ولا يعود لنا بعد ضمير خطايا مميتة!!

عزيزي القارئ إن كان هذا الأمر كما تراه صحيحاً أفلا يُحسب الإنسان المسيحي الذي آمن بالمسيح ونال البر والغفران المجاني ودخل مع الله في مصالحة وشركة حياة أبدية، ألا يُحسب أنه يجدّف على الصليب والغفران المسيحي المجاني، بل ويستهزئ بالإيمان المسيحي إن هو ظنَّ أن بالأعمال التي يعملها مثل الصوم أو الصدقة والسهر وقرع الصدر والسجود والتواضع والتذلل حتى التراب، يتبرَّر أمام الله أو يتزكى بها لدى الله ويتقرَّب؟! لأن الإنسان لا يتبرَّر بأعماله **قط** ولكن يتبرَّر بالإيمان بالمسيح، والإيمان بالمسيح يتزكَّى فقط أمام الله: «الآب نفسه **يحبّكم** لأنكم قد أحببتموني **وآمنتم أني من عند الله خرجت**» (يو 27:16). وتغفر خطاياه ويتصالح مع الله

ويدخل في شركة المحبة وينال الحياة الأبدية.

فما هي إذن أعمال الصلاة والصوم والصدقة والسهر وقرع الصدر والسجود والتواضع والتذلل أمام الله؟ هل هي أعمال خاطئة أم هي ضلالة كما يقول المتحرِّرون؟ أو هي نافلة وليست بذي قيمة؟ أو هي نقص في الإيمان وضعف في المعرفة؟ اسمع إذن ما هي هذه الأعمال:

لا يوجد إيمان مسيحي ليس له أعمال!! فأعمال الإنسان تكشف عن صدق إيمانه وحرارته ولكن الأعمال مهما صدقت ومهما عظمت حتى وإلى تقطيع الجسد فهي وحدها لا تبرر الإنسان أمام الله أو تقرِّبه إليه، لأن المسيح هو الذي مات وذبح ذاته لحساب الخاطئ، وموت المسيح هو موت ابن الله من أجل الإنسان، وهذا الموت قبله الله فدية كاملة عن كل خطايا الإنسان. ولا يساوي موتَ ابن الله أيُّ عمل مهما كان ولا كل أعمال كل إنسان ولا حتى موت الإنسان، لأن الإنسان هو خاطئ، وموت الخاطئ لا يبرره أبداً لأنه يُحسب له عملاً ميتاً لإنسان محكوم عليه بالموت. ولكن عمل ابن الله بالموت الذي ماته حُسب أمام الله مساوياً لحياة كل البشر المحكوم عليهم بالموت لأنه هو الحياة نفسها ومعطي الحياة. فالمسيح مات بجسد الإنسان ثم أقامه حيًّا لأنه هو الحي الدائم القدوس واهب الحياة. فموت المسيح بجسده القدوس وهو لم يعمل خطية قط حُسب كفَّارة لكل خطية لكل إنسان، ومساوياً للحياة الأبدية التي فيه. فموت المسيح بالجسد على الصليب حُسب كفَّارة لكل خطايا الإنسان، ومَنْ آمن به ينال الحياة الأبدية وتُمحى كل قوة خطاياه مهما كانت. ومع **الإيمان** بموت المسيح وقيامته لا يُحسب أي عمل يقوم به الإنسان أنه مكمِّل بل يُحسب تجديفاً إن ظنَّ الإنسان أنه يبرِّره، وكأن موت المسيح ـ ابن الله ـ يحتاج إلى إضافة من طرف الإنسان ليكمِّل به خلاصه.

فالأعمال في الحياة المسيحية **تكشف عن بر الإنسان الذي ناله بالإيمان بالمسيح** وحرارة الإيمان تظهرها حرارة الأعمال. والفرق بين صوم الإنسان المؤمن حقاً والذي يتبرر بالإيمان فعلاً وبين الأعمال لإنسان يظن أن بأعماله يتبرَّر وينال الخلاص هو كالآتي:

أعمال الإنسان الذي يؤمن أنه تبرَّر بموت المسيح وغفرت له خطاياه ونال الحياة بقيامة المسيح يكون صومه معمولاً بطاقة روحية مملوءة فرحاً وتهليلاً ورجاءً كمَنْ يقدِّم بالصوم الشكر لله ويعترف بفضله، ويشرح بنشفان ريقه أقصى تعبير عن الإيمان الذي هو أقوى من الموت، والحب الذي يساوي الحياة التي نالها، وعند هزال جسده وعينيه الغائرتين من الصوم يعرض علناً أنه كان

ميتاً وعاش وغلب بالإيمان أعمال الموت وساد عليه بإرادته، أمَّا الصوت الخافت الذي لا يكاد يُسمع والحنجرة التي فقدت سطوتها وعزتها من شدة الصوم فهي تسبحة مكتومة وتعبير عن قوة الفرح بأجمل نغم، وأمَّا اللسان الذي اختار الصمت مرغماً من شدة تعب الصوم فصومه تسبحة ترددها الأجيال في سيرة تحفظ.

وأمَّا صوم طالب التبرير والخلاص بالأعمال، فصومه يكمّله بعبوسة الوجه، يعدّ له الساعات وربما الدقائق حتى ينتهي منه بفارغ الصبر، فلا يجني من ورائه إلاَّ الافتخار بعدد أيامه وحسب. لا يشعر فيه أو بعده بفرح للروح أو بهجة القلب، ولا يستطيع أن يتمِّم منه تأملات بالروح أو يرتفع به إلى مراقي الحب الإلهي أو التمتع بعشرة الروح. فضعف الجسد بدون برّ المسيح يأكل من قوة الروح، والانحصار في الجوع بدون الفرح ببرّ المسيح يحبس مخارج النفس والروح فلا تقوى على الدخول في الإلهيات.

هذه مجرد عيِّنة من عمل الصوم كيف ببر المسيح تطير النفس بأجنحة من ضعف الجسد وفراغ البطن عند الذين جمعوا الصوم مع بر المسيح المجاني، وفي الأخرى كيف غطست الروح وساخت النفس تحت وطأة الجوع فلا نالت بر المسيح ولا نالت برًّا من عمل ذلك عند المستندين على جهدهم، فاختفى عنهم البر المجاني والإيمان معاً وخُذِلَ منهم حتى الجسد.

لذلك نقول للمسيحي الآن، إن كان ليس لليهودي أن يتبرَّر بأعمال الناموس بعدما جاء المسيح ومات بالناموس للناموس، أصبح من الحماقة أن يطلب المسيحي ـ الذي هو بلا ناموس أصلاً ـ والذي اعتمد ومات عن الناموس القديم بكل أعماله أن يعود وينشئ لنفسه ناموساً للأعمال الاجتهادية ليتبرَّر بها بعد أن نال بر المسيح المجاني للغفران من كافة الخطايا. لأن بر الإنسان يلغي بر المسيح، بل إن بر الإنسان يحسب خطية جديدة وتجديفاً على موت المسيح الكفاري كأنه لا يقوى على غفران الخطايا.

والقديس بولس يقولها صراحة وفي الوجه أن الذي يحاول أن يتبرَّر بأعماله وهو مؤمن بالمسيح فهو كمن يجعل المسيح خادماً للخطية!!

«حاشا»:

في سياق الكلام تأتي حاشا هنا لنفي القول بأن المسيح يكون ـ بهذا المعنى ـ خادماً للخطية.

وفي الحقيقة أن المعنى أعمق من هذا إذ يعني أنه إذا آمنا بأن أعمالنا تبرِّر أمام الله ففي هذا جحود لعمل المسيح الذي قام به بإلغاء الناموس وكل الخطايا التي يقول بها الناموس.

فهل إلغاء الناموس وتحررنا من وصاياه بدم المسيح يتسبَّب في وقوعنا مرَّة أخرى في الخطايا حتى نحتاج إلى أعمال؟ فيكون المسيح سبباً في الخطية؟ حاشا!! هذا هو المعنى المباشر لإلتجائنا إلى أعمال نتبرَّر بها أمام الله بعد أن آمنا بالمسيح لأن المسيح هو برُّنا الوحيد والكامل أمام الله!

ويقول العالِم ليتفوت: إن الخطية أصبحت ليس في ترك الناموس وإهماله بل في العودة إليه بعد أن تركناه وذلك بعمل أعماله(105). ويقول كذلك إنه لكي نتبرَّر بالمسيح يلزم أن نترك الناموس حيث في الحال نصير خطاة. ففي تركنا للناموس وصيرورتنا خطاة لكي نتبرر بالمسيح عوض الناموس يصبح وضعنا في لحظة البدء كوضع الوثني الخاطئ بدون ناموس يطلب بر المسيح، فهل هذا يضع المسيح كخادم للخطية؟ ويرد القديس بولس ـ حاشا ـ منكراً أن يكون هذا صحيحاً. وكلمة «**حاشا**» هي لنفي حقيقة استفهامية مضمونها كالآتي: ألا يكون المسيح بذلك خادماً للخطية؟ حاشا حيث الجواب يكون بالنفي الكامل للفكر كله، أي لا يكون المسيح أبداً خادماً للخطية. وهذا يوافق ما يقوله الإنجيل من أن المسيح لم يأتِ إلى أبرار بل إلى خطاة ليبرِّرهم (مت 9:13). وهنا يصبح نفس السؤال: فهل المسيح يكون بذلك خادم الخطية؟ حاشا. حيث يكون الجواب بعد ذلك بل المسيح هو قاتل الخطية بجسده حيث يتبنَّى خطية الخطاة فتموت الخطية في جسده ليقيم الخطاة بقيامته من الأموات قاتلاً العداوة بالصليب.

و«**حاشا**»، استخدمها بطرس الرسول لينفي إمكانية موت المسيح على الصليب من أجل الخطاة كفَّارة لهم (مت 16:22). فهنا «**حاشا**» قالها ق. بطرس للمسيح قبل أن يُصلب ليمنعه من الصليب، ذلك ليؤكد عدم إمكانية موت المسيح كفَّارة للخطاة مع أن موت المسيح كفَّارة للخطاة كان هو أعظم أعمال الله للإنسان. ولتوضيح ذلك نقول إن ق. بطرس نفى موت المسيح "**كإله**" وهذا حق، لأن الذي مات بالفعل هو الجسد، فالإله **مات بالجسد** وعلى هذا الأساس اعتبر المسيح قول ق. بطرس في حاشاك يا رب (أن تُقتل) محاولة من الشيطان ليعطِّل عملية الكفارة فقال له: «فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان. أنت معثرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما

(105) Lightfoot, *op. cit.*, p. 116.

للناس.» (مت 23:16)

ولكن هنا في «**حاشا**» التي قالها ق. بولس اتجاه آخر إذ ينفي عن المسيح الإله أن يكون خادماً للخطية بالجسد، لأنه في الحقيقة أخذ خطية الخطاة في الجسد ليميتها بالجسد وهو عالم بقيامته لكي يبرِّر الخطاة بموته وقيامته.

ونقول إن الناموس كان يتعامل مع الخطية وتركنا لها فقتلتنا، ولكن بتعاملنا مع المسيح جعلنا المسيح هو الذي يتعامل مع الخطية فتبررنا. فبعد أن آمنا بالمسيح إذا رجعنا لأعمال الناموس نُدخل المسيح معنا تحت خدمة أعمال الخطية والموت. لأن المسيح يكون فينا وهو الذي يعمل فينا الأعمال، مع أن المسيح هو سيد الناموس وَجَعَلنا معه أسياداً على الناموس وعلى الخطية والموت.

وأيضاً كان الناموس **سيداً علينا** متخذاً من الخطية فرصة ليحكم علينا بالموت كعبيد للخطية نستحق الموت لأن الناموس يقول كل مَنْ يُخطئ يموت. فجاء المسيح عوض الناموس بشبه إنسان وجلس الكتبة والفريسيون على كرسي موسى، أي في مجلس قضاء الناموس، وحكموا على المسيح «**كإنسان**» بالموت كأنه عبد للخطية ظلماً بسبب عمى قلوبهم وعقول القائمين على القضاء بالناموس. فمات سيد الناموس الإنسان الوحيد يسوع ابن الله الحامل لكل بشرية العالم والممثِّل لها أمام قضاء الله، وبموته تلقَّى حكم الموت الواقع من الناموس على البشرية كلها، فتبرَّأ المسيح بالقيامة من الموت مُعلناً أنه ابن الإنسان وابن الله الذي لم يخطئ قط ولا عرف الخطية. فأعلن ببراءته وقيامته من الموت براءة جنس الإنسان الذي يمثله **ولكن لكل مَنْ يؤمن به.** فكل إنسان يؤمن بالمسيح ابن الله أنه مات ليوقع حكم الموت على نفسه كخاطئ من أجل خطايا كل مَنْ يؤمن به، فإنه حتماً ينال الحرية من الناموس والخطية معاً.

فإن عاد ليبرِّر نفسه بأعمال الناموس يفقد إيمانه بالمسيح ويعود إلى عبودية الخطية مرَّة أخرى، وبهذا يحوِّل الإيمان المسيحي الذي فيه إلى خدمة الخطية كعبد لها، وهذا يتسحَّب على المسيح نفسه فيجعله بذلك خادماً للخطية دون أن يدري.

18:2 «**فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضاً هذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ، فَإِنِّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً**».

هذا حق يُشهره القديس بولس في وجه اليهود الذين آمنوا بالمسيح ـ صورياً ـ ثم عادوا يعملون بفرائض الناموس ووصاياه أملاً ورجاءً أن يتبرَّروا بأعمال الناموس، فهو يقول لهم

إن إيمانهم بالمسيح في حقيقته الأولى والعظمى يعني هدم ناموس موسى بكل فرائضه التي عجزت عن أن تبرِّر اليهود. فكيف أعود كيهودي أعمل أعمال الناموس وفرائضه بعد أن رفضتها عن حق لأنال بر المسيح بالإيمان بالمسيح. فيقول لهم أليس هذا معناه أني كمَنْ يعود يبني ما سبق أن هدمه عن حق، ويؤمن بما جحده فيدان على ما جحده وهو حق. وحينئذ أُدان كمتعدٍّ على الحق. والقديس بولس يضمر في قوله هذا حقيقة أخطر وهي أنه بعودته لأعمال الناموس إنما يهدم أيضاً الإيمان بالمسيح. ويقول في هذا المعنى العالِم بروس: إن المسيحي إن صنع ذلك فيكون على مستوى الوثني سواءً بسواء(106) وكأنه يعود ويحسب نفسه أحد الخطاة الذين بلا مسيح.

ويقول العالِم ليتفوت إنه لفهم الآية (18) يلزم ربطها بالآية (17) فيأتي المعنى هكذا: «**حاشا**» لأنه حاشا للمسيح أن يكون خادماً للخطية. فالحقيقة أنه لا توجد خطية في تركنا للناموس إنما الخطية حقاً هي في العودة إلى الناموس مرَّة أخرى.

19:2 «**لأنِّـي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا للهِ**».

لقد حُكم على المسيح بمقتضى قوانين الناموس كخاطئ ولكنه مات خصيصاً وبإرادته ليكمِّل قانون الناموس الحاكم على الخطاة بالموت لينقذ الخطاة من الناموس، وقام حيًّا بالله لله. وهكذا متنا معه بالناموس لتكميل قوانين الناموس وقمنا معه لنحيا معه لله:

\+ «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون.» (يو 19:14)

والآن لو استخدمنا هذه الآية التي جاءت بالبادئة «**لأن**» لتعطي شرحاً لما سلف فهي تعطي رداً واضحاً لمَنْ عاد بعد أن آمن بالمسيح ليخضع للناموس ووصاياه لتفضح موقفه كيف يعود للناموس الذي قتل المسيح وقتله كخاطئ، فهذا يضع المسيح مباشرة في موضع الخاطئ وخادم الخطية، كما تضع مَنْ يصنع هذا في موضع المتعدِّي لأنه عاد وصالح الناموس بعد أن حكم عليه كقاتل المسيح.

20:2 «**مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي**».

المسيح لم يُصلب لنفسه بل صُلب في حقيقة الأمر من أجل بولس ومن أجلي، إذن فالصليب في

---

(106) Bruce, *op. cit.*, p. 140.

الحقيقة وعين الأمر لم يقع على المسيح إلاَّ ليقع عليَّ لكي عندما يقوم المسيح ويحيا أقوم معه وأحيا حتماً معه، لأنه هو صُلب حقاً ليقوم بالحق. فأنا أخذت كامل خبرته وعمله لأنه إنما دخلها من أجلي. لذلك حقَّ للقديس بولس أن يقول ـ وحقَّ لي أن أقول معه ـ «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» لأن الحياة التي قام بها المسيح هي ليست حياة إنسان بعد، بل حياة إلهية، حياة ابن الله التي تدوم إلى الأبد ولا يقربها موت بعد!! فإذن بالرغم من أني قمت مع المسيح إلاَّ أن الحياة التي قمت فيها معه ليست حياتي بل حياة المسيح التي وهبها لي لأحيا معه إلى الأبد!!

لذلك أصبحت الحياة التي أحياها الآن في الجسد هي نظير إيماني بالمسيح كونه ابن الله الحي الذي لا يموت: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو 19:14). أمَّا نص هذا الإيمان الذي يؤهلني لأن أنال به حياة المسيح فيَّ فهو الإيمان الذي ينص على أن المسيح هو ابن الله الذي قدَّم نفسه للموت من أجل حياتي كخاطئ ليعطيني فرصة غفران الخطية بتكميله الموت الواقع عليَّ ثمناً لخطيتي، ثم بقيامته علناً وجهاراً ـ وأنا معه ـ برهاناً ثابتاً أبدياً أن خطيتي قد مُحيت وحلَّ محلها الغفران ثم الحياة.

هنا تتكشف لنا حقيقة القول بأن الروح القدس حيٌّ فينا أو ساكنٌ فينا! فمن أين يجيء إلينا الروح القدس إلاَّ كون المسيح هو أولاً الذي يحيا فينا، فالمسيح يحيا فينا بالروح القدس المحيي!!

ولكن ليت لا تتوه منَّا الحقيقة المخفيَّة في الكلام: **«إيمان ابن الله الذي أحبني»** فهنا الإيمان المسيحي أصلاً قائم على أساس الحب، الحب الإلهي الذي ملأ قلب المسيح وجعله يستهين بالموت من أجلي. فأساس الفداء هو الحب الذي ملأ قلب المسيح. وهنا تتكشف لنا الحقيقة المقابلة بالضرورة وهي أن إيماننا بالمسيح يتحتَّم أن يكون متأسساً على محبتنا للمسيح، لأن محبة المسيح هي التي دفعته للموت من أجلي. هكذا يتحتَّم أن تكون محبتي للمسيح هي التي تدفعني للإيمان بمَنْ أحبني وفداني. فحب الفادي يوازيه حب المؤمن. وبصريح القول يتبيَّن لنا أن قوة وفاعلية الإيمان الحقيقي الحار هي المحبة التي يتوجَّب أن تبلغ في الشدة والقياس إلى مستوى محبة الفادي. ولكن في ظننا يستحيل هذا القياس، ولكن الحادث فعلاً أنه بمجرَّد أن نلتهب حبًّا للمسيح، ينفتح حب المسيح علينا فنأخذ منه ونعطيه، وهذا يتضح من نماذج القديسين الذين وهبوا المسيح حياتهم والتهبت أشواقهم فانسكب عليهم حب المسيح فصاروا شعلات ملتهبة من الحب والإيمان معاً.

هذا السر، سر الإيمان والحب الملتهب يزداد إشراقاً إذا نظرنا إليه من قول يوحنا الرسول في رسالته الأولى: «نحن نحبه لأنه هو أحبَّنا أولاً» (1يو 19:4). إنه رد فعل، فبقدر شدة الفعل أي

محبة المسيح لنا تجيء شدة رد الفعل أي حبنا للمسيح. فالمسيح المحبوب هو سر **الحب** المتبادل **وقوته!!**

إلاَّ أن شدة حب المسيح لنا هي أصلاً رد فعل بالتالي من حب الآب!! كما يقول المسيح نفسه: «كما **أحبني** الآب كذلك **أحببتكم أنا**» (يو 15:9). والمسيح اعتنى هنا أن يضع كلمة «**كذلك**» لتلمِّح إلى المستوى من القوة والشدة!

انظر أيها القارئ وتعجَّب، فنحن لا نُحسب قط أصحاب فضل أو مبادرة في حب المسيح والآب، فإن أحببنا المسيح فهو أحبنا أولاً، وإن بلغنا الشدة في حبنا له فليست هذه الشدة من فراغ أو من قوتنا لأنها انسكبت علينا بشدة استعلنها المسيح لمَّا أسلم نفسه من أجلنا!! فموت المسيح هو الحد المذهل الذي بلغه في شدة حبه. فإن بلغ حبنا للمسيح حد الموت نكون بالكاد قد بلغنا حد حبِّه!!

ثم إذ كشف لنا المسيح مصدر حبه وشدة حبه أنه آت له من الآب، يكون قد أوضح الهدف الذي ألحَّ عليه المسيح في صلاته للآب في (يو 17): «ولست أسأل من أجل هؤلاء (التلاميذ) فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، **ليكون الجميع واحداً**، كما أنك أيها الآب فيَّ وأنا فيك، **ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا**» (يو 17: 20و21). ثم يزيح المسيح الستار عن أقدس حب عرفه الإنسان: «وليعلم العالم أنك أرسلتني، **وأحببتهم كما أحببتني**» (يو 23:17). ويزيد كشف منابع سر حب الآب لنا هكذا: « وعرَّفتهم اسمك وسأعرِّفهم، **ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.**» (يو 26:17)

أيها القارئ العزيز هذه هي روائع مفردات الإيمان المسيحي، يقول عنها ق. بولس في هذه الرسالة إنها أركان الحياة التي نحياها الآن بالجسد: «**فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله** (المحبوب) **الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي!**» (غل 20:2). يا لغنى حياتنا بالحب والإيمان اللذين ننسج منهما كسدّة مع لحمة نسيج أيامنا وليالينا كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة بل كل ثانية. نصفها الأول حب ونصفها الآخر إيمان ملتحمان ليخرج منهما نسيج الحياة. وهذا الحب هو هو الذي انحدر إلينا من قلب الآب عبر المسيح وكأننا نتنفس بحب الآب والابن؟ فأي خليقة نحن وما هذا الذي صرنا إليه؟ نعم إذا أردت أن تعرف أي خليقة نحن فاسمعها من قول ق. بولس في رسالته إلى أفسس حيث يقول: إنه خلقنا كأبناء مسرَّة مشيئة الآب، أي أن الآب

أراد أن يفرح بأبناء فخلقنا له في المسيح: «إذ سبقَ **فعيَّننا للتبنِّي** بيسوعَ المسيح لنفسهِ، حسب **مسرَّة مشيئته**» (أف 1:5). فإن كان هذا قصد الآب أن نكون أبناءً لنُفرِّح نفسه؟ فماذا تكون حياتنا وعملنا؟ يقول: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف 1:6)

أيها القارئ إذا أهملت هذا الحب الإلهي بكل ثقله وكل أعماله واتجاهاته من حياتك فإنه لا يبقى لك إلاَّ الموت. لأن حب الآب هو الذي أقام المحبوب من الأموات. وحب المحبوب لنا هو الذي أخذ موتنا وأعطانا قيامته أو بالحري حب الآب، فإن كانت محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس (رو 5:5) ـ سواء محبة الآب أو الابن ـ فذلك نظير إيماننا بمحبة الآب العاملة بالمسيح في الخلق والفداء.

وهكذا يتبرهن لنا بالحق قول ق. بولس هنا:

+ «فما أحياهُ الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلمَ نفسه لأجلي.» (غل 2:20)

كلمة أخيرة عن مضمون قول ق. بولس في مناقضة شكلية **«فأحيا لا أنا»** ثم يعود فيقول: **«فما أحياه أنا الآن ...»** هنا ق. بولس يعبر على «أنا» مرتين، مرَّة بالنفي ومرَّة بالإيجاب:

الأولى: ماتت بموت المسيح، وهي أنا الإنسان العتيق لكل الناس وهذا تمَّ بالإيمان بموت المسيح الكفاري.

الثانية: هي أنا المسيح الذي قام من موت خطيتي وأنشأ لي إنساناً جديداً هو مركزه، وهو لكل الناس، وهو رأسه، وهو إنسان الإيمان بالمسيح.

لذلك يقول: «فما أحياهُ (أنا) الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله»

وواضح أن قوتين تعملان للموت والقيامة اللتين يتحتَّم أن نجوزهما لننتقل من الموت للقيامة للحياة بين **لا أنا** المائتة المنفية **وأنا** القائمة الحية:

القوة الأولى: **الإيمان،** والقوة الثانية: **الحب.**

الإيمان وحده يبلغ بالجسد العتيق الموت، والحب وحده يتجاهل موت الجسد العتيق ويخلق الجديد، وبالاثنين **أموت وأقوم معه.** لذلك يقولها ق. بولس واضحة متلازمة: «**إيمان** ابن الله الذي

أحبني» وأنا استمد إيماني من إيمان ابن الله وحبي من حب ابن الله.

العتيق لا خلاص منه إلاَّ بالموت الصادق،

والجديد مخلوق بالمحبة بالحب الصادق.

وهكذا يبقى تعاملنا على طول الحياة: موت لأنا العتيقة، وحياة للإنسان الجديد وأنا فيه هي المسيح.

سلاحنا للموت هو **الإيمان** بمَنْ مات من أجلنا ونحن معه.

ورجاؤنا للحياة هو **الحب** حب الآب والابن لنا بل فينا لمَّا قام بنا.

إنه درس التأمل للعمر كله.

21:2 «**لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذاً مَاتَ بلا سَبَبٍ**».

هذا امتداد أو رد على الآية السابقة التي انتهت بمفهوم: «فما أحياهُ الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلمَ نفسه لأجلي» (غل 20:2). فيكمِّل إذن لا يمكن أن أبطل نعمة الله التي نلتها من محبة المسيح الذي مات من أجلي فألْغَى سطوة الناموس عني، لأنه إن كان بالناموس برٌّ ـ فلماذا المسيح؟ ـ فالمسيح إذن مات بلا سبب. هذا يُحتسب تجديفاً على قوة الموت والقيامة وبالتالي تجديفاً على الخلاص الذي تمَّ بالموت والقيامة.

هذه بحد ذاتها هي نعمة المسيحية العظمى أن نتحرَّر من سطوة الناموس ومن سطوة أحكام الموت التي يحكم بها بلا رحمة على الخطاة. فالمسيح ألغى الخطية بموته لمَّا أخذ حكماً بالموت بواسطة الناموس والقائمين على تنفيذه باعتباره خاطئاً وهو القدوس البار الذي بلا لوم. إذن فموته احتُسب موتاً من أجلي أنا الخاطئ وكل خاطئ!! فأي نعمة هذه؟ فهل ممكن أن أعود مرَّة أخرى للناموس القاتل كأنه حق وأبطل نعمة المسيح التي علينا بالغفران والحياة الأبدية؟ فهي بكل اختصار كالآتي:
إما موت مع المسيح ونعمة وبركة وحياة، وإما لعنة بالناموس وموت فوق الموت.

ولكن في نهاية الأصحاح الثاني لا نستطيع أن نعبره لما بعده وضياء الآية: «**أحبني وأسلم نفسه لأجلي**» قد خطف أبصارنا، هذا أول تعبير لإنسان يحتوي حب المسيح كله في ضعفه بكبرياء الحب المنقطع النظير!! مَنْ أنت يا بولس حتى تنسب لنفسك كل حب المسيح الذي سكبه على

عالم الإنسان في ماضيه وحاضره ومستقبله!! «أحبني» !

وكيف رأيت أن المسيح أوقف حبه لك وبمفردك؟

الحقيقة أيها القارئ العزيز أن البشرية غارت كلها من ق. بولس، وتقمَّص كل إنسان في المسيح مقولة ق. بولس هذه وبنفس الشموخ، فصارت وكأن المسيح قد أوقف كل حبه لكل إنسان على حدة وبمفرده، وفي ملء حبه هذا اقتحم كل أهوال الموت لينقذنا واحداً فواحداً. فلا حبّه نقص ولا خطايا كل الخطاة استنفذت أعماق هذا الحب العجيب.

أيها القارئ وهل يمكن لإنسان مسيحي بعد ذلك أن يقول أنا خاطئ؟

أمَّا أنا فأستعير مقولة ق. بولس وأقول لست أبطل نعمة المسيح فإن كانت الخطية أقوى من موت المسيح فاحكموا.

لقد متُّ مع المسيح ثمناً لخطيتي فما أحياه الآن أحياه في برِّ المسيح!!

الأصحاح الثالث

1 ـ [3: 1 ـ 5]: توبيخ الغلاطيين على انتقالهم من الإيمان إلى الناموس ومن الروح إلى الجسد.
2 ـ [3: 6 ـ 8]: إيمان إبراهيم نموذج للبر المجاني.
3 ـ [3: 9ـ14]: الناموس لا يبرِّر، بل الذي تحت ناموس هو تحت لعنة. المسيح فدانا من لعنة الناموس لتنتقل بركة إبراهيم للأمم بالإيمان حسب الموعد.
4 ـ [3: 15ـ18]: الناموس لا يبطل موعد الله لإبراهيم.
5 ـ [3: 19ـ29]: لماذا الناموس؟ كان مؤدبنا حتى مجيء المسيح، الذي بالإيمان

والمعمودية أعطى البنوّة للجميع.

1 ـ توبيخ الغلاطيين على انتقالهم من الإيمان إلى الناموس ومن الروح إلى الجسد
[3: 1-5]

ثلاثة عوامل اجتمعت معاً أمام ق. بولس بالنسبة لتحوُّل الغلاطيين إلى العمل بالناموس بعد أن آمنوا بالرب يسوع:

العامل الأول: سرعة ارتدادهم عن الإيمان بالمسيح وذكرها في بداية الأصحاح الأول:

+ «إني أتعجَّب أنكم تنتقلون هكذا **سريعاً** عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر.» (غل 1:6)

العامل الثـاني: انتقالهم من حالة إيمان في حرية مطلقة بالمسيح غير مستعبدين إلى أشخاص أو قوانين أو أنظمة أو عوايد أو تحديد الأيام للعبادة، وذلك تحت تأثير قوم كذبة مدخلين لزعزعة إيمانهم:

+ «ولكن بسبب الإخوة الكذبة المُدخَلين خفيةً، الذين دخلوا اختلاساً ليتجسَّسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.» (غل 2:4)

العامل الثالث: تعب ق. بولس معهم طويلاً وهو يلقنهم الإيمان بالمسيح ويرسم لهم في قلوبهم صورة المسيح موقَّعة على الحب الحقيقي الذي كلَّفه حياته لينشلهم من الخطية والهلاك، وعلى برّه المجاني ونعمته التي شملت حياتهم إذ آمنوا به.

هذه العوامل الثلاثة برزت في ذهن ق. بولس مجتمعة لمَّا سمع عن هؤلاء الغلاطيين أنهم باعوا المسيح ليسيروا مع اليهود في طريق مسدود، فطار صوابه وكلَّمهم بعنف لا يقل عن عنف المسيح لمَّا خاطب تلميذي عمواس قائلاً: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان» (لو 25:24)، حيث الغباء هنا ضد الحكمة sof…a وبطيئا القلوب تعني البلادة في الاستجابة والفهم.

3 : 1 **«أيـُّهَا الغلاطِيُّونَ الأغْبيَاءُ مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لا تُذعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ**

يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوباً!»

«مَنْ رقاكم حتى لا تذعنوا للحق؟»:

الرُقية هنا هي السحر، ولكن كما يقول يوحنا ذهبي الفم ليس معناه أن هؤلاء القوم الكذبة المفسدين للإيمان قد عملوا لهم سحراً حتى لا يذعنوا أي لا يخضعوا للحق وينحرفوا عن الإيمان، بل يتجه المعنى إلى أن هؤلاء الأشرار حسدوهم بالفعل على النعمة التي وصلوا إليها، وفي حقدهم على ضياع يهوديتهم أرادوا أن يزعزعوهم عن الحق الذي آمنوا به. وهذا الشرح أنسب ما قرأت عن هذه الآية.

وهذا يعيد لنا ذكر ما قاله بيلاطس عن الصراخ والمكايد التي عملها رؤساء الكهنة بالمسيح ليسلّموه للقتل: «لأنه عرف أن رؤساء الكهنة **كانوا قد أسلموه حسداً.**» (مر 15:10)

والحسد كانت رذيلة شنيعة سائدة بين اليهود.

أمَّا "يسوع المسيح الذي رُسم أمام عيونهم" فهو تعبير بولس الرسول على قدرته المحكمة في تقديم شخص يسوع المسيح للمؤمنين به حتى ينظروه، كأنه لم يترك في شخصية المسيح صفة هامة لحياتهم إلاَّ وأفرط في توضيحها. وأكثر صفة تحدد معالم شخصية المسيح وترسمه في قلوب سامعيه كانت الصليب الذي صعد عليه بإرادته بمقتضى الحكم الذي صدر من السنهدريم دون أن يدافع عن نفسه، بيد عسكر الرومان. إذ في هذه الوقفة الواحدة على الصليب وقبول تعذيبه حتى الموت دفع ديون كل البشرية إذ قَبِلَ الموت بالجسد الذي أخذه منَّا لكي نكون شركاءَه في هذا الموت عينه إن آمنَّا به بالحق. لذلك لا يُقال إنه صُلب وتألَّم ومات **"عنَّا"** بل **"من أجلنا"** لأننا اعتُبرنا أننا أكملنا ذلك معه لمَّا قَبِلَه في جسدنا الذي أخذه منَّا وهو لم يكن مستحقاً له إذ هو القدوس البار. فلهذا يُقال إنه أخذ حكم الموت في جسده من

أجلنا ليعطينا حق البر الذي له، أي أننا تبرَّرنا بموت المسيح وصار الصليب علامة أو رمز برنا. وهذا التكفير عن الخطايا الذي أكمله المسيح من أجلنا مع هذا التبرير فيه كان هو الوضع الجديد أو العهد الجديد الذي انتقلنا بالإيمان به إمَّا من عهد الناموس وأحكامه وعبوديته من جهة اليهود وإمَّا من عهد الوثنية والضياع والتشرُّد بالنسبة للأُمم. فأصبح المسيح هو مخلّص العالم كله يهوداً وأُمماً أجمعين نظير الإيمان به وبصليبه وموته وقيامته من أجلنا.

2:3 «**أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هذا فقطْ: أَبِأَعمَالِ النَّامُوس أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟**».

هذه الآية مرتبطة منطقياً بالآية (5:3) التي تقول: «فالذي يمنحكم الروح، ويعملُ قواتٍ فيكم،

أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟»

إذن فالقديس بولس يتكلَّم مع قوم نالوا الإيمان بالمسيح كهبة سماوية حقيقية، وحلَّ عليهم الروح القدس كعلامة فعل الإيمان، بل وابتدأ الروح يعمل فيهم بقوته المعروفة. فالقديس بولس يتكلَّم عن واقع حاصل أمام عينيه يُذهل العقل، فهم قوم يؤمنون بالمسيح ويعملون بالروح القدس قوات منظورة ويفتخرون بها، وبعد ذلك يسحبهم الإخوة الكذبة ويعودون بهم إلى أعمال الناموس والديانة اليهودية مرَّة أخرى.

ومعروف أيها القارئ العزيز أن الناموس في الديانة اليهودية يقوم أساساً بتعريف كل إنسان بخطاياه ثم يطالبه ـ **إذا كانت الخطايا عن سهو** ـ بتقديم ذبائح معينة لكل خطية فيغفر له. أو يقدَّم للسنهدريم للرجم بدون دفاع أو عفو من أي نوع **إذا كانت الخطية عمداً.**

أمَّا الإيمان بالمسيح فيلغي حكم الموت عن كل الخطايا وخاصة العمد: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس» (مت 32:12)، «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رو 9:10). لذلك فالرجوع إلى أحكام الناموس وفرائضه بعد الإيمان بالمسيح ونوال الروح القدس وقوته لا تُفهم إلاَّ أنها نوع من الخبل أو الغباء كما يقول بولس الرسول.

ويستفسر بولس الرسول من هؤلاء المسيحيين المطغى عليهم، الذين عادوا للناموس وهم بحال الإيمان بالمسيح وحاصلين على قوة الروح القدس. والسؤال هنا استنكاري يكاد يحكم على صاحبه بالخبل: هل أخذتم الروح القدس وقوته بأعمال الناموس أم بخبر الإيمان بالمسيح؟

ويعود ق. بولس سريعاً ويجاوب على سؤاله بحكم أصدره هو في الحال!

3:3 **«أَهكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟».**

القديس بولس يحكم أولاً بالغباء أي بانغلاق العقل وغياب الحكمة المؤكد، ثم يعلل الحكم بسؤال استنكاري: كيف بعد أن ابتدأوا حياتهم الجديدة في الإيمان بالمسيح بالحصول على الروح القدس الذي هو قوام العهد الجديد في المسيح باعتباره القوة والنعمة الموهوبة شخصياً من المسيح في الحياة الجديدة لعمل أعمال روحية جديدة تليق بالحياة الأبدية المدعوين إليها، كيف يعودون بعد ذلك إلى أعمال الجسد؟!

وقوله بعدما ابتدأتم بالروح تكمّلون الآن بالجسد فيها مناقضة شديدة غير محتملة، فالذي ابتدأ بالروح إنما يكمِّل بالروح، لأن الذي أخذ الروح القدس بالإيمان بالمسيح أخذه ليعمل أعمال المسيح، المحبة والرحمة والحق والسلام، ويبني إنسانه الجديد بالروح للبر ليليق للحياة الأبدية المدعو إليها. فإن هو بعدما أخذ الروح ليبدأ به حياة الروح لحساب المسيح والحياة الأبدية عاد ليعمل أعمال الجسد من فرقة وبغضة وحقد وحسد وانتقام، التي هي شيمة أهل الناموس، لا يُحسب أنه يكمِّل ما عمل به بل يهدم ويحكم على نفسه بحكم قضاء الناموس. وأعمال الجسد هنا المقصود بها أعمال الخطية.

على أن كلمة «تكمّلون» هنا فعل غريب عن مجرى الكلام، لأن الذي يبتدئ بالروح ليس له تكميل لأنه هو الكمال، من حيث ابتدأ، فالروح هو البداية والنهاية وعمله كذلك. لذلك نقول إن كلمة تكمّلون هي بنوع من الاستهزاء لأن الابتداء بالروح الذي حدث، حدث على قاعدة من الغباء وعدم معرفة لقيمة الروح الذي أخذوه حتى أنهم خلطوا الظلمة مع النور وهم لا يدرون.

4:3 **«أهذا المِقْدَارَ احْتَمَلْتُمْ عَبَثاً؟ إنْ كَانَ عَبَثاً!»**.

هذه الآية حيَّرت الشرَّاح ولكن المعنى واضح، فهؤلاء الغلاطيون لمَّا قبلوا الإيمان بالمسيح تحمَّلوا أتعاباً واضطهادات، وبولس الرسول هنا يرثي لحالهم وهو كمن يقول لهم: فما بالكم بالأتعاب التي احتملتموها بهذا المقدار؟ أي أنها كانت كثيرة حتى بلغتم الإيمان الصحيح وقبلتم المسيح. فهل هذا التعب كله كان باطلاً أو بلا نتيجة؟ وفي قوله عبثاً يعود مرَّة أخرى ويكررها مستنكراً أن تكون الأتعاب التي احتملوها من أجل المسيح أنها صارت عبثاً. فهو لا يزال يرجو عودتهم للمسيح. وهذا واضح من مضمون الرسالة ككل.

5:3 «**فَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرَّوحَ، ويَعْمَلُ قوَّاتٍ فِيكُمْ، أبأَعْمَال النَّامُوس أمْ بخَبَر الإِيمَان؟**».

واضح أن ق. بولس يتكلَّم عن الله، فهو الذي يمنح الروح وهو الذي يعمل القوات فيهم. ولكن قصد ق. بولس ليس الفاعل في العطاء والعمل بل الواسطة أو الوسيلة. ما هي الواسطة أو الوسيلة التي استخدمها الله معهم وفيهم في عطاء الروح وعمل القوات؟ هل أعمال الناموس التي لم يسمع أحد قط أن إنساناً ما نال الروح القدس بأعمال الناموس؟ أم بأعمال الناموس عمل القوات؟ فالروح القدس لم يُعطَ للعالم إلاَّ بعد أن تمجَّد المسيح، أي صُلِب ومات وارتفع، وذلك كان يوم الخمسين.

ومن بعدها سمعنا أن كل الذين نالوا الروح القدس مُنحوا أن يصنعوا قوات بشهادة الروح القدس.

بولس الرسول هنا يضع العلامات المميزة التي تفرِّق بين العهدين، عهد الناموس والتذلل والذبائح، وعهد الروح القدس وعمل القوات بخبر الإيمان وتصديق الروح. وهذه العلامات المميِّزة سواء عطية الروح أو عمل القوات إذا تجاسر أحد مثل هؤلاء الغلاطيين وأخذ نعمة وموهبة المسيح التي نالها بالخبر والإيمان واستخدمها مع الخضوع لعبودية الناموس ليعيش بها تحت ناموس موسى، فإنه يلغي النعمة ويسقط عمل الروح ويقع تحت الرفض من الله والمسيح والروح. وهذا ما خاطب به ق. بولس هؤلاء القوم هكذا:

+ «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة.» (غل 5:4)

وهنا فلينتبه القارئ، لأن هؤلاء الغلاطيين بحسب الظاهر والشكل لم يفقدوا الروح القدس ولا ضاعت منهم أعمال القوات لما انحرف إيمانهم وبدأوا على غش يمارسون فرائض الناموس والعبادة اليهودية. هذا أمر يلزم أن نفهمه جيداً، لأنه بحسب قانون المواهب ـ مواهب الله وعطاياه ـ هي بلا ندامة، أي لا يندم الله على عطيته للمواهب بالنسبة لأي إنسان، ولكن الذي يحدث لذلك الإنسان الذي ينحرف عن الإيمان الصحيح هو أخطر جداً من سحب المواهب وتوقُّف عمل الروح، فالذي يحدث هو الوقوع في الضلالة وإمكانية تدخُّل العدو مستخدماً هذه القوات عينها لتمكين الإنسان وكل مَنْ يتبعه إلى عمل الضلالة. حيث لا يعسر على العدو تقليد المواهب وعمل الروح أو حتى الانحراف بها.

ولكن كما سبق وقلنا وكما سيأتي من كشف ق. بولس أكثر لضلالتهم أنه واجههم

بهذه الحقيقة بكل شجاعة: قد سقطتم من النعمة ... قد تبطَّلتم عن المسيح ... أيها الذين تتبرَّرون بأعمال الناموس (غل 5:4).

غير أنه في تعليق ق. أغسطينوس على هذا الوضع يقول إنهم لم يسقطوا بعد بل كانوا على وشك السقوط[107].

(107) Meyer, *on Galat*. p. 108.

2 ـ إيمان إبراهيم نموذج للبر المجاني
[3: 6-8]

6:3 **«كَمَا آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا».**

هنا يعلّق ق. بولس على قوله السابق إن الذي يمنحهم الروح ويعمل القوات هو "بالإيمان" وليس بأعمال الناموس. ويوثّق قوله بما حدث لإبراهيم حينما **آمن بالله** فحُسِبَ له إيمانه برًّا. فهكذا يقول ق. بولس لهم: إن إبراهيم لم يكن تحت ناموس ولا كان له أعمال للناموس يعملها، ولكن الله عرض خبر الإيمان عليه فآمن فحُسِبَ له برًّا. هكذا الوضع بالنسبة للغلاطيين في نظر ق. بولس، أنهم لما تركوا أعمال الناموس وآمنوا بالمسيح ابن الله فإن إيمانهم هو الذي منحهم الروح وعمل فيهم القوات. وهذا هو بر الله الذي صار بالإيمان بالمسيح.

وهنا يؤكّد ق. بولس أن إبراهيم لم يكن قد عمل أي عمل يستحق عليه البر، فالبر هبة مجانية منحها له الله نظير إيمانه بالله. لأن الإيمان بالله هو أعظم عمل يمكن أن يقوم به إنسان. فالإيمان بحد ذاته هو اعتراف كلّي بضعف الإنسان وعدم نفعه بل وعدم مقدرته لعمل شيء يرضي الله، وهو بحد ذاته التجاء إلى رحمة الله واتكال كلّي على نعمته وخيريته. فإذا كان الإيمان صحيحاً وقبله الله واختبره إن كان حقاً قد اختار الإنسان الله فوق كل شيء وبالرغم من كل شيء وأعظم من كل شيء، كما اختبر الله إيمان إبراهيم به في طلبه أن يقدِّم ولده ذبيحة له فما امتنع ولا تراخى بل أسرع ورفع السكين على وحيده، فكان رد فعل الله على إيمان إبراهيم الصادق أن أقسم له بذاته أن يباركه بركة عظمى حتى أن الله صمَّم أن يأتي **"ابنه"** من نسل

إبراهيم، لكي يكمِّل الله خطته فيه ليبارك به كل أُمم العالم، الذي كان وصار وهو يسوع المسيح ربنا.

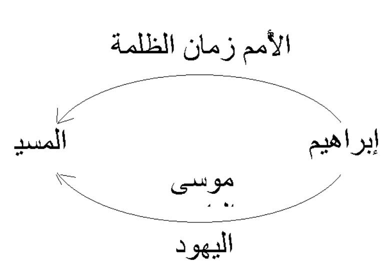
فالآن وقد عرض الإيمان بالرب يسوع المسيح على الغلاطيين فقبلوه فوق ناموس موسى وآمنوا به، إذن فقد أصبح إيمانهم على مستوى إيمان إبراهيم وأثبتوا بحق أنهم أولاد إبراهيم تماماً حسب خطة الله مع إبراهيم.

7:3 «اعْلَمُوا إذاً أنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أولئِكَ هُمْ بَنُو إبْرَاهِيمَ».

واضح إذن أن هذه الدائرة التي استدارها ق. بولس مع هؤلاء الغلاطيين هي أعظم نور استطاع ق. بولس أن يسلّطه على الناموس، لكي يبيِّن لهم أن ناموس موسى بحد ذاته كان هدفه الإيمان بالله. وبهذا نستطيع أن نقول على مستوى نغمة ق. بولس: «فلماذا الناموس» فكما أجاب ق. بولس: «لتزداد الخطية» نقول: "ليوصِّل أبناء موسى إلى مستوى جدِّهم إبراهيم في معرفة الله ومحبته والإيمان به، حتى عن طريق الناموس يعرفون الله ويحبونه ويؤمنون به فوق الناموس وفوق أعماله". وبهذا ومع الغلاطيين هنا يشرح ق. بولس كيف أكمل الله خطته وقَسَمَه مع إبراهيم بمجيء الرب يسوع ابناً لإبراهيم بالجسد، ولكنه بآن واحد حامل لبركة قَسَمَ الله أن فيه تتبارك أُمم الأرض، الذين صار الغلاطيون واحداً ونموذجاً منهم إذ تحقق الوعد معهم تماماً، فهُم ليسوا أولاد موسى ولا هُم أصحاب الناموس، ومع ذلك فقد آمنوا بالمسيح وتمسَّكوا ببركة الله لإبراهيم بالروح التي تحققت في المسيح وفاقت الوراثة الجسدية التي بالختانة هذه التي انتهى وعبر زمانها.

8:3 «وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إبْرَاهِيمَ أَنَّ فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ.».

واضح هنا أن ق. بولس أسقط من دائرة الإيمان العظمى الموصلة بين إبراهيم وبين عالم الأُمم، نصف الدائرة السفلى الذي حمل الإيمان على ظهر ناموس موسى واستأمن اليهود عليه، إلى أن ولد صاحب وعد البركة بالإيمان وهو المسيح وكان قد تمَّ زمان ظلمة الأمم.



وهكذا حمل بنو إبراهيم إيمان إبراهيم وأضاف الله لهم ناموس موسى حيث طلبت منهم الأعمال والفرائض لتكشف طبيعة البشرية الخاطئة. وهكذا ظهرت الخطية في عالم الإنسان ولم يستطع الناموس أن يمنعها ولا حتى يعالجها. لذلك يقول ق. بولس في معرض كلامه: «فلماذا الناموس (إذاً)؟» فيرد: «قد زيد بسبب التعديات» (غل 3:19). أي أن الله وضع الناموس ليكشف مدى تعديات الإنسان على وصايا الله وعلى الحق والقداسة والطهارة والبر. وبعد أن دار الزمان دورته الكبرى تحقق لدى الله والإنسان أن الناموس توقف عمله عند **تعريف الإنسان بأنه**

خاطئ ولا قدرة له على الخلاص من الخطية قط. وهنا وفي فترة الزمان عينها كانت الأُمم تعيش في ظلامها الدامس تتلمَّس المعرفة من حكماء أثينا، والمعرفة لم تسعفها في التغلّب على جهالة الإنسان ونجاساته حتى بلغت الظلمة والجهالة نهايتها.

وإلى هنا تساوى عالم اليهود مع عالم الأُمم في الاحتياج الصارخ لمَنْ يرفع خطية الإنسان ويخلّصه من جهالاته.

وهنا نأتي على ذي بدء، لماذا الناموس؟ فقد سبق الله العارف بكل شيء واختص جزءاً من البشرية أدخلهم تحت عهده الأول في شخص إبراهيم ليصنع منهم أُمة خاصة مختارة ميَّزها بالناموس أي القانون الذي يحكمهم ويعرِّفهم بالخطية، وتركهم يسلكون بحرية إرادتهم ورجاحة معرفتهم واختيار مشيئتهم في حدود الناموس وعلى ضوء الوصايا وقيادة الأنبياء والمعلمين. وأمدَّهم في نفس الوقت بالإيمان بالله الذي ورثوه عن إبراهيم من جيل إلى جيل مع معرفة صادقة وحقيقية لمَن هو الله وكل أوصافه وكل ما يوافق الله ويرضيه وكل ما يغضبه ويتنافى مع قداسته.

أمَّا باقي البشرية وقوامها الأُمم فتركهم بلا ناموس ولا معرفة ولم يستعلن نفسه لهم فعاشوا بلا إيمان ولا توجيه في عبادة أو حتى ما يقرِّبهم إلى الله.

ولكن بالنهاية حينما حلَّ ميعاد الله مع إبراهيم في مجيء النسل (الابن) الموعود به الذي وضع عليه بركة الأمم وقبولهم، أي بمجيء المسيح، تكشَّفت خطة الله العجيبة من نحو الإنسان إذ ظهر أن الأمة الخاصة المختارة المعانة بالناموس والحكمة وقيادة الأنبياء لم ترتفع في كفاءتها أو تبلغ في مستواها بالنسبة لله أكثر ممَّا بلغته الأُمم التي عاشت هذه الآلاف من السنين بدون ناموس أو توجيه أو معرفة أو قيادة. وكان في هذا أعظم تزكية للإيمان خلواً من أعمال الناموس.

وكان الاختبار الأعظم حينما ظهر المسيح وبُدئ بالنداء به للعالم كله يهوداً

وأمماً، فأولاد الموعد أولاد إبراهيم الحاملون أصلاً لإيمان إبراهيم والمعانون بالناموس والحكمة الموروثة والأنبياء هؤلاء رفضوه بل قتلوه، وقلة من اليهود آمنوا به تحت اضطهاد مرعب من بني جنسهم أي من اليهود. أمَّا الأُمم فقبلوه بلا مانع ودخلوا في عهد الإيمان به وفي الحال صار منهم قديسون ومبشرون.

فما هي حكمة الله في ذلك؟ وما فضل إسرائيل والناموس إذن إن كان الأُمم الذين ليسوا من إسرائيل وبلا ناموس آمنوا بالمسيح وصاروا قديسين وسبقوا المختارين إلى ملكوت السموات؟

+ «فماذا إذاً؟ أنحن (اليهود) أفضل (مِنَ الأمم)؟ كلاً البتة! لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين هُم تحت الخطية، كما هو مكتوبٌ: أنه ليس بارٌّ ولا واحدٌ. ليس مَنْ يفهم. ليسَ مَنْ يطلب الله. الجميع (يهود وأُمم) زاغوا وفسدوا معاً. ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحدٌ ... ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلِّم به الذين في الناموس، لكي يستدَّ كل فمٍ، ويصيرَ كل العالمِ تحت قِصاصٍ مِنَ اللهِ.» (رو 3: 9ـ19)

ولكن خطية إسرائيل لا ترتد على الله وتُنقص من حكمته وتدبيره لقيام هذه الأُمة منذ فجر التاريخ. نعم يكفي إسرائيل فخراً أنها أول مَنْ حمل شعلة الإيمان بالإله الواحد يهوه وأنارت وسط العالم المظلم إلى ثلاثة آلاف سنة. فإن كانت قد انتكصت على أعقابها بعد ظهور النور الحقيقي فَبَدَتْ شعلتها باهتة بعد شروق شمس البر، وبالأكثر فإن تمسكها بالقيادة والنور بعد ظهور المسيح ـ ممَّا كلَّفها قتل عريسها ـ قد كشف مقدار الزيف الذي وقعت فيه، فقد حكمت على نفسها يوم أن قتلته بانتهاء زمانها وكيف دخلت الظلمة بإرادتها.

ولكن يهوه الرب لن ينسى حبه لها وأسبقيتها في معرفته، فبعد أن تُمضِّي زمان عقوبتها تعود وتُضيء على الأمم لتكمِّل بالندم قصة حب يهوه العظيم معها. لأن حب الله ودعوته هي بلا ندامة: «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو 11:26)

والقديس بولس يختصرها بشدة في الآيتين القادمتين بقوله: الذين هم من الإيمان يتباركون والذين مِنْ أعمال الناموس هم تحت لعنة.

3 ـ الناموس لا يبرِّر، بل الذي تحت ناموس هو تحت لعنة. المسيح فدانا من لعنة الناموس لتنتقل بركة إبراهيم للأمم بالإيمان حسب الموعد
[3: 9-14]

3 : 9و10 **«إِذاً الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ. لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ».**

هنا يلزم فك اللغز المخفي في كلمة "يتباركون": «الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم» **فإبراهيم آمن بوعد الله** الذي نفهمه لاهوتياً بأنه هو هو **الأخبار السارة** أي **الإنجيل** بعينه. فأصبح ـ بهذا الحل المدهش ـ أمامنا "إنجيل إبراهيم"، وأعمال ناموس موسى.

فالذي يثبت في إيمان إبراهيم أي في الإنجيل يثبت في البركة أو تحت البركة، **والناموس جاء في الطريق بعد إبراهيم ليزكي الإيمان، إيمان إبراهيم، وليس ليفسده.** فكل مَنْ امتد من الناموس إلى الإيمان ـ إيمان إبراهيم أي الأخبار السارة أي إنجيل المسيح الذي فيه تتبارك الأُمم ـ يدخل تحت البركة حتماً، ولكن إن اكتفى بالناموس ولم يخرج أو يمتد من الأعمال المفروضة إلى الإيمان الممنوح مجاناً الذي هو تكميل الناموس فهو إنما يكتسب لعنة. لأن **"الإيمان"** هو هو **تكميل الناموس،** والمسيح جاء ليكمِّل الناموس بشخصه، أي يكمِّل نقص

الناموس بكماله. فكل مَنْ توقَّف عند الناموس ولم يمتد ليكمِّل الناموس بالإيمان بالمسيح يكون قد ثبت في النقص أي أخفق من أن يحقِّق أو يعمل بكل الناموس الذي يتحتَّم أن ينتهي بكمال المسيح. لأن المسيح هو هو "كل أو كمال الناموس" أو "تكميل الناموس" أو "وعد البركة". وكل مَنْ رفض "وعد البركة" وقع في اللعنة.

11:3 «وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا».

نلاحِظ هنا أن بولس الرسول استعار الآية من نبوَّة حبقوق: «والبار بإيمانه يحيا» (حب 4:2). وواضح أن حبقوق النبي هنا أسقط الناموس كسبب أو واسطة للبر، فجعل البر نظير الإيمان المباشر بالله، لأن المعروف أن الناموس لا يهب برًّا ولا يعطي خلاصاً. فهو قائم على الأعمال التي يعملها الإنسان، وأعمال الإنسان لا تبرِّره أمام الله، ولكن إن كان حقاً قد أكمل الأعمال فهو إنما يجازى فقط على طاعته.

هنا يلزم أولاً فك اللغز. فكلمة السر هنا هي «يتبرَّر» وهي فعل ومصدرها هو "البر" والبر هو القداسة، وهي طبيعة الله. فالله هو البار القدوس الوحيد. **وهكذا يستحيل لإنسان أن يتبرَّر أو يتقدَّس إلاَّ بالله،** أي بالإيمان به. فإن عاش الإنسان بالإيمان أي ملتصقاً بالله معتمداً عليه فإنه ينال برّ الله «ليكون (الله) باراً ويبرِّر مَنْ هو من الإيمان» (رو 26:3). وهكذا فإن «البار بالإيمان يحيا» التي تعني أيضاً أن البار بالله يحيا بالله. فإن كان الله ـ أو المسيح ـ مصدر البر ومصدر الحياة، فالناموس بأعماله وُضع ليوصلنا ـ كوسيط ـ إلى الله أي المسيح. ولكن الناموس بأعماله ليس مصدر حياة ولا هو مصدر بر في ذاته. أو كما تقول الآية: «ليس أحد يتبرَّر بالناموس» ولكن الذي يعملها (الوصية) يحيا بها على أساس الطاعة لله وليس العمل بحد ذاته.

ولينتبه القارئ إلى هذه الآية: «البار بالإيمان يحيا» فهي معيار رسالة غلاطية وتاج ق. بولس الذهبي، ومجد الإنجيل، وسر الحياة بالمسيح، بل وسر ملكوت الله، والسلاح السرِّي الذي به هزم ق. بولس الناموس واليهود المتمسكين بالناموس،

وفتح باب الخلاص للأمم، وأراح عظام إبراهيم في مغارة المكفيلة وحيًّا روحه في السماء.

12:3 «**وَلكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، بَلِ الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا».**

هنا كلمة السر أو مفتاح الكلام أن الأعمال والإيمان ليسا على ودّ، ولا على اتصال ولا حتى تبادل المواقف.

الإنجيل ينادي بالإيمان للحياة، والناموس ينادي بالأعمال **للطاعة** وليس للخلاص. فالآية هنا تعني أن أعمال الناموس ليست مؤسَّسة على الإيمان، فالإنسان مجبر على العمل بالناموس وبالتالي

فالأعمال مؤسَّسة على الطاعة وليس الإيمان.

فإن كان الإنجيل مؤسَّساً على الإيمان عن اختيار لقبول التبرير وبالتالي الحياة، فالناموس مؤسَّس على الطاعة بالأعمال الإجبارية حيث المجازاة تكون بقدر الطاعة على العمل وليس العمل نفسه.

لأن الذي يخطئ سهواً في أحد الخطايا التي ينص عليها الناموس كأن لمس كلباً أو ميتاً أو خلافه يصير نجساً ولا يدخل وسط الجماعة، ويُحسبُ مذنباً للناموس إلى أن يتطهَّر، فعليه أن يقدِّم ذبيحة للتطهير ـ وهنا يظهر الأمر الخطير المخفي ـ فهو يُجازى بسبب طاعته فلا يحسب متعدياً على الناموس، ولكن الأمر واضح غاية الوضوح أنه **لا يجازى على العمل بحد ذاته كأنه ذبح شاه أو خلافه، فهذا العمل لا قيمة له على الإطلاق ولا يهم الله ولا الناموس،** ولكن الذي يهم الناموس وبالتالي الله أنه **سمع أمر الله الصادر في الناموس والموجب للطاعة بدون اختيار.** وواضح هنا أيَّما وضوح أن الناموس وُضع لتعليم الطاعة لله وليس للخلاص. والتعليم هنا في اتجاهين أساسيين:

الاتجـاه الأول: تدريب النفس البشرية على الخضوع لتدبير الله ومشيئته القائم بالأمر في الناموس بذبح شاه ليتخلَّص الخاطئ من نجاسته المنظورة والملموسة.

الاتجاه الثـاني: تدريب النفس البشرية على تقييم خطورة النجاسة بأنه لا يمكن التخلُّص منها إلاَّ بذبح وسفك دم حيوان.

وهكذا كان الله يعدّ ـ بأوامر الناموس ـ النفس البشرية لتدرك خطورة النجاسة **المنظورة** والمحسوسة بالجسد في الأمور **المكروهة والصغيرة** أولاً تمهيداً لإدراك نجاسة القلب والفكر والضمير بل والنفس كلها بأعمال شهواته كالزنا والكذب

والسرقة، أي **خطايا العمد الكبرى** والتي كان الناموس لا حيلة له فيها إلاَّ بالموت وتوقيع أشنع العقوبات لكي يُظهر الناموس شناعتها كما حدث في أمر عخان بن كرمي مثلاً (يش 7: 1-26)، حيث كان الموت بلا رحمة عقاباً للنفس وتنبيهاً للجماعة.

وبهذا يكون الله قد مهَّد بالناموس سواء بالأوامر بالذبائح الصغيرة للخطايا السهو الصغيرة أو بالموت للإنسان للخطايا العمد الكبيرة، تمهيداً لمغفرة الخطايا كلها في العهد الجديد **صغيرها** = بذبح

جسد المسيح وسفك دمه، وكبيرها = بقتل المسيح كفدية لجميع كبائر الخطايا كلها مهما كانت.

ومن هنا نفهم الآية التي سنعبر عليها القائلة: «إذاً قد كان الناموسُ مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرَّرَ بالإيمان (بالمسيح الذي ذبح ومات من أجل خطايانا وليس بأعمال الناموس بعد).» (غل 24:3)

ولكن يلزم هنا التوضيح أيضاً بأن كلمة **«يحيا بها»**، أي بأعمال الناموس، لا تعني أن الإنسان الذي يكمِّل عمل الناموس يحيا حياة كأنما عمل الناموس يوصِّله إلى **«إيمان»** إبراهيم الذي هو وحده مصدر البر والحياة، ولكن مجرد الفعل نفسه إذا كمل إلى التمام فإن المجازاة تأتي بسبب **الطاعة**، طاعة وراء طاعة فإذا توقفت الطاعة توقف الأجر. ومعلوم أن مصدر الطاعة هنا بشري، على أن إمكانية تكميل الأعمال إلى درجة الكمال متعذرة أو شبه غائبة لأنها لا تكمَّل إلاَّ بالاستناد على الإيمان بقوة ونعمة الله. لهذا ننتهي إلى حقيقة أن الناموس ليس من الإيمان، ولا يوصِّل إلى الإيمان. فالذي يكمِّل الناموس لا يبلغ إلى الإيمان ولا أي وسيلة يمكن أن تعطيه الإيمان لتبلغه بركة إبراهيم، **بل مجازاته تكون بقدر طاعته، وحتى الطاعة متعذرة لثقل نير الناموس.**

13:3 **«الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّــهُ مَكتُوبٌ: مَلعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ على خَشَبَةٍ».**

هنا يتحتم العودة أولاً للآية السابقة (غل 10:3): «**لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ**، لأنه مكتوبٌ **ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به**» **إذن** في قول ق. بولس في الآية السابقة (12:3): «بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها» أمر ممتنع مائة بالمائة،

إذ هنا الآية (10:3) تقطع بأن «**جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة».** وتضيف بعدها: «**ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس».** وهكذا وقعت اللعنة بالضرورة على جميع إسرائيل وبالتالي على كل مَنْ ليس له ناموس!! لأنه مُعتَرفٌ رسمياً في الكتاب: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو 23:3)، وأيضاً: «كما هو مكتوب أنه ليس بار ليس ولا واحد ليس من يفهم ليس مَنْ يطلب الله الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا

واحد» (رو 3: 10ـ12؛ مز 53: 3). وواضح هنا أن كلام ق. بولس يشمل اليهود جملة وكل الأمم لا فرق: «لأننا شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية.» (رو 3: 9)

وهكذا يعرّي ق. بولس الناموس ويكشف كيف يوقّع هو نفسه ـ أي الناموس ـ اللعنة على كل مَنْ لا يثبت في أعماله، والواقعة أيضاً بالضرورة على مَنْ لا يعمل بالناموس لا فرق. علماً بأنه لم يستطع أحد أن يثبت في أعماله بشهادة الرسل: «فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير (الناموس) على عنق التلاميذ، لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله.» (أع 15: 10)

أمَّا قول ق. بولس إن المسيح «افتدانا من لعنة الناموس» فهذا أمر أو قضية قائمة بذاتها، أمَّا قوله: «إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة» فهنا يقدِّم لنا ق. بولس في هذه الآية كيف صار المسيح لعنة لأجلنا لمَّا عُلِّق على خشبة الصليب.

ولكن كيف: **«افتدانا من لعنة الناموس»؟ وما هي لعنة الناموس؟**

لعنة الناموس أصلاً تقع على مَنْ يكسر الناموس!: «ملعون مَنْ لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول كل الشعب آمين» (تث 27: 26)، والذي كتب نصها ق. بولس من عنده في الآية (3: 10) سابقاً هكذا: «لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به» ويرد ق. بولس على هذا المكتوب لاغياً منفعته بقوله:

+ «ولكن أن ليس أحد يتبرَّر بالناموس ـ (إذا عمله كله) ـ عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان.» (غل 3: 11و12)

فمِنْ هذه اللعنة التي حكم بها الناموس فدى المسيح شعبه!! كونه صار هو نفسه

لعنة، أو احتمل هذه اللعنة من أجلنا، أي شاركنا في هذه اللعنة لما أخذ خطايانا في جسده على الخشبة ومات تحت اللعنة فوقّى العقوبة بالجسد. وقد سبق أن أوضحها ق. بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس بقوله:

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطيَّةً، **خطيَّةً لأجلنا، لنصيرَ نحن برَّ الله فيه.**» (2كو 21:5)

ولكن أيضاً يسأل السائل كيف؟ وكيف يصير المسيح لعنة ويصير خطية؟ والمعروف أن المسيح لم يخطئ قط ولا وُجِدَ في فمه غش، صحيح أنه وُلِدَ تحت الناموس كما سيقولها ق. بولس بعد قليل: «ولكن لمَّا جاء ملءُ الزمان، أرسلَ الله ابنه مولوداً من امرأةٍ، **مولوداً تحت**

الناموس» (غل 4:4). لهذا يتحتَّم أن يكون المسيح ـ كابن الله ـ قد أطاع الناموس وأكمله بحياته!! وهذا ما قيل عن المسيح بالفعل: «لأنه كما بمعصية الإنسان (لله) الواحد (آدم) جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً **بإطاعة الواحد (يسوع) سيُجعل الكثيرون أبراراً**» (رو 19:5). إذاً فقد بقي المسيح على مدى حياته وهو تحت الناموس منزَّهاً عن اللعنة التي في الناموس. ولكن الذي حدث هو أن رؤساء الكهنة وكل السنهدريم بعد الفحص والتمسُّك بنصوص الناموس حكموا على المسيح كخاطئ **ومخالف للناموس** وأوقعوا عليه لعنة الناموس، فحكموا بموته معلَّقاً على خشبة رمز اللعنة والعار. ولكن أعجب ما كان يمكن أن ننتظره من المسيح أنه لم يناقض الحكم ولا ناقشه ولا ردَّ المحكمة. وبهذا السلوك يكون قد ارتضى بالحكم الصادر كأنه بالحق، وبالفعل هو ارتضى بالحكم باعتباره أنه صادر بالحق على البشرية التي يحملها في جسده القدوس معتبراً جسده الذي حمل البشرية بخطاياها ذبيحة خطية، والتزم أن يحمل العار وبالتالي ارتضى أن يكون المحرقة ليكفِّر عن خطايا البشرية، وليس هذا فقط بل واعتبر نفسه أمام الله أبيه أنه هو حامل لخطية وعار البشرية في جسده وأن اللعنة التي حملها قَبِلَها عن استحقاق إذ أخذ خطايانا في جسده على الخشبة من أجل البشرية التي كانت قد استحقت هذا بالفعل، وليس هذا فقط بل واعتبر عن حق ويقين أن هذه اللعنة إنما هي لعنة الله نفسه، اللعنة المخيفة التي **بنار متقدة تأكل المضادين** كما وصفها ق. بولس هكذا: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحقِّ، لا تبقى بعد ذبيحةٌ عن الخطايا، بل قبول دينونةٍ مخيفٌ، وغيرةُ نارٍ عتيدةٍ أن تأكل المضادين.» (عب 10: 26و27). هذه هي اللعنة الإلهية على مستوى غيرة الحق والعدل عند الله، ظاهرها نار تأكل للإفناء وجوهرها تطهير وتقديس «لأن إلهنا نار آكلة» (عب 29:12). هذه هي نفسها حقيقة النار، النار الرمزية التي

كانت تشعل في جسم ثور المحرقة لتحرقه كله وتأكله حتى التراب، ولكن كان المعروف في أمر المحرقة في العهد القديم أن هذه النار كانت تأكل خطايا الشعب التي وُضِعَت على رأس ثور المحرقة التي استقرت في جسده، وهكذا بحرق جسده تكون قد أُحرقت خطايا الشعب كله، وبسفك دمه أزهقت روحٌ عوض إزهاق روح الخاطئ.

هكذا وبهذا المنظر المهيب اشتعلت نار اللاهوت في الجسد المقدَّس والحامل لكل خطايا الشعب على الخشبة، تعبيراً فائق المعنى والواقع عن اللعنة التي حملها المسيح لمَّا ارتفع على الصليب صائراً لعنة من أجلنا. ولكن لعنة الله على الجسد المقدَّس لم تصب فيه إلاَّ جسدنا الذي حمله فيه بسرٍّ

لاهوته الفائق الوصف والحد، فلم تحرق منه إلاَّ خطايانا، ولم ترفع عنه إلاَّ لعنتنا. أمَّا هو فبقي كما هو القدوس الطاهر الذي بلا خطية، ينضح عبر نار لاهوته من طهارته وقدوسيته على جسد بشريتنا فيه، حتى صار بالنهاية قدساً في قدسه وشعلة منصهرة في شعلته. فلاق أن يُقال عنه: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو 23:17)

هكذا حوَّلت نار الحب الإلهي نار لعنة المحرقة على خشبة العار لتقدِّس بشريتنا فيه لنكون على صورته في المجد ويسكن الحب الإلهي فينا.

هذه هي اللعنة، لعنة الله نفسه التي جعلها في فم الناموس وبالتالي فم رؤساء الكهنة وتقبلها المسيح أنها من الله ورضي أن يحملها حتى الموت من أجل البشرية.

والآن هيا نرى ماذا عملت هذه اللعنة على الصليب! لأن ذبيحة المسيح على الصليب تعبِّر عن الحقيقة الإلهية للمحرقة التي أوصى بها الناموس من أجل خطايا الشعب.

كانت النار تشتعل في لحم الذبيحة وتتأجَّج أمام أعين الشعب بمنظر مرعب تعبيراً عمَّا تفعله اللعنة التي حلَّت على الذبيحة الحيوانية عوض الشعب نفسه، وهي عينها **اللعنة الإلهية** التي حملها المسيح في جسده المقدَّس على الصليب التي تخص خطايانا التي حملها في جسده على الخشبة. ظاهرها آلام مروعة في الجسد المقدَّس وأنين ونزيف ودم، وحقيقة جوهرها كنار الله للإحراق وتطهير البشرية من خطاياها التي يحملها في جسده المقدَّس الذي قدَّمه المسيح ذبيحة محرقة للآب عن رضى وسرور.

لم تتوقَّف نار اللعنة للنقمة الإلهية التي قبلها المسيح على الصليب حتى الموت، فأنهت على كل ما اقتبله من خطايانا في جسده على الخشبة. وهكذا

صارت البشرية فيه كجذوة متقدة مطهَّرة تعكس نار لاهوته فانمحت منها الظلمة وأضاءت فيها إشراقات نور القيامة، فقام المسيح بجسد بشريتنا لائقاً أن يجلس معه عن يمين العظمة في السموات. أمَّا هو فأخذ خطايانا كلها فصار خطية من أجلنا، بمعنى أنه حَمَلَ طبيعتها، وأمَّا نحن فأخذنا برَّه أي حملنا طبيعته فصرنا بر الله فيه. أمَّا خطيتنا فيه فتسلَّطت عليها نار نقمة الله التي تأكل المضادين والمضادات فمحتها وحلَّت محلَّها نار نعمة الله.

ولنأخذ الآية بالتفصيل:

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنةً لأجلنا،
لأنه مكتوبٌ: ملعونٌ كل مَنْ عُلِّقَ على خشبةٍ»:

لقد أورد الناموس بحسب سفر التثنية "اللعنة" في موضعين:

الأول: «**وإذا كان على إنسانٍ خطية حقُّها الموتُ فقُتِلَ وعلَّقته على خشبةٍ**، فلا تَبِتْ جثَّته على الخشبةِ بل تدفنه في ذلك اليوم. **لأن المعلَّق ملعونٌ من الله.** فلا تُنجِّس أرضك التي يعطيكَ الرب إلهك نصيباً.» (تث 21: 22و23)

الثاني: «**ملعونٌ مَنْ لا يُقيمُ كلمات هذا الناموس ليعمل بها.** ويقول جميع الشعب آمين.» (تث 26:27)

والحكمان مشتركان في سبب واحد هو أصلاً: الوقوع في الوصية التي تقول: «ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها» (غل 12:3)، وقد جاءت في العهد القديم: «فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها، أنا الرب.» (لا 5:18)

وهنا يأتي العقاب كحكم قاطع على المضاد:

+ «وإذا كان على إنسانٍ خطيةٌ حقُّها الموتُ (بحسب الناموس) فقُتِلَ وعلَّقته على خشبةٍ، فلا تَبِتْ جثَّته على الخشبةِ بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلَّق ملعونٌ من الله...» (تث 21: 22و23)

وهو القانون الذي لخَّصه الناموس هكذا: «ملعونٌ مَنْ لا يُقيمُ كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول جميع الشعب آمين» بمعنى أن فرائض الله وأحكامه التي في الناموس **مَنْ يفعلها سيحيا بها، ومَنْ لا يقيمها يصير ملعونـاً.**

والمحزن جداً أن يقول القديس يوحنا ذهبي الفم ـ خطأً ـ لكي يتجنَّب تحمُّل

المسيح لعنة الله التي في الناموس على الخطاة أن المسيح لم يحمل لعنة الناموس التي على الخطاة ولكن تحمَّل لعنة أخرى هي لعنة مَنْ يُرفع على خشبة وحسب!! وجرى مجراه العالِم شاف وهو يترجم عظاته بأن كتب هامشاً يقول فيه: إن المسيح يكون بهذا الموت قد أكمل الكفَّارة الكهنوتية. وكيف يكمِّل الكفارة بأن يعلق على خشبة دون أن يحمل الخطية واللعنة؟؟

والرد على هذين القولين الخاطئين جداً، هو أن مجمع السنهدريم لمَّا حكم على المسيح حكم عليه **كخاطئ وفاعل شر ومفسد للأمة بتعاليمه**، أي **ضد الناموس**، وبالتالي **حتَّم** **أن**

يموت صلباً كخاطئ ومخالف الناموس، أي عاصٍ لله ومتعدٍّ، لإعلان أنه معلونٌ من الله وهو نفس الحكم الواقع على الإنسان الذي حمله المسيح في بشريته لمَّا حمل في بشريته كل خطية الإنسان على الخشبة!!

«فدانا»: ™xhgÒrasen

بهذه الكلمة «فدانا» في وضعها الجديد غير المسبق **«فدانا من لعنة الناموس»** يكون ق. بولس قد فتح أمامنا باباً جديداً عريضاً لمفهوم معنى **«الكفَّارة».**

وبطرس الرسول أنار أمامنا مفهوم الفداء بالمعنى الواقعي على مستوى ذبيحته الكفَّارية هكذا:

+ «عالمين أنكم **افتديتُم** لا بأشياءَ تفنى، بفضَّةٍ أو ذهبٍ، مِنْ **سيرتكم الباطلةِ** التي تقلَّدتموها مِنَ الآباءِ، **بل بدمٍ كريمٍ، كما مِنْ حملٍ بلا عيبٍ ولا دَنَسٍ**، دَمِ المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِرَ في الأزمنةِ الأخيرةِ مِنْ أجلِكُم.» (1بط 1: 18-20)

بمعنى أنها فدية على مستوى الذبيحة للكفارة.

كما أوضحها بولس الرسول في سفر الأعمال وهو يودِّع قسوس كنيسة أفسس ويوعِّيهم على الرعية التي اقتناها الله بدمه:

+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعيَّة التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفةً، لترعوا كنيسة الله التي **اقتناها بدمه.**» (أع 20:28)

هنا الفدية بسفك الدم ـ (حيث الذبيحة انكشفت هنا أنها إلهية) ـ دخول في واقع الكفَّارة الإلهية حيث الله هو الفادي وهو الفدية ـ الآب والابن ـ بآن واحد لأن الدم دم الله، لأنه دم ابن الله!!

وسواء بطرس الرسول أو بولس الرسول فكلاهما استقى أصول لاهوت الفداء من إشعياء النبي:

(1:43): «والآن هكذا يقول الرب خالِقُكَ يا يعقوب وجابِلُكَ يا إسرائيل، **لا تخف لأني فديتُكَ ...**» هنا الله يظهر فادياً..

(3:43): «لأني أنا الرب إلهُكَ قدوسُ إسرائيل **مخلِّصُكَ**»
أي أن الله نفسه قد ظهر مخلِّصاً وفادياً.

(4:43): «إذ صِرتَ عزيزاً في عينيَّ مكرَّماً وأنا قد أحببتُكَ»

(14:43): «هكذا يقول الرب **فاديكم قدوس إسرائيل...**»
هنا أوضح النص أن الفادي نفسه هو قدوس إسرائيل، أي الله.

(25:43): «أنا أنا هو **الماحي ذنوبَكَ** لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها ...»
هنا اتضح أن الفدية تضمَّنت غفران الخطايا بدون توقيع عقوبة على الشعب.

(6:44): «هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود ...»
هنا ينكشف ازدواج عمل الفدية فهو ملك وفدية كما أعلنها المسيح لبيلاطس.

وعلى القارئ أن ينتبه لأنه حينما قال بيلاطس للمسيح: «إن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أُطلقك» (يو 10:19)، فكان رد المسيح: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتَّة لو لم تكن قد أعطيت من فوق» (يو 11:19). كان يعني المسيح بهذا أن الله أعطى بيلاطس سلطاناً أن يصلب المسيح، لأنه صلبه بالفعل!! أي قدَّمه الله فدية.

(22:44): **«قد محوتُ كغيمٍ ذنوبك وكسحابةٍ خطاياكَ، ارجع إليَّ لأني فديتُكَ».**

(23:44): «ترَّنمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل، اهتفي يا أسافل الأرض أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً ... **لأن الرب قد فدَى يعقوب** وفي إسرائيل تمجَّدَ»
واضح هنا أن بعد تكميل الفدية أُعْلِنَ مجد الله في الفدية.

(24:44): «هكذا يقول **الرب فاديك وجابلك** من البطن»

وفي هذه المواضع تأتي كلمة: «الفدية» لتعطي معنى باطنياً جديداً، لأن السبب

يقوله الرب ويكرِّره كلازمة تتبع الفداء وتكشف سببه «**لأجل نفسي**»، «**ارجع إليَّ لأني فديتك**»، «**فاديك وجابلك من البطن**»، «إذ صرت عزيزاً في عينيَّ مكرَّماً» « لا تخف لأني فديتك»

وهذه اللازمة التي جاءت مقترنة بعملية الفداء لتسببها توضح أن عملية الفداء تقوم على أساس ومفهوم أن الرب **اشتراهم لنفسه** بدافع المحبة الشخصية حيث تأتي كلمة **الفداء** لتنبئ عن عملية شراء بثمن مدفوع. فواضح أن الثمن كان موتاً وكان فادحاً. إذاً ففي كل مرة قال الرب فيها لإسرائيل: «إني فديتك» كان على أساس تحمّل الخسارة أو الثمن المدفوع الذي تحمَّل الله

عِبءَه، وكأنه اشتراهم لنفسه بثمن مدفوع من عنده. فلو طبقنا هذا على ما قاله ق. بولس لقسوس أفسس في وداعه لهم: «... لترعوا كنيسة الله التي **اقتناها بدمه**» (أع 23:20)، نفهم من هذا بكل يقين أن **الذي دفع الفدية هو الله، وكانت الفدية دمه، والآب كان الفادي والابن كان الفدية.**

لذلك حينما قال ق. بولس إن «المسيح افتدانا من لعنة الناموس» أوضح في الحال مدى الخسارة الفادحة والعبء الثقيل الذي تحمَّله الله ببذل ابنه على الصليب للموت والعار ليكمِّل فديتنا من لعنة الناموس فقال: **«إذ صار لعنة لأجلنا».**

هنا نُطبِّق على ما قاله ق. بطرس عن الدم المسفوك للحمل الذي بلا عيب المعروف **قبل إنشاء العالم!!** «بل بدمٍ كريمٍ، كما مِنْ حملٍ بلا عيبٍ ولا دَنَسٍ، دَمِ المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (1بط 1: 19و20). مما يكشف أمامنا سر كل فدية سواء لإسرائيل أو غيرها على مدى التاريخ قديمه وحديثه أن دم المسيح ابن الله الذي سُفِكَ على الصليب هو في حقيقته الإلهية يغطِّي بأثر رجعي كل فدية تمَّت وتتم في العالم. حيث تحمَّل عبء هذه الفدية الفادحة الثمن كل من الآب والابن معاً، الآب بالمشيئة والابن بالطاعة، فالآب «بذل ابنه الحبيب» لخلاص العالم والمحبة كانت سر هذا الفداء السخي والعجيب كما يقولها ق. يوحنا: **«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...»** (يو 16:3)، فمحبة الله للإنسان كلَّفته ذبيحة ابنه ليصنع له فداءً. ويكشف ق. بولس الرسول حقيقة أن الآب اشترك بالفعل في سفك دم ابنه الحبيب باعتبار أن الدم المسفوك هو **"دم الله"** في تعبيره الرهيب: **«... لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه».** هكذا ترتفع حقيقة الفدية ومستوى قامتها اللاهوتية ليحملها الآب والابن معاً، ولكن في كل ما جاء عن الفدية في العهد القديم كان الله الآب هو الفادي وهو الفدية بصورة سرِّية مخفية، إلى أن أُستعلن الفداء في العهد الجديد بأن الله الآب بذل ابنه

الوحيد الحبيب للموت لتكميل الفدية. ولهذا حُسب دائماً سواء في العهد القديم أو العهد الجديد أن الله الآب هو الفادي والابن هو الفدية.

اللعنة والخطية:

واضح أن المسيح أكمل تحمله اللعنة من أجلنا وذلك كما قال ق. بولس: «صار لعنة لأجلنا» لأنه مكتوب: **«ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة»**، ولكن لكي يركّز بولس الرسول لاهوتياً على

أن تحمل المسيح للعنة هو بسبب تحمله عبء كل خطايا العالم كله وليس كمجرد ارتفاع على الخشبة كما يتوهَّم القديس يوحنا ذهبي الفم ـ ومعه العالِم الكبير شاف ـ محاولاً استنكار اللعنة على المسيح (كبطرس)[108]، هذا فكر لاهوت مبتور لا يوصِّل إلى فداء ولا إلى خلاص، لذلك أوضح كيف أن المسيح تحمَّل خطايانا: «لأنه **جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا** لنصير نحن بر الله فيه» (2كو 5:21). وقول بولس الرسول إن **المسيح «صار خطية من أجلنا»** قد رفع حالة قبول المسيح ـ كونه يقف أمام الناموس وبالتالي أمام الله كخاطئ ـ إلى "الإنسان الخاطئ بمطلق الوضع" أي خاطئ تحت كل أصناف الخطايا وأشنعها في الناموس وهي خطايا العمد المحسوبة أنها معصية لله par£ptwma.

كذلك فإن هذا التعبير المتميز الفريد في مفهومه اللاهوتي، أي أن المسيح صار خطية من أجلنا (بصورة مطلقة)، يوسِّع دائرة تحمل المسيح لخطايا البشرية لتتعدَّى الزمان والمكان، بمعنى أنه صار **كفَّارة أبدية**. والقصد اللاهوتي المضيء في هذا الاصطلاح الذبائحي الفريد هو ضمان فداء وكفَّارة أبدية للإنسان توثيقاً لقصد وضع ضمانات ثابتة أبدية لخليقة جديدة للإنسان مؤمَّنة ضد السقوط لميراث الحياة الأبدية مع الله.

ولكن يضيف بطرس الرسول أن المسيح تحمَّل خطايانا في جسده وهو على الخشبة أيضاً:

+ «الذي **حمل هو نفسه خطايانا في جسدهِ على الخشبةِ، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ.**» (1بط 2:24)

فهنا واضح أن المسيح «صار لعنة» ـ وصار خطية أيضاً ـ على الصليب من

---

(108) «فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا.» (مت 16:22)

جراء حمل خطايانا في جسده، فكانت اللعنة متوجبة بالضرورة مقابل قبوله أن يُصلب كخاطئ حاملاً خطايا البشرية ومن ضمنها عصيان الله الذي سقط فيه آدم[109].

وهو قد ارتضى أن يصير لعنة من أجلنا لكي يوفّي ثمن خطايانا واللعنة معاً على الصليب، لذلك كانت حماقة رؤساء الكهنة واليهود تكشف عن عمى قلوبهم حينما عيَّروه أن ينزل من على الصليب إن كان هو حقاً ابن الله!! مع أنه لم يرتضِ أن ينزل من على الصليب ليكمّل واجبات تحمّل اللعنة حتى الموت لأنه ارتضى أن يكون الفدية أو الذبيحة، إذ كان صعوده على خشبة الصليب بمنتهى إرادته

[109] ارجع لشرح الخطية قبل الناموس وفي الناموس وبعد الناموس في كتاب: "شرح رسالة أفسس" صفحة 168 وما يليها.

ومسرَّة نفسه. ألم يقل المسيح مراراً وتكراراً على مدى حياته إن ابن الإنسان سيُصلب ويموت!! إذن فهو قد أتى فعلاً لهذه الساعة وارتفع على الصليب ليكمِّل مشيئة أبيه بل ومسرَّة نفسه وليكمِّل بها طاعة الله أبيه تكميلاً مطلقاً حتى الموت حتى ببر طاعته يبرِّر الخطاة والعصاة الذين قَبِلَ اللعنة من أجلهم.

«اللعنة»:

أمَّا النص الذي أخذ عنه بولس الرسول في أمر وقوع اللعنة على المسيح فهو هكذا: «لأن المعلَّق ملعون من الله» (تث 23:21). ولكن أوردها بولس الرسول هكذا: «لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة» (غل 13:3). واضح هنا أن ق. بولس قد أسقط مصدر اللعنة «ملعون **من الله**» وهنا انقسم العلماء إلى مَنْ قال: إن ق. بولس نأى باسم الله أن ينسب إليه فعل اللعنة على المسيح، وآخرون قالوا: لا بل لأن ق. بولس واجه صعوبة بأن ينسب لموت المسيح أنه بفعل لعنة من الله، مع أن ق. بولس نفسه يقول: «أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسهِ، غير حاسبٍ لهم خطاياهُم ...» (2كو 19:5)، فاللعنة والموت اللذين تقبلهما من الله كحكم كانا هما ثمن المصالحة التي اكتسبها للإنسان مع الله.

لذلك وفي الحقيقة أن أي محاولة لزحزحة اللعنة من مصدرها، وهو الله، يجعل الصليب بلا قيمة ولا عمل وتكون المقولة: «غير حاسب لهم خطاياهم »نوعاً من الخداع. لأن القديس بولس ارتضى بأن المسيح نفسه **صار خطية** وليس لعنة فقط، وبواسطة الله نفسه: «لأنه جعل (هنا الفاعل مضمر وهو الله حتماً) الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه» (2كو 21:5). فلولا أن المسيح **اقتبل لعنة الله** بحسب الناموس الموقَّعة أصلاً على الخطاة **لَمَا صالح الله الخطاة** في المسيح. فاللعنة اقتبلها المسيح في جسد بشريته الحامل كل الخطايا وليس على اقنومه القدوس، لذلك نقول: إن ابن الله مات

بالجسد تحت حكم اللعنة، وبهذا أكمل حكم اللعنة فينا فسقطت اللعنة من علينا فنلنا براءة أبدية ثم قام بقداسة أقنومه بالجسد مبرَّأً الذي هو جسدنا مضافاً إليه برَّه الذاتي.

والصعوبة التي تعترض الذهن كيف يلعن الله المسيح؟ هذه في الحقيقة صعوبة مزيَّفة لأن المسيح قَبِلَ بالفعل أن يصير خطية لمَّا «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (1بط 2:24). وتوضيح الأمر هو أن المسيح القدوس ابن الله وقف موقف الخطاة لما حمل خطيتهم في جسده القدوس على الخشبة فاقتبل اللعنة بكل ثقلها،

فحلَّت اللعنة على جسدنا فيه وعملت عملها في خطايانا التي حملها فأحرقتها، كما كان ثور المحرقة يقبل خطايا الشعب كله حينما يضعون أيديهم على رأسه ثم يحرق بالنار فتأتي النار على جسد الثور وبالتالي تحرق الخطايا حرقاً حتى لا توجد بعد. فالمسيح اقتبل الموت في جسده إكمالاً لعمل اللعنة، أمَّا جسده فلم يمت موت اللعنة الأبدي حسب الحكم الصادر على الإنسان؛ بل مات موت القيامة لأنه جسد القدوس غير المديون للموت فلم يستطع الموت أن يمسك فيه. فلمَّا أعطى المسيح الفرصة للعنة أن تعمل عملها ـ بالإحراق ـ فيما هو لها من خطايانا التي حملها في جسده، حتى إلى الموت، وضمن بذلك تطهيرنا بالكمال، وتحييد اللعنة عنا إلى الأبد، قام بجسدنا فصرنا مغفوري الخطايا لنحيا للبر كقول الآية:

+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ.» (1بط 24:2)

وهي نفس الآية: «وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية» (رو 10:8). أي أن الجسد العتيق قد مات فينا إلى الأبد وهذا هو قوة ومعنى أننا مولودين ثانية في خليقة جديدة بجسد جديد روحاني، وهذا هو معنى أننا قمنا معه.

لهذا قالها المسيح مسبقاً: «وأنا إن **ارتفعت** عن الأرض أجذب إليَّ الجميع »(يو 32:12). حيث الارتفاع هو الارتفاع بالمجد على صليب العار، وبآن واحد هو ارتفاع اللعنة على الخشبة بحسب الناموس.

هكذا ينبغي أن يتيقَّن لدى القارئ العزيز أن اللعنة التي حكم بها الناموس هي حقاً من الله كما قالها الناموس: «لأن المعلَّق ملعون من الله» (تث 23:21)، فهي لعنة الغضب الإلهي كقول بولس الرسول: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحقِّ، لا تبقى بعد ذبيحةٌ عن الخطايا، بل قبول دينونةٍ مخيفٌ، وغيرةُ

نارٍ عتيدةٍ أن تأكل المضادين» (عب 10: 26و27)، أي لعنة تحمل الغضب الإلهي ممثلاً في التشنيع بالجسد على خشبة وبآن واحد نار غيرة تأكل الخطأ لتكميل التطهير بالتمام حتى يليق بنا نوال بر القيامة مع المسيح. فإن لم تكن اللعنة لعنة الله التي حلَّت على الجسد فأحرقت ما حمله من الخطية لما استطاع جسد المسيح المقدَّس أن يقوم من الأموات وهو حامل جسدنا فيه، ولا صرنا أبراراً بالقيامة. إذن فقد أصبح بالتحقيق أن الابن المحبوب هو هو بآن واحد مسيًّا الآلام واللعنة والغضب الإلهي، وصدقت

الآية: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى **"بذل"** ابنه الوحيد **(المحبوب)**، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو 16:3)

وهذه هي بعينها عثرة الصليب التي لم يقوموا منها بعد، أن المسيَّا الموعود وقع تحت لعنة الناموس من الله ليفدي من لعنة الناموس كل اليهود والأُمم على السواء، كل مَنْ خالف أو عثر أو رفض الناموس، فسقط الناموس عن كل إنسان عن قصد وتدبير حتى تتخطَّى بركة إبراهيم الناموس وبني الناموس لتحل على الأُمم في النسل (يسوع المسيح) الموعود.

وبهذا يكون المسيح قد افتدى الذين تحت الناموس (اليهود) من لعنة الناموس (غل 5:4)، وبآن واحد حمل بركة إبراهيم للأُمم متخطياً الناموس الذي وقف كحجاب يحجز إسرائيل عن الأُمم الذي رُمز إليه في يوم الصلبوت بانشقاق حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل.

هذه هي لعنة الله التي قبلها المسيح بالجسد الحامل لخطية الإنسان التي حسبها ق. بولس أنها **"الثمن"** الذي به اشترانا لحساب الله الآب والروح القدس: «أم لستم تعلمون أن جسدكم (صار) هو هيكلٌ **للروح القدس** الذي فيكم، الذي **لكم من الله**، وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم **قد اشتريتُم بثمن.** فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (1كو 6: 19و20)، وأيضاً: «**قد اشتريتم** بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس.» (1كو 23:7)

وبالأكثر يظهر القديس يوحنا ذلك في سفر الرؤيا بقوة: «وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحقٌّ أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه، لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلةٍ ولسانٍ وشعبٍ وأمةٍ، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة ...» (رؤ 5: 9و10). حيث الثمن دفعه لحسابنا. فآلام المسيح واللعنة التي احتملها والموت الذي

انحدر إليه صارت كلها رصيد خلاصنا الذي لا يتزعزع المحفوظ لنا بدم المسيح في السماء عند الله. وفداحة ثمن الفدية تكشف عن عمق المحبة الإلهية، لذلك فخطية الإنسان لم ولن تستطيع أن تحجز محبة الله: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت 13:9). كل مَنْ آمن وأحب.

14:3 **«لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ».**

وكأن لعنة الناموس ظلت حاجزة بين بركة إبراهيم والنسل الموعود له بالبركة لقبول موعد الروح عوض موعد سيناء بالناموس، الناموس الذي وُضع ليكشف طبيعة الخطية المفسدة والمميتة

والمتسببة في اللعنة، أي الوقوع تحت الغضب الإلهي.

فعندما أُلغيت الخطية بموت الرب، واللعنة بالرفع على خشبة الصليب، انتهت الخطية فانتهى عمل الناموس فلا قوة للناموس إلاَّ بالخطية ولا سلطان للناموس بالقتل بلا رحمة على خشبة الصليب إلاَّ باللعنة. فعندما أُلغيت الخطية واللعنة أُلغي الناموس.

ولكن الناموس كان معلّماً اليهود ليتعرَّفوا على الله بواسطة الوصية، فلما أُلغي الناموس بواسطة المسيح ابن الله أعطى المسيح هبة "الإيمان" بالمسيح والله الآب للتعرُّف والتقرُّب إلى الله عوض الناموس وأعماله. وإبراهيم كان يحيا بالإيمان مع الله فلما دخل الناموس على أولاده توقف الإيمان وبركاته وبدأت أعمال الناموس للتعليم مع لعناته. وهكذا بانتهاء دور الناموس للتعليم جاء عصر الإيمان بالله وبركاته مجاناً بدون أعمال الناموس بواسطة الرب يسوع المسيح، فانفتح باب الإيمان وبركاته على العالم الوثني للإيمان بالله بدون أعمال الناموس.

ولكي نوضح قوة رفع المسيح للعنة، أي الناموس، يلزم أن نعود إلى وعد الله لإبراهيم: «ويتبارك في نسلك جميع أُمم الأرض» (تك 18:22)، ولكن جاء الناموس في الوسط بين إبراهيم وبين الأُمم، لأن الناموس أُعطي لليهود فقط وليس للأُمم. فلكي يمكن أن تدخل الأُمم في بركة إبراهيم تحتم أن يُلغى الناموس، ولكن الناموس أخذ قوة وسلطاناً من الله بسبب أن الذي يعمل بوصاياه ـ باعتبارها أوامر الله النافذة المفعول من تلقاء ذاتها دون تفريق ـ يحيا بها والذي لا يعمل يُلعن ويموت. فوقعت لعنة الناموس بالنسبة للذين لا يعملونه على الأُمم حتماً، من هنا كانت الأُمم في عرف الناموس رسمياً أنجاساً وكلاباً. وأن يُلغَى الناموس هذا أمر مستحيل لأنه وصايا الله وكلمته الحية المقدَّسة النافذة والباقية إلى الأبد:

+ «إذاً الناموس مقدَّسٌ، والوصيةُ مقدَّسةٌ وعادِلةٌ وصالحةٌ.» (رو 7:12)
+ «فإننا نعلم أن الناموس روحيٌّ ...» (رو 7:14)

ولكن الله استطاع أن يوقف عمل الناموس وينهي على زمن الوصايا بفديته العظمى هكذا: كانت قوة الناموس وقوة الوصايا هي في **الأحكام على الخطية،** أي أن الناموس والوصايا كانت قائمة على أساس الأحكام على الخطايا. فلكي ينهي الله على الناموس وعلى الوصايا نهائياً **ألغى الخطايا كلها** بل وألغى طبيعة الخطية وقوتها التي هي قوة الناموس ففقد الناموس وفقدت الوصايا قوتها أي عملها نهائياً وبالتالي وجودها.

ولكن كيف يلغي الله الخطايا بل ويلغي طبيعة "الخطية" ذاتها؟

معروف أن كل مَنْ يعمل الخطية يموت، فقوة الخطية التي جعلت لها رعبة وشأناً ووجوداً هي عقوبة **"الموت"** باعتباره عقوبة الخطية الحتمي. فإذا ألغى الله عقوبة الموت أُلغيت الخطية حتماً، وبالتالي أُلغيت كل أحكام الناموس، وبالتالي يكون قد فقد الناموس ضرورته وبالتالي فقد وجوده دون أن تُمس هيبة كلمة الله!

هكذا أرسل الله ابنه متجسِّداً ليدخل مع الإنسان تحت حكم الموت ـ كخاطئ بل وكخطية ـ ليموت مع الإنسان بالجسد ويموت الإنسان معه، ثم بقوة قداسته ولاهوته يقوم من الموت دائساً سلطانه ومعه الإنسان غالباً الموت وكل علاقة بين الخطية والموت، ففقدت الخطية سلطانها بالموت وبالتالي فقدت قيمتها نهائياً، وفقد الموت سلطانه الذي استمده من الخطية وبالتالي فقد قيمته نهائياً[110]:

+ «ومتى لَبِسَ هذا الفاسد عَدَمَ فسادٍ، ولَبِسَ هذا المائِتُ عَدَمَ موتٍ، فحينئذٍ تصيرُ **الكلمةُ المكتوبة:** ابتُلِعَ الموتُ إلى غلبةٍ. أين شوكَتُكَ يا موتُ؟ أين غلبَتُكِ يا هاويةُ؟ **أمَّا شوكة الموتِ فهي الخطيةُ، وقوَّةُ الخطيةِ هي الناموسُ.**» (1كو 15: 54-56)

أمَّا **«الكلمة المكتوبة»** التي اقتبس منها ق. بولس آيته هذه الذهبية التي تحوي سر الخلاص فهي من هوشع النبي:

+ «من يد الهاوية **أفديهم من الموت** أخلِّصهم. أين أوباؤك يا موت، أين شوكتك يا هاوية تختفي الندامة من عينيَّ.» (هو 13:14)

---

(110) فالإنسان في المسيح إذا أخطأ يسيء إلى محبة الله فقط ولكن لا يقع تحت حكم الموت. والإساءة إلى محبة الله يمكن علاجها بالاعتراف والندم والعودة إلى المحبة: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم.» (1يو 1:9)

وتأتي في النسخة السبعينية بوضوح أكثر هكذا: «سوف أخلّصهم من سلطان الهاوية وأفديهم من الموت عقوبتك (مسببك) يا موت وأنت يا هاوية أين لسعتك (لسعة الموت للعقرب) ...»

ويُلاحِظ القارئ هنا في هوشع أو في كورنثوس الأُولى كيف يركّز النبي وبالتالي ق. بولس على الخطية دون الخاطئ، ومن هذا المنظور والمنطوق رأينا ق. بولس يقول: عن المسيح إنه صار «**خطية**» لأجلنا في الوضع المطلق. وبهذا المعنى لا يكون المسيح قد فدى الخاطئ من الخطية وحسب بل **وأنهى على الخطية ذاتها في طبيعتها القاتلة!!**

ويرى كثير من الشرَّاح[111] أن تكرار وعد الله لإبراهيم بالبركة بعد أن ربط ابنه إعداداً للذبح هو الذي أوحى إلى ق. بولس بالتركيز على منظر المسيح وهو مقيَّد ومساق حاملاً الصليب للموت سواء في رسالة رومية: «الذي لم يُشفِق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيءٍ؟» (رو 8:32). أم هنا في رسالة غلاطية في الآيتين السالفتين (غل 3: 13و14) معاً ونجملها هكذا: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنةً لأجلنا ... لتصيرَ بركة إبراهيم للأُمم ...» والتناظر بديع بين المسيح **معلَّق مربوط على الصليب** والخروف **ممسوك بقرنية في الشجرة**، لذلك يلذ للشرَّاح والوعَّاظ أن يصفوا المسيح أنه صُلب على "**الشجرة**" حيث ترمي الشجرة إلى الشجرة التي حمل إسحق حطبها على كتفه أو التي أُمسك الخروف ـ فدية إسحق ـ بقرنيه فيها، أو إلى الشجرة التي أكل منها آدم فمات.

«بركة إبراهيم»:

ولكن ما هي بركة إبراهيم التي سترثها كل الأُمم في نسل إبراهيم (المسيح) بالإيمان؟

يقولها ق. بولس صراحة: **«موعد الروح»** المعروف في العهد الجديد بأنها هبة الروح القدس!! وقد سبق وذكرها ق. بولس بوضوح في الآية الثانية في هذا الأصحاح:

+ «أريد أن أتعلَّم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس **أخذتم "الروح" أم بخبر الإيمان؟**» (غل 3:2)

وواضح الآن أن الناموس ـ وأدواته الخطية والموت ـ كان يحجز بركة

(111) Bruce. *op. cit.*, p. 167.

إبراهيم أي انسكاب الروح. فلمَّا غفرت الخطية وأبطل الموت وزال الناموس بموت المسيح على الصليب انفتحت السماء وانسكب الروح القدس بالقيامة من الأموات. وهكذا أصبح الإيمان بموت المسيح وقيامته الباب المفتوح في السماء لانسكاب الروح القدس بلا عائق لكل مَنْ يؤمن، وبذلك تحقق الوعد حرفياً أنه كما أن إبراهيم آمن بالله فحُسِبَ له برًّا، هكذا يُحسَب لكل مَنْ يؤمن بيسوع المسيح ابن الله. وبذلك ورثت جميع الأمم بركة إبراهيم بالإيمان ـ وهو بر الله ـ بأن نالت موعد الروح وتم الوعد.

4 ـ الناموس لا يبطل موعد الله لإبراهيم
[3: 15-18]

3 : 15 «**أَيـّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ أَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْداً قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ**».

هنا يبتدئ ق. بولس يطرح هذا السؤال المبدئي الذي به ينقضُّ على الذين يرفعون الناموس على موعد الله لإبراهيم، فلا يترك لهم حجَّة: هل يستطيع أي إنسان أن يبطل تعهُّداً (بميراث مثلاً) تعهَّد به إنسان قبل أن يموت أو يضيف عليه بعد موته؟ وهنا يوثِّق ق. بولس هذا التعهُّد رسمياً بقوله: «قد "**تمكَّن**"» بمعنى قد تسجَّل رسمياً. وهنا القديس بولس الرسول يتكلَّم كفرِّيسي متمرِّس في كل قوانين الناموس. فالناموس نفسه يمنع أي إنسان من أن يغيِّر تخم (حدود) أو وثيقة ميراث أي إنسان تعهَّد به أسلافه له لا ينقص منها ولا يزيد عليها. والعهد يتمكَّن ويكون غير قابل للتغيير إن كان صاحب العهد قد مات وترك تعهده أمانة بين يدي الله والناس. هذه فلسفة الناموس كما شرحها ق. بولس في سفر العبرانيين بتدقيق: «لأنه حيث توجد وصيَّةٌ، يلزم بيانُ موت المُوصِي. لأن الوصيَّة ثابتةٌ على الموتى، إذ لا قوَّةَ لها البتَّة ما دام المُوصِي حيًّا.» (عب 9: 16و17). فإن كان الموصي لا يزال حيًّا فقد يجوز أن يضيف عليها أو يحذف منها إلاَّ في حالة التعهُّد أمام الله كشاهد وشهيد عنه فلا يجرؤ أحد أن يحذف من الوصية أو يزيد عليها. فالآن هوذا إبراهيم صاحب العهد والوعد قد مات والناموس جاء بعده بأربعمائة سنة. إذن فلا قوة للناموس قط أن يغيِّر عهد الله والوعد الذي أعطاه الله.

ورب قائل يرى في تصوير أمور الله في عهد الخلاص والفداء الإلهي بأمور أرضية ومواريث ترابية شيئاً من الضعف وعدم اللياقة، ولكن المسيح نفسه استخدم هذا المنطق بقوله: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه» (لو 13:11). وبالرغم من هذا البرهان، ولكننا نجده يعتذر عن

ذلك بقوله: «أتكلَّم كإنسان» اعتذاراً عن الاجتراء على بحث أمور الإيمان على مستوى عهود إنسانية أرضية. وهذه فلسفة ومنطق القديس بولس كمحامٍ عن حق الإنجيل وخدام الإنجيل. يتقن الدفاع عن الحق أينما كان بقوة لا يستطيع أي معاند أن يناقش فيها. اسمعه يقول عن حق خادم الإنجيل أن يأكل من خدمة الإنجيل فيقول:

+ «ألعلِّي أتكلَّم بهذا كإنسانٍ؟ أم ليس الناموس أيضاً يقول هذا؟ فإنه مكتوبٌ في ناموس موسى: لا تكُمَّ ثوراً دارساً. ألعلَّ الله تُهمُّهُ الثيران؟ أم يقول مطلقاً مِنْ أجلنا؟ إنه من أجلنا مكتوبٌ. لأنه ينبغي للحرَّاثِ أن يحرثَ على رجاءٍ، وللدَّارسِ على الرجاءِ أن يكون شريكاً (لصاحب الحق) في رجائهِ (بالمحصول). إن كنَّا نحن قد زرعنا لكم الروحيَّاتِ، أفعظيمٌ إن حصدنا منكم الجسديات؟» (1كو 9: 8-11)

والآن يهاجم ق. بولس هؤلاء "الإخوة الكذبة" المنحازين للناموس فوق الإيمان بالمسيح، مبرهناً لهم أن موضوع الإيمان بالله الذي ينادي به ق. بولس كونه الآن أصبح متفوقاً على التمسك بالناموس، وهو حقيقة زرعها الله في صميم علاقته بإبراهيم، وبالتالي الإنسان، كوعد إلهي وعهد لا يمكن أن يُمسَّ وذلك قبل أن يرسم الناموس بمدة 400 سنة، فأصبح ليس بمقدور موسى ولا الناموس أن يغير في هذا العهد الإلهي الذي أُعطي لإبراهيم ونسله (بالمفرد) القادم من بعيد في ملء الزمن.

ووعد الله لإبراهيم وثَّقه الله بنفسه لإبراهيم فأصبح كعهد إلهي والله نفسه شاهد على ثبوته ودوامه وتحقيقه، وهو يقوم أساساً على أن إبراهيم سيكون "حتماً" أباً لجمهور من "الأمم" (تك 17:4) الأمر الذي تمسَّك به ق. بولس بقوة وأعاد نطقه في رسالة رومية: «كما هو مكتوبٌ: إني قد جعلتُكَ أباً لأممٍ كثيرةٍ. **أمام الله الذي آمن به،** الذي يُحيي الموتى، ويدعو الأشياءَ غير الموجودةِ كأنها موجودةٌ» (رو 17:4). وينطق ق. بولس بهذا الموقف الإلهي العظيم وإبراهيم واقف أمام الله في

حالة إيمان نال به هذا الموعد بعهد ليطبِّقه بثقة وبلا حذر على مستوى البشرية كلها:

+ «اعلموا إذاً أن الذين هُم مِنَ **الإيمان** أُولئِكَ هُمْ بنو إبراهيمَ. والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرِّرُ الأمم، سبق فبشَّرَ إبراهيم أن فيك تتباركُ جميعُ الأمم.» (غل 3: 7و8)

واضح هنا أن عهد الله لإبراهيم يقوم أساساً على **وراثة البشرية لبركة إبراهيم وبرِّه** إنما بشرط الإيمان إن هم آمنوا بالله كما آمن إبراهيم فحسب له **برًّا** (أي قداسة).

16:3 «**وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ وَفِي الأَنْسَالِ كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: وَفِي نَسْلِكَ** sperma **الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ**».

ويُلاحَظ أن وعد الله لإبراهيم ابتدأ في سفر التكوين: «وإبراهيم يكون أُمَّةً كبيرةً وقويةً ويتباركُ بهِ جميع أُمم الأرض» (تك 18:18). ولكن عاد الله وخصَّص البركة التي ستنالها كل الأُمم لا في إبراهيم بعد بل في نسله بمعنى واحد من أحفاده: « ويتبارك في نسلك spšrma جميع أُمم الأرض» (تك 18:22). وتنطق بالعبرية زرع zerá وبالقراءة في سفر التكوين في هذا الوضع قد يتراءى أن البركة تشمل ميراث النسل لأرض فلسطين، ولكن بولس الرسول يوضِّحها جداً في رسالة رومية أن "الأرض" تعني في الوعد "**العالم كله**" هكذا: «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله **أن يكون وارثاً للعالم**، بل ببرِّ الإيمان» (رو 13:4). إذ أن إبراهيم بإيمانه بالله نال "موعد الإيمان" الذي سيستقر على المسيح (نسله) والذي فيه تتبارك كل أُمم الأرض ـ الذي بقوله: "موعد" الإيمان ركَّز على الروح القدس باعتباره روح الموعد الذي وضح أنه بقوة البشارة بالإنجيل بواسطة الروح القدس امتلأت الأرض ببركة الإيمان بالمسيح النسل الموعود.

أمَّا كيف سيرث إبراهيم في نسله هذا (أي المسيح) كل أُمم الأرض، فقد عرَّج عليها ق. بولس بالروح القدس وبالإعلان المستتر وكشف كيف تمَّ هذا الوعد المقدَّس، وذلك في الرسالة إلى أفسس، بوعي روحي فائق الوصف على مستوى وحي النبوَّة المفتوحة العينين هكذا: «كي يعطيكم إله ربِّنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمةِ **والإعلانِ** في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاءُ "**دعوته**"، وما هو غنى مجد "**ميراثه في القديسين**"**!!!**» (أف 1: 17و18). هذا هو تحقيق موعد الله لإبراهيم ـ في نسله المسيح ـ أن يرث كل أُمم الأرض. وطبعاً إن «**انحصر ميراث المسيح في القديسين**» يكون قد **غطَّى كل العالم**، لأن عالم

البركة والمسيح لا يمثّله إلاّ القديسون والقديسون فقط. حيث كلمة "القديسون" هنا هي معروفة في لغة الكتاب ووعي الإنجيل أنهم المسيحيون الأبرار الذين آمنوا وصدَّقوا المواعيد في المسيح.

ويأتي سفر العبرانيين ويعيد المفهوم الروحي والحقيقي لميراث الأرض والمدن بالنسبة لأبناء إبراهيم الذين آمنوا بوعد الله هكذا: «ولكن الآن يبتغون وطناً أفضلَ، أي سماويًّا. لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعَى إلههم (إله إبراهيم وإسحق ويعقوب)، لأنه أعدَّ لهم مدينةً.» (عب 16:11). ذلك لكونهم «في الإيمانِ ماتَ هؤلاءِ أجمعونَ، وهم لم ينالوا المواعيد، بل مِنْ بعيدٍ

نظروها وصدَّقوها وحيُّوها، وأقرُّوا بأنهم غرباءُ ونُزلاءُ على الأرض.» (عب 13:11)

أمَّا بطرس الرسول فيحكي عن هؤلاء القدامى ذوي العيون المفتوحة كيف، وقبل أن يكشف الله عن ميعاد مجيء ابنه يسوع المسيح، كيف عاشوا في التأمل فيه وفي أيامه بل وعاشوا فيه!!:

+ «الخلاص الذي فتَّش عنه وبحث عنه أنبياءُ، الذين تنبأوا عن النعمةِ التي لأجلِكُم، باحثينَ أيُّ وقتٍ أو ما (حال) الوقت الذي كان يدلُّ عليهِ **روح المسيح الذي فيهم،** إذ سبق فشَهِدَ بالآلامِ التي للمسيح، والأمجادِ التي بعدها.» (1بط 1: 10و11)

وحتى اليهود العاديون أنفسهم، فهم لم يُعْدَموا الرؤيا والوحي وانفتاح الذهن إذ لم تفارق النبوَّة إسرائيل قط حتى يوم صلبوا رب المجد. فنحن نعلم كيف أن حنة النبية بنت فنوئيل من سبط أشير كيف استقبلت ميلاد النسل الموعود به للخلاص:

+ «فهي في تلك الساعة وقفت تُسبِّحُ الربَّ، وتكلَّمت عنهُ مع جميع المنتظرينَ فداءً في أُورشليم.» (لو 38:2)

كذلك سمعان الشيخ ذلك النبي المفتوح العينين وهو كان يُظن أنه من أعضاء السنهدريم كيف «أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب» (لو 26:2). هذا لمَّا حمل الطفل يسوع النسل الموعود له ببركة إبراهيم لتتبارك به جميع الأمم قال بالروح:

+ «الآن تطلق عبدكَ يا سيد حسب قولِكَ بسلامٍ، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصَكَ، الذي أعددته قدَّام وجهِ جميع الشعوب.» (لو 2: 29-31)

ويقول العالِم بروس إن هناك شهادة قوية في كتاب اليوبيل، وهو من المدونات

اليهودية المتأخرة جداً وقبل الميلاد، يشرح بالنبوَّة معنى «نسل إبراهيم الذي فيه تتبارك الأمم» هكذا:

[من أبناء إسحق سيصير واحد (بذرة) **نسلاً (مفرد) مقدَّساً ولا يكون أو يحسب من الأُمم لأنه سيكون من نصيب العليّ، وسيصير كل نسله للرب شعب امتلاك فوق كل الشعوب مملكة كهنة وأُمة مقدَّسة.**]

(كتاب اليوبيل 17:16 المصدر الذي أخذ منه القديس بطرس باعتباره تراثاً)

من هذه الشهادة نستطيع أن نتيقن أيضاً أن ق. بولس الرسول في شرحه "للنسل" بالمفرد إنما كان يتكلَّم عن تراث موروث، بالإضافة إلى رؤية ونعمة موهوبة له!

17:3 **«وَإِنَّمَا أَقُولُ هذا: إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، لاَ يَنْسَخُ عَهْداً قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ الْمَوْعِدَ».**

واضح أن وعود الله ثابتة بثبوت كلمة الله الحية والباقية إلى الأبد، أمَّا وعد الله لإبراهيم بخصوص البركة التي وهبها لإبراهيم وكل نسله والتي ركَّزها مرَّة أخرى على نسلٍ مفرد من نسله لكي تتبارك فيه كل الأمم على أساس الإيمان الذي فاز به إبراهيم بحق الوعد، أي أن في هذا النسل الواحد يتركَّز الإيمان بالله والبركة لجميع الأمم، هذا الوعد يعتبر تعهداً أبدياً بضمان الله الأزلي يسير في وسط الزمن يشق طريقه عبر الآلاف من السنين ليتحقَّق في وقته الموعود به. وواضح أن أي تعاملات لله مع نسل إبراهيم بعد ذلك عبر الزمن وإلى أن يأتي النسل الموعود به، كالناموس، إنما هي تعاملات تخص صميم هذا الوعد الأبدي لتزيده قوة ولياقة وحقاً، ويهيئ النسل المبارك في إبراهيم لقبول هذا الشخص الموعود الذي تنتقل فيه وبه بركة الله لإبراهيم إلى بركة الله لكل الأمم لتعم بركة إبراهيم ـ أو بالحري بركة الإيمان بالله ـ كل العالم.

لذلك تُحسب غلطة عظمى في حق إسرائيل ـ أي أبناء إبراهيم ـ أن ينحبسوا في وصايا وفرائض الناموس وتقصر عقولهم وتنعمي بصائرهم عن رؤية **"الوعد"** نفسه لمَّا استُعلن في المسيح، الذي جاءالناموس ليمهِّد له ويخدم مجيئه. خاصة وأن «الموعد» استعلن في حينه بقوة روحية عالية الاقتدار، وسبقت جميع النبوات وشهدت لمجيئه وركَّزت على وقت وعلامات استعلانه.

ولكن غلطة إسرائيل أنهم حسبوا الناموس التأديبي على مستوى قوة العهد المجاني لإبراهيم، وهنا تكمن الخطية أن يثق الإنسان بنشاطه وعمل يديه في تكميل وصايا جسدية فوق هبة الله الممنوحة بالإيمان مجاناً بدون عمل أو نشاط جسدي من

جهة الإنسان. لأن هبة الإيمان ـ "البركة" ـ التي أعطاها الله لإبراهيم كانت لأنه آمن بالله فحسب له براً دون أن يقدِّم أي عمل سابقاً على الإيمان. ذلك بسبب يقين الله من نحو قصور الإنسان فكراً وإرادةً وعملاً، هذا القصور الذي أرداه أرضاً منذ آدم في العصيان والخطية. لذلك بدأ الله العهد مع إبراهيم بدون سابق وصايا أو شروط وكأنه مع البشرية كلها فيه مجاناً:

+ «ثم أخرجه إلى خارجٍ وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجومَ إن استطعتَ أن تعُدَّها. وقال له: هكذا يكون نسلُكَ. فآمن (إبراهيم) بالرب **فحَسِبَهُ له برًّا.**» (تك 15: 5و6)

وهكذا كان إيمان إبراهيم بالله بدون أعمال أيًّا كانت. وكرَّر الله العهد مع إبراهيم مجاناً دون

أي عمل مسبق:

+ «ولمَّا كان أبرام ابن تسعٍ وتسعينَ سنةً ظهرَ الرب لأبرام وقال له: أنا الله القديرُ (شداي)، سِر أمامي وكُنْ كامِلاً، فأجعل عهدي بيني وبينك ... وتكون أباً لجمهورٍ مِنَ **الأمم** ... وأُقيمُ عهدي بيني وبينك وبين نسلِكَ مِنْ بعدِكَ في أجيالِهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلِكَ مِنْ بعدِكَ.» (تك 17: 1-7)

وأعطاه الرب الختان علامة العهد (تك 17:11).

هذا هو العهد المجاني القائم على الإيمان بالله دون أعمال أو وصايا:

+ «ولا بعدمِ إيمانٍ ارتاب في وعدِ الله، بل تقوَّى بالإيمان معطياً مجداً لله. وتيقَّنَ أن ما وعد به هو قادرٌ أن يفعله أيضاً. لذلك أيضاً حُسِبَ له برًّا.» (رو 4: 20-22)

ثم بعد أربعمائة وثلاثين سنة أعطى الله موسى ”القوانين“ - الناموس - لتهذيب وتأديب شعب إسرائيل، والواضح أنها جاءت لتمهِّد لمجيء عهد النعمة المجاني بالإيمان. لذلك فمن غير المعقول أن ينسخ الناموس التهذيبي - الذي يؤدِّب بالموت واللعنة كل مَنْ تعدَّى عليه - أي يلغي أو يبطل عهد الإيمان المجاني بالبركة بالوعد الأبدي الذي وثَّقه الله بنفسه شخصياً مع إبراهيم.

إذن فمن وعد الله لإبراهيم نفهم أن البركة التي يمنحها الله للإنسان مع الوعد الدائم بالنعمة وعطية الروح والمؤازرة والسند على مدى الأيام والدهر هي عطية مجانية سبَّاقة على كل وصية أو عمل.

وإسرائيل لم يفرِّق بين الناموس أي القانون، حيث القانون دائماً للعقاب والتأديب، وبين العهد والوعد الذي كسبه إبراهيم لنسله بإيمانه، حيث العهد والوعد يقوم على الميراث والتوريث المجاني. فناموس موسى مدموغ بالخطية والعقاب، وإيمان

إبراهيم الذي استعلن في المسيح مدموغ بالنعمة والميراث المجاني. وواضح أن الوريث الموعود له يستلم الميراث دون سؤال ولا يُطلب منه إلاَّ إثبات أنه ابن المورِّث: «فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً» (رو 8:17)!! ولقد أعطانا الله هذا الحق العالي أن ندعى أولاد الله ـ بالتبني ـ لأننا آمنا بابنه يسوع المسيح!

\+ «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله ووارثون مع المسيح. إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو 8: 16و17)

فمَنْ يجرؤ أن يقول أنه مستحق الميراث كابن لله مع أنه ابن **بالتبني** بعد أن كان عبداً للخطية،

ولكن حسب نعمة الله المجانية نُقلنا من العبودية إلى البنوَّة بيسوع المسيح الابن الحقيقي والوحيد لله.

أو مَنْ ذا يجرؤ أن يقول إنه مستحق الميراث كابن لله لأنه تمَّم أعمال الناموس مع أن «جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ» (غل 10:3)، لأنه «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله.» (أع 10:15)

واضح جداً الآن أنه إن كان إبراهيم قد نال الميراث بالإيمان بدون أعمال أو ناموس، أصبح من الحق أن ينال الأنبياء الميراث بالإيمان عينه!

وفي إيمان إبراهيم لم تتدخل الخطية إذ لم تكن تُعرف إذ لم يكن ناموس.

هكذا صنع الله بالمسيح يسوع لكي يهبنا نعمة الإيمان به، رفع الخطية وألغى الناموس أي العقوبة، ليصير الإيمان بالنعمة خلواً من تهديد ناموس أو رعبة خطية.

18:3 **«لأنَّهُ إنْ كَانَتِ الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ، فَلَمْ تَكُنْ أَيْضاً مِنْ مَوْعِدٍ. وَلَكِنَ اللهَ وَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ».**

«لأنه إن كانت الوراثة من الناموس، فلم تكن أيضاً من موعدٍ»:

واضح هنا أن أي ادعاء بخصوص الوراثة "**للبركة**" أي بركة إبراهيم أنها تبقى أو تدوم بالناموس ففي ذلك إلغاء صريح للوعد بالبركة الذي أعطاه الله بالإيمان لإبراهيم.

وفي هذا يقول ق. بولس في رسالة رومية: «لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثةً، فقد تعطَّل الإيمان وبطل الوعدُ!» (رو 14:4). نعم إذا كانت مواهب الله ومواعيده بالروح يعطيها الله للذي يعمل بالناموس كأن يُقدِّم شاة عن خطية أو يرحض جسده بالماء لكانت مواهب ومواعيد زهيدة ومحتقرة لا تليق بالله معطيها.

وقد عُرف من الميثاق والوعد الذي تمَّ بين الله وإبراهيم أنه موهوب لنسل إبراهيم مجاناً لأن إبراهيم وجد نعمة في عيني الله لمَّا آمن بمواعيده. فالوعد بالميراث جاء أولاً من الله قبل أن يتحرَّك قلب إبراهيم بالإيمان. **لذلك صار الإيمان بحد ذاته هو استجابة وقبول لوعد الله، ولم يعط الله الوعد لإبراهيم ثمناً للإيمان!!**

هنا انتفى أن يكون الوعد بالميراث جزاءً للإيمان بل الإيمان صار تصديقاً لوعد الله بالبركة

والميراث، لذلك يخلو الوعد بالميراث من أي عمل أو جهد أو حتى طاعة من طرف الإنسان وإلاّ لا يُحسب هبة أو نعمة.

هنا لا يدخل الناموس في حقيقة الميراث والوعد لإبراهيم بأي حال من الأحوال، لأن أي تدخل للناموس في وعد الله يفسد الوعد ويلغي هبته وهيبته. هنا الناموس يقف موقف الضد للإيمان الذي كان بمثابة خِتْم خَتَمَ به إبراهيم على صدق وعد الله المجاني فكان عزيزاً جداً في عين الله لأن إيمانه ختم تصديق وعد الله.

5 ـ لماذا الناموس؟ كان مؤدِّبنا حتى مجيء المسيح الذي بالإيمان والمعمودية أعطى البنوَّة للجميع [3: 19-29]

19:3 **«فَلِمَاذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرَتَّباً بِمَلاَئِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ».**

هنا حينما أخرج ق. بولس الناموس نهائياً من دائرة الوعد والبركة والإيمان والميراث بدأ يفحص في سبب مجيئه. لأنه واضح أن الناموس لا يمنح براًّ للإنسان ولا يهب ميراثاً أو خلاصاً من خطية أو موت، فلماذا أُعطي؟

يقول القديس بولس: «**قد زيد بسبب التعديات**»، قد زيد يعني أضيف على الوعد والميراث والإيمان بدون أن يكون له أي عمل من نوع الإيمان.

أمَّا قوله بسبب التعديات، بمعنى أنه بسبب ازدياد تعديات الشعب على أوامر الله التي ظهرت بوضوح منذ لحظة الخروج من مصر عدة مرات فقرر الله عليهم الناموس ليتعامل مع أخلاقهم الشرسة ومقاوماتهم، **فلولا تعدياتهم ما كان للناموس لزوم، إذن فهو تهذيبي.** لذلك بمجرد أن صيغت القوانين ودخلت تحت التنفيذ بتهديد الضرب والموت ظهر للناموس عملان:

الأول: للتعريف بما هي الخطية والتعدي وهكذا دخلت الخطية لأول مرَّة في معرفة الإنسان كمَكْرَهةٍ لله.

الثاني: إدخال الإنسان الخاطئ تحت عقوبة الموت الأمر المساوي لفعل الخطية وهذا يزكي العقوبة التي فرضها الله على آدم.

+ «... بإنسانٍ واحدٍ (آدم) دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع.» (رو 5:12)

+ «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسدٍ لا يتبرَّرُ أمامهُ. **لأن بالناموس معرفة الخطية.**» (رو 3:20)
+ «فماذا نقول؟ هل الناموس خطيةٌ؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلاَّ بالناموس. فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهِ.» (رو 7:7)
  + «فإنه حتى الناموس (أي قبل مجيئه) كانت الخطية (بالرغم من أنها) في العالم. على أن (إلاَّ إن) **الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموسٌ.**» (رو 5:13)
  + «وأمَّا الناموس فدخل لكي تكثر الخطية.» (رو 5:20)

بمعنى توضيح كل الخطايا التي يسقط فيها الإنسان. فقوله «تكثر الخطية» مقصود بها تكثر في محيط معرفة الإنسان وإحساسه، وبهذا يتم تعرية الطبيعة البشرية العتيقة على الظاهر والمكشوف أنها مشحونة بأنواع الخطايا التي يستحيل عليها أن تدخل تحت بركة النسل الموعود به ـ أي المسيح ـ قبل كشفها وتعريتها تمهيداً لرفعها.

وهنا يصبح للناموس عمل يخدم العهد ويهيئ للوعد ولكن بصورة سلبية كريهة ـ لأنه كان بالفعل سبب كشف تعديات للإنسان بلا حصر ـ لا تتناسب قط مع تمسُّك اليهود به كأنه سبب بر للافتخار.

كذلك يقول ق. بولس في (رو 5:20): «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًّا» أي بقدر ما عرَّى وكشف الناموس من خطايا متنوعة وكثيرة، جاءت النعمة على مستوى كثرة أكثر لتمحوها. وهكذا كان ق. بولس صادقاً غاية الصدق في وضع الناموس في موضعه الإلهي الصحيح حسب خطة الله في خلاص الإنسان.

+ «**لأن بدون الناموس الخطية ميتة.** أمَّا أنا (إنسان ما قبل الناموس بعد أن دخل الناموس) فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً (لا أعرف الخطية ولست تحت عقوبتها). **ولكن لمَّا جاءت الوصية عاشت الخطية** (أي دخلت في صميم حياة الإنسان)، فمُتُّ أنا (دخلت تحت حكم الموت).» (رو 7: 8و9)
+ «أمَّا شوكة الموتِ (التي تنقل السم كالعقرب) فهي "**الخطية**"، وقوَّةُ الخطيةِ هي الناموسُ (الذي يحكم بها).» (1كو 15:56)

وهكذا صح قول ق. بولس الذي سيأتي حالاً:

+ «لكنَّ الكتاب أغلقَ على الكُلِّ تحت الخطيةِ، ليُعطى الموعِدُ مِنْ إيمان يسوعَ المسيح للذين يؤمنونَ.» (غل 3:22)
+ «ولكن قبلما جاء الإيمان كنَّا محروسين تحت الناموس، مُغلقاً علينا إلى الإيمان العتيدِ أن يُعلنَ.» (غل 3:23)
+ «إذاً قد كان الناموسُ مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرَّرَ بالإيمان.» (غل 3:24)
+ « ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدِّبٍ. لأنكم جميعاً أبناءُ الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل 3: 25و26)

«إلى أن يأتي النسلُ الذي قد وُعِدَ له، مرتَّباً بملائكةٍ في يدِ وسيطٍ»:

كان من التقاليد الموروثة للربيِّين أن العالم سيمر في ثلاث أحقاب كل منها 2000 سنة الأولى غير محدَّدة المعالم، الثانية منضبطة بالناموس، الثالثة حقبة المسيَّا، ويُعْتقد أن هذه العقيدة مسلَّمة من مدرسة إيليا النبي[112].

وواضح أن ق. بولس يوضِّح كيف يأتي المسيح في ختام زمن الناموس باعتباره المسيَّا الذي آمن به على طريق دمشق.

كما أن هناك تعليماً منحدراً من موسى في المؤلَّف المعروف بالهالاكاه يقول:

[أيام المسيَّا عندما تبتدئ تكون أيام التوراة (الناموس) قد بلغت نهايتها. وطالما كان الآن مناداة بصحة الناموس وبفاعليته تكون أيام المسيَّا لم تحن بعد[113].]

«مرتَّباً بملائكةٍ في يدِ وسيطٍ»:

القديس بولس هنا يشرح بحسب التقليد اليهودي المتوارث أن الله أعطى الناموس لموسى كوسيط بينه وبين الشعب. ولكن عيَّن ملائكة خاصة ليسلِّموا موسى الناموس ويشرحوه له ـ بما يساوي في الفكر المسيحي عمل الروح القدس والنعمة ـ وقد أشار ق. استفانوس إلى هذا التقليد

---

(112) Bruce, *op. cit.*, p. 176.

(113) L. Baeck, *The Faith of Paul*, JJS 3. (1952), p. 106.

W. Bacher: *Tradition* (Frankfort 1914, p. 25f).

الموروث هكذا:

+ «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكةٍ ولم تحفظوه؟» (أع 7:53)

كذلك نجد سفر العبرانيين يذكر توسط الملائكة بالفعل في تسليم الناموس هكذا:

+ «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلَّم بها ملائكةٌ قد صارت ثابتة، وكل تعدٍّ ومعصيةٍ نال مجازاةً عادِلة، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به ...» (عب 2: 2و3)

وفي سفر التثنية ذكر واضح للملائكة مع الله في سيناء يتغنَّى بهم موسى هكذا:

+ «جاء الرب من سيناء وظهر لنا في سعير وأسرع من فاران مع ربوات قديسيه وعن يمينه ملائكته معه.» (تث 33:2 الترجمة السبعينية)

على أن بداية قصة الخروج وبالتالي الناموس تستعلن بمنظر ملاك في عليقة مشتعلة بالنار:

+ «وأمَّا موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. **وظهر له ملاك الرب بلهيب نارٍ مِنْ وسط عُلَّيقةٍ.** فنظر وإذا العُلَّيقة تتوقَّدُ بالنَّار والعُلَّيقة لم تكن تحترقُ. ... فلمَّا رأى الرب أنه مالَ لينظر ناداه الله من وسطِ العُلَّيقةِ وقال: موسى موسى. فقال: هأنذا ...» (خر 3: 1ـ4)

وهنا ازدواج بديع حيث ملاك الرب في وسط العُلَّيقة، ثم ناداه الله من وسط العُلَّيقة، فواضح هنا وساطة الملاك منذ بدء القصة.

وقد اختصرها بتوضيح سفر الأعمال هكذا:

+ «ولمَّا كمِلَتْ أربعون سنة، **ظهر له ملاكُ الربِّ في بريَّة جبل سيناء في لهيب نار عُلَّيقة.** فلمَّا رأى موسى ذلك تعجَّب من المنظر. وفيما هو يتقدَّم ليتطلَّع، صار إليه صوت الرب: أنا إله آبائِكَ ...» (أع 7: 30ـ32)

ثم يعود سفر الأعمال ويكشف قليلاً عن دور الملاك في إعطاء الناموس هكذا:

+ «هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبيًّا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون. هذا هو الذي كان في الكنيسة في البريَّة **مع الملاك الذي كان يكلِّمه في جبل سيناء.**» (أع 7: 37و38)

ويعود القديس يهوذا في رسالته ليعطي تقليداً آخر عن علاقة الملاك بموسى ذاكراً اسمه بتحقيق هكذا:

+ «وأمَّا ميخائيل رئيس الملائكةِ، فلمَّا خاصم إبليس محاجًّا عن جسد موسى، لم يجسر أن يورد حكم افتراءٍ، بل قال: لينتهرك الرب.» (يه 9)

مما يكشف أن الملاك ميخائيل كان هو المرافق والمدافع عن موسى حتى مماته، وهو الذي اطّلع بدور دفن جسد موسى بعيداً عن أعين إسرائيل حتى لا يقترفوا خطية عبادته، ويبدو أن الشيطان حاول إشهار موضع الجسد فحاربه الملاك واستنجد ضده بالرب.

ويذكر على هذا القياس ق. بطرس بصورة عامة موقف الملائكة من الشيطان هكذا:

+ «حيث ملائكةٌ ـ وهم أعظم قوةً وقدرةً ـ لا يقدِّمون عليهم لدى الرب حكم افتراءٍ.» (2بط 2:11)

ويبدو أن هذا التقليد له علاقة بما ورد في سفر زكريا هكذا:

+ «وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدَّام **ملاك الرب** والشيطان قائمٌ عن يمينه ليقاومه. فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان. لينتهرك الرب الذي اختار أُورشليم. أفليس هذا شعلةً منتشلة من النار.» (زك 3: 1و2)

وفي رسالة ق. بطرس يقول إن الملائكة أعظم قوة، يعني من البشر، وعبارة "حكم افتراء" تعني **"دينونة"** وذلك بحسب شرح العالم ج. إدج. هوثر[114]. والمعنى من القول: «لينتهرك الرب يا شيطان» يعود إلى التقليد القائل بأن الشيطان يقف أمام الله ويسرد أعمال أعوانه الشياطين ضد البشر فتنبري الملائكة للدفاع ولكن لا تقوى على فرض الحكم بالإدانة وتلتفت إلى الرب لينتهره أي يسكته. والمعنى النهائي يفيد أن الملائكة بالرغم مما لها من قوَّة واقتدار لكن لا تشارك الله في الدينونة.

ويعطينا المسيح نفسه معلومة عن استخدام الله للملائكة لمرافقة الأرواح القديسة إلى أحضان إبراهيم في العهد القديم هكذا:

+ «فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم.» (لو 16:22)

---

(114) J. ED. Huther. in Meyer Ser. p. 410.

ولكن أقوى أعمال الملائكة واضحة من حياة المسيح المسجَّلة في الإنجيل، فالملائكة اضطلعت بدور البشارة، وفي الميلاد، وفي التجربة، وفي صلاة جثسيماني، وحراسة القبر، والإعلان عن القيامة.
وبصورة مفاجئة يعلن المسيح عن الصلة الدائمة التي ظلت طوال حياة المسيح على الأرض تربط الملائكة بحركاته:

+ «وقال له: الحق الحق أقول لكم: من الآن ترون السماءَ مفتوحة، **وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان.**» (يو 51:1)

وذلك تدليلاً على وحدته مع الآب، بمعنى أن تجسده على الأرض بوضعه المنظور لم يفصل الابن عن الآب. فرؤية الملائكة الدائمة الصعود والنزول على المسيح هو تعبير عن الوحدة السرية غير المنفصمة.
وتقرير ق. متى عن تحرك الملاك بصورة مسموعة شديدة التأثير على إحساس الإنسان يوضّح مدى قوة اقتحام الملائكة لمحيطنا الأرضي:

+ «**وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماءِ** وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه.» (مت 2:28)

ولكن أشد أدوار الملائكة نشاطاً واشتراكاً في المحاكمة الأخيرة وفي مجيء الرب الأخير أوضحها الإنجيل هكذا:

+ «وأقول لكم: كل من اعترف بي قدَّام الناس، يعترف به ابن الإنسان **قدَّام ملائكة الله.** ومن أنكرني قدَّام الناس، يُنكر **قدَّام ملائكة الله.**» (لو 12: 8و9)

فالملائكة في السماء شهود مجد وشهود دينونة.

+ «فإن ابن الإنسان سوف يأتي **في مجد أبيه مع ملائكتهِ**، وحينئذٍ يجازي كل واحدٍ حسب عمله.»(مت 27:16)

ولكن كلاً من القديس متى والقديس مرقس يدعوهم ملائكة قديسين:

+ «لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ، فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء **بمجد أبيه مع الملائكة القدِّيسين.**» (مر 38:8)

كذلك فللملائكة دور هام في عملية حصاد الأرواح في انتهاء العالم:

+ «... والحصَّادونَ هم الملائكةُ. فكما يُجمَعُ الزوان ويُحرَقُ بالنار، هكذا يكون في انقضاء

هذا العالم: **يُرسِلُ ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم...** »(مت 13: 39ـ41)

+ «**فيُرسِلُ ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه** من الأربع الرياح، مِنْ أقصاء السماواتِ إلى أقصائها.» (مت 31:24)

ونرى بولس الرسول محتفظاً بالتقليد الإنجيلي يردده كما هو:

+ «وإياكم الذين تتضايقون راحةً معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء **مع ملائكة قوَّته، في نار لهيبٍ**، معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاكٍ أبديٍّ من وجهِ الرب ومن مجد قوَّته، متى جاءَ ليتمجَّد في قديسيه ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين ... في ذلك اليوم.» (2تس 1: 7ـ10)

+ «لأن الرب نفسه بهُتافٍ، **بصوتِ رئيس ملائكةٍ** وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً.» (1تس 16:4)

وفي أيام الرسل القديسين كانت للملائكة علاقات وأعمال ومرافقة وخدمة، وأوضحها:

+ «ولكن **ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم** وقال: اذهبوا قفوا وكلِّموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة.» (أع 5: 19و20)

كذلك مع بطرس الرسول:

+ «وإذا **ملاك الرب أقبل، ونورٌ أضاءَ في البيت، فضرب جنب بطرس وأيقظه** قائلاً: قم عاجلاً. فسقطت السلسلتان من يديه. **وقال له الملاكُ: تمنطق والبس نعليكَ.** ففعل هكذا. **فقال له: البس رداءَكَ واتبعني. فخرج يتبعه.** وكان لا يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاكِ هو حقيقيٌّ، بل يظنُّ أنه ينظر رؤيا. فجاز المحرس الأول والثاني، وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدِّي إلى المدينةِ، فانفتح لهما من ذاتهِ، فخرجا وتقدَّما زقاقاً واحداً، **وللوقتِ فارقه الملاكُ.**» (أع 12: 7ـ10)

ويُلاحَظ هنا أن الملاك يُدعى **ملاك الرب**، وهكذا يتضح أن الملائكة في العهد الجديد تخدم الرب وتنفذ أوامره. وبالتالي تخدم المؤمنين:

+ «أليس **جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدينَ أن يرثوا الخلاص!**»

(عب 1:14)

وهكذا انتقل دورهم الريادي في تلقين وتعليم الناموس لموسى قديماً إلى مرافقة وخدمة الرسل في العهد الجديد.

ويوضحها أكثر سفر الرؤيا من حيث علاقة الملائكة مع المسيح كخدَّام باعتبار المسيح أنه الله والمؤمنين كمرافقين. ففي بداية التجسُّد وضح أن المسيح وُضِعَ قليلاً عن الملائكة بالتجسُّد نظراً لتعرُّض التجسدُّ أي المسيح بالجسد للموت والصليب، وتحمُّل خطايا البشر على الخشبة:

+ «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكللاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحدٍ.» (عب 2:9)

نعود ونرى هذه العلاقة معكوسة إلى درجتها القصوى في سفر الرؤيا:

+ «فخررت أمام رجليه (يوحنا للملاك) لأسجد له، فقال لي: انظر! لا تفعل! **أنا عبدٌ معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادةُ يسوع.** اسجد لله. فإن شهادة يسوع هي روح النبوَّةِ.» (رؤ 19:10)

وفي النهاية يشترك الملائكة في السماء وحول العرش في خدمة المسيح والتسبيح لمجده:

+ «**ونظرت وسمعت صوت ملائكةٍ كثيرينَ حول العرش** والحيوانات ـ غير المتجسِّدة ـ والشيوخ، **وكان عددهم ربواتِ ربواتٍ وألوفَ ألوفٍ، قائلين بصوتٍ عظيم: مستحقٌّ هو الخروف المذبوح (المسيح قائم بجروحه) أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوَّة والكرامة والمجدَ والبركة.** »(رؤ 5: 11و12)

وواضح أن خدمة الملائكة للمؤمنين هنا تتحوَّل هناك إلى فرح بالخلاص عظيم وذلك من فم المسيح:

+ «هكذا أقول لكم يكون **فرحٌ قدَّام ملائكة الله بخاطئٍ واحد يتوب.**» (لو 15:10)

أمَّا المفارقة الكبرى بين المسيح والملائكة فتظهر في منتهاها في استعلان العالم العتيد إذ نراه قد أُخضع برمته للمسيح، أمَّا الملائكة فلا تأخذ إلاَّ دور الخدمة:

+ «**فإنه لملائكةٍ لم يُخضِع العالم العتيدَ** الذي نتكلَّم عنه.» (عب 2:5)

+ «ثم **لمَنْ من الملائكة** قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءَك موطِئاً لقدميكَ؟»

(عب 1:13)

والملاحَظ جداً في منهج بولس الرسول من حيث دور الملائكة في عملية الخلاص والبشارة أنهم لا يُعْطَون دوراً خاصاً واضحاً، ففي العهد الجديد تراجع دورهم جداً حتى انحصر في الخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص، بل ونستشعر من كلام ق. بولس أنه يرى بشارته بالإنجيل ذات سلطان وأولوية على دور الملائكة:

+ «ولكن إن بشَّرناكم نحن أو ملاكٌ من السماءِ بغير ما بشَّرناكم، فليكن أناثيما.» (غل 1:8)
+ «إن كنت أتكلَّم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبةٌ، فقد صرتُ نُحاساً يطنُّ أو صنجاً يرنُّ.» (1كو 13:1)

وحتى القديس بطرس يرى الدرجة المتدنية للملائكة بالنسبة للمخلَّصين، في امتلاك غنى الخلاص المعد:

+ «الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتُم بها أنتم الآن، بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المرسل من السماء **التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها.**» (1بط 1:12)

وينبِّه سفر العبرانيين أن خطة الخلاص بأمجادها لم تكن تليق للملائكة ـ باعتبارهم أرواح خالصة ـ بل خُصِّصت بكل لياقة للإنسان، الأمر الذي من أجله تنازل الابن من علو مجده ليأخذ جسداً يشبه به إخوته في كل شيء ليصنع لهم هذا الخلاص المجيد:

+ «لأنه حقًّا ليس يُمسِكُ الملائكة، بل يُمسِكُ نسلَ إبراهيم. مِنْ ثَمَّ كان ينبغي أن يُشبهَ إخوته في كلِّ شيءٍ، لكي يكون رحيماً، ورئيس كهنةٍ أميناً في ما لله حتى يُكفِّر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألَّم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين.» (عب 2: 16ـ18)

3:20 **«وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِدٍ. وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ».**

حينما قال ق. بولس في الآية السالفة إن الناموس أُعطي مرتَّباً بملائكة في يد وسيط ظنَّ كثيرون من العلماء أن الوسيط هو موسى ويكون وسيطاً بين الملائكة والله أو بين الله وإسرائيل، وهو الأقرب إلى الذهن.

ولكن يأتي في هذه الآية لينفي أن موسى كان وسيطاً لله، لأن الوسيط لا يكون بين واحد وبالحري الله، بل بين جماعة وجماعة ولكن الله واحد!

هذه عقدة العقد في الكتاب المقدَّس، وقد عدَّد أحد العلماء(115) ثلاث مئة حَلٍّ لها!! تقدَّم بها كل العلماء الذين تعرَّضوا لشرح هذه الآية، ولكن في النهاية فاز العالِم فانهويه(116) وشرحه يقوم على أساس أن الوسيط كان هو ملاك حضرة الله الذي تكلَّم معه على جبل سيناء كما قالها القديس استفانوس:

+ «هذا هو الذي كان في الكنيسة في البريَّة مع الملاك الذي كان يكلِّمه في جبل سيناء، ومع آبائنا. الذي قبلَ أقوالاً حيَّة ليعطينا إيَّاها.» (أع 7:38)

وذلك حسب النص المسجَّل تماماً:

+ «**ها أنا مُرسِلٌ ملاكاً أمام وجهكَ ليحفظك** في الطريق وليجيءَ بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوتهِ ولا تتمرَّد عليهِ، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه.» (خر 23:20)

+ «والآن اذهب اهدِ الشعبَ إلى حيث كلَّمتُكَ، **هوذا ملاكي يسيرُ أمامكَ.**» (خر 32:34)

ولكن بحسب التعليم اللاهوتي الذي استلمناه أن هذا الملاك هو إحدى الظهورات لابن الله قديماً، والذي يدلك على ذلك أن الله دعاه في موضع آخر: **«وجهي»** والوجه هو الـ"بروسوبون prÒswpon" وتعني إقنوم وجاء ذكره في هذا الحوار:

+ «وقال موسى للرب انظر: أنت قائلٌ لي أصعِد هذا الشعب، وأنت لم تُعرِّفني مَنْ تُرسِلُ معي، ... فقال **وجهي يسيرُ فأُريحُكَ...**» (خر 33: 12و14)

هذا الملاك يعتبره العالِم فانهويه أنه هو الذي كان الوسيط لدى الملائكة ـ المذكورين في الآية (19:3) وبين موسى الذي هو وسيط شعب إسرائيل. وهذا الشرح يحقِّق قول ق. بولس: «فأمَّا الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد» إذن فملاك حضرة الله كان وسيط الملائكة المنصوص عنهم: «**مرتَّباً (الناموس) بملائكة** في يد وسيط (ملاك حضرة الله)» وهذا الشرح جيد

---

(115) Robert Browning, quoted by Bruce, *op. cit.,* p. 178.

(116) A. Vanhoye "*Un Médiateur des Anges en Gal.* 3, 19-20"; Biblica 59 (1978) p. 403-411.

في رأينا في الحقيقة لأننا نجده صالحاً على الوجهين، فإن كان هذا الوسيط هو ملاك حضرة الله فهو ابن الله في ظهوره السرِّي السابق وهو خير مَنْ يمثّل ويتوسَّط لله، وإن كان بصورته الظاهرة كملاك فهو خير مَنْ يمثّل الملائكة.

ونحن نجد أن ابن الله في تجسُّده أصبح الوسيط ـ وسيط الإيمان ـ بين الله والناس، وقد عرَّفه ق. بولس هكذا: «لأنه يوجد **إله** واحد ووسيط واحد بين الله والناس **الإنسان** يسوع المسيح» (1تي 5:2). فإن كان المسيح هو الله وهو إنسان إذن فقد تبنَّى الله قضية الإنسان واعتبرها قضيته.

لذلك فإنه في رأينا أن الناموس لا يضيره أنه ترتَّب بواسطة ملائكة وتسلَّم بواسطة ملاك حضرة الله، فالعبرة أنه من الله وكان بحسب مشيئته وتدبيره: «إذاً الناموس مقدَّسٌ، والوصيةُ مقدَّسةٌ وعادِلةٌ وصالحةٌ» (رو 12:7). ولكن نقص الناموس كان واضحاً أنه لم يكن له قدرة إعطاء حياة، بل على النقيض كان يحكم بالموت.

21:3 **«فَهَلِ النَّامُوسُ ضِدَّ مَوَاعِيدِ اللهِ؟ حَاشَا! لأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرَّ بِالنَّامُوسِ».**

سؤال القديس بولس هو تهيئة للذهن أن الناموس مقدَّس والوصية مقدَّسة وعادلة وصالحة كما قالها ق. بولس في الرسالة إلى رومية، ولكن عيب الناموس أنه لم يستطع أن يكمِّل وعد الله لإبراهيم بل وعجز عجزاً فاضحاً لأن وعد الله لإبراهيم هو للبركة والحياة، ولكن وجدنا الناموس ـ بسبب أنه تعامل مع تعدِّيات إسرائيل ـ قد حكم باللعنة والموت، وكان هذا بمقتضى استحقاق الشعب الخارج على أوامر الله.

لذلك امتنع على الناموس أن يَعِدَ بالبرِّ الذي وعد به الله لإبراهيم. وبالرغم من أن الكتبة والفريسيين حاولوا مستميتين أن يغتصبوا البر بأعمال الناموس معتمدين على حكمتهم إلاَّ أن البر هو وعد الإيمان فقط بحسب وعد الله لإبراهيم. فهنا الشعب ومعلموه هم الذين جعلوا الناموس ضد مواعيد الله باغتصاب البر باجتهادهم بأعمال الناموس مع أنه وقفٌ مؤبدٌ على الإيمان وحده. فالناموس ليس ضد مواعيد الله، ولكن الله استبقى بر الإيمان للنسل (المسيح) الذي وعد به لإبراهيم. لذلك لم يزد الناموس عن كونه مهذِّباً ومؤدِّباً على مستوى قسوة النفوس وغلظة الرقاب وضَلَع الشعب في إغاظة الله بأعمالهم المخالفة حتى مات الإيمان الآتي على خلفية مُوْغِلة في الخطية، فلم يعد يبقى للإنسان فرصة قط للاعتداد بالذات أو الأعمال.

22:3 «لكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، لِيُعطى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ».

وهكذا يتضح المنهج الفكري الذي سرنا فيه في الآية السالفة إذ هنا يعلن الكتاب ـ ويقصد به ق. بولس الأنبياء وبقية الكتابات ـ أنه بعد أن عاش الناموس هذه الأحقاب الكثيرة جداً أعلن الله بفم الأنبياء والملهمين على طول المدى أن الكل أخطأ وزاغ وفسد وأعوز الجميع مجد الله: «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان، لكي يرحم الجميع.» (رو 11:32)

«أغلق على الكل»: sunškleusen

+ «فماذا إذاً؟ أنحن أفضل (اليهود)؟ كلاَّ البتة! لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوبٌ: أنه ليس بارٌّ ولا واحدٌ. ليس مَنْ يفهم. ليسَ مَنْ يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحدٌ.» (رو 3: 9 ـ12)

واضح هنا أن الإغلاق واقع تحت سلطان الخطية.

هنا كان دور الناموس هاماً للغاية: «اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم، أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة، لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب، اتَّخمتُ مِنْ محرقات كباش وشحم مسمَّنات، وبدم عجولٍ وخرفانٍ وتيوسٍ ما أُسرُّ» (إش 1: 10و11)، فالناموس هو الذي حدَّد حجم الخطية وعرَّف الإنسان بها فانكشف على ضوئه كل أعمال الإنسان وكل أفكاره وظهرت كلها أنها واقعة تحت إغواء الخطية وسلطانها. وهنا يجمع ق. بولس اليهود والأمم معاً، لأن الخطية سادت على الجميع، العارف بها والجاهل، والعبرة بخضوع الطبيعة البشرية لها، فالكل أُغلق عليه تحت سلطان الخطية.

هنا الكتاب يعني الله، فالقصد الإلهي واضح أنه بحسب تدبير الله سلَّط نور قداسته على أعماق الطبيعة البشرية مستخدماً وصايا الناموس ليهيئ لمجيء الموعد بالإيمان بالمسيح حسب وعد الله لإبراهيم.

أمَّا علاقة الإيمان بالناموس فهي علاقة شديدة العمق تضرب جذورها في مقاصد الله منذ الأزل، لأن مجد وقوة الإيمان بالمسيح يقوم على أساس الناموس، لأن الناموس أعلن بالنهاية سيادة الخطية على الجميع، لا فرق. فجاءت قوة الإيمان كنعمة لتلغي الخطية بجملتها وكل أعمالها من

ضمير الإنسان.

فالناموس أقنع الإنسان بأنه خاطئ، والإيمان جاء ليقنع الإنسان أن المسيح رفع الخطية إلى الأبد.

الناموس أوقع الإنسان وكل مَنْ هو من أعمال الناموس والذي ليس له ناموس تحت اللعنة، وجاء المسيح وتحمَّل اللعنة وأقام الإنسان مبرَّراً.

فلولا الناموس ما عرفنا قوة الإيمان وعظمة عمله في الطبيعة البشرية، وما أدركنا النعمة وبركاتها. ولولا الناموس ولعنته ما فهمنا لماذا عُلّق المسيح على الخشبة كملعون ليرفع عنَّا اللعنة إلى الأبد. ولولا حكم الناموس على الخطية والخطاة بالموت ما عرفنا لماذا مات المسيح، لينقذنا من حكم الناموس والخطية.

ثم وبعد هذا كله لولا أن المسيح جاء ليوقف أعمال الناموس وينهي على زمانه لما استعاد الإنسان بركة إيمان إبراهيم في نسله الموعود ـ المسيح ـ ليتبارك فيه كل أمم الأرض.

«من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون»:

إيمان يسوع المسيح هنا تعني تصديق يسوع المسيح، أي تصديق شخصه أنه ابن الله وعمله للخلاص المجيد بالموت والقيامة «للذين يؤمنون»، أي **الذين يقبلون الخلاص بتصديقهم، على مستوى إيمان وتصديق إبراهيم. فإيمانهم أو تصديقهم هذا يحسبه لهم الله برًّا.**

وبولس الرسول في قوله: «**إيمان يسوع المسيح**» يعطي التوازي مع «**إيمان إبراهيم**»، **فإيمان إبراهيم كان هو بعينه تصديق الله** الذي بمقتضاه تثبَّتَتْ له المواعيد، وحُسِبَ بحد ذاته برًّا أي قداسة. هكذا «**إيمان يسوع المسيح» فهو تصديق يسوع المسيح الذي به تثبَّت لنا الخلاص ويُحسب لنا الإيمان برًّا وذلك للذين يصدِّقون.**

فـ «الإيمان» أصبح بعد خبرة إبراهيم يُحسب أعلى ما يمكن أن يبلغه الإنسان في علاقته بالله وتكريمه له، وبالتالي يحسبه الله برًّا للذي يؤمن أي تكميل تقوى وقداسة، حتى أنه **حَسِبَ جميع الذين آمنوا بالمسيح قديسين، وأصبحت الكنيسة هي جماعة المؤمنين القديسين. وهكذا بالإيمان نالت جميع الأمم في المسيح يسوع موعد الله لإبراهيم فتباركت فيه كل أمم الأرض حسب وعد الله، لذلك يُقال إننا تقدسنا في المسيح.**

وهكذا بالإيمان بالمسيح استطعنا نحن الأمم أن نتخطَّى الناموس وكل أزمنته السالفة ونقبل الإيمان والتقديس في المسيح ولكن لا يمكن أن ننسى فضل الناموس في تهذيب إنسان الخطية أينما كان!

23:3 **«وَلَكِنْ قَبلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحرُوسِينَ تَحْتَ النـَّامُوسِ، مُغْلَقاً عَلَينَا إلى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أن يُعْلَنَ».**

«كنَّا محروسين ... مغلقاً علينا»: ™frouroÚmeqa ... sugkleiÒmenoi
بمعنى مغلقاً علينا تحت الحراسة.

ففي الآية السالفة كنا **في الحبس ـ مغلقاً علينا ـ تحت الخطية** أي بتهديد الموت فلا أمل في حرية مقدَّسة بدون خطية حتى يجيء الإيمان. ولكن في هذه الآية عاد وقال إننا كنَّا مغلقاً علينا في الحبس ولكن تحت **حراسة الناموس.**

والفارق عجيب حقاً، ففي الآية (22) كنَّا محبوسين تحت الخطية، ثم زاد في الآية (23) أمراً وكأنه جعل الناموس ضامناً للخطية، فالحارس على حالة الخطية يكون هو في الحقيقة الذي ينمِّي الإحساس بالخطية ويلهبها حتى ليكاد الإنسان يقول: وهل الناموس خطية؟ (رو 7:7)، والرد: يستحيل، لأن الناموس مقدَّس والوصية مقدَّسة وصالحة وعادلة (رو 12:7). فيأتي السؤال الآخر: وهل صار لي الصالح موتاً؟ (رو 13:7)، والرد: حاشا، ولكن ليظل الناموس كاشفاً وفاضحاً طبيعة الإنسان الميَّالة للخطية حتى يصرخ الإنسان: ويحي أنا الإنسان الشقي بهذا الجسد، مَنْ ينقذني من هذا الموت؟ (رو 24:7). فيأتي الإيمان بالمسيح ليقول: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو 6:14)، مَنْ يتبعني لا يموت بل تكون له الحياة الأبدية، مَنْ آمن بي ولو مات بالجسد فسيحيا إلى الأبد! فصار «فلستم (إذن) تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو 14:6)، «والخطية لن تسودكم.» (رو 14:6)

وهكذا بمجيء الإيمان فتح المسيح سجن الخطايا وأبطل الخطية بذبيحة نفسه وأوقف الناموس عن سلطانه الذي كان يأمر بالموت، وألغى قانون العقوبات وشطب الموت، وأطلق أسرى الرجاء لملء حرية الحياة في المسيح، والحاجز الذي صنعه الناموس في البشرية حيث احتوى اليهود وأخرج الأمم خارج سياجه الناري، رفعه المسيح من الوسط لمَّا واجه خطية اليهود وخطية الأمم معاً بلا فرق، وأبطلها بذبيحة نفسه عن اليهود والأمم: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع»

(يو 32:12). فسقط الناموس من تلقاء نفسه وتحطَّم الحاجز الوهمي ودخلت الأمم عهد الغفران مع اليهود، لا فرق، وانسكبت المحبة والنعمة على الاثنين بالتساوي من فوق الصليب حينما تمزَّق صك الخطايا الذي على البشرية كلها فتصالح الاثنان إذ شربا من كأس الخلاص الواحد، وصارت التي ليست محبوبة محبوبة، وجمعت الكنيسة القريبين والبعيدين في جسد واحد بالصليب.

24:3 **«إذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إلى الْمَسِيحِ، لِكَي نَتَبَرَّرَ بالإِيمَانِ».**

«مؤدِّبنا»: paidagwgÕj

هنا كلمة مؤدِّبنا = بيداجوجوس ـ يعني بها ق. بولس عمل العبد المكلَّف بتربية طفل ابن البيت الذي يرافق الابن الحر أينما سار منذ لحظة خروجه من حضن أمه وهو رضيع، فعليه أن يعلّم الولد كيف يتحرَّك ويتصرَّف ويسلك حسناً، وباستخدام العصا إذا لزم الأمر كوصية أبيه، لأنه يود أن يشب ابنه ذا خلق جيد، يرافقه إلى المدرسة كل يوم، يحمل له كل ما يلزمه ويرافقه في الفصل حتى تكون عينه عليه، ويعود به إلى البيت ويستذكر معه محفوظاته، وطالما هو صغير يكون تحت الضغط لئلاً يستخدم حريته في الباطل. حتى في ملء الأيام يشب ناضجاً يستخدم حريته حسناً.

وعلى مدى فترة تربيته وتنشئته يتكوَّن في العادة معه رابطة ألفة تزداد وتشتد بمرور الأيام فيتعلّق الولد بالعبد المعلّم ربما أكثر من أبيه، ومن ضمن التأديب المنوط به التهذيب يقع حتما دور التعليم ولو أن العبد ليس على هذا المستوى دائماً.

والآن واضح التطبيق أشد الوضوح، فالناموس هنا قام بالنسبة لشعب إسرائيل ابن الله البكر بدور المؤدِّب والمهذّب والمعلّم. حيث قام بدور التعليم الرابّيون الذين لم يكونوا في نظر الناموس ككل إلاّ صورة من أعمال العبد الجاهل. حيث تكون التوراة هنا هي وسيلة التعليم. والقديس بولس لم يعط لا للتوراة ولا لدور الرابّيين في التأديب صفة الحفظ أو الرعاية أو السهر على الطفل ـ شعب إسرائيل ـ إلاّ في وضع واحدٍ وهو أن الناموس يقول في تعليمه أن مَنْ يحفظه لا يضل «بل الإنسان الذي يفعلها **(الوصية)** سيحيا بها.» (غل 12:3)

«مؤدِّبنا إلى المسيح»: e„j CristÒn

أي أن وظيفة الناموس المشبَّهة بدور العبد في تربية ابن البيت تكمّل إلى مجيء المسيح وحينئذ يبطل العبد وعمله غير مشكور. ويعبِّر عنها ق. بولس بلغة إبراهيم: «إلى أن يأتي النسلُ الذي قد

وُعِدَ له، مرتَّباً بملائكةٍ في يدِ وسيطٍ» (غل 19:3). وأمَّا قوله: e„j CristÒn أي المسيح فتفيد الفترة الزمنية، أي أن العبد يظل يعمل في تأديبه كوصي على ابن البيت إلى أن يبلغ سنّه القانوني فيتحرَّر رسميًّا.

«لكي نتبرَّر بالإيمان»:

جملة تكميلية وتوضيحية حتى حينما نصل إلى المسيح يتحوَّل التأديب بما يشمل حتماً من عقوبات رادعة إلى أن نصل إلى تزكية الله ببلوغ قصد الله من حياتنا في علاقتنا معه. **فالتبرير هنا هو هدية الإيمان المجانية**، فالتأديب حينما يصل إلى نهايته يتوقف عمله ويكون الإنسان قد بلغ غاية قامته في الحرية ويصبح وريث رب البيت. فالبرُّ هو ميراث المسيح الذي يوهب لنا مجاناً حينما نؤمن بالخلاص الذي أكمله المسيح لحسابنا، فبعد أن **كنا نؤدَّب بالناموس نتبرَّر بالإيمان**، تماماً كما ينتهي ابن البيت من التعليم في المدرسة ويؤهَّل لكرامة ميراث أبيه.

ولكن تزداد قوة التبرير بالإيمان عند تخلصنا من دور الناموس، لأن المسيح هنا يرفع الحاجز المتوسط الذي كان يحجز الذين تحت الناموس عن الذين هم خارج الناموس. لأن الإيمان هبة مجانية بلا أي شروط لكل العالم، لا تفريق بين مَنْ تعلَّم تحت الناموس وبين الذين كانوا بلا ناموس، لأن محبة الله انسكبت على العالم كله الذي أحبَّه عندما بذل ابنه للموت لأجل كل العالم ليخلّص كل مَنْ يؤمن، فقوة التبرير أصبحت على قدر قامة الله في الحب للعالم وليست على قدر قامة الإنسان اليهودي الذي يفتخر بعمله. فعمل اليهودي كان هو عمل الناموس الذي كان يعلّم بالعصى، أمَّا عمل المسيح فهو عمل الله ببرّه الشخصي الذي يتناسب مع عظمة حبّه ونعمته. والفرق بين اليهودي الذي كان تحت الناموس والأُممي الوثني، جاء بالنهاية ليزكي محبة الله للخطاة، ويكشف عن عظمة برِّه المجاني.

25:3 **«وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ».**

هنا مواجهة صريحة ضد المتهودين في غلاطية الذين أرادوا أن يعودوا إلى الناموس بعد أن آمنوا بالمسيح واعتمدوا، ويوضِّح لهم ق. بولس بهذه الآية استحالة جمع العبودية تحت عصى الناموس وتهديده الدائم بالموت، مع حرية البنين الذين حصلوا عليها بالإيمان. وصورتها مُخْزِيَة كموظَّف في الدائرة الملكية يقدِّم طلباً لِيُقبَل في كتَّاب القرية ليزداد علماً! أو كرجل يافع يحن إلى ضرب العصى

الذي ذاقه في الطفولة، إنها مهزلة وعمى رؤية، وهي تمتُّ إلى نفس مريضة لا تقوى على الاستمتاع بالحرية، ولا تقدِّر كرامة البنوَّة فتتمنَّى العودة إلى سجن العبودية.

ونحن لا نذم الغلاطيين بل نذم أنفسنا لأننا لا نريد أن نستخدم حرية البنوَّة التي وهبها لنا الله إزاء إيماننا بابنه، الذي حسبه تكريماً لشخصه، **فجازانا عن إيماننا أي تصديقنا لبذل محبته بأن برَّرنا مجاناً أي حسبنا قديسين وبلا لوم أمامه،** ذلك من فرط تأثره بإيماننا وتصديقنا لعمل محبته. ولكن إذ يصعب علينا أن نرتفع إلى هذا المستوى في إكرام الله لنا وتكريمنا بسبب إيماننا مجاناً، وإذ نستكثر على أنفسنا نعمته المجانية نعود إلى جهالتنا فنُقسم أننا سوف نكرِّمه بأصوامنا ونسكنا وأعمال جسدنا لكي نستحق الخلاص الذي أعطانا، **مع أن أعمالنا كلها في الإيمان لا ينبغي أن تكون إلاَّ ذبيحة شكر وتسبيح إن بالصلاة أو الصوم أو السهر النسكي لتعبئة آنيتنا بالزيت لإضاءة مصابيح البهجة عند قدوم الآتي في نصف الليل.**

فانظروا يا إخوة كيف تعيشون في الإيمان كما يحق لقديسي الله، وانسوا أعمال عبودية الجسد تحت ناموس العصى لئلاَّ تهينوا برّ الله الذي وهبه لكم، فأنتم المؤمنين المحسوبين قديسي العلي الذين وُهبوا الملكوت مجاناً كل مَنْ آمن:

+ «أمَّا قديسو العليِّ فيأخذونَ المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبدِ وإلى أبدِ الآبدينَ.» (دا 7:18)
+ «وأمَّا أنتم فجنسٌ مختارٌ وكهنوتٌ ملوكيٌّ أُمَّةٌ مقدَّسةٌ شعبُ اقتناءٍ لكي تُخبروا بفضائلِ الذي دعاكُم مِنَ الظلمةِ إلى نورهِ العجيبِ.» (1بط 2:9)

اليهود والأمم واحد في المسيح!!
[3: 26-29]

3: 26 «لأنَّكُمْ جَمِيعاً أبْنَاءُ اللهِ بالإيمَان بالْمَسِيح يَسُوعَ».

«بالإيمان بالمسيح يسوع»: di¦ tÁj p…stewj ™n Cristù

هنا بحسب الأصل اليوناني تُقرأ: "أبناء الله بالإيمان في المسيح يسوع"، وليس "بالمسيح" والمعنى يختلف كثيراً. ففرق أن نكون أبناء بالإيمان بالمسيح، وكأن الإيمان جعلنا نحصل على بنوَّة الله، مع أن بنوَّة الله وُهِبَت لنا هِبَةً بالفداء الذي أكمله المسيح، وفرق أن نكون أبناء الله في المسيح يسوع أي صرنا أبناء الله حالة كوننا صرنا متحدين بالمسيح ـ كعمل من أعمال المسيح ـ فصرنا في المسيح نعيش ونحيا والمسيح يحيا فينا كقول المسيح الواضح: «أنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو 14:20)

إذن يكون معنى الآية: بما أننا صرنا «في المسيح يسوع» أي كما اتحد هو بنا اتحدنا نحن به وصرنا فيه، كعمل الفداء والخلاص، وقبلنا ذلك أي آمنا به وصدَّقناه، صرنا أبناء الله، أي أننا صرنا أبناءً لله في المسيح أولاً، ثم قبلنا هذا أي آمنَّا به. فإيماننا لم يهبنا البنوَّة لله بل المسيح هو الذي وهبنا هذا أن نكون فيه أبناء الله لأنه هو الابن الوحيد. وطالما كنَّا فيه فنحن حتماً أبناء الله. أمَّا دور الإيمان فهو تصديق ما عمله لنا المسيح أي الإيمان به، فطالما نحن نؤمن بما عمله المسيح لنا من الخلاص، إذ متنا فيه وقمنا معه، فنحن نكون فيه ـ أي في ابن الله ـ وبالتالي نكون أبناء الله.

وهنا الإيمان معروض للجميع، لا فرق بين يهود وأمم، بين بار بأعمال الناموس وخاطئ من الأمم. فالإيمان أي التصديق بالخلاص الذي تمَّ هو الذي يمنحنا أن نكون أبناء الله. هذه الحقيقة الجوهرية ترفع عن أي إنسان أهليته بأعماله، كما ترفع عن أي إنسان خزيه بخطاياه!! «لأنكم جميعاً أبناء الله» هذه حالة قائمة. وقوله: «**بالإيمان** في المسيح يسوع» أي بعطية الإيمان في المسيح يسوع تشرحها الآية الآتية: «لأنكم بالنعمة مخلَّصونَ، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطيةُ اللهِ» (أف 2:8). فعلى غرارها تكون الآية التي نحن بصددها هكذا: «بالنعمة أنتم جميعاً أبناء الله ليس

منكم ولكن بالمسيح يسوع إن آمنتم»

وبالنهاية تكون العطية التي أعطاها الله لنا أن نكون أبناء الله هي رهن إيماننا ولكن ليست بإيماننا بمعنى أنها هي لنا إن آمنا أننا في المسيح يسوع نحيا(117).

27:3 **«لأنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ».**

«اعتمدتم بالمسيح»: e„j CristÕn ™bapt…sqhte

هنا يلزم تصحيح الترجمة من «اعتمدتم بالمسيح» إلى **"اعتمدتم في المسيح"** e„j = **Into** لأن القول «بالمسيح» لا يفيد أي معنى أمَّا "في المسيح" فيفيد أننا اعتمدنا أي متنا في جسد المسيح، أي أن المؤمنين بالمسيح يؤمنون أنهم جازوا الموت في جسد المسيح لأن جسد المسيح الذي مات هو جسدنا البشري نحن بخطاياه التي أخذها المسيح على الصليب كما سنوضِّح في الشرح.

ولكي نشرح هذه الآية التصويرية حيث التغطيس في جرن المعمودية يسمَّى العماد والخروج من جرن المعمودية يسمَّى لبس المسيح، يلزمنا أن نعود إلى الأصول الأُولى من منابعها الأُولى، وعلى ضوء ما تمَّ على الصليب والقبر لكي نفهم سر المعمودية وسر لبس المسيح.

معروف لدينا أن المسيح صُلِب بالجسد ومات بالجسد! أي جسد هذا؟ هو جسدنا ولكنه جسد قدوس، نعم ولكنه «حمل خطايانا في جسده على الخشبة» (1بط 24:2) فأصبح هو جسد البشرية الخاطئة والملعونة.

كما نعرف أن الموت على الصليب يعني في عرف الناموس أنه موت اللعنة.

إذن فالمسيح ابن الله صُلِب بجسدنا العتيق وعليه خطايانا واللعنة التي كسبناها من أبينا آدم إزاء خطايانا، وهكذا شاركنا في كل العقوبة بكل بنودها. لذلك نقول إننا صُلبنا **معه**، ومتنا **معه**، وهكذا قبلنا **معه** كما هو قبلَ معنا عقوبة خطايانا واللعنة التي حُكم بها علينا. أمَّا هو فقبل في الجسد عقوبة الموت واللعنة من أجلنا.

ولكن المسيح هو القدوس وابن الله لم يكن ممكناً أن يبقى في الموت، إذ الموت لا سلطان له عليه البتة لأنه القدوس الذي لم يكن في فمه غش. لذلك بعد أن وفَّى عقوبة الموت لثلاثة أيام معنا

---

(117) ارجع إلى مقالة: "الخلاص والإيمان". مجلة مرقس إبريل 1994 صفحة 3-10.

قام بقدوسيته ولاهوته وهو لابس جسدنا ومتحد بطبيعتنا فقمنا معه بالضرورة وأخذنا معه روح القيامة كخليقة جديدة أكملت عقوبة الموت واللعنة وتبرَّأت، بل وبقيامتها مع المسيح وفيه تبررت ببره أي تقدَّست.

+ «وهكذا كان أُناسٌ منكم (خطاة). لكن اغتسلتُم (بالمعمودية)، بل تقدَّستُم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (1كو 6:11)

هذا ما تمَّ على الصليب والقبر منذ ألفي سنة تقريباً، ولكن أعمال المسيح الخلاصية هي أعمال فوق التاريخ والزمن، باقية بقوتها وفعلها حتى أننا نقول ونحن في القرن العشرين إننا صُلبنا معه من واقع الحال ومتنا معه وكأنها حوادث اليوم أو الأمس القريب.

لذلك فلكي يستبقي المسيح أعماله الخلاصية حيَّةً وفعَّالة على مدى الزمن والتاريخ أوصى بعد قيامته تلاميذه الرسل القديسين قائلاً:

+ «فتقدم يسوع وكلَّمهم قائلاً: دُفِعَ إليَّ كل سلطانٍ في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به **وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين.**» (مت 28: 18ـ20)

فهو معنا يعمل حيًّا مصلوباً مجروحاً ودمه عليه.

هنا العماد الذي أوصى به المخلِّص رتَّبته الكنيسة بالتغطيس ثلاث مرات في جرن المعمودية المملوء ماء مصلًّى عليه، باسم الآب والابن والروح القدس.

هنا التغطيس تحت الماء يعبِّر عن الموت إذ يسد الكاهن أنف الطفل وفمه أو يسد الرجل أو المرأة الأنف والفم تعبيراً عن انقطاع الحياة، ولثلاث مرات تعبيراً عن الثلاثة أيام في القبر أي تعبيراً عن كمال الموت! هذا كله تعبيراً عن شركة الموت مع المسيح والنزول في القبر والبقاء لثلاثة أيام إيفاءً لعقوبة الموت التي وقعت علينا في آدم. ثم إذ يقوم المعمَّد إن كان رجلاً أو امرأة أو يقيمه الكاهن إن كان طفلاً أو طفلة، فذلك تعبيراً عن القيامة مع المسيح. وهكذا يتم على مستويين مستوى الاعتراف بالفم والإيمان بالقلب أننا متنا مع المسيح بالإنسان العتيق، وقمنا من بعد تكميل عقوبة الموت في إنساننا الجديد الذي أخذناه في جسد المسيح، إذ لمَّا مات المسيح كان هذا في واقع الجسد البشري الذي أخذه من العذراء القديسة مريم جسداً قدوساً طاهراً وفيه كل الخطايا التي أخذها في

جسده على الصليب، بمعنى أن البشرية في المسيح ماتت عن إنسانها العتيق، ولمَّا قام المسيح من الأموات قام بجسد البشرية الذي أخذه منَّا ولكن بدون خطايا ومبرَّأً من اللعنة إذ وفَّى العقوبة في جسدنا، فقام بالروح جسداً جديداً هو بعينه الإنسان الجديد. لذلك نقول إننا «اعتمدنا في المسيح e„j CristÒn » كما نقول: صُلبنا معه ومُتنا معه، وقُمنا معه، أو بالأصح أننا متنا وقمنا فيه.

فنحن الذين اعتمدنا في المسيح يعني بالمفهوم الإيماني والتحقيقي على مستوى سر العماد أننا خلعنا الإنسان العتيق لمَّا مات به المسيح ولبسنا الإنسان الجديد لمَّا قام به المسيح حيث الإنسان الجديد هو هو المسيح، حيث الخلع هو تعبيرٌ عن الموت واللبس هو تعبيرٌ عن القيامة.

أمَّا كون المعمودية تسمَّى «بالسر» فهي لأنها تتم بسر الروح القدس غير المنظور الذي يُجرى فينا موتاً حقيقياً وقيامة حقيقية.

فإذا عدنا للآية التي نحن بصددها: «لأن كُلَّكُم الذين اعتمدتُم بالمسيح (والصحيح في المسيح) قد لبستُم المسيح» فهي تعبِّر عن أننا جزنا الموت حقًّا فيه بإنساننا العتيق ـ الذي مات موتاً حقيقياً بل وأبدياً لأن الحكم الأول كان أبدياً ـ فخلعناه عنَّا إلى الأبد، وقمنا حقًّا ونحن متحدون بجسده أي قمنا فيه أحياءً بجسد جديد. وقولنا قمنا فيه كأننا لبسنا المسيح فعلاً الذي هو إنساننا الجديد، حتى أيضاً حينما يقال صعد المسيح بالجسد حيًّا منظوراً من التلاميذ فنحن نُعتبر أننا صعدنا فيه لأنه كان متحداً ببشريتنا فنحن كنا متحدين به حتماً. وأيضاً حينما يقال إن المسيح جلس في السماوات فهو جلس بجسدنا فكنا فيه أيضاً بلا جدال.

وبعض العقائد لا تؤمن بالمعمودية ـ وهذه تُحسب خسارة عظيمة ـ ظناً منهم أنها شكليات ولا تزيد عن شكل الختانة في العهد القديم. ولكن الله هو الذي وضع هذه ووضع تلك، أمَّا الختانة فكانت علامة العهد أو الختم في الجسد مع إبراهيم، ولكن المعمودية هي علامة العهد الجديد بأمر المسيح ولكن ليس في الجسد بل في الروح. فإن كانت الأولى أي الختان هي صنع السكين، فالمعمودية هي صنع الروح القدس فهي فعل إلهي غير منظور يسري بالإيمان. كذلك فإن المعمودية ليست فقط هي من صنع الروح القدس بل والروح القدس يملأ ويرافق المعمَّدين ويسكن الهيكل الإنساني الجديد ويعدُّه لحلول الآب والابن، ويكون له علامةٌ أحياناً وهي التكلُّم بألسنة كما حدث لكرنيليوس وعائلته على يدي ق. بطرس. وهذا يحققه قول المسيح: «وأمَّا أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس ونار» (أع 1:5). هنا يتحقق مرافقة الروح القدس للمعمودية، أمَّا

النار فهي علامة الطبيعة الإلهية للروح القدس التي حلّت على التلاميذ فكانت دليل القوة المذهلة التي عملت فيهم. وهي نفس النار التي وعد بها المسيح: «جئت لألقي ناراً على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت» (لو 12:49). فهي كناية عن قوة الروح القدس وفعله، وإن كنّا لا ننظرها لكنها فعّالة في قلوبنا حينما تلتهب بالنعمة وتتحوّل فينا إلى شهادة وخدمة ملتهبة وحب وصلاة.

والمعمودية هي المحسوبة عند المسيح ميلاداً جديداً من فوق للإنسان من الماء والروح بمعنى أنها خليقة جديدة، وأنها فعل سرّي غير منظور!

+ «أجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك: إن كان أحدٌ **لا يُولدُ من فوق لا يقدِرُ أن يرى ملكوت الله.**» (يو 3:3)

فلمَّا ظن نيقوديموس أنها (المعمودية) ميلاد بالجسد قال له الرب:

+ «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد **لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.**» (يو 3:5)

+ «المولود من الجسد جسدٌ هو، **والمولود من الروح هو روحٌ.**» (يو3:6)

ولمَّا تعجَّب كيف يولد الإنسان من فوق قال له الرب:

+ «لا تتعجَّب أني قلت لك: ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهبُّ حيث تشاءُ، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم مِنْ أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا (المعمودية) **كل مَنْ وُلِدَ مِنَ الروح.**» (يو 3: 7و8)

بمعنى أنها (المعمودية) ميلادٌ سري بالروح القدس غير المنظور.

ونحن نذكر أن المعمودية هي وصية الرب والمخلّص بعد قيامته فهي حتماً عمله بحسب الوصية، أي أن الذي يؤمن ويعتمد يهبه الرب حضوره حضوراً داخلياً، فكأن الرب خلع عليه روحه أو هو لبس المسيح. فالمسيحي يحمل المسيح بالروح القدس ويُدعى حامل المسيح وحامل الروح القدس.

ونحن نعود ونركّز على أننا اعتمدنا في = Into = e„j المسيح، لذلك يصف القديسون المعمودية بالفلك (1بط 3: 20و21) الذي نجا فيه نوح والذين معه، بل والمسيح نفسه قالها صريحة: «فأجاب وقال لهم: جيلٌ شريرٌ وفاسقٌ يطلب آية، ولا تُعطى له آيةٌ إلاّ آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب

الأرض ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ.» (مت 12: 39و40)

هذا المثل وإن كان يوضِّح فيه كيف مات المسيح ودُفن في القبر لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ثم قام من جوف الموت حيًّا، إلاَّ أنه نفس المثل الذي أخذته الكنيسة أيضاً لتدلل به على معموديتنا، فجسد المسيح احتوانا حينما نزل إلى القبر فكنَّا فيه وجزنا الموت فيه، ولمَّا قام أقامنا فيه: هذا شرح ما بعده شرح كيف متنا وكيف قمنا مع المسيح وكأننا في الموت كنَّا لابسين المسيح وفي القيامة قمنا ونحن لابسو المسيح.

28:3 **«لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ، لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ، لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ».**

«ليس يهودي ولا يوناني»:

حينما يضع ق. بولس حرف "ليس oÙk œni" في بداية الكلام يجعل الجملة منفية بصورة جازمة: «ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو 3:12). فليس الثانية هي شرحٌ لليس الأولى ولتوضيح شدَّة النفي.

وليس من فراغ يجزم ق. بولس أن الفوارق قد سقطت بين اليوناني ـ تعبيراً عن الأممي ـ وبين اليهودي، فالمسيح صنع سلاماً بنفسه، سلاماً عجيباً من نوعه إذ وضع نفسه وهو الإله بين هؤلاء المتضادين فسقط في الحال حائط السياج أو حاجز العداوة المدموغة بالتدين وهو أشد وأفظع أنواع العداوة، إذ تبلغ العداوة نوعاً من الإيمان والتقوى والأمانة للشيطان وكأن الله هو سبب أو موضوع العداوة!! حيث يحل قتل الأممي لو أساء أقل إساءة إلى عبادة اليهودي، وهي أعظم وصمة يوصم بها الله من جهة الإنسان. فهكذا انعمى اليهودي بروح الشيطان واضطهد المسيح واعتقد أنه اعتدى على عبادته وتدينه لله فقتله، وبعد أن قتله انكشف أنه هو هو الله فاكتشف كيف أضلته العداوة من نحو الإنسان: "العداوة الدينية"، لذلك عوض حائط السياج أي الحاجز المتوسط بينهما، حلَّ الله بنفسه "وبابنه" كقوة سلام ومصالحة:

+ «**لأنه هو سلامُنا**، الذي جعل الاثنين واحِداً ، ونقض حائطَ السيَّاج المتوسط أي العداوة. مبطلاً بجسدهِ (الذي ذبحه اليهود تكريماً للعداوة) ناموسَ الوصايا (التي بنت فكر العداوة) في فرائِضَ (التطهير والنجاسة)، لكي يخلُقَ الاثنين في نفسهِ إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً، ويُصالِحَ الاثنين في جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليبِ، قاتلاً العداوة به.» (أف 2: 14ـ16)

فانظر أيها القارئ العزيز كم كلفت الله عداوة الإنسان من نحو أخيه الإنسان، وكيف رفعها الله من الوسط بدمه وأسقطها بارتفاعه على الصليب، وهذا عين ما كان يقصده الرب بقوله: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو 32:12). وبهذا أصبحت العداوة مرَّة أخرى بالنسبة لأي إنسان آخر هي بمثابة دَوْس ابن الله واحتقار الدم الذي سفك ثمناً للمصالحة، والازدراء بروح النعمة التي سكبها الله ثمناً لموت ابنه لأجل الجميع بدون تفريق، وعودة إلى الإنسان العتيق. لذلك فالعداوة بكل صورها هي أكبر برهان على أن الإنسان لم يقبل روح المسيح ولم يقم بالروح من موت الخطية. كما أن تنفيذ وصية **محبة الأعداء** هو أكبر برهان على أن روح المسيح في القلب.

ليس **يهودي ولا يوناني**،
ليس **عبد ولا حر**،
ليس **ذكر ولا أنثى.** هذه هي الفُرقة المثلثة عند اليهود.

وهنا أعاد ق. بولس قولها نقلاً من كتاب الصلوات الصباحية عند اليهود، وهو من وضع القرن الثاني ق. م (150 ق.م) للرَّباي اليهودي ابن مائير، الذي فيه يصلِّي أمام الله شاكراً إياه لأنه **لم يخلقه أممياً ولا عبداً ولا امرأة!!** فهذه هي الثلاثة مصادر التي تحسب أصل النجاسة، لأن الله لم يرسل لها الناموس بسبب هذا الاعتبار، فالله أرسل الناموس خصيصاً للذكر اليهودي وعمل في عضو تذكيره علامة الختان كعهد بين الله والذكر اليهودي.

إذن فبولس الرسول وهو يعبد الله منذ حداثته قد حفظ هذه الصلاة وترسَّخت في ذهنه وقلبه، فهو ليس من فراغ يذكر هذه الثلاثة التي رسَّختْ في نفسه بغضة واحتقاراً لهؤلاء الثلاثة صنوف المكروهة من الله بحسب ظن اليهود. ولكن ق. بولس انفتح وعيه على المسيح بقوة فأدرك في الصليب الذي هو رمز العداوة ومعيارها عند اليهود، والذي عليه قُتِلَ المسيح وهو رب القداسة والسلام، ففي الحال ارتفع المسيح بارتفاعه على الصليب في قلب ق. بولس ليكون معيار القداسة والمحبة والسلام الأعظم، الذي حلَّ في العالم ليرفع البغضة والعداوة والأحقاد بين القلوب أينما كانت ومهما كانت، واعتبر أن جسد المسيح الذي تمزَّق على الصليب إنما هو الذي امتص العداوة بصورتها المطلقة. فبقدر ما صار لعنة وخطية لأجلنا على الصليب فمزَّقت الخطية جسده ممثلة في الحسد والبغضة والعداوة التي ملأت قلوب صالبيه من رؤساء كهنة السنهدريم مع شيوخه، بقدر ما صار المسيح سلاماً وحبًّا ومصالحة للجميع والكل مع الله.

والقديس بولس وهو يذكر هذه الثلاث عداوات من كتاب صلاة الصباح، إنما عاد لتنسيقها من قانون المعمودية الذي وضعته الكنيسة مبكراً جداً كما يقول العالِم بروس(118) والذي سَيَذكُر بعضاً منه في هذه الآيات:

+ «لأننا جميعنا بروح واحدٍ أيضاً اعتمدنا **إلى** جسدٍ واحدٍ (في جسد واحد أفضل)، يهوداً كنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (1كو 12:13)
+ «إذ خلعتم (في المعمودية) الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه، حيث ليس يونانيٌّ ويهوديٌّ، ختانٌ وغرلةٌ، بربريٌّ سكّيثيٌّ، عبدٌ حرٌّ، بل المسيح الكل وفي الكل. » (كو 3:9ـ11)

واضح هنا أن موت المعمودية هو بعينه موت الصليب، والجسد الذي حمل خطايانا على الخشبة فتمزَّق ومات إذ مزَّقته عداوة الإنسان، هو هو نفسه الذي قام ناقضاً الموت والخطية وكل العداوات صائراً جسداً جديداً للإنسان الجديد، حيث لا خطية موروثة ولا عداوة. بل عوض سقي الخطية سُقينا روح الله القدوس. وإذ ماتت الخطية والعداوة التي كان يغتذي عليها الإنسان العتيق، ظهر الإنسان الجديد الذي **يستقي روح الله للقداسة والحب!!** والبذل من أجل الجميع.

ولكن لم يكن هذا سهلاً على ق. بولس أن يقوله ويعلّم به عن قناعة حقيقية بأنه ليس ـ فعلاً ـ يهودي ولا يوناني في المسيح إلى أن ذاق من أجل هذا الإعلان المرار من الكنيسة في أورشليم وكل أتباعها، من شيوخ يتمسكون بيهوديتهم ويضعون المسيح فيما دونها. فالمجمع الأول للكنيسة في أورشليم الذي سجَّله التاريخ كان بسبب التوتر الذي بلغ حد تهديد الإنجيل والكرازة باسم المسيح والذي فاز فيه الروح على يد ق. بولس باعتراف رسل الختان، أي اليهود، بدعوة ق. بولس للكرازة بين الغرلة الأنجاس الذين هم الأمم:

+ «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا، آخذاً معي تيطس أيضاً. وإنما صعدتُ بموجب إعلان، وعرضتُ عليهم الإنجيل (الذي أعطاه المسيح أمراً من السماء) الذي أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين، (خوفاً من رأي الجميع الذي كان ضد الكرازة للأمم) ... بل بالعكس، **إذ رأوا أني اؤتُمنتُ على إنجيل الغرلة (بالكرازة للأمم بأمر الرب)** كما بطرس على إنجيل الختان (الكرازة بين اليهود) ... فإذ علم بالنعمة المعطاة

(118) Bruce. *op. cit.,* p. 186.

لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة **لنكون نحن للأمم، وأمَّا هم فللختان.**» (غل 2: 1و2و7و9)

وهكذا بدأ ق. بولس يستعلن قوة الإنجيل أنها للأممي واليهودي على قدم المساواة:

+ «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح (أي لا يخشى من انتقاد اليهود) لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني. لأن فيه معلنٌ برُّ الله (أي دعوته للقداسة) بإيمانٍ، لإيمانٍ (أي بتصديق الله لتصديق عمل الخلاص للمسيح)، كما هو مكتوبٌ: أمَّا البارُّ فبالإيمان يحيا (أي الذي احتسب الله إيمانه برًّا أي تقوى وقداسة، فبالإيمان أي بتصديق الله يحيا).» (رو 1: 16و17)

وقد شرح ق. بولس هذه الآية نفسها بوضوح هكذا:

+ «برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كُلِّ وعلى كُلِّ الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح.» (رو 3:22-24)

+ «لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن ربًّا واحِداً للجميع، غنيًّا لجميع الذين يدعون به. لأن كُلَّ مَنْ يدعو باسم الرب يخلُصُ.» (رو 10: 12و13)

ثم في آية أخرى لا يُنقص ق. بولس حق اليهود في أن المسيح جاء مولوداً تحت الناموس، فصار بالتالي خادماً للناموس قبل أن يوقفه وينهي عمله وزمانه من أجل دخول الأمم بلا ناموس لميراث الله بالإيمان فقط:

+ «وأقول: إن يسوع المسيح قد صار خادمَ الختان، مِنْ أجل صدق (مواعيد) الله، حتى يثبِّت مواعيد الآباء. وأمَّا الأمم فمجَّدوا (فليمجِّدوا) الله من أجل الرحمةِ، كما هو مكتوبٌ: من أجل ذلك سأحمَدُكَ في الأمم وأرتِّلُ لاسمِكَ. ويقول أيضاً: **تهلَّلوا أيها الأمم مع شعبهِ** وأيضاً: **سبِّحوا الرب يا جميع الأمم، وامدحوه يا جميع الشعوب.**» (رو 15: 8-11)

+ «وأمَّا للمدعوِّين: يهوداً ويونانيين (الكرازة بصليب المسيح)، فبالمسيح قوةِ الله وحكمة الله.» (1كو 1:23)

هنا يخاطب ق. بولس الأمم عن كيف دخلوا الإيمان هكذا:

+ «ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدينَ، صرتُم قريبينَ بدمِ المسيح. لأنه هو سلامُنا، الذي جعل الاثنين واحِداً...» (أف 2: 13و14)

وواحد هنا هو الإنسان الجديد الذي ليس فيه يهودي وأممي ولا رجل وامرأة ولا عبد وحر بل هو إنسان جديد مخلوق على صورة الله نفسه في القداسة والحق!!

أمَّا دخول الأمم هكذا في الإيمان فلم يستلمه ق. بولس من إنسان ولم يتعلَّمه من أحد بل بمقتضى إعلان خاص:

+ «بسبب هذا أنا بولس، أسيرُ المسيح يسوعَ لأجلِكُم أيها الأممُ (مسجون)، إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاةِ لي لأجلِكُم. أنه بإعلانٍ عرَّفني بالسرِّ (سر دخول الأمم) ... الذي في أجيالٍ أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلِنَ الآنَ لرُسُلِهِ القديسينَ وأنبيائه بالروح: أن الأمم شركاءُ في الميراث (مع الابن) والجسد (جسد المسيح) ونوال موعده (لإبراهيم) في المسيح بالإنجيل.» (أف 3: 1ـ3و5و6)

«ليس عبد ولا حر»:

الوضع الاجتماعي في اليهودية شديد الوطأة في تقسيم الناس، فالعبد درجة متدنية في البشر في مجتمع اليهود، وبالأكثر في حوض البحر الأبيض المتوسط، بل وعند الرومان بصورة طاغية. ولكن العجيب أن ق. بولس وهو يهودي ومواطن من حوض البحر الأبيض المتوسط إلاَّ أن المسيحية قلبت القيم عنده قلباً مثيراً، فالعبد عند ق. بولس هو حر وعتيق المسيح، أو بمعنى آخر ليس هناك عبودية في المسيحية:

+ «**دُعيتَ وأنتَ عبدٌ فلا يهُمَّكَ.** بل **وإن استطعت أن تصيرَ حُرًّا فاستعملها بالحريِّ.** لأن مَنْ دُعي في الرب وهو عبدٌ، **فهو عتيق الرب.** كذلك أيضاً الحرُّ المدعوُّ هو عبدٌ للمسيح. قد اشتريتم بثمنٍ (الدم الثمين)، فلا تصيروا عبيداً للناس.» (1كو 7: 21ـ23)

ولو أنه كانت توجد بلاد مثل أمريكا اعتُبر العبد فيها أيضاً بصورة متدنية ربما حتى إلى الآن من جهة أنسالهم، إلاَّ أن في الكنيسة كان ولا يزال في كل مكان في العالم يجد العبد مساواته واحترامه وكل حقوقه الدينية على قدم المساواة مع الحر. هذا يجعل المفارقة في الحياة المسيحية شديدة الوضوح بين العبد خارج الكنيسة والعبد داخل الكنيسة، فهو وإن كان خارجها ليس له حقوق وعليه واجبات وحسب، ففي الكنيسة هو شريك ومساوٍ لأعلى الطبقات فيها. حتى أنه إن

صار العبد في درجة الرئاسة في الكنيسة فمالك العبيد الذي كان يبيعهم خارج الكنيسة عليه في الكنيسة أن يخضع لرئاسة عبده!! وهذه الحقيقة ليست على المستوى النظري الديني، بل هي حادثة. وقد وضح منهج ق. بولس الاجتماعي المسيحي هذا في العبد أنسيموس الآبق من سيده كيف ردَّه إلى سيده بخطاب يقول فيه:

+ «لأنه ربما لأجل هذا (إظهار خيريتك) افترق عنك إلى ساعةٍ، لكي يكون لك (في عودته) إلى الأبدِ، لا كعبدٍ في ما بعد، بل أفضل مِنْ عبدٍ: أخاً محبوباً، ولا سِيَّما إليَّ، فكم بالحري إليكِ في الجسد والرب جميعاً! فإن كنت تحسبني شريكاً (لك في المحبة والمسيح)، **فاقبله نظيري.**» (فل 15ـ17)

وقد صار أنسيموس العبد الآبق من سيده أخاً حقيقياً وشريكاً مع المؤمنين في الكنيسة كعضو عامل فيها:

+ «جميع أحوالي سيعرِّفكم بها تيخيكُس الأخ الحبيب (عبد سابقاً)، والخادم الأمين، **والعبد معنا في الرب**، الذي أرسلته إليكم لهذا عينه، ليعرف أحوالكم ويعزِّي قلوبكم (واعظ)، مع أنسيمُس (عبد) الأخ الأمين الحبيب الذي هو **منكم**. هما سيعرِّفانِكُم بكل ما ههنا.» (كو 4: 7ـ9)

والعجيب الذي لم يذكره الكتاب أن أنسيموس العبد الآبق من سيده حرَّره فليمون بالفعل، ويخبرنا القديس أغناطيوس أنه صار بعد خمسين سنة من عقد تحرره أسقفاً على أفسس[119]. كما يقص علينا التاريخ أن كاليكتس Callixtus أسقف روما في القرن الثالث 217ـ222م كان سابقاً عبداً[120]. كذلك بيوس الأول كان أيضاً عبداً وصار أسقفاً على نفس الكرسي في روما ـ ولو أنه لم يكن في الواقع عبداً بل أخاً لعبد، وذلك من سرد هرماس (الراعي) وبحسب ما تسجَّل في القانون الموراتوري سطر (73ـ77)[121].

«ليس ذكر وأنثى»:

كان بحسب الترتيب المنطقي كما قال ق. بولس: «لا عبد ولا حر» أن يقول: "لا أنثى ولا ذكر"، ولكن ق. بولس قالها هكذا وهو متأثرٌ من محفوظاته من سفر التوراة وما جاء في سفر

(119) Ignat., *Ephes.* 1:3, Jknox, *Philemon Among the Letters of Paul* (London 1960) pp. 88-92.

(120) Hippolytus (*Haer.* 9.11 f).

(121) Bruce, *op. cit.*, p. 189.

التكوين: «ذكراً وأنثى خلقهم» (تك 27:1). ولكن إن كان ق. بولس قد أقدم على هذه المساواة بين الرجل والمرأة في الكنيسة وبالتالي في المسيحية، إلاَّ أن بعض المفسرين فسَّروها بأن هذا معناه إلغاء الجنس إن لم يكن الآن ففي الأبدية، وهذا غير مقبول في نظرنا، كما أن البعض فسَّرها بإلغاء الفوارق الاجتماعية بين الرجل والمرأة، فللمرأة بذلك أن تلبس وتتصرَّف كالرجل في الحرية الاجتماعية وهذا أيضاً مرفوض في نظرنا. ونعتقد أن ق. بولس يرى هذا التساوي هو في الحقوق والواجبات الدينية العامة من جهة الإيمان والصلاة والعبادة والسجود وحسب. ذلك لأنه كان ممنوعاً على المرأة في اليهودية هذه الحقوق لأن علامة العهد عُمِلتْ مع الرجل في عضو تذكيره وليس المرأة، من هنا حُرِمت المرأة من معظم مميزات الرجل في اليهودية، حتى أنه كما سبق وقلنا إنه في كتاب صلوات الصباح يصلّي الرجل وطبعاً ليس المرأة في إحدى الصلوات: "أشكرك يا رب أنك لم تخلقني امرأة" هذا يجعل كتاب الصلوات بأكمله غير مناسب للمرأة!! بل هو وقف على الرجل وبالتالي الصلاة كلها!! مع أنه فيما قبل الناموس كان الله يستمع للمرأة والمرأة تخاطب الله، وسارة نالت بركة كإبراهيم. ولكن في الهيكل فُصِلت المرأة عن الرجل في العبادة وأخذت حدوداً أقل وربما معدومة في الإجراءات الطقسية، والكنيسة الأولى أخذت بهذا الوضع لأنها كانت أكثر يهودية.

أمَّا الكنيسة الآن ففضَّلت أن تحضر المرأة مع رجلها وأولادها وأظن أن هذا حسن. غير أنه قد خرجت علينا بعض الكنائس في الغرب بأن نصَّبت المرأة كاهنة، إلاَّ أن ذلك كان خروجاً شديداً على كل الأعراف الدينية والاجتماعية والتاريخية وفي كل معاملات الله الأولى حتى منذ آدم وحواء إذ كان الرجل هو القيِّم أو القوَّام على المرأة وليس العكس. ولكن كون المرأة تنصَّبُ كاهنة لتكون قيِّمة أو قوَّامة على الرجل فهو نبوَّة بسيادة الخطية بحواء مرَّة أخرى على عالم الإنسان الذي قلب كل الأعراف والعوايد فانقلبت عليه السماء أرضاً وصار عنده كل ما هو منبوذ مستساغاً! وصارت كل خطية واردةً بمفهوم حق الحرية الحديثة! وأعظم اعتراض على ذلك هو أن الإنسان الجديد لم يُعْصم عن الزنا والشهوة والإثارة، فبتنصيب المرأة كاهنة نكون قد أبرزنا هذه العناصر القديمة لتعمل داخل الكنيسة. فالقديس بولس الذي قال: «ليس رجل ولا امرأة في المسيح» قال وبتأكيد من فم الرب:

+ «**لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذوناً لهُنَّ أن يتكلَّمنَ**، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً. ولكن إن كُنَّ يُردنَ أن يتعلَّمن شيئاً، فليسألن رجالهُنَّ في البيتِ، لأنه قبيحٌ

بالنساء أن تتكلَّم في كنيسةٍ. أم منكم خرجت كلمة الله؟ أم إليكم وحدكم انتهت؟ إن كان أحدٌ يَحسِبُ نفسه نبيًّا أو روحيًّا، فليعلم ما أكتبه إليكم أنه **وصايا الرب.**» (1كو 14: 34ـ37)

فإن كان ق. بولس قد رفع من شأن المرأة روحياً لتكون على مستوى الرجل، فليس من عنده، فالله كرَّم المرأة أعظم تكريم باختيارها في شخص العذراء القديسة ليأتي منها النسل الموعود أي المسيَّا صاحب العهد الجديد، فولدَت لنا المسيح الحامل للبنوَّة الإلهية وولدته بالروح القدس وفي غياب الرجل بتاتاً، فإن كان آدم قد خرج من نسله الخليقة الأولى التي سقطت بسقوطه، ففي المرأة الممثَّلة في العذراء القديسة مريم خرج منها دون الرجل النسل القدوس الذي تقدَّست به الخليقة الجديدة وورثت منه الحياة الأبدية وميراث الله. من هنا استعادت العذراء القديسة كرامة المرأة بعد أن أحطت بها حواء في التراب. فحق للقديس بولس بملء الصحة واليقين أن يقول لا رجل ولا امرأة في المسيح، إذ رُفِعَتْ الفوارق التي اكتسبها الرجل بختانة عضو الذكر كعلامة العهد القديم. إذ في مقابلها تقبَّل الرجل والمرأة المعمودية للتقديس بالمساواة، بل وزاد على ذلك ما اكتسبته المرأة بالكيل الفائض وبلا حدود إذ وُلِدَ منها القدوس المحسوب أنه آدم الثاني. فعوض أن أخذت المرأة وجودها من جنب آدم الأول الترابي، عاد ومن بطن المرأة أخذَ آدم الثاني السمائي ومن الروح القدس وجوده على الأرض، فتحتَّم أن تكون المرأة في العهد الجديد على مستوى المساواة في الكرامة أمام الله مع الرجل ويزيد. لهذا صار من التقاليد الغربية الكريمة أن تتقدَّم المرأة على الرجل في الظهور أمام المجتمع، ولكن احتفظ الرجل الذي تقدَّس أيضاً بالمسيح أن يكون رأس المرأة فيما يخص الكنيسة والله.

ولكن لعل أعظم كرامة نالتها المرأة، أن اعتبرت في شخص الكنيسة عروس المسيح على الأرض، وكأورشليم النازلة من السماء مُهيَّأةً لرجلها! وكمدينة الله المزيَّنة بربوات قديسيها للميعاد والساعة. فرمز البطن التي حملت المسيح ابن الله صارت هي الكنيسة الحاملة قديسي العلي لميراث الابن والمملكة.

فمتى تتعرَّف المرأة على كرامتها في المسيح لتضفي على الكنيسة هيبة العذراء؟

وأمَّا الرجال الذين يهينون زوجاتهم فهم يهينون كرامة الكنيسة ويوجعون قلب العذراء!

ونظرة المسيح من جهة العبد أو من جهة المرأة معروفة فهو القائل: «مَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً **يكون للجميع عبداً**» (مر 10:44). كما أنه لم يستأمن أحداً ليُجري له تكفيناً إلاّ امرأة قارورة الطيب: «فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني.» (مت 26:12)

والقديس بولس يحمل في قلبه صورة كريمة وعظيمة لجهاد المرأة في البشارة بالإنجيل على قدم المساواة مع كل الرجال:

+ «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المُخلِص، **ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل**، مع أكليمندس (ثالث أسقف على روما) أيضاً وباقي العاملين معي، الذين أسماؤهم في سفر الحياة.»(في 4:3)

لذلك فالقديس بولس يضع خط المساواةعلى أساس ما قدَّمته المرأة بالفعل في خدمة الإنجيل:

+ «غير أن الرجل ليس من دون المرأةِ، ولا المرأة من دون الرجل في الرب.» (1كو 11:11)

«لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع»:

هنا لا يتكلَّم ق. بولس لاهوتياً من جهة الاتحاد في الجسد الواحد، ولكن من جهة حقوق الإيمان والمعمودية والبشارة بالإنجيل. والمعنى واضح فكون الجميع واحداً في المسيح تعني واحداً فيما يخص المسيح، فكل ما هو من المسيح وللمسيح وبالمسيح هو واحد للجميع، لا امتياز لأحد في المسيح عن آخر، لأن المسيح وهب نفسه لكل مَنْ يؤمن به، ويحيا في كل إنسان يحيا من أجل المسيح.

وبحسب الخبرات الروحية العالية التي بلغها القديسون النسَّاك والمتصوفون فالتراث الذي تركوه موزع بالتساوي، فما بلغه الرجال بلغته النساء ويصعب التمايز إن في القوة أو العمق!!

غير أنه في الشرق لا نسمع عن كثير من المتصوفات وذلك بسبب أميَّة المرأة.

3:29 «**فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذاً نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوعِدِ وَرَثَةٌ**».

هنا حوَّل ق. بولس كل الذين في المسيح للمسيح، بمعنى أن كل الذين نالوا الشركة في المسيح صاروا أتباعه ومحسوبين له: «أتنظرون إلى ما هو حسب الحضرةِ؟ إن وثِقَ أحدٌ بنفسهِ أنـَّه للمسيح (أي صار مِلكاً للمسيح)، فليحسِب هذا أيضاً من نفسه: أنه كما هو للمسيح، كذلك نحن أيضاً

للمسيح!» (2كو 7:10). بل والذي للمسيح هو حتماً يشترك في المسيح بالروح أي يصير معه في اتحادٍ وثيق، يأخذ من المسيح بالروح ويعلّم ويعمل: «قدرته الإلهية قد وَهَبَتْ لنا كل ما هو للحياة والتقوى.»(2بط 3:1)

«فأنتم إذاً نسل إبراهيم»:

لأن المسيح هو النسل (البذرة التي لإبراهيم) الموعود، فإن كنتم في المسيح وله، وشركاء فيه فأنتم بالتالي نسل إبراهيم، وإن كان المسيح هو وريث بركة إبراهيم للأمم، فأنتم حسب هذا الموعد ورثة معه، وسيان كنتم يهوداً أو أمماً مسيحيين. والكلام موجَّه للإخوة الكذبة المزعجين من اليهود المسيحيين الذين يدَّعون أنه تلزم الختانة ليكونوا أولاد إبراهيم ولنوال الخلاص. وهكذا يفحمهم بأن الختانة مات عهدها، فلنوال البركة والميراث يتحتَّم نوال الروح في المسيح، فالميراث روحي سماوي وليس بعد في أرض الموعد، والذي صعد إلى السماء هو الذي أعطى النصيب والميراث مع القديسين. فميراث المسيح هو ميراث النسل الموعود لإبراهيم، فالذين في المسيح هم وحدهم الورثة لإبراهيم والميراث المعد: «الذي فيه أيضاً (في المسيح) أنتم، إذ سمِعتُم كلمة الحقّ، إنجيل خلاصِكُم، الذي فيه أيضاً (في الإنجيل) إذ آمنتم خُتِمتُم (المعمودية) بروح **الموعد** القدوس، الذي هو **عربون ميراثنا**، لفداء المقتنى، لمدح مجدهِ» (أف 1: 13و14)، «أن الأمم شركاءُ في الميراث والجسد (جسد المسيح والكنيسة) ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (أف 6:3). بمعنى أن الأمم لمَّا آمنوا بالإنجيل نالوا الروح القدس المحسوب أنه عربون الفداء الذي يعطي الحق في الميراث بالتساوي مع اليهود الذين آمنوا بالمسيح.

ولكن بولس الرسول يحذّر من أن نفهم أن الوعد بالميراث الذي نلناه بالروح يتحقَّق بكماله في الجسد الآن، بل هنا هو "وعد" **كعربون** بالروح القدس بانتظار التجديد العام المزمع أن يكون: «وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا **باكورة الروح**، نحن أنفسنا أيضاً نئنُّ في أنفسنا، متوقعين (استعلان) التبنِّي فداءَ أجسادنا (بالقيامة العتيدة أن تكون).» (رو 23:8)

وواضح في التاريخ أن هذه الآيات الثلاث (26-28) قد تحققت:

+ «لأنكم **جميعاً أبناء الله** بالإيمان بالمسيح يسوع»

+ «كلكم الذين اعتمدتم للمسيح **قد لبستم المسيح**»

+ «ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ وأنثى لأنكم جميعاً واحدٌ **في المسيح يسوع**»

فهذه الثلاث هبات العظمى التي نالها الإنسان بالمسيح تشكّل قمة حركة التطور في البشرية التي أخرجتها من تقوقعها اليهودي ومن انحصارها المتقهقر في الأمم لتظهر في عالم السياسة بصورة ملحوظة أزعجت السلطات الرومانية الحاكمة. ولكن لأن منبعها إلهي اختطّت طريقها بقوة وثبات وعلى مهل، فاخترقت كل النظم السياسية والاجتماعية العالمية التي كانت تدين باليهودية والأممية، وهو نظام السلطة الرومانية، وبدأت تحتل مكانة مازالت تتسع في صميم الهيكل السياسي والمدني الروماني الذي كان يسوس العالم كله، حتى في النهاية فرضت الكنيسة نظامها المسيحي على جميع سلاطين العالم، بل واستسلمت السلطات الامبراطورية الرومانية لحركة الامتداد والمد المسيحي الكنسي والمدني بدءاً من القرن الثاني والثالث كحقيقة تاريخية. ولكن في هذا المد الذي كان عبارة عن غزو حقيقي للوضع الوثني الأممي كان فعل الكنيسة يقابله رد فعل وثني عنيفٌ في البدء إلاّ أنه أخذ يتداعى بمرور السنين. ولكن ما أن فرضت الكنيسة أثرها المسيحي والروحي على العالم الوثني، حتى استيقظ العالم الوثني الذي لم يقف مكتوف الأيدي فانبرى بفلاسفته وشعرائه وأدبائه ففرض هو الآخر سماته على الكنيسة فدخلتها عناصر غريبة ربما إلى الآن. ولكن كان الحق الإلهي ذا سيادة على كل الأحوال.



الأصحاح الرابع

1 ـ [4: 1 ـ 11]: من القاصر تحت الوصاية إلى الابن الكامل يستلم الميراث..
2 ـ [4: 12-20]: دعوة إلى تحسين العلاقات.
3 ـ [4: 21-31]: ابن الجارية يمثّل الناموس للعبودية وابن الإيمان يمثّل الحرية.

1 ـ من القاصر تحت الوصاية إلى الابن الكامل يستلم الميراث
[4: 1-11]

4 : 1 «وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِراً لاَ يَفْرِقُ شَيْئاً عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ».

«وإنما أقول»: lšgw dš

وترجمتها: "وإنما أعني بذلك"، وهنا يضع ق. بولس تشبيهاً آخر غير الذي سار فيه في الآيات السابقة (3: 22ـ26)، ليشرح المقابل بين وضع إنسان الناموس السابق في عدم نضوجه الروحي وبين بلوغ النضوج الروحي لحالة الحرية التي وصل إليها الإنسان ليكون لائقاً للميراث.

فالناموس يمثِّل الوصي على الولد القاصر حتى لا يمد يده على الميراث قبل أن يصل إلى حالة الإدراك الكافي لمعنى الوراثة وقيمتها، والوصي وظيفته حراسة ممتلكات الولد القاصر والعناية به، لا يستأمنه على أي منها مع أنه صاحب الجميع، ذلك إلى أن يأتي الوقت الذي يليق فيه للميراث وامتلاكه والتصرُّف فيه، فهو يبقى محجوزاً عليه ممنوعاً من الحرية إلى أن يأتي الوقت، وكأنه لا يفترق عن العبد.

2:4 «**بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إلى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أبيهِ».**

«أوصياءَ»: Guardians = ™pitrÒpouj

«وُكلاءَ»: Stewards = o„konÒmouj

وهذان وصَفَهما ق. بولس سابقاً بكلمةٍ واحدة هي paidagwgÒj (24:3) مؤدِّبين.

واضح أن الوصي هو المتولّي القانوني على الطفل القاصر بحكم القانون ويكون مسئولاً عنه أمام القانون عن ماليته الموروثة، أمَّا الوكيل فهو المعيَّن من البيت أو العائلة ليرعى أمور حياته وصحته وتعليمه ويكون بمثابة أبيه.

ونحن لو رجعنا إلى الناموس نجده يمثّل الوصي بأحكام وصاياه ويمثّل الوكيل بتعاليمه المتعددة النواحي. والله فعلاً كان يريد أن يقوم الناموس كوصي بواسطة وصاياه لإعداد الإنسان القاصر

تحت الناموس بدون حرية لقبول الوصايا التي سيقدمها الإنجيل لاستخدام ميراث الحرية، كما يقدَّم الناموس كوكيل تعليمي لتعاليم تهذيبية وأدبية وصحية ونفسية لإعداد الإنسان البدائي لحالة بلوغ الإنسان للتصرُّف في جدة الحياة أو الحياة الجديدة. وفي كلتا الحالتين قد أكمل الناموس كل المرجو منه وقدَّم لنا نماذج بديعة حقًّا من الذين خرجوا من تحت الناموس لائقين لقبول الخلاص والسلوك بحرية البنين مثل الرسل والتلاميذ وسمعان الشيخ وحنة النبية وغيرهم.

«إلى الوقت المؤجَّل من أبيه»:

«المؤجَّل»: proqesm…aj

الترجمة الصحيحة هي: "الوقت المعيَّن"، أمَّا المؤجَّل فهي محاولة من المترجم لاختصار المعنى، ولكن المعنى الصحيح هو: **"المعيَّن سابقاً"**، حيث يؤجِّل إعطاء الحرية إلى أن يحين الميعاد المؤجَّل.

والقانون الروماني كان يحدِّد ذلك بسن الرابعة عشر[122]. ولكن الله في تعبير بولس الرسول حدَّد ذلك باصطلاح غاية في العمق والذي يتناسب مع حكمة الله، إذ يقول إلى أن يأتي **ملء الزمان**، وبذلك يكون الله قد حدَّد الزمان ببلوغ الإنسان تمام اللياقة بحيث يكون استعلان زمان المسيح رهن بلوغ ملء قامة الإنسان لقبول الإيمان بالمسيح. وقد استخدمها ق. بولس في الآية (4:4) القادمة.

3:4 **«هكَذَا نَحْنُ أَيْضاً: لَمَّا كُنَّا قاصِرِينَ، كُنَّا مُسْتَعبَدِينَ تَحْتَ أَركَانِ العَالَمِ».**

الأمر الذي حيَّر المفسرين هو هل ق. بولس ينسب إلى نفسه واليهود أنهم كانوا مستعبدين تحت أركان العالم؟ مع أنه بصدد الكلام عن الناموس واستعباده للقصَّر.

---

(122) Bruce., *op. cit.*, p. 199.

ولكن في الحقيقة يضم ق. بولس حالة اليهود وهم قاصرون تحت عبودية الناموس، مع الأُمم وهم قاصرون تحت عبودية العالم بدون الناموس. فالكل كان مستعبداً تحت أركان العالم، كون الناموس لم يستطع أن يحفظهم من العالم.

وهذا واضح من آيتين متتاليتين: (8:4)، (9:4) في هذا الأصحاح هكذا:

فهو يخاطب أولاً الأُمم هكذا:

+ «لكن حينئذٍ إذ كنتم لا تعرفون الله، استُعبِدتُمْ للذين ليسوا بالطبيعة آلهةً.» (غل 8:4)

ثم يعود مباشرة ويخاطب اليهود على نفس المستوى:

+ «وأمَّا الآن إذ عرفتم الله، بل بالحري عُرِفتُم من الله، كيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد؟ أتحفظون أيَّاماً وشهوراً وأوقاتاً وسنينَ؟» (غل 4: 9و10)

«أركان العالم»: stoice‹a toà kÒsmou

كلمة "ستويخيا" باليونانية تعني: "أشياء مرصوصة وراء بعضها في صف"، وهذه الكلمة نفسها تُستخدم للتعبير عن الألفا فيتا أي ألف باء تاء ثاء جيم وهكذا. ولأن دراسة الألفا فيتا أو الألف باء هي أول الدروس في دراسة التعليم بالحرف، فصارت تستخدم الكلمة للتعبير عن الشيء البدائي أو البدائيات أو المبادئ الأولية كما جاءت في سفر العبرانيين:

+ «لأنكم ـ إذ كان ينبغي أن تكونوا معلّمين لسبب طول الزمانِ ـ تحتاجون أن يعلّمكم أحدٌ ما هي **أركان بداءَةِ** ـ stoice‹a tÁj ¢rcÁj ـ أقوال الله، وصرتم محتاجين إلى اللبن، لا إلى طعام قويٍّ.» (عب 5:12)

ولأن الـ"ستويخيا" تعني: "الألف باء"، والألف باء تتكوَّن منها الجمل والتراكيب الأخرى، أصبحت تستخدم لتفيد معنى العناصر الأولية كما جاءت في رسالة ق. بطرس الثانية:

+ «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحلُّ السماوات ملتهبةً، والعناصر محترقةً stoice‹a kausoÚmena تذوب.» (2بط 3:12)

وهكذا ننتهي إلى أن الـ"ستويخيا" عند ق. بولس في هذا الموقع يعني بها أنهم كيهود كانوا مستعبدين تحت مبادئ خرافية كان الاعتقاد أنها تسوس العالم وتسبب النماء أو السعد أو الخرائب يهابونها أو يتودَّدون إليها، سيان في ذلك يهوداً كانوا أو

أمميين، وهكذا يعيشون بين التفاؤل والتشاؤم كل يوم مستعبدين للخرافات.

4:4 **«وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ».**

«ملء الزمان»: pl»rwma toà crÒnou

مال جميع الشرَّاح إلى جعل هذا الاصطلاح يعني نفس معنى **الوقت الموجَّل** من أبي الولد المولود الوريث لكي تُفك وصايته. ولكن نرى أن هذا لا يتناسب قط مع الابن المُرسَل من السماء.

فرأيُنا أن ملء الزمان يعني انتهاء زمان الإنسان، زمان الخطية والشقاء واللعنة، ومجيء **أيام الله:** «أيام ابن الإنسان» (لو 26:17)، «أنا اليوم ولدتك» (عب 5:1)، التي ليست من هذا الزمان بعد، وهي أيام الخلاص والبر والمصالحة والحياة الجديدة التي لا تمتُّ إلى هذا الزمان. فهي بمثابة انفتاح السماء على الإنسان لتلقّي روح حياة جديدة ليست من هذا الزمان ولا من هذا العالم. حيث اليوم فيها بألف سنة زمان، وحيث لا يولد الإنسان بعد ليدب على الأرض كحيوان الخلقة الأُولى، بل يولد من فوق ليعيش لفوق:

+ «أنتم من أسفل أمَّا أنا فمن فوق.» (يو 22:8)

+ «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع.» (يو 32:12)

+ «أنا أمضي لأُعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا.» (يو 14: 2و3)

فأصبح وجودنا على الأرض هو للعبور وليس للاستيطان بعد، العبور إلى الوطن الأفضل.

لذلك فنحن الآن أيها القارئ العزيز نعيش غربتنا على أرض الشقاء بالجسد، أمَّا بالروح فنحن قمنا لحياة جديدة:

+ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس (في انتظارنا).» (كو 1:3)

فالقديس بولس يعتبر نفسه أنه عاش أواخر الدهور، إذ في أيامه وُلد المسيَّا، أي عاصر نهاية الدهور، وبآن واحد شاهد ملء الزمان، إذ شاهد الرب يسوع، الرب الروح من السماء:

+ «ولا تتذمَّروا كما تذمَّر أيضاً أُناسٌ منهم (في سيناء)، فأهلكهم المُهلِك. فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً، وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.» (1كو 10: 10و11)

والمسيح نفسه لمَّا ابتدأ خدمة الخلاص أعلن جهاراً أنه قد **«انتهى الزمان»،** زمان الإنسان **ومُلْك الشيطان** وعبث الخطية وشقاء البشر:

+ «وبعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول **قد كَمُل الزمان واقترب ملكوت الله.** فتوبوا **وآمنوا بالإنجيل.**» (مر 1: 14و15)

وساعة أن أسلم المسيح الروح في يدي الآب كان إيذاناً بانتهاء عالم الخطية والشيطان وزمانه

فأعلن: «قد أُكْمِل ونكس رأسه وأسلم الروح» (يو 30:19). وبذلك صار الصليب هو المعركة الفاصلة بين مملكة الشيطان وزمانه وبين ملكوت الله:

+ «الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع.» (يو 12: 31و32)

+ «إذ محا الصكَّ الذي علينا في الفرائض (صك الخطايا)، الذي كان ضدًّا لنا (وثيقة في يد الشيطان)، وقد رَفَعَهُ من الوسطِ (بيننا وبين الشيطان) مسمِّراً إيَّاهُ بالصليب، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين (جرَّدهم من أسلحتهم التي استخدموها ضدنا)، أشهرهم جهاراً (فضحهم علناً)، ظافراً بهم (قيدهم بالقيود الأبدية) فيه (في الصليب).» (كو 2:14و15)

«أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس»:

«أرسل ابنه»:

تفيد إفادة واضحة أن الابن كان موجوداً سابقاً على إرساله: فالقديس بولس يرى في ابن الله وجوداً في الله في صميم طبيعته وذاته:

+ «ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً: لليهودِ عثرةً، ولليونانيين جهالةً! وأمَّا للمدعوِّين: يهوداً ويونانيين، فبالمسيح قوةِ الله وحكمة الله.» (1كو 1: 23و24)

+ «ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسةً وفداءً.» (1كو 30:1)

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور، بكرُ كلِّ خليقةٍ. فإنه فيه خُلِقَ الكلُّ: ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سياداتٍ أم رياساتٍ أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كلِّ شيءٍ، وفيه يقومُ الكلُّ» (كو 1: 15-17)

+ «الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِبْ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس.» (في 2: 6و7)

كما يرى القديس بولس أن المسيح كان مرافقاً لشعب إسرائيل في البرية بصورة غير منظورة:

+ «وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحيًّا، لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيَّةٍ تابعتهم، والصخرةُ كانت المسيح.» (1كو 4:10)

+ «كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيءٍ، الذي به أيضاً عَمِلَ

العالَمِينَ، الذي، وهو بهاءُ مجدِهِ، ورسمُ جوهرهِ، وحاملٌ كُلِّ الأشياءِ بكلمة قدرتهِ.» (عب 1: 2و3)

ومنهج القديس بولس في الإيمان بالوجود السابق لابن الله يلازمه فيه القديس يوحنا:

+ «في البدءِ كانَ الكلمةُ، والكلمةُ كانَ عند اللهِ، وكانَ الكلمةُ اللهَ. هذا كان في البدءِ عند اللهِ.» (يو 1: 1و2)

+ «والكلمةُ صارَ جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجدَهُ، مجداً كما لوحيدٍ من الآبِ.» (يو 1:14)

+ «قال لهم يسوع: الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ.» (يو 58:8)

«مولوداً من امرأةٍ»:

العجيب أننا سمعنا من المسيح تلميحاً أنه مولود من امرأة هكذا:

+ «الحقَّ أقول لكم: لم يَقُمْ بين المولودينَ مِنَ النساءِ أعظمُ من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماواتِ أعظم منه.» (مت 11:11)

وبولس الرسول يصرِّح أيضاً بذلك:

+ «الذي سبقَ فوعدَ بهِ بأنبيائه في الكتب المقدَّسة، عن ابنهِ. الذي صارَ من نسل داود من جهة الجسد. وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو 1: 2-4)

ومما يثير عجب القارئ ويُذهل فكره كيف أن إشعياء بالنبوَّة يصف تدخُّل الله في ميلاد المسيح من بطن أُمه هكذا:

+ «**الرب مِنَ البطنِ دعاني. مِنْ أحشاءِ أمِّي ذكر اسمي.**» (إش 49:1)

والقارئ يذكر كيف خاطب الملاك العذراء القديسة مريم هكذا:

+ «لا تخافي يا مريم، لأنكِ قد وجدتِ نعمةً عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلدينَ **ابناً وتُسمِّينه يسوع.** هذا يكون عظيماً، وابن العليِّ يُدعَى، ويعطيه الربُّ الإلهُ كُرسيَّ داودَ أبيهِ، ويملِكُ على بيتِ يعقوبَ إلى الأبدِ، ولا يكونُ لِمُلكِهِ نهايةٌ.» (لو 1: 30-33)

+ «والآن قال الرب **جابلي من البطن عبداً له** لإرجاع يعقوب إليه فينضمُّ إليه إسرائيل فأتمجَّد في عيني الرب وإلهي يصير قوَّتي.» (إش 49:5)

أفليس عجباً أن ينتبه ق. بولس ويصف كيف تجسَّد ابن الله **وأخذ صورة عبد** ليحقِّق بالتمام ما قاله إشعياء! فانظر عزيزي القارئ كيف وصف إشعياء بدقة أن الله فعلاً ذكره وهو في البطن ومن أحشاء أُمه ذكر وعيَّن اسمه!! كما ينبغي أن نلتفت كيف أن الملاك قال للأُم العذراء إنه «يدعى **ابن الله**» فهو مولود من امرأة ولكن بدون رجل فأبوه بقي هو الله كما هو قبل الميلاد.

والقديس إرميا النبي يعطينا فكرة كيف يتدخَّل الله في ميلاد مختاريه من امرأة:

+ «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك.» (إر 5:1)

«مولوداً تحت الناموس»:

هذا بالتبعية، فإن كان «مولوداً من امرأة» يهودية تحت الناموس فهو قد وُلِدَ بالتالي «تحت الناموس» حتماً. إذن فقد وُلِدَ بحسب فكر ق. بولس في بيت العبودية مع كل إسرائيل ليُخرج إسرائيل من بيت السجن، إذ صمَّم حسب مشيئة أبيه أنه «إذ محا الصكَّ الذي علينا في الفرائض (الناموس)، الذي كان ضدًّا لنا، وقد رَفَعَهُ من الوسطِ (بيننا وبين الشيطان) مسمِّراً إيَّاهُ بالصليب ...» (كو 14:2)

ولكن بقي المسيح تحت الناموس ولكن دون سيادة الناموس عليه إذ لم يعمل خطية قط والناموس قد جُعل وتسيَّد فقط على التعديات!! فبقي تحت الناموس ولكن ليس تحت الخطية فارتفع فوق الناموس ليرفع الذين له فوق الناموس!

ولكن حينما «وضع الله عليه إثم جميعنا» وأخذ هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، «جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا» (2كو 21:5)، ليدخل مرَّة أخرى تحت الناموس ليحمل دينونة العالم كله، ثم إذ يقوم من الموت يطرح الخطية ـ ومعها الناموس ـ ويدوس الموت ويلغي العقوبة ويخرجنا معه من تحت الخطية

والناموس كإنسان جديد، فنصير نحن فيه برّ الله!!

ويجمع هذا كله سفر العبرانيين ليصف كيف أن المسيح بجسده حلَّ عوض ذبائح العهد القديم هكذا:

+ «لأنه لا يمكن أن دَمَ ثيرانٍ وتيوسٍ يرفعُ خطايا. لذلك عند دخولهِ إلى العالم (مولوداً من امرأةٍ) يقول: ذبيحةً وقرباناً لم تُرِد، **ولكن هيَّأتَ لي جسداً.** بمحرقاتٍ وذبائح للخطيةِ لم تُسرَّ (التي تقدَّم حسب الناموس). ثم قُلتُ: هنذا أجيءُ. في دَرْجِ الكتابِ مكتوبٌ عنِّي،

لأفعل مشيئتكَ يا ألله...» (عب 10: 4-7)

واضح أن ق. بولس يسرد ما جاء في المزمور (40: 6-8) ولكن غيباً فلم تأتِ مطابقة كالأصل الذي جاء في المزمور:

+ «ذبيحة وقرباناً لم ترد، ولكن هيأت لي جسداً، لم تطلب محرقات وذبائح للخطية، حينئذ قلت هاأنذا أجيء في درج الكتاب مكتوب عني: أن أعمل مشيئتك يا ألله سررت وناموسك في وسط أحشائي.» (مز 40: 6-8 في الترجمة السبعينية)

والقديس بولس حينما يتكلَّم هنا عن الناموس الذي حمله المسيح في وسط أحشائه يتذكر جيداً أنه حمل معه اللعنة والخطية. وأيضاً حينما يقول المزمور إن المسيح قد سرَّ بعمل مشيئة الله على الصليب، فحتماً احتوى في مسرته لعنة الناموس التي عبَّر المسيح عنها ساعة الصليب مخاطباً الآب: «ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (مت 39:26). وبهذا أكمل فداء الذين تحت الناموس والذين بلا ناموس، لأن فداءه اتسع بقدر محبته ومحبته اتسعت لتحوي «ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (1يو 2:2)

وهنا عزيزي القارئ يهمنا أن نستعرض على قلبك وعلى حبك مرَّة أخرى كيف قَبِلَ المسيح ـ بسرور ـ أن يحمل خطايانا في جسده عندما دقوا يديه ورجليه على الصليب، وتقبَّل اللعنة من أجلنا لمَّا رفعوا الصليب عالياً على رابية الجلجثة، لأن في هذا كانت مشيئة الآب، وهو سُرَّ أن ينفِّذها من أجلنا. فأي شكر وأي تسبيح وأي صلاة تليق الآن بالآب، وأي اتباع للرب تحتَّم علينا لأنه اشترانا وبأفدح ثمن. وكم نحن مديونون حبًّا وكرامةً للأم القديسة التي ولدته تحت الناموس.

5:4 **«لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوس، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ».**

«ليفتَدِيَ»: ™xagor£sV

أصل الكلمة يفيد "**اشترى صفقة واحدة**"، أو "احتكر لنفسه". ولكي توضع الكلمة لائقة بما عمله المسيح صارت تُقال: «ليفتَدِيَ» ولكن تظل كلمة يفتدي تعني تماماً أنه "**اشترى لحسابه**" واحتكر الذين اشتراهم لنفسه، غير أن الثمن المدفوع كان هو تقديم نفسه وجسده ذبيحة على الصليب ليوفي ديون الذين اشتراهم بأن مزَّق صك الديون كلها الذي كان علينا بل ضداً لنا بأن تمزَّق جسده على الصليب «إذ محا الصك (الوثيقة) الذي علينا في فرائض الذي كان ضداً لنا ...

مسمِّراً إياه على الصليب.» (كو 2:14)

فالفدية كانت بمثابة دفع الديون أولاً، ثم إخراجنا بالقوة من رباط الخطية والموت التي كان يتحكم بها الناموس على الذين كانوا تحته بلا رحمة، وذلك كخطوة أُولى وأساسية حتى بعدها يوقفنا أمام الله مغفوري الخطايا كأحياء من الأموات، فينقلنا من درجة العبيد المستعبدين للخطية والناموس إلى درجة البنين المحررين بنعمة ومحبة الله.

ويلاحِظ القارئ باللغة اليونانية أن في قول ق. بولس: «ليفتدي» ثم «لننال» هنا "لـ" تجيء باليونانية: †na = لكي. و"لكي" الأولى هي أساس "لكي" الثانية، فالفداء هو الذي أعطي التبني.

وهنا اختصار بديع يُفهم منه أن الصليب أعطانا التبني، أي نحن أبناء الله بصليب المسيح. فيا لفخر البنين بصليب المسيح. وهكذا صارت خشبة العار هي العلامة المميزة لأولاد الله. والدم المسفوك عليه اشترانا من سوق العبيد من تحت الناموس ليوقفنا أبناءً أحراراً في كنيسة الله. واليهودي (الذي كان تحت الناموس) هو القياس ونحن (الأمم) على نفس القياس.

حتى إن كلمة: **«التبني»** لا يوجد لها أصل في العهد القديم، ولكن كاصطلاح تنطبق على إسرائيل ككل، فجاءت بهذا المعنى في سفر الخروج: «فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكرُ. فقلت لك أَطلِق ابني ليعبدني فأبيتَ أن تُطلِقهُ، ها أنا أقتل ابنك البكرَ» (خر 4: 22و23)، «لمَّا كان إسرائيل غُلاماً أحببتُهُ ومِنْ مِصرَ دعوتُ ابني.» (هو 11:1). هنا واضح أن الله تبنَّى إسرائيل ولو أن الكتاب لم يوضِّح هذا التبني. ولكن واضح أن محبة الله لإسرائيل وهو غلام تحت العبودية في مصر رفعته لدرجة الابن بالتبني!

وفي الحقيقة أن محبة الله لإسرائيل وهو في حالة العبودية القاسية تحت كور الحديد في مصر وإخراجه من مصر بقوة ذراع الرب وبآيات وعجائب مدهشة، وعبوره الموت كشعب في البحر الأحمر وخروجه من البحر حيًّا، كل هذه قد تكون هي التي أعطت للقديس بولس هيكل مفهوم الانتقال من العبودية إلى التبنِّي ومن الموت إلى الحياة.

وهذا الاصطلاح «التبني» ورد بوضوح في وصف ق. بولس فضائل إسرائيل بالنسبة للأمم:

+ «الذين هم إسرائيليونَ، ولهم **التبنِّي** والمجدُ والعهودُ والاشتراعُ والعبادةُ والمواعيدُ ...» (رو 9:4)

وكما قلنا نعيد القول إن إسرائيل الذي أحبَّه الله وأسماه ابنه البكر، حيث كان في الحقيقة هذا

الاصطلاح هو "بكر التبنّي"، كان هو القياس الأول الذي على أساسه وهبنا الله في ابنه البكر الحقيقي التبني، لأن الله أحبنا أيضاً قبل أن يفدينا، وهذا الحب لم يهدأ ولم يَسْترِحْ حتى وهبنا التبنّي بالفداء لنصير ورثة الحب الحقيقي لله: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 16:3)، بل ويكون له التبني بالدرجة الأُولى لأن «كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين وُلِدُوا ليس مِنْ دَمٍ، ولا مِنْ مشيئةِ جسدٍ، ولا مِنْ مشيئةِ رجُلٍ، **بل مِنَ اللهِ.**» (يو 1: 12و13)

+ «لأن كُلَّ الذين ينقادون بروح الله، فأُولئِكَ هُم أبناءُ اللهِ. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوفِ، بل أخذتم **"روح التبنّي"** الذي به نصرخُ: يا أَبَا الآبُ! الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا **أولاد الله.** فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله ووارثون مع المسيح ...» (رو 8: 14-17)

ولا يزال أمامنا كنز مغلق نود لو نلقي نظرة إلى ما بداخله، فقول ق. بولس: « **"لكي يفتدي"** الذين تحت الناموس **لكي ننال التبنّي**» هو كنزنا الذي لم نفتحه بعد ولم نعثر على نصيبنا الحقيقي فيه. فالفداء الذي أكمله لنا الابن، كان لتحضيرنا لنحصل على التبنّي من الآب. من هنا كانت مشيئة الآب ملحَّة لكي يكمِّل لنا الابن الفداء ـ بالرغم مما كان فيه من آلام وأحزان وسحق وفي النهاية الموت ـ إذ كان الآب يشتهي أن يكمِّل حبَّه لنا: **"كأولاد"** بلغة ق. يوحنا أو **"كبنين"** بلغة القديس بولس.

فالفداء ربطنا بالابن على مستوى الاتحاد: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو 20:14) حتى يكون لنا كل ما للابن عند الآب حتى وإلى الميراث!! ورباطنا بالابن بالفداء على مستوى الاتحاد هو الذي أهَّلنا أن ندخل إلى الآب كأبناء في الابن الوحيد.

على أن اتحادنا بالابن على مستوى القيامة من الأموات هو الذي وهبنا الروح القدس، وهو الذي يشهد لأرواحنا أننا صرنا أولاد الله بالقيامة من الأموات، وهو الذي يحقّق أبوة الله لنا كلما رفعنا صلاة باسمه لأنه هو الذي يصرخ في الصلاة بفمنا وروحنا نحو الله قائلاً يا أبَّا الآب. ومناداتُنا لله بالقول: «يا أبَّا» هو دخول في الحضرة الإلهية بدالة البنين مع إحساس بحضور الله بآن واحد. وهذه أعظم عطية نلناها لندخل بها إلى الله كل حين ولنا في الابن وجود وبالروح القدس دالة! وهذا هو الذي عبَّر عنه المسيح مُسْبَقاً وقبل الصليب كغاية بذله وصلبه من أجلنا: «**أنا**

فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو 17:23). وهذا هو نصيبنا بالكامل، وإن كنَّا لم نستطع إلى الآن أن نستجلي هذا الكنز الكبير ولكن حتماً سنبلغه!

+ «أيها الإخوةُ، أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت. ولكني أفعل شيئاً واحداً: إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدَّام، أسعى **نحو الغرض** لأجل جعالةِ دعوةِ الله العليا في المسيح يسوع. فليفتكر هذا جميع الكاملين منَّا ...» (في 3: 13-15)

4 : 6 «**ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: يا أَبَّا الآبُ».**

لأنهم قبلوا ووثقوا وآمنوا بالفداء الذي أكمله لهم الابن، لأنه أكمله لهم ليصيروا أبناءً أحراراً من الناموس والخطية فصاروا كذلك بحسب مشيئة الله أو بالحري حسب تدبيره منذ قبل إنشاء العالم، حيث كانت المسرة أمامه أن يجعل من بني الإنسان أبناء أحباء مختارين يقفون أمامه يسبِّحون مجد نعمته التي أنعم بها عليهم في المحبوب، بمعنى خليقة إنسانية جديدة سماوية متبناة في ابنه مسبِّحة تقف أمامه بلا لوم في المحبة التي له.

يلاحِظ القارئ القول: «**أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم»**، فروح الابن هو الذي يصرخ فينا نحو الآب ويقول: «يا أبا الآب» كما يناديه الابن الوحيد تماماً وبنفس الدالة.

فلما كملت بنوتهم لله بالفداء وبالإيمان، أرسل الله روح ابنه، أي ختم على بنوَّتهم بالروح القدس الذي يسكن فيهم ليهبهم ما للبنين. وأول فاعلية للروح القدس في المفديين المؤمنين المتبنين هي الشهادة التي يقدِّمها المسيح فيهم للآب بأن يجعلهم يصرخون بدالة روح الابن نحو الله الآب داعين إيَّاه «يا أبَّا» كما يلغلغ الطفل منادياً أباه أول ما ينطق. ولكن هذا النطق بحد ذاته أُعطي لنا كعربون نعيش الآن

في مؤازرته، نعبد الله في روح ابنه إلى أن يأتي ملء الزمان للاستعلان لنتراءى به أمام الله في المسيح، لنأخذ موقفنا الدائم كخليقة لا تكف عن التسبيح والشكر والتمجيد. فعمل الروح القدس الآن هو أن يذيقنا ما للبنين العتيدين أن يكونوا، مؤكِّداً لنا عطية الله النهائية حتى يكون لنا بابٌ مفتوحٌ للصلاة كلَّ حين. لأن الوعود التي أُعطيت للمسيح هي لنا بكمالها:

+ «إنَّ الله قد أكملَ هذا لنا نحنُ أولادَهُم (تكميل الوعد لإبراهيم)، إذ أقامَ يسوع كما هو مكتوبٌ أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتُكَ (تعيَّن ابناً بالقيامة من الأموات).

إنه أقامه من الأمواتِ، غير عتيدٍ أن يعودَ أيضاً إلى فسادٍ، فهكذا قال: إني سأُعطيكُم مراحم داود الصادِقة.» (أع 13: 33و34)

وتمتاز هذه الآية بنوع خصوصي بتسمية الروح القدس **«روح ابنه»** وذلك لتعميق العلاقة بيننا وبين الآب بصورة لم تأتِ في أية مواضع أخرى في جميع الرسائل، فقد جاء في رسالة فيلبي بصيغة **«روح يسوع»:** «ومؤازرة روح يسوع المسيح» (في 1:19)، وفي رومية دُعي روح التبني: «أخذتم **روح التبني** الذي به نصرخ يا أبَّا الآب» «لأن كل الذين **ينقادون بروح الله** فأولئك هم **أبناء الله**» (رو 8: 15و14). وأيضاً **«روح المسيح»:** «ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» (رو 8:9)، **«روح الرب»:** «وأمَّا الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية.» (2كو 3:17)

والقديس بولس لم يفرِّق بين أن «يصرخ روح ابنه في قلوبكم يا أبَّا الآب» وأن نصرخ بروح التبني يا أبَّا الآب، لأن في كلتا الحالتين الروح هو الصارخ بأفواهنا.

ومرَّة أخرى روح المسيح المحيي: «وإن كان **روح** الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات **سيحيي أجسادكم المائتة** أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو 8:11)

ويعتقد العالِم بورتون[123] أن روح الله فيكم وروح المسيح فيكم والمسيح فيكم هي حقيقة واحدة وهي الحالة الاختبارية التي شرحها ق. بولس لأهل غلاطية:

(أ) «مع المسيح صُلِبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 2:20). **وهذه حقيقة لاهوتية** قبل أن تكون اختباراً حيًّا، لأننا مع المسيح صلبنا ومتنا،

(123) Burton, (Ernest Dewilt), *Epist. to the Galat.* p. 222.

ومع المسيح قمنا من الأموات. فالحياة التي نحياها في القيامة هي حياة المسيح. إذن وبالتالي فالمسيح حيٌّ فينا وكل ذلك بالإيمان، أي متوقف على تصديقنا ليصير من حقيقة لاهوتية إلى اختبار شخصي حيّ.

(ب) «فما أحياهُ الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلَمَ نفسه لأجلي» (غل 2:20). ومعروف أن المسيح بالقيامة من الأموات عبَّر عنه ق. بولس أنه «روح محيي ... الرب من السماء» (1كو 15: 45و47)، فإن كان "الرب الروح" قد

حلَّ في قلوبنا، فهذا لا يمكن تمييزه من أن يحل الروح في قلوبنا بالإيمان بالمسيح، لأن الروح القدس نفسه «لا يتكلَّم من نفسه ... ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو 16: 13و14). فهما متميزان لاهوتياً لأن الرب يسوع غير الروح القدس، ولكن في الاختبار يصعب بل يستحيل تمييز حلول وعمل المسيح في داخلنا من حلول وعمل الروح القدس. ذلك بالرغم من أن ق. بولس يفرِّق بينهما:

+ «لأن محبَّة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا.» (رو 5:5)

+ «إن كان أحدٌ ليس له روح المسيح، فذلك (المسيح) ليس له.» (رو 9:8)

واضح هنا أن حلول المسيح يحتِّم حلول الروح القدس، وحلول الروح القدس يحتِّم حلول المسيح. لذلك يصعب للغاية التفريق بين ما هو للروح فينا وما هو للمسيح. كذلك يقول ق. بولس في الآية (4:4): «ثم بما أنكم أبناءٌ، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً: يا أبَّا الآبُ» واضح هنا أيضاً أننا صرنا أبناء في المسيح باتحادنا بالمسيح كخليقة جديدة بالقيامة من الأموات، فالمسيح نفسه «**تعيَّن ابناً** بالقيامة من الأموات» أي اُستعلن أنه الابن، وبالتالي وبسبب الاتحاد بالمسيح في ذات القيامة **صرنا أبناء لله!!** ونحن نعلم أن الآب هو الذي يرسل الروح القدس أينما وحيثما شاء، فكوننا صرنا أبناء الله بالقيامة من الأموات، هكذا كان يليق جداً أن يُرسل لنا **«روح ابنه»** أي روح الذي يختم ويصدق ويفعل فينا لنكون على مستوى البنوَّة، لذلك فأول ما عمل روح التبنِّي فينا هو أن صرخ ـ أي نطق ـ بالصوت العالي في قلوبنا مخاطباً الله الآب بلساننا يا أبَّا الآب. وهكذا يعلن روح الابن في قلوبنا حال التبني كحقيقة حيَّة معاشة ومشهود لها من الله: «لأن محبَّة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا» (رو 5:5)، «ونحن لم نأخذ روح

العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله» (1كو 2:12). والقديس بولس يصف في رسالة أفسس كيف يمهِّد الروح القدس لحلول المسيح إنما على المستوى العملي: «بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدَى أبي ربنا يسوع المسيح ... لكي يُعطيكم بحسب غنى مجدهِ، أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف 3: 14و16و17)

«أرسل الله روح ابنه "إلى قلوبكم"»:

وذلك لأن القلب هو **مركز الوعي** في الإيمان المسيحي وهو على مستوى اصطلاح: **"الإنسان الباطن":**

+ «لأن الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظُلمةٍ، هو الذي **أشرق في قلوبنا،** لإنارة **معرفة مجد الله** في وجه يسوع المسيح.» (2كو 6:4)

+ «لأن القلب يُؤمَن به للبرِّ، والفم يُعترفُ به للخلاصِ.» (رو 10:10)

«صارخاً يا أبَّا الآب»: kr©zon Abba Ð pat»r

الروح هنا ـ وفي داخلنا ـ يهبنا حالة فرح ببشارة تخرج من القلب بصراخ أي بالصوت العالي. هنا روح الابن يشهد لأرواحنا بالخبر المفرح أننا أصبحنا أولاد الله (رو 16:8) ولكنه يقولها بالكلمة التي ينطق بها الطفل المدلَّل: «يا أبَّا» علماً بأن روح المسيح الذي حُزناه بالقيامة مع المسيح يكون له السيطرة الكاملة على النفس والروح. فالنطق نطق الروح ولكن الناطق هو المؤمن الذي صار ابناً بالحقيقة:

+ «لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلّم فيكم.» (مت 20:10)

+ «فمتى ساقوكم ليُسلّموكم، فلا تعتنوا من قَبلُ بما تتكلّمونَ ولا تهتموا، بل مهما أُعطيتم في تلك الساعةِ فبذلك تكلّموا. لأن لستم أنتم المتكلّمين بل الروح القدس.» (مر 11:13)

+ «فلا تهتموا كيف أو بما تحتجُّون أو بما تقولون، **لأن الروح القدس يعلّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه.**» (لو 11:12و12)

من هذه النصوص المشتركة في القول الواحد نجد أنه في النصَّين الأولين **الروح هو المتكلّم بنفسه،** ولكن النص الأخير **الروح القدس يعلّم المؤمن** ما يجب أن يقوله، والثلاثة نصوص متفقة أن الروح القدس إمَّا متكلّم أو يوحي بما يُتكلّم به والاثنان متساويان.

أمَّا كلمة صراخ فلا تفيد مباشرة الفرح ولكن نوع البشارة يوحي بالفرح العميم،

لأنه إن كان الانعتاق من الناموس أو أي قانون مفروضاً أنه يوحي فقط بالحرية، ولكن التبني هي حالة أعلى من الحرية جداً. فتحرير العبد شيء وحصوله على حقوق البنين وما لهم من حب ومجد وكرامة وميراث شيءٌ آخر. فإن كانت الحرية حالة هي بذاتها هبة لا يُستهان بها، ولكن التبني لله هو هبة تفوق كل الهبات. وأيضاً إن كان في الناموس يفتخر الذين تحت الناموس بالله كمشرِّع لهم وقاضٍ، ففي التبني يرون الله أباً، حيث العلاقة ترتفع إلى درجة الخصوصية جداً. إذن فالذين يستكثرون كلمة ق. يوحنا أننا صرنا شركاء المسيح والآب (1يو 1:3) عليهم أن يكفُّوا عن النقد، فشركة الابن

المُتَبَنَّى مع الابن الوحيد شرعية: «ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» (رو 29:8)، وشركة المُتَبَنَّى مع الآب حق هي! «فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدَّس اسمُكَ.» (مت 9:6)

«يا أبَّا الآب»:

وقد استخدم المسيح نفسه نداء **«يا أبَّا الآب»** (مر 36:14)، مظهراً أنه نداء إلى الأبوة الحميمة. فكونه قد أعطى لنا حق النطق بذات النداء، فهذا يُظهر أي **أولاد لله قد صرنا نحن!**

أمَّا الفارق بين الابن الوحيد والابن المُتَبَنَّى هو أن الابن الوحيد يقول:

+ «أنا أعرفه **لأني منه** وهو أرسلني.» (يو 29:7)،

+ «أنا في الآب والآب فيَّ.» (يو 10:14)،

+ «من عند الله خرجت.» (يو 27:16)

والابن الوحيد يقول: "أبي" أمَّا نحن فنقول: "أبانا":

+ «لأني لم أصعد بعد إلى أبي وأبيكم.» (يو 17:20)

وأيضاً يقول:

+ «الآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.» (يو 5:17)،

+ «مجَّدت وأُمجِّد أيضاً.» (يو 28:12)

فإن كانت معرفة الآب **معرفة ذاتية تُحسب أنها من خصائص الابن وحده**، إلاَّ أن المسيح وهبنا هذا الأمر الخاص به بنوع من الدخول في ذات الخصوصية ولكن من خلاله هو:

+ «نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك. كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي، **وليس أحدٌ يعرف "الابن" إلاَّ "الآب"، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن،** ومن أراد الابن أن يعلن له.» ! (مت 11: 26و27)

غير أن معرفة الابن الوحيد للآب هي من خصائص الطبيعة الإلهية الواحدة، ولكن معرفتنا للآب التي وهبنا إياها الابن هي على مستوى الاستعلان ومن خلال الابن، أي كما يعطينا الابن كمًّا ونوعاً. ويعتبر "يا أبَّا" الذي أُعطي لنا النطق به لاستعلان الدالة مع الله أصلها المأخوذ عنه هو

المسيح نفسه في مخاطبته لله أبيه: «وقال: **يا أبَّا الآب**، كل شيءٍ مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت» (مر 36:14). أمَّا لماذا ضُمَّت "يا أبَّا" إلى الآب، فذلك لأن "يا أبَّا" هو النطق الأرامي، فلما أخذها الناطقون باليونانية عرفوها بأنها تعني الآب، فجاءت في الاستخدام «يا أبَّا الآب» ولكن هي أصلاً "يا أبَّا" فقط. و"أبـَا" لمخاطبة الآب في الأرامية يقابلها إمَّا imma للأم، ونداء الخصوصية للأب بالأرامية أبي abi.

7:4 **«إذاً ـ (أنتَ) ـ لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَل ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فوَارثٌ للهِ بالْمَسِيحِ».**

يُلاحِظ القارئ أن ق. بولس انتقل في هذه الآية من استخدام الجمع في السابق إلى استخدام المفرد مرَّة واحدة، ومن هذا واضح أنه أراد بهدوء إقناع المخاطب أن يدخل إلى بيت الآب ليأخذ وثيقة الميراث كابن. إنها روعة البيان، ويقولون: "إن من البيان لسحراً"، وسحر العقل هو تلذذه الفائق عن الحد.

ويُلاحِظ القارئ أيضاً أنه يخاطب اليهود المسيحيين الذين تداعبهم أفكار الإخوة الكذبة الذين يودون إرجاعهم إلى اليهودية، كما تنطبق دعوة البنوَّة للأمميين الذين تنصَّروا ودخلوا عهد البنوَّة مع الله بعد أن كانوا عبيداً للخطية والشيطان.

والقديس بولس يضع النفي بالنسبة للعبودية للمخاطب ليوقظ إحساسه بالنقلة العظمى التي فاز بها في عملية الخلاص التي دُفعت إليه مجاناً بينما كان في العبودية قائماً ليدرك ما صار إليه من تغيير الحال.

«بل ابناً»:

هنا واضح أنه ابنٌ لله بكل المعنى والحق ولكن ليس بالطبيعة ولكن كامتياز، حتى إنه لم يقلها متبنِّىً بل ابناً بمقتضى وثيقة الميراث التي في يد الآب والمدفوعة إليه

مجاناً تكريماً للإيمان الذي قدَّمه. فبقدر ما كرَّمنا الآب بالإيمان بحبه وبذله الذي عمله لنا في الخلاص، يقدم الآب لنا وثيقة البنوَّة مع الميراث المستحق الذي يُحسب أنه تكريم أعلى عشرة آلاف مرَّة بل وبلا حدود مما نقدِّم من الإيمان. وواضح أن الميراث هو ميراث الله: «فإن كنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ـ **"ورثة الله"** ـ ووارثون مع المسيح» ! (رو 8: 17). أي لا نرث إلاَّ من خلال الابن.

«وإن كنتَ ابناً فوارثٌ لله بالمسيح»:

e„ de ufÒj, ka^ klhronÒmoj di¦ Qeoà

الترجمة العربية تصرَّفت تصرفاً أخرج الآية كلها عن المعنى المقصود، فلا ذكر في النص قط لكلمة المسيح. والترجمة ينبغي أن تكون: «وإن كنت ابناً فأنت وارثٌ أيضاً بالله» وتكون الآية كلها مركَّبة لتعطي المعنى: «هكذا فبالله (through) أنت لست بعد عبداً بل ابناً إذن فوارث»

واضح هنا أن **الله هو الذي حررنا** من العبودية ـ بواسطة ابنه ـ فلم نعد بعد عبيداً بل أبناء. وهكذا إن صرنا أبناءً له فحتماً ورثة له!! وقوة هذه الترجمة راجعة إلى أن الذي حرَّر هو الذي تبنَّى، والذي تبنَّى هو الذي ورَّث ما له، وهذا المعنى يزيد من قوة الآية ويعطي الإنسان ثقة وافتخاراً في بنوَّته وفي ميراثه!! ولكن لئلا يُظن أننا تحررنا بما لنا أو مما لنا تحتَّم أن يقال بالمسيح يسوع وفيه.

والآية تضرب لبعيد، لأن الله هو الذي أعطى لإبراهيم الوعد، فالآن الله يتمِّم الوعد وذلك بالخلاص الذي أكمله ببذل ابنه لموت الفداء. والوعد شمل تحريراً من عبودية الناموس (والخطية للأُمم) كعملية أساسية في الطريق، لأن الناموس دخل بين إبراهيم وأبناء الموعد وأخضع أبناء الموعد تحت عبودية مؤقتة للتأديب والإعداد للموعد. لذلك تحتّم رفع العبودية قبل إعطاء الموعد، والموعد يتضمن إعطاء البركة العظمى، وهي إدخال أبناء الوعد في بيت الله كأبناء. إذن جاءت هذه الآية لاختصار هذه الدرجات. هكذا الله هو الذي رفع العبودية وبذلك صرنا أبناء له وبالتالي ورثة لله، وهكذا تمَّ الوعد بالحرف الواحد.

والقديس بولس لا يزال يتمركز في محور واحد أنه ليس بالناموس ننال الوعد، بل الناموس دخل ليبعد الوعد قليلاً حتى يكمل تأديب إسرائيل، ثم البركة الحقيقية

هي متوقفة ليس على العمل بالناموس بل العكس أي رفع الناموس، لأن الناموس خلق عبودية لإسرائيل، فبرفع الناموس أعطى الله لبني الموعد البركة الموعودة لإبراهيم ولنسله، والتي عُلِّقت حتى نهاية زمان تأديب الناموس، وهي التبني لله للدخول في ميراث الله، الأمر الذي بلوره في نهاية الأصحاح الثالث هكذا: «فإن كنتم للمسيح، (الذي بواسطته انتهى الناموس) فأنتم إذاً نسلُ إبراهيمَ، وحسب الموعدِ ورثةٌ» (غل 29:3). وهنا كلمة "للمسيح" تجيء شرطاً أساسياً ملزماً. لذلك فمعنى **ميراث الله** هنا هو ميراث **"بركة الله"** الموعودة لإبراهيم حيث ثبت لنا بوضوح أن هذه البركة تحققت عملياً بنوال **عطية** **التبرير**

وهبة الروح القدس وحياتنا مع الله!! وهذه هي «النعمة التي نحن فيها مقيمون.» ! (رو 2:5)، ولكن كلها كعربون لأنه لا يخطر على قلب بشر ما أعدَّه الله للذين يحبُّونه!! (1كو 9:2).

+ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوبٌ: ملعونٌ كل مَنْ عُلِّقَ على خشبةٍ. **لتصيرَ بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع، لننالَ بالإيمان موعد الروح.**» (غل 3: 13و14)

8:4 «**لكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ، اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً**».

«كنتم لا تعرفون الله»:

أن تؤمن أن الله هو "**الحق الكلِّي**"، أصبح مَنْ لا يعرف الله لا يعرف الحق، وهكذا تتزيف له كل الحقائق، ويكون هذا مدخلاً لتصديق الشيطان وأعماله وآلهته. ومع الحق تكون الحرية دائماً من كل غش وخداع وسيطرة أباطيل العالم، وبدون معرفة الحق، أي الله، يدخل الإنسان في فخاخ الشيطان ويقع تحت عبوديته، بحيث يعبد شياطين عوض الله ويقع أسيراً لأفكار وعقائد وخزعبلات ويتعصب لها تعصباً أعمى.

ولكي يقطع الله على الشيطان أباطيله وكل أوهامه التي ضلل بها العالم، أرسل ابنه متجسِّداً ليعلن حق الله وحقيقة العبادة بالروح والحق، حاملاً كل كنوز الحكمة الإلهية ومفتتحاً طريق الحق والحياة:

+ «أنا هو الطريق والحق والحياة.» (يو 6:14)

+ «أنا هو نور العالم، مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة.» (يو 12:8)

+ «فبالمسيح قوة الله وحكمة الله.» (1كو 24:1)
+ «بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً.» (1كو 30:1)
+ «المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم.» (كو 3:2)

إذن فحقَّ للمسيح أن يقول: «**جئت نوراً للعالم حتى كل مَنْ يؤمن بي لا يمكث في الظلمة**» (يو 46:12)، وما هو «**نور العالم**» إلاَّ دخول معرفة الله التي تكشف للإنسان كل ما هو حق.

والعجيب أن واسطة انفتاح نور الله والحق على الإنسان لا تكلّف الإنسان أكثر من أن يؤمن

بابن الله الذي أرسله الآب للعالم لا ليدين به العالم بل ليخلِّص به العالم من الشيطان وظلمة المعرفة التي يبثها في قلوب من وقعوا في شباكه.

وهكذا يتضح أمامنا ما وراء هذه الآية التي نحن بصددها، إذ يقصد من «كنتم لا تعرفون الله» هو غياب الحق ونور المعرفة التي جاء بها المسيح، ومن جراء غياب المسيح دخلت شياطين العبادة لتضليل العالم وإخضاعه تحت عبودية الجهالة، حتى عبد الإنسان الأصنام: «هذه آلهتك يا إسرائيل» ! (خر 4:32)

من هنا جاء معيار المسيحية: **«تعرفون الحق والحق يحرركم»!** (يو 32:8) والتحرير يتركَّز في الخروج من عبودية الشيطان بالقلب والفكر تحت عبادات وأفكار ومبادئ كاذبة لآلهة كاذبة.

9:4 **«وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَن تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟».**

وبناءً على كونهم لم يعرفوا الله سابقاً، والآن يعرفونه، فهذا من واقع استعلان الله في شخص ابنه الذي عرَّفنا بأبيه معرفة الابن بالآب لأنه أعطانا ذاته وروحه وفكره: «وأما نحن فلنا فكر المسيح» (1كو 16:2). فبهذا عرفنا الله أباه:

+ «الله لم يره أحد قط. **الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّرَ.**» (يو 18:1)

+ «وليس أحدٌ يعرف الابنَ إلاَّ الآبُ، ولا أحدٌ يعرفُ الآبَ إلاَّ الابن ومَنْ أراد الابن أن يُعلن له.» (مت 27:11)

وهكذا أعلن المسيح الآب أباه لكل مَنْ آمن به. ولكن ق. بولس أسرع واستطرد: «بل بالحري عُرفتم من الله» لكي يقطع خط الرجعة على القدرة الذاتية في معرفة

الله، إذ تستحيل على الإنسان بدون استعلان الابن. وهنا يدور على الغنوسيين الذي يدَّعون بلوغ معرفة الله بالاجتهاد الذاتي وتمارين خاصة.

والقديس بولس يقول إن الله هو الذي عَرَفَنا والتالي هو الذي عرَّفنا ذاته بواسطة ابنه، وبهذا عَرفنا الله باستعلان خاص وليس من عمل ذاتي أو مجهود وتدريب. وكون الله يعرفنا معرفة ذاتية إيجابية يفيد أننا قد صرنا من أخصائه بل أبنائه، فأصبحنا نعرف الحق بالحق ـ «بنورك نعاين النور» ـ وليس عن تعليم أو من كتب وتداريب، بل كما يعرف الولد أباه من واقع ممارسة وقربى

واستعلان الآب ذاته لابنه.

«فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة»:

والقديس بولس يتعجَّب، إذ كيف بعد أن عرفوا الله معرفة حقيقية عن دراية وخبرة واستعلان الله لهم ذاته، فأدركوا النور وعايشوه، كيف يرجعون إلى الأركان = stoice‹a (انظر شرح الآية 4 : 3). الضعيفة ¢sqenÁ أي المريضة أو عديمة الصحة، والفقيرة ptwc£ أي الأصنام التي تستعطف الناس لتأخذ حسنة من أيديهم.

وهنا القديس بولس يضرب بحجر واحد المسيحيين من أصل أُممي واليهود المرتدين إلى الناموس، فلليهود تكون عودتهم للطقوس وفرائضها بعد أن عرفوا الحق في الله كأبناء كمَنْ يعود يتعبَّد لحيوانات الذبائح العبادة السقيمة في فلسفتها. أمَّا للأُمم فعودتهم للأصنام التي لا تتحرك ولا تنطق إذ هي مضروبة بالخرس وكهَّانها يقفون أمامها يمدُّون أيديهم لِعُبَّادها ليأخذوا حسنة باسم إله الصنم.

أمَّا بالنسبة لنا نحن الآن، فالآية تنطبق على الذين اعتمدوا وتحرروا ولبسوا المسيح، أي الخليقة الجديدة، وصاروا بالإيمان المسيحي أبراراً وقديسين في نظر الله والملائكة، وانفتحت أمامهم الحياة الأبدية ليسلكوا بالحق وفي النور. كيف يعودون إلى شهوات العالم والجسد ويستعبدون ذواتهم لأصنام وشياطين الزنى والسرقة والاختلاس وتلفيق الأكاذيب، ويمدون أيديهم يستعطفون ذوي النفوذ والسلطان لعلَّهم يفوزون بغنيمة.

يا بني الحق والنور والحياة، لقد حرَّركم المسيح بأغلى ثمن فلا تستعبدوا أنفسكم للعالم والجسد. أنتم لله ومن الله، عيشوا وبالله اكتفوا فهو وحده القادر أن يغنيكم بغناه.

أنتم عرفتم أسرار الله ومحبته الفائقة على كل علم، واستؤمنتم على سر الكنيسة والجسد واشتركتم في سر القيامة والحياة، فلا تعودوا تهينون ذواتكم لمعرفة قبائح العالم وتملأون عيونكم وأسماعكم وقلوبكم بمنجسات الجسد وشهواته. احفظوا طهارة عيونكم لتؤهَّل لرؤية المسيح في مجيئه، وقدِّسوا آذانكم لتسمعوا بها صوت العريس يناديكم بأسمائكم، واختموا على أعضائكم بصليب المجد لئلاً توجدوا عراة مفضوحين يوم مجيئه. إن ما تمارسونه الآن سرًّا وكأنه بعيدٌ عن عين الديَّان سيستعلن في وسط القديسين وملائكة الله وعين الرب الفاحصة القلوب والكلى، وحينئذ تشتهون أن تنفتح الأرض وتبتلعكم أو تسقط عليكم الجبال وتغطيكم كما قال الرب. إن ما

تعملونه في الظلام الآن سيفضحه نور الله ولا مفر.

توبوا لأنه اقترب الزمان وانكشاف النور.

10:4 «**أتَحْفظُونَ أيـَّاماً وَشُهُوراً وَأوْقاتاً وَسِنِينَ؟**».

في الحقيقة قد أتعب العلماء والشرَّاح أنفسهم جميعاً في تحديد ما هي الأيام التي كانت تُحفظ، وأي مناسبة هي، ومثلها الشهور والأوقات وأيضاً السنين. ولكن للأسف ليس هذا هو هدف ق. بولس، فالقديس بولس نفسه كان يتكلَّم أحياناً على موسم الصوم وعيد الفصح، ودخل الهيكل يقدم قرابين عن نذر، ولكن ق. بولس في حياته التي قضى معظمها بل كلها بين سجين ورحَّالة يجوب في الجبال والدروب الوعرة، وفي البحار غارقاً مرَّات تحت الماء، وتائهاً في مركب تتقاذفه الأمواج أربعة عشر يوماً، لم يكن يحفظ أياماً وأوقاتاً لا عن اضطرار بل عن أمانة الكرازة التي لم تكن تعرف راحةً أو هلالاً أو عيداً أو سبتاً، بل كانت كلها إمَّا وعظاً أو كتابة، الوعظ إذا استقر به الحال أو حتى لم يستقر، فهو صاحب تكريس الوقت غير المناسب، والكتابة حتى وفي اليدين سلاسل! ورِجْلاه في المقطرة!!

القديس بولس يدعو مسيحيي غلاطية للخروج من عبودية الزمن، لأن أهل الأبدية السعيدة لا ينبغي أن يعيشوا مستعبدين للزمن أو من أجله، بل هم قد حوَّلوا فراغ زمانهم إلى ملء الخلود. فراحة السبت الأرضي صارت ارتباطاً وثيقاً بالراحة العليا وسبت الأبد، والعيد لم يعد وقفاً على ما يؤكل أو يلبس، فالطعام صار هو عمل مشيئة الله وتتميم وصاياه، واللبس انتهى جميعه إلى لبس المسيح أي الخليقة الجديدة بأعمالها بالروح والحق، والمواسم انتهت جميعاً إلى موسم للقيامة التي بدأت ولن تنتهي وكلها أفراح الأبد.

فالإنسان المسيحي الذي عرف الرب وبالحري عرفه الرب، هو الإنسان الوحيد الذي وُهب أن يحول الزمان إلى خلود، فصارت حرفته السرية التي تفوق علم العالم وحكمته هي العبادة والصلاة والسجود بالروح والحق التي تسمو فوق كل شكليات عبادة الجسد وزمانه ومكانه.

وصعب للغاية على القارئ أن يفهم ما أقول، فهو المخاطَب في هذه الآية لأنه وهو الحر والمدعو للقداسة وقبول تاج الإيمان على رأسه والمدعو للبس المسيح عن حق وجدارة، قد جذبه سحر الزمن، ووقع في غواية عبادة حفظ الأيام والشهور والأوقات والسنين، وسحرته عظمة الحجارة المرصوصة في شكل كاتدرائيات فخمة تناطح السحاب بمناراتها وتملأ الفراغ بقبابها المذهَّبة، وظنَّها

هي الكنيسة التي يقول عنها الإنجيل، مع أن الكنيسة هي العروس والجسد وهي المؤمنون الذين فيها خلواً من حجارتها وقبابها وأبوابها. أمَّا زينتها الحقيقية فهي تقواهم وحبُّهم الصادق للمسيح ولبعضهم بعضاً ... وبغير تقوى المؤمنين وحبهم وإيمانهم المحسوب لهم قداسة وبرًّا لا توجد كنيسة حتى ولو كانوا داخل أبنيتها الفخمة. فالكنيسة الحقيقية هي جسد المسيح وجسد المسيح هو نحن!! إن كنا نحب المسيح حقًّا ونحب بعضنا بعضاً.

يا إخوة كما سيفنى الزمان تفنى الحجارة وتتوه الأسماء والأجساد ولا يبقى لها بقاء، ولن يبقى للإنسان إلاَّ إيمانه وحبه. فإيمانه يحسب له برًّا، والبر برّ المسيح أبديٌّ هو، والقداسة ليست من هذا العالم فهي سمة الدهر الآتي وهي هنا قائمة متغربة على أرضنا. فقول ق. بولس قول حق: فنحن «نمسك بالحياة الأبدية» فوق الأيام والسنين: «فإن الحياةَ أُظهِرَتْ، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرتْ لنا ... وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (1يو 1: 2-4)

11:4 **«أَخَافُ عَلَيْكُم أَنْ أَكُونَ قَدْ تَعِبتُ فِيكُمْ عَبَثَاً!».**

أخوف ما يخافه ق. بولس على الذين آمنوا على يديه باسم المسيح واعتمدوا أن تغويهم الحية بمكرها كما أغوت رأس جنسنا الأول وأمنا (2كو 11:3) وأردتهم أرضاً بعد النعيم الذي أقاموا فيه ووجه الله الذي كان يضيء عليهم.

والقديس بولس تعب مع هذه الشعوب أتعاباً مضاعفة، لأنه كان يعمل في نفوس استعبدها الشيطان واستوطنت الخطية بغير رادع ولا معلّم. وهذا هو نفس الشعور الذي خاطب به ق. بولس أهل كورنثوس في رسالته الثانية قائلاً: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه، فإذ نحن عاملون معه نطلب أن **لا**

تقبلوا نعمة الله باطلاً.» (2كو 5:21، 6:1)

وتصوَّر عزيزي القارئ أن مؤمناً بالمسيح أدرك كيف أن المسيح عُلِّق على الصليب كملعون وقَبِلَ الخطية في جسده لكي نصير نحن أبراراً ببره بقوة هذا الفداء الذي صنعه في نفسه، ثم وهبنا نعمة الله بعطية الروح القدس، ثم يعود كما عمل شعب إسرائيل يعطيه القفا دون الوجه ويصلّب رقبته بصنع الخطية وبالرجوع إلى أعمال الظلمة، فيتلف دعوته ويفسد جدة حياته.

2 ـ دعوة إلى تحسين العلاقات
[4: 12-20]

4 : 12 **«أَتَضَرَّعُ إِلَيْكُمْ أَيـُّهَا الإِخْوَةُ، كُونُوا كَمَا أَنَا لأَنِّي أَنَا أَيْضاً كَمَا أَنتُمْ. لَمْ تَظْلِمُونِي شَيْئاً».**

موقف جديد للقديس بولس بالنسبة للغلاطيين الذين أخطأوا في إيمانهم بالمسيح بمحاولة النكوص نحو الناموس، وأخطأوا في حق ق. بولس الذي بشَّرهم بالإيمان الصحيح، يقدِّم لهم بالرغم من ذلك أرق مشاعر الكارز الخادم. فهو بعد أن طرح أمامهم عيوبهم، عاد يتودَّد إلى قلوبهم بصورة أبوية منقطعة النظير، فهو يقول لهم بما يعني أنا أحبكم أرجوكم أن تحبوني!! أنا أصفح عن كل أخطائكم لماذا تمسكون عليَّ أخطاء لا وجود لها، سامحوني كما أنا أسامحكم!!

بين الأب والأولاد في المسيح، وحتى بين الأخ والإخوة لا ينبغي أن يكون هناك تشكُّك أو عدم احترام متبادل. فالكارز أعظم ما يتمنى أن تكون رعيته كما هو، وهو في اتضاع محبته يضع نفسه موضعهم في كل شيء. فهو يشعر بضعف حينما يكونون ضعفاء: «مَنْ يضعف وأنا لا أضعف» (2كو 11:29). روح الكارز إن كان حقًّا في المسيح ومن المسيح فهو روح فدية، يأخذ من ضعف رعيته ويعطيهم من قوته، كالمسيح الذي «أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنسبحه ونمجِّده ونزيده علواً» (مرد ثاؤطوكية يوم الجمعة من كتاب التسبحة السنوية المقدَّسة).

القديس بولس ككارز يكرز بروح المسيح وقوته لم يهتز من نقد رعيته له في غلاطية، ولا فقد روح المودة الروحية تجاههم، فبعد أن علَّم ووبَّخ وأنذر وكشف

لهم ما في حقيقة نفسه وقلبه نحوهم وأفرغ غضبه، فهو يؤكّد لهم أنه بكل ما أوتي من نعمة وقوة فهو لا يزيد عن أحد أصاغرهم في شيء لأنه لا ينسى سلوكه الأول ورداءة سيرته من نحو المسيح. فهو يضع نفسه في وسطهم كأي واحد فيهم، لا بالمجاملة الكاذبة بل بحق الضمير في المسيح الذي انتشله من هوة التجديف والإساءة لاسمه ولمؤمنيه.

ق. بولس لم ينسَ شاول بلحمه وعظامه، ولم ينفصل من رداءة سيرته، بل جعلها أمامه كل

حين، لذلك عاش ق. بولس كل حياته متضعاً في ملء نعمة الروح القدس الذي يعشق المتضعين ومنسحقي النفس.

ولكن لا يزال في **«كونوا كما أنا لأني أنا أيضاً كما أنتم»** معنى خفي، فهو يخاطب اليهود الذين تنصَّروا ويقول لهم: أنا يهودي مثلكم وقد فتح الرب عيْنَيَّ على الإيمان به ففي الحال لم أستشر لحماً ولا دماً وقبلت الدعوة وآمنت وصرت من الكارزين. هنا يتوسل إليهم بتودد أن يذكروا سيرته وكيف دخل الإيمان بالمسيح ليكونوا أو يعملوا كما كان وعمل. فهو تخلَّى عن عبودية الناموس ليدخل في حرية التبني للمسيح. بل وحتى في قوله هذا نجد المعنى يتوجه أيضاً إلى الأُمم الذين آمنوا بالمسيح ودخلوا في تشكُّك من جرَّاء عمل اليهود الكذبة لكي يرتدوا إلى اليهودية أي يتهودوا. فهو يقول لهم: كونوا بلا ناموس كما أنا أيضاً بلا ناموس مع أني كنت وارثاً للناموس. فهذه الآية بالرغم من اختصارها الشديد فهي تضرب بقوة نحو اليمين واليسار لتجمع الكل في نموذج واحد كان يعيشه ق. بولس عن إيمان وقناعة.

«لم تظلموني شيئاً»:

الأصح أنتم لم تبدوا شعوراً بالاشمئزاز نحوي ولا آذيتم مشاعري ـ بسبب المرض الذي في جسدي وذلك في بداية الكرازة لهم. وهذا يحسبه ق. بولس مَكْرُمَة منهم وشعوراً طيباً، يذكره لهم الآن بنوع من الإطراء حتى يخفي ضيقه من تصرفاتهم نحو الحق والإيمان بالمسيح، فهو إنما يتملَّقهم لكي يكسبهم لتصحيح موقفهم من الإيمان بالمسيح، وهذه تُحسب للقديس بولس لباقة وحسن تصرُّف بديع لكسب المعاندين.

13:4 **«وَلكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي بِضَعْفِ الْجَسَدِ بَشَّرْتُكُم في الأوَّل».**

هنا يبدأ ق. بولس يذكِّرهم ويذكِّرنا أيضاً أنه بدأ الكرازة بالمسيح وهو حامل في

جسده تجربة مرة اعتبرها ضربة من الشيطان في الجسد ـ ولكن برضى الله ـ ولمَّا صلَّى لكي يعفيه الله من هذا المرض أو الشوكة في الجسد، مانع الله في الاستجابة مستحسناً أن يكرز بضعف الجسد معتمداً على نعمة الله التي رافقته كل أيام حياته: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضَّعفِ تُكْمَلُ» (2كو 9:12). وهنا يعطينا الله في ق. بولس نموذجاً عجيباً لكارز يكرز بالخلاص والحياة الأبدية والإنسان الجديد وهو حامل في جسده لطمة الشيطان المؤذية والكريهة في أعين الآخرين، بل

وأعطي أن يشفي الآخرين، ولكن الله لم يمنحه هو الشفاء! حتى تكون كل الأشفية وأعمال النعمة صادرة من الله رأساً. فالله بهذا الوضع الفريد كان يتمجد في مرض ق. بولس إذ جعل من الضعف الجسدي فرصة لعمل الكرازة بقوة الله حتى تتم الكلمة «لا بالقُدرةِ ولا بالقوَّةِ بل بروحي قال رب الجنود» (زك 6:4). وهذه الحالة العجيبة هي صورة مصغَّرة للمجد الذي بلغه الإنسان من خلال وبواسطة آلام الرب وسحق الجسد على الصليب، فتمَّ القانون «إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجد أيضاً معه»(رو 17:8). بل وصارت الآية الآتية هادية لكل المتألمين «لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله.» (في 29:1)

والقديس بولس في ذكره لضعف جسده إنما يشير إلى شوكة الجسد التي أُعطي لملاك الشيطان أن يلطمه بها والتي ذكرها في (2كو 7:12) ولكن حدث ذلك وبالتحديد قبل أربع عشرة سنة من كتابة الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس أي سنة 43م، ولكنه عاد وذكر هذا الضعف مرَّة أخرى في (2كو 10:12) على أنه لازال مستمراً أي أنه حتى سنة 56م كان لا يزال يتألَّم من شوكة الجسد هذه. أمَّا طبيعة هذا المرض فلم يستقر رأي العلماء على نوع خاص من الأمراض، فمن قائل أنها ملاريا إلى قائل أنها كانت صرعاً وأخيراً ربما كانت أذية في العين مما جعل ق. بولس يقول إنهم ـ أي أهل غلاطية ـ لم يزدروا بها بل كانوا مستعدين أن يقلعوا عيونهم ويعطوها له، وهذا المرض ربما يكون أقربهم إلى الحقيقة.

14:4 **«وَتَجْرِبَتِي الَّتي في جَسَدِي لَمْ تَزْدَرُوا بِهَا وَلاَ كَرِهْتُمُوهَا، بَلْ كَمَلاَكٍ مِنْ اللهِ قبِلْتُمُونِي، كَالْمَسِيحِ يَسُوعَ».**

«تجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها»:

انتحى بعض العلماء مثل بروس[124] ناحية اعتبار أن الغلاطيين هم الذين جُرِّبوا في ق. بولس بسبب منظره الكريه فكان من الممكن أن يزدروا به وبرسالته أيضاً باعتبار أن المريض لا يشفي الصحيح. ولكن في الحقيقة تعتبر التجربة التي يقصدها هي تجربته التي جُرِّب بها في جسده وكانت ذا مظهر أو رائحة كريهة، لهذا فمن المرجَّح أنها كانت إصابة مكشوفة، ونستدل على ذلك مما جاء في التقليد الكنسي في صلاة القسمة في القداس في عيد الرسل التي تقول عن القديسين بطرس

(124) Bruce., *op. cit.,* p. 209.

وبولس إن ق. بطرس ظلَّه كان يشفي المرضى وق. بولس كانت المناديل والعصائب التي تُرفع عن جروحه تشفي الأمراض وتُخرج الأرواح الشريرة (راجع أيضاً أع 12:19). والعصائب أو المناديل ربما كان يَعصِب بها عينيه لعدم احتماله الضوء أو لكثرة الدموع. وهذا يؤكده قوله في الآية القادمة أنهم كانوا مستعدين أن يعطوه عيونهم، وقوله في نهاية الرسالة: «انظروا، ما أكبرَ الأحرف التي كتبتُها إليكم بيدي!» (غل 11:6)، إذ أن عينيه لم يكن يستطيع أن يرى بهما الحروف الدقيقة.

أمَّا سلوك أهل غلاطية أثناء زيارة ق. بولس الأُولى لهم كقوله «بضعف الجسد بشَّرتكم في **الأول**» فكان لطيفاً وبترحاب شديد ولم يؤثر ضعف جسده هذا أو مرضه في إيمانهم به وبرسالته، وتمادياً من ق. بولس في إطراء سلوك الغلاطيين يقول إنهم قبلوه كملاك الله، وأكثر، كالمسيح يسوع. وهذا حق فالقديس بولس لم يكن يكرز بنفسه بل بالروح القدس الذي كان يأخذ من المسيح ويخبِّر. وق. بولس يقول عن اختبار حي إنه لم يكن يحيا بنفسه بل بالمسيح الحي فيه. إذن فكرازته كانت بروح النعمة الذي لا يخطئ فيه أحد.

آه يا إخوة ما أحوجنا إلى المسيح الحي فينا لكي نتكلَّم من كنز المجد الصالح ولكي نخرج الكلمات ملتهبة بنار حبِّه ومطعَّمة بملح النعمة تُصلح النفوس وتطهِّر القلوب وتشبع الأرواح الجائعة. لا يغالي ق. بولس في القول بأن أهل غلاطية قبلوه كالمسيح لأن نور المسيح كان يشع من وجهه، وكلمته كانت محيية.

متى تأتي يا رب وتؤازر الكارزين باسمك لتعود الكنيسة إلى مجدها الأول ويسطع وجهك عليها وتلبس البز والأرجوان، أي التبررات، وتتجمَّل بقداسة سيرة شعبها لتحلو في عين عريسها، أما يهمُّك أننا نغرق؟!! أنت معنا، أنت فينا ولكن لا

تزال نائماً في مؤخِّرة المركب والأهوال تعصف بنا والليل وشيك. قم ربي ونجِّ الكنيسة من ضعف ومن عطش!!!

15:4 «**فَمَاذَا كَانَ إِذاً تَطْوِيبُكُمْ؟ لأَنِّي أَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ لَقَلَعْتُمْ عُيُونَكُمْ وَأَعْطَيْتُمُونِي**».

«**تطويبكم**»: makarismÒj

يقصد ق. بولس هنا أن أهل غلاطية قابلوا مجيء بولس الرسول ليكرز لهم بإنجيل المسيح بالفرح حتى إنهم طوبوا أنفسهم أي حسبوا أنفسهم سعداءَ على وزن ما جاء عن ق. بولس نفسه «إني

أحسب نفسي سعيداً = mak£rion أيها الملك أغريباس إذ أنا مزمع أن أحتج اليوم لديك عن كل ما يحاكمني به اليهود» (أع 2:26). ولكن لنا هنا على ق. بولس استخدام لغة الروح والتطويب في إطراء ملك مرائي لم ينفعه الإطراء بشيء. وهكذا نخطئ أيها الإخوة أن نلبس مواقف العالم الفاني بألفاظ النعمة والروح التي تخص الله. فأدب العالم لا يناسبه حياة الروح المضيئة، وأدب الإنجيل والحياة الأبدية لا يليق على وجه العالم الكالح. فأين سعادة ق. بولس المزعومة من التواجد في حضرة أغريباس وقد صار رمَّة؟

أمَّا تطويب الغلاطيين لأنفسهم بحضور ق. بولس ككارز لهم بإنجيل المسيح فهي سعادة لم تكن أصيلة إذ خلعوها وتنكروا له بعد ذلك بقليل جداً: «أفقد صِرتُ إذاً عدوًّا لكم لأني أصْدُقُ لكم؟» (غل 16:4). إذن فالسعادة التي لا تدوم أو الطوبى التي تتلاشى بالزمن ليست من السعادة ولا من الطوبى في شيء. فلو كانت سعادتهم بالمسيح حقًّا وكانت من قلب وإيمان وتصديق لبقيت عاملة فيهم. والله هو العارف بالقلوب.

«لأني أشهد لكم»: marturî g¦r Øm‹n

القديس بولس هنا يستخدم كلمات رسمية على مستوى الشرع كما في محكمة أو اقتراع علني. وهو يقصد من ذلك أن يعبر بمنتهى الصدق عمَّا جال في نفسه وقت أن قابلوه بالترحاب والسرور والتجلّة وهم في غاية الرقة والحساسية بالنسبة لمرض عينيه إذ قدَّموا له من المشاعر كأنهم على استعداد أن يعطوه عيونهم، وهو تعبير شائع بين الأحبة والأقارب، ولكن لربما كانت مجاملات وحسب.

والقديس بولس هنا بهذا الاصطلاح يكشف عن حساسية نفسه هو المرهفة وصدق مشاعره وأُلفته بالناس.

ويحكي العالِم بروس[125] عن كاتب آخر شارح لرسالة غلاطية اسمه "هـ. د. بتز" يقص قصة عن جماعة السكيثيين أن واحداً منهم يدعى دانداميس قلع عينيه بيديه بجرأة وشجاعة مذهلة، لفرط حبه وصداقته لصديق له يُدعى أميزوسيس ليفديه من الأسر، فما أن خرج أميزوسيس من الأسر ورأى صديقه الحميم دانداميس قد قلع عينيه حباً ووفاءً له، حتى أنه لم يطق أن يراه هكذا بسببه فما كان

---

(125) H. D. Betz., *Galatians*, p. 228, cited by Bruce., *op. cit.*, 211.

منه إلاَّ أن قلع عيني نفسه وفاءً بوفاء. ويبدو أن هذه القصة كانت شائعة أيام بولس الرسول.

ولكن لا تمر علينا نحن أيضاً هذه القصة دون أن نرى فيها نوعاً من الوفاء الخالي من البصيرة!! فبالرغم من علو هذا القدر من هذا المثال في صنيع الفدية لهذين الصديقين، إلاَّ أنها تصغر وتتضاءل أمام وصية الرب التي تحمل الإماتة الحقيقية التي تتجاوز كل الإمكانيات والتصورات البشرية، ولذلك صارت معيار المسيحية الأول والصادق: «أحبُّوا أعداءَكم، باركوا لاعنيكم، أحسِنُوا إلى مبغضيكم، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت 44:5). فهنا وبحسب وصية الرب والمخلِّص يستدرجني المسيح أن أكون على استعداد أن أُقبِّل مَنْ رفع عليَّ السكين، أو أحتضن مَنْ يصوِّب عليَّ مسدسه، أو أعطف وآوي قاتل أخي أو قاتل أُمي؟؟

+ «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.» !(لو 34:23)

فإن سألني سائل كيف يكون هذا وبأي مشاعر يكون، أقول سائلاً مَنْ يسألني: إن اقتحم عليَّ قاتل وأطلق عليَّ رصاصة أو سكيناً أصاب قلبي ووقعت وأسلمت الروح فإلى أين ينتهي بي المصير؟ أليس في السماء لأحظى بوجه الحبيب وأندسَّ بين زمرة القديسين والشهداء؟ فماذا يكون لسان حالي أو شعوري بالنسبة للذي أسكنني السماء في لحظة وأوصلني إلى مَنْ تحبه نفسي وضمني إلى زمرة القديسين والأحبة؟ إذن فلو كنَّا باستعداد الرحيل السعيد وعلى شوق لاستيطان السماء فماذا يفرق عندي بين "سكتة قلب" أو سكين في القلب؟ أو ليست ضربة سكين في القلب أرحم ألف مرَّة من طعنات مرَّة لآلام مستمرة من مرض لا يرحم؟

16:4 **«أفقدْ صِرْتُ إذاً عَدُوًّا لكُمْ لأنِّي أصْدُقُ لكُمْ؟».**

القديس بولس هنا يقصد هؤلاء اليهود المزعجين الذين قلبوا حق الإنجيل في ضمائر هؤلاء الغلاطيين الأغبياء، ليعتبروه أنه ليس حقًّا، وبالتالي يقع ق. بولس كإنسان لا يقول الصدق أو الحق من جهة الإنجيل، فإن كان الأمر كذلك فهو حتماً عدو! فهنا إذ ينتهي هؤلاء الغلاطيون إلى النطق بأن ق. بولس صار عدواً لهم بسبب تقديمه حق الإنجيل لهم يكشف في الحال مدى كذب وافتراء هؤلاء اليهود المزعجين. كذلك أراد ق. بولس هنا أن يقرن صدقه بصدق الإنجيل، فإن كان صدقه قد صار كذباً، فالكذب واقع على الإنجيل وبهذا يجعل ق. بولس حق الإنجيل ـ بحد ذاته ـ أقوى كشّاف لافتراء هؤلاء المزعجين.

وبهذا الاتهام الذي يرفعه ق. بولس على الغلاطيين إنما يضعهم في موقف صعب إذ يجعلهم في مواجهة مع الله الذي يُهينُونَه بهذا التصرف، وهو مطابق لتصرف شعب إسرائيل في البرية يوماً ما:

+ «وقال الرب لموسى **حتى متى يُهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يُصدِّقونني** بجميع الآيات التي عَمِلتُ في وسطهم. إني أضربهم بالوباءِ وأُبيدهم وأُصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم ..؟» (عد 14: 11و12)

وفي موضع آخر أيضا:

+ «فقال موسى بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي، إن مات هؤلاء كموت كل إنسانٍ وأصابتهم مَصِيبَةُ كُلِّ إنسانٍ فليس الرب قد أرسلني، ولكن إن ابتدع الرب بدعةً وفتحت الأرضُ فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياءً إلى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب.» (عد 16: 28-30)

وبهذا المعنى تماماً سبق الرب يسوع ووضع قانوناً محدداً بالنسبة للكارزين باسمه: «الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يُرذلكم يُرذلني، والذي يُرذلني يُرذل الذي أرسلني» (لو 16:10). وبهذا أوقف المسيح كل مَنْ يقاوم المبشرين باسمه موقف التحدِّي لله ذاته.

ولكن على قدر ما أعطى الله الكارزين باسمه سلطان الله ذاته ومصداقيته فيما يقولون وفيما يعملون، إلاَّ أن الله لم يترك الكارز ليعبث بهيبة الله ويهين كرامته بسلوكه الخاطئ، فحتى موسى المشرِّع العظيم الذي كان في موضع الكرامة المتعالية جداً عند الله، هذا لم يسلم من تأديب الرب ومؤاخذته لمَّا لم يقدِّس الله في أعين الشعب وذلك في موضع الصخرة التي أخرجت ماءً:

+ «وجمع موسى وهرون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم: **اسمعوا أيها المردة، أمِنْ هذه الصخرةِ نُخرجُ لكم ماءً.** ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرَّتين فخرج ماءٌ غزيرٌ فشربت الجماعة ومواشيها.» (عد 20: 10و11)

+ «وقال الرب لموسى اصعد إلى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التي أعطيت بني إسرائيل، ومتى نظرتها **تُضمَّ إلى قومِكَ أنتَ أيضاً كما ضُمَّ هرون أخوكَ،** لأنكما في برية صِينَ عند مخاصمة الجماعة (من أجل الماء) **عصيتُما قولي: أن تُقدِّساني بالماء أمام أعينهم.** ذلك ماءُ مريبةِ قادش في برية صِينَ.» (عد 27: 12-14)

وموسى يعترف بذلك:

+ «**وعليَّ غضب الرب بسببكم** قائلاً: وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك.» (تث 37:1)

+ «أنا اليوم ابن مائة وعشرين سنة، لا أستطيع الخروج والدخول بعد، **والرب قد قال لي لا تعبر هذا الأردن.**» (تث 2:31)

+ «اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قُبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل مُلكاً، **ومُتْ في الجبل الذي تَصعَدُ إليه** وانضمَّ إلى قومِكَ كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُمَّ إلى قومهِ، **لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبةِ** قادش في برية صِينٍ **إذ لم تُقدِّساني في وسط بني إسرائيل.** فإنك تنظر الأرض من قُبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أُعطيها لبني إسرائيل.» (تث 32: 49-52)

يا إخوة ويا آباء ويا كارزين باسم الرب، حذار أن تستهينوا بخدمتكم ولا تقدسوا الله بأقوالكم وأعمالكم في وسط شعبكم. حذار أن تخونوا الرب خيانة في الخفاء أو العلن لأنه يغفر ولا يبرِّئ والعقاب مر وشديد، فهذه كلها كُتبت لنا ومن أجل تعليمنا وبها تبطل كل حجج عدم المعرفة. وصخرة الماء التي صارت "مريبة ومخاصمة" وبسببها حُرِم موسى من دخول أرض الميعاد، هو هو صخر خلاصنا الذي قيل عنه وتسجَّل لنا وعلينا: إن مَنْ يقع عليه يترضَّض ومَنْ وقع هو عليه يسحقه!!! (مت 44:21)

17:4 **«يَغارُونَ لكُمْ ليْسَ حَسَناً، بَلْ يُرِيدُونَ أنْ يَصُدُّوكُمْ لِكَيْ تَغارُوا لهُمْ».**

يكشف هنا القديس بولس ـ بنعمة الله ـ التواء المكر والخداع الذي يعمل به هؤلاء القوم الذين يدَّعون الأمانة على الإيمان والغيرة التعليمية الأبوية الصادقة على هؤلاء الغلاطيين المخدوعين بمكر الحية ودهائها، فيرى ق. بولس في أمانتهم للأمانة ما هو ليس حسناً بل سوء نية والتفافاً على غباوتهم. أمَّا الغيرة التعليمية فهي أدوات الغش والخداع الذي جُبِلَت عليه الحية القديمة في إلباس الفخ ثوب الحسن والبهاء، والقصد شرير لإبعادهم عن حق الله وإنجيل المسيح، لكي لا يغاروا لله الغيرة المقدَّسة بل يستحوذون على غيرتهم لتعمل لحسابهم وأهدافهم!

والغيرة: zÁloj بحد ذاتها **فيما لله** تحسب موهبة ونعمة وعمل من أعمال الروح كما يصفها

ق. بولس في رسالته الثانية لكورنثوس:

+ «فإني أغارُ عليكم **غيرة الله،** لأني خطبتُكم لرجُلٍ واحدٍ، لأُقدِّم عذراء عفيفةً للمسيح. ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيَّة حواءَ بمَكرها (غيرتها الكاذبة الشريرة)، هكذا تُفسدُ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (2كو 11: 2و3)

إذن هكذا يا إخوة فليكن لكم إفراز النعمة وفهم الروح لكي تميِّزوا بين الغيرة الحق التي لله والغيرة التي بالخداع التي ليست حسنة أي تحوي ضلالة. فالغيرة الحق التي لله لا تؤول بشيء قط لا بالكثير ولا بالقليل ولا قيد شعرة ناحية التحزب ليخلخل الغيرة من نحو الله لتصير للشخص نفسه أو لشيء غير الله ذاته.

ولعلَّ أعظم غيرة من هذا الطراز هي التي أحسها ق. بولس في إنكاره للذات الذي بلغ القمة حينما قال: «فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروما من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد» (رو 9:3). فهنا ينكشف معدن ق. بولس المصفَّى كالذهب كأعظم كارز بالمسيح، يغير للمسيح إلى الدرجة التي يفرِّط بأعظم ربح ربحه في حياته وهو حبه للمسيح وحب المسيح له ليصير هذا الحب وهذا الانتماء لإخوته اليهود الذين لم يعرفوا المسيح وأنكروه، بدلاً عنه. وهنا غيرة ق. بولس لله والحق نقية من عيب الذات وشهوة التمجيد بمجد الله كما أوحى الشيطان لحواء: «يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما **وتكونان كالله ...**» (تك 5:3). هنا ضربة الحية المميتة أنها سقت حواء وآدم كأس حب التأله ـ كأس الشيطان الذي أراد هو أن يكون كالله فسقط سقطة الشؤم واللعنة الأبدية.

وكانت الخدعة المميتة التي دسّها هؤلاء اليهود المزعجون في تعليمهم لأهل غلاطية هي أنهم سحبوهم من تحت الإيمان بالمسيح، ليعودوا إلى إيمان موسى

وعمل الفرائض وغلَّفوا خدعتهم بمظهر الغيرة نحوهم لكي يصيِّروهم أولاداً لإبراهيم وتلاميذ لموسى.

+ «ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟ فشتموه وقالوا: أنت تلميذ ذاك، **وأمَّا نحن فإننا تلاميذ موسى.**» (يو 9: 27و28)

والحقيقة أن كل ما كان يطمع فيه هؤلاء اليهود المزعجون هو أن يكسبوا هؤلاء الغلاطيين لصفهم فيصيروا لهم من التابعين أكثر من أن يكونوا تابعين لموسى أو للناموس أو لله!!

يا إخوة ويا كارزون "بغيرة الله" حذار أن تحوِّلوا نفوس رعاياكم من غيرة الحق لله لكي يغاروا لكم أنتم لتصيِّروهم لكم من التابعين، فهذا هو كأس الحيَّة الذي شرب منه آدم.

4 : 18 «**حَسَنَةٌ هِيَ الْغِيْرَةُ في الْحُسْنَى كُلَ حِينٍ، وَلَيْسَ حِينَ حُضُورِي عِنْدَكُمْ فقطْ**».

ما أن كتب ق. بولس آيته السابقة «**لكي تغاروا لهم**» حتى انتبه بالروح لنفسه لأنه كان يشعر أن المؤمنين الذين قبلوا الإيمان على يديه كانت غيرتهم للمسيح تزداد ـ مجرد زيادة ـ حين حضوره في وسطهم، فانقبض قلبه في الحال وأدرك أن مثل هذه الزيادة في الغيرة إنما تؤول إليه وتعود إلى تعلقهم به، وهنا أحسَّ بالخطورة لئلاَّ يقع هو فيما حظَّر منه، أي يكون قد سلب غيرتهم لله وحوَّلهم ولو جزئياً لحساب نفسه. فهنا أعاد تحذيره هذا، ووضعه كقانون أن الغيرة لله ينبغي أن تكون كل حين ولا تزداد حين حضوره، وهذه هي الغيرة الحسنة. إلى هذا الحد كان هذا الكارز حريصاً منتبهاً إلى نفسه حتى لا يكسب لنفسه ما هو حق للمسيح وحده لئلاَّ يفقد الكل.

19:4 «**يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ**».

يبلغ ق. بولس هنا قمة البلاغة في تصوير ما يحدث فينا، كما حدث في ق. بولس نفسه «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2)، إنما على مستويات متعددة، بتصوير أن تغيير حياة الإنسان رهن قبول الإيمان بالمسيح كمن يقبل بذرة الحياة الأبدية في نفسه وروحه فتنمو بالتغيير المتواصل بواسطة الإنجيل "كلمة الحياة"، مما حدا بالقديس بطرس أن يكشف سر هذا الحق بقوله: إننا «مولودينَ ثانيةً، لا مِنْ

زرعٍ (بشر) يفنى، بل (بزرع الله) مما لا يفنَى، **"بكلمة الله الحيَّةِ"** الباقيةِ إلى الأبدِ»(1بط 23:1). حيث تعرِّف الكنيسة الولادة الثانية أنها "بالروح والكلمة" في ماء المعمودية. ثم يباشر ق. بولس بعد ذلك رصد نمو جنين الحياة الأبدية فينا بالتغيير المستمر من مجد إلى مجد، لأنه تغيير بالروح بالكلمة أيضاً أي بالإنجيل إلى شبه المسيح نفسه: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوفٍ (بدون برقع الناموس الذي يخفي نور الله الحقيقي الذي لا تحتمله العين المريضة)، كما في مرآةٍ (أي بوضوح وشفافية)، نتغير (بالتأثير المباشر كما من نور يتسلَّط على ظلمة) إلى تلك الصورة عينها، من مجدٍ إلى مجدٍ، كما من الرب الروح (حيث نتحوَّل في النهاية إلى نفس ملامح وجه المسيح).» (2كو 18:3)

والقديس بولس، ولو أنه لم يلتفت إلى أصل ومنبع هذه الرؤية الإلهية العالية القدر في جوهرها الحقيقي والعملي، ولكن الروح يشير إلى هذا الأصل بوضوح. فالمسيح الابن، كلِّي المجد، دخل بالروح في أحشاء الإنسان بالفعل والوجود المادي والإلهي معاً لمَّا حلَّ في أحشاء العذراء القديسة مريم **"كبذرة إلهية لجنين إلهي"**، وهكذا احتوى الإنسان في داخله المجد الإلهي الذي أخذ ينمو إلى أن بلغ ملء قامة الوجود الإلهي المتكامل كإنسان، وهو الإله، داخل الإنسان!! فأصبح المسيح يحيا فينا عن حق ورؤية ولمس ومشاهدة:

+ «فإن الحياةَ أُظهِرَتْ، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرتْ لنا.» (1يو 1:2)

والقديس بولس، لم يخرج عن هذه العملية الإلهية البالغة الاندهاش عندما صوَّر نفسه للغلاطيين كالعذراء التي تمخَّضت بالحق والفعل بالمسيح إلى أن تصوَّر في أحشائها كاملاً مكمَّلاً. فهنا ق. بولس يصوِّر نفسه كالبشرية التي أُنعم عليها هذا الإنعام العالي في شخص العذراء بأن حلَّ المسيح في أحشاء البشرية ككل، وأخذ منها مظهره الوجودي بالكامل بالرغم من أنه هو الإله الذي أوجد البشرية كلها كخليقة مخلوقة على صورته.

أمَّا بلوغ المسيح فينا ملء قامته في المجد المؤثر فينا بالقيامة والمعطي الحياة وروح الحياة، يصوِّره بولس الرسول في أمر المعمودية بأننا نحن الذين اعتمدنا للمسيح موتاً وقيامة، نكون قد **لبسنا المسيح** بالحق (غل 27:3)!! بمعنى أن الإنسان العتيق فَقَدَ وجوده وسطوته الفعلية ليستعلن الإنسان الجديد فينا الذي هو هو المسيح القائم من بين الأموات بمجد الآب، الذي به أُعطي لنا أن ندخل إلى الآب ونتراءى بروح ابنه، ونتراءى أمامه كأولاد وكقديسين وبلا لوم في المحبة.

فالمسيح، له المجد، باتضاعه المذهل وحسب مشورة الآب العلوية، أتى وحلَّ في وسطنا بمعنى في أحشائنا، بحسب إشعياء الذي صرخ بالروح: «لأنه **يُولد لنا ولدٌ ونُعطى ابناً** وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام.» (إش 6:9)، كما ويسمَّى عمانوئيل **أي الله معنا** (إش 14:7).

والمسيح استحالة أن يكون معنا أو في وسطنا أو في أحشائنا كجماعة معاً إذا لم يوجد ويتصوَّر ويولد في قلب كل واحد بالإيمان الفعَّال بالمحبة: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف 17:3)، وبقوة الكلمة المحيية المقيمة من الموت وبفعل التغيُّر والتجدُّد الدائم بالروح، الذي يشبهِّه القديس

بولس بالمخاض المؤلم، لأنه تغيير مستمر من الموت إلى الحياة، من العتيق إلى الجديد، من الجهالة إلى الحكمة، من الظلمة بأعمالها إلى النور بمسيرته. والتغيير في صميم معناه ومبناه فقدان مستمر من أجل ربح دائم!!

ولكن إن كان المسيح يولد حقاً في أحشاء **كل واحد** منَّا بالإيمان الفعَّال المحيي، فالمسيح يعود ويتخذ من جماعة المؤمنين ككل استعلان وجوده بجسده الحقيقي السرِّي!! فالكنيسة ككل المؤمنين معاً هي جسد المسيح الحقيقي، **هي المسيح المتجسِّد**، وقد استودعها ملء ما له:

+ «وما هي عظمةُ قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدَّةِ قوَّته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات (من أجلنا)، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات (من أجلنا)، فوق كل رياسةٍ وسلطانٍ وقوَّةٍ وسيادةٍ، وكل اسمٍ يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيءٍ **"للكنيسةِ"**، (لينتبه القارئ لحرف اللام) التي هي جسده، **ملءُ الذي يملأُ الكلَّ في الكلِّ.**» (أف 1: 19-23)

أمَّا نصيب ق. بولس في هذه الولادة الثانية بالنسبة للمؤمنين ككارز ومولِّد ومُرضعة، فقد عبَّر عن ذلك بإبداع تصويري هكذا: «كنَّا مترفقين في وسطكم **كما تربِّي المُرضِعَةُ أولادَها**، هكذا إذ كنَّا حانِّين إليكم، كنَّا نرضَى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتُم محبوبين إلينا. فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدَّنا» (1تس 2: 7-9). فهو يُحسب إذاً، لا متمخضاً بهم وحسب بل ومولِّداً ومرضعاً ومربياً معاً.

والقديس بولس هو صاحب المبدأ اللاهوتي أن الإنسان لا يولد في لحظة ولا يتغيَّر مرَّة واحدة، ولكن «لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج **يفنى**،

فالداخل يتجدَّد يوماً فيوماً.» (2كو 16:4)

ونحن نعرف ونؤكد أن ما من سيرة قديس بلغ التجديد الروحي إلاَّ وكان سر الإنجيل سرَّه!! وهكذا نعود على ذي بدء كما قرر ق. بطرس: «مولودينَ ثانيةً، لا مِنْ زرعٍ يفنى، بل مما لا يفنَى، **بكلمة الله**[126] الحيَّةِ (الإنجيل) الباقيةِ إلى الأبدِ» (1بط 23:1). وهذه هي معجزة الله في

[126] الكلمة مصدر ولادة ثانية.

الإنسان إذ قد أوجد له في نفس الإنسان وروحه مكان راحة ليستريح فيه بروحه القدوس. وهيأ من الإنسان سكنى أبدية لابنه:

+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم؟» (1كو 6:19)، «الذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه ... **وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.**» (يو 14: 21و23)

على أن أساس التغيير **وسر التجدد يقوم في سر المعرفة**، أي انفتاح الذهن الروحي على كلمة الإنجيل:

+ «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (في المعمودية بسر الإيمان والاعتراف)، ولبستم الجديد (بسر القيامة) الذي **"يتجدَّد للمعرفة"**[127] حسب صورة خالقه.» (كو 3: 9و10)

ويجيء هذا المبدأ بصورة واضحة ومختصرة في رسالة أفسس هكذا:

+ «أن تخلعوا ... الإنسان العتيق ... وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبَسُوا الإنسان الجديد المخلوق بحسبِ اللهِ في البرِّ وقداسةِ الحقِّ..» (أف 4: 22-24)

ومن مبدأ بولس الرسول أن الإنسان لا يحوز على هذا التجدد الفائق في طبيعته لينال هذا القدر العجيب من الحلول ومن الألفة مع روح الله والقربى والتبني: بالإيمان وحده، أو بالمعمودية وحدها كفعل سرائري للولادة من فوق بحد ذاته، أو فقط بالانفتاح على الإنجيل بوعي وذهن مفتوح، أو بقبول سر الروح القدس المالئ لكيان الإنسان كنعمة جليلة القدر، بل هذه كلها معاً، بحيث يستحيل على الإنسان أن يرصد أيًّا كان هو البداية وأيًّا تكون النهاية، ولكن ما يؤكده بولس الرسول في رسائله جميعاً أن هذا هو نصيب الإنسان من غنى محبة الله، كل مَنْ آمن وقَبِلَ العهد

(127) الكلمة مصدر تجديد للذهن.

بدم ابنه، وأن هذا هو المصير الحتمي للإنسان الجديد مهما طالت به الأيام والانقسامات والمحن «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى "**إنسانٍ كاملٍ". إ**لى قياس **قامة ملء المسيح.**» (أف 13:4)

وهذه بديهة إلهية، لأنه إن كان المسيح قد حلَّ في أحشاء البشرية **بملء لاهوته،** فحتماً سيحوِّل البشرية إلى ملئه، لأنه حتماً سيقضي على كل تقسُّم ونشاذ وتمرُّد في طبيعة الإنسان ليبلغ به القصد

والغاية التي من أجلها قَبِلَ التجسُّد! ومن أجلها قَبِلَ الآب أن يبذل «ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 16:3). وبديهي أن لا يقبل الابن ثمناً لصليبه بأقل من أن يربح البشرية في خلقتها الجديدة لحساب الآب. ومرَّة أخرى نوعِّي القارئ أن المسيح لا يجمع البشرية ككل إلاَّ من خلال الفرد، فأنت أيها القارئ العزيز "صورة الكل". لأن الإنسان الواحد إذا قيس بمنظار الله على مستوى فعل الفداء الفادح الثمن لكان هو أعظم من العالم. فالإنسان الروحي في حقيقته اللاهوتية، هو صورة العالم الإلهي الأكبر Macrocosm والحامل لوحدته الأُولى.

20:4 **«وَلَكِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَاضِراً عِنْدَكُم الآنَ وَأُغَيِّرَ صَوْتِي، لأَنِّي مُتَحَيِّرٌ فِيكُمْ!».**

القديس بولس في هذه الآية يعلن للغلاطيين حيرته = ضيقه من سلوكهم الذي يصعب عليه أن يوجهه الوجهة الصحيحة بالرسالة والكلمة المكتوبة، لأن الرسالة والكلام المكتوب يحتاج إلى تعقُّل وفهم صحيح، والغلاطيون أظهروا من سلوكهم أنهم فقدوا التعقل والفهم مما اضطَّرَه أن ينعتهم بالغباوة. وفي الحقيقة ليس ق. بولس وحده بل الله نفسه أعلن جهاراً أن إنسان إسرائيل بلغ من الحماقة والعناد والجهل معاً مما امتنع على الله أن يخاطبه بالكلمة: لا بالأنبياء ولا بالناموس ولا بأي وسيلة، فلم يبقَ لدى الله إلاَّ العصى والكوارث والأوبئة، وحتى وبهذه لم يتأدَّب إسرائيل أو يتوب:

+ «أمَّا من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار بسطتُ يديَّ إلى شعبٍ معاندٍ ومقاومٍ.» (رو 21:10)

ولكن السؤال هنا هام للغاية: كيف ولماذا لا يسمع الإنسان "لكلمة الله" حينما تأتيه واضحة قوية وفي حينها؟

هنا الجواب خطير للغاية، فالشيطان يترصَّد كلمة الله بأقصى ما يمكنه من الدهاء والخداع والتزييف حتى يفوِّت على الإنسان خلاصه ونعمته وحياته. اسمع ما فعل الشيطان بفم الحية كيف أسقط الإنسان الأول عن طريق تزييف الكلمة!

استدراج: «أحقاً قال الله: لا تأكلان من كل شجر الجنة؟» (تك 3:1)

واضح هنا أن التزييف جاء باستدراج الشيطان لحواء من ذات كلمة الله ولكن أضاف عليها

زيادة من عنده ليغريها على الكلام والدفاع. لأن الله لم يقل أبداً أن لا يأكل الإنسان من كل شجر الجنة!

جواب حواء الساذج الذي أعطى الفرصة للشيطان أن يصحِّح الحق بالكذب!: « فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل، وأمَّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلاً تموتا.» (تك 3:2)

تكذيب قول الله وتلفيق اتهام نحو الله بالكذب: «فقالت الحية للمرأة: **لن تموتا،** بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر.»(تك 3:4و5)

هنا نفي قول الله «لن تموتا» هو تكذيب الله إنما مغطًى بتزييف خطير لأنهما لن يموتا حالاً بالجسد بل تدخلهما لعنة الموت الأبدي غير المنظور. ثم قول الشيطان إن بالأكل تنفتح أعينهما ويصيران عارفين الخير والشر هو صحيح شكلاً ولكن جوهرياً هي معرفة عاجزة عن التمييز الصحيح وعاجزة عن التوقُّف عن الفعل. فالمعرفة للشر عند الإنسان يتبعها إغراء شيطاني خطير للفعل، والمعرفة للخير عند الإنسان لا يتبعها قدرة لفعل الخير. وهكذا لم يصيرا كالله كما ادعى الشيطان وأغرى الإنسان، فسقط الإنسان في معرفة الشر وفعله وعجز عن فعل الخير مهما بلغت معرفته.

ومحصلة هذا الحوار الشيطاني كانت سقطة الإنسان التي كلَّفت ملايين البشر حتى اليوم تورُّطاً في المعرفة الشريرة ويتبعها تورُّط في عمل الشر ثم تورُّط في إدمان الشر إلى حد فقدان كل قوى حرية الإنسان!!

والقديس بولس أعطى هذه الرؤية عينها لأهل كورنثوس معتبراً أن الحية لها نفس القدرة على غواية الإنسان كما كان على حواء:

+ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيَّة حواءَ بمَكرِها، هكذا تُفسدُ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (2كو 3:11)

أمَّا العلاج الذي قدَّمه الله للإنسان في بلواه هذه فهو بواسطة "الكلمة" مرَّة أخرى ولكن أعطى لكلمته أن تتجسَّد، أي تدخل كلمة الله عالم الإنسان منظورة ومسموعة ومحسوسة، حتى تتخطَّى كل حيل الشيطان العقلية، فأصبحت كلمة الله وهي "ابنه" وهي "نور الحق والحياة" قادرة أن

تدخل أعماق قلب الإنسان وتستأثر فكره، وأصبح الإنسان قادراً أن يقبل كلمة الله الحية القادرة أن تلده من جديد ولادة روحية أعلى من كل مراوغات الجسد الحسِّي. فأصبح **علاج الإنسان الميت** بالخطية وكلمة الشيطان المزيفة، هو «**ينبغي أن تولدوا من فوق**» (يو 3:7) وهو طريق الحياة الأبدية والملكوت!!

+ «**مولودينَ ثانيةً**، لا مِنْ زرعٍ (إنسان) يفنى، بل مما لا يفنَى، **بكلمة الله** الحيَّةِ (زرع الله) الباقيةِ إلى الأبدِ.» (1بط 1:23)

والوصية الأخيرة للإنسان أن لا يسمع لكلمة الشيطان لأنها مزيفة أكيداً ومميتة دائماً.

3 ـ ابن الجارية يمثِّل الناموس للعبودية
وابن الإيمان يمثِّل الحرية
[4: 21-31]

في هذه الآيات من (21ـ31) من هذا الأصحاح يدخل ق. بولس في شرح جديد يوضِّح فيه للغلاطيين ارتفاع قيمة عهد النعمة والحرية بالمسيح يسوع عن عهد سيناء عهد الخطية والعبودية بالناموس وللناموس.

ولكن لأن القديس بولس شبَّه عهد سيناء بهاجر عبدة سارة التي دخل عليها إبراهيم فولد منها إسماعيل، فأسماه العهد الوالد للعبودية، ثم شبَّه الآخر أو الجديد بعهد الموعد الذي من إسحق. جاء هذا التشبيه ولو أنه كان على سبيل الرمز كما يقول القديس بولس الرسول: «وكل ذلك رمز» (غل 24:4)، إلاَّ أن الشرح بدا معقَّداً للغاية فأربك العلماء وانتحوا به كل منحى. وسوف نقدِّم المفهوم العام أولاً ثم نبدأ نشرح الآيات.

المفهوم العام:

في حياة إبراهيم دخلت العلاقة بينه وبين الله على مرحلتين:

المرحلة الأولى:

كان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حينما أعطى اللهُ وعوداً لإبراهيم ختمها بعلامة الختان في عضو الذكر بالنسبة لإبراهيم نفسه وكل ولدان بيته المشترين بالفضة والمولودين من العبيد:

+ «وقال الله لإبراهيم: وأمَّا أنت فتحفَظُ **عهدي**، أنت ونسلُكَ مِنْ بعدِكَ في

أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختتن منكم كل ذكر. فتُختَنُون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهدٍ بيني وبينكم. ابن ثمانية أيامٍ يُختَنُ منكم كل ذكرٍ ... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً.» (تك 17: 9-13)

المرحلة الثانية:

+ «وقال إبراهيم لله ليتَ إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتُك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق، وأُقيم **عهدي معه: عهداً أبدياً لنسله من بعده.**»(تك 17: 18و19)

+ «وافتقد الرب سارة كما قال، وفعل الرب لسارة كما تكلَّم. فحبلت سارة وَوَلَدَتْ لإبراهيم ابناً في شيخوخته، في الوقت الذي تكلَّم الله عنه. ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة إسحق.» (تك 21: 1-3)

ولمَّا جرَّب الله إبراهيم بأن طلب منه أن يقدِّم إسحق ذبيحة له، أطاع إبراهيم، وفي آخر لحظة منع الله يد إبراهيم من أن تنزل بالسكين على رقبة الولد:

+ «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال: بذاتي أقسمت يقول الرب ... أباركك مباركة وأكثِّر نسلك ... ويتبارك في نسلك (بالمفرد) جميع أُمم الأرض.»(تك 22: 15-18)

وهكذا دُعِيَ هذا العهد مع إبراهيم بعد تقديمه لإسحق بالوعد أو الموعد.

إذن فهناك في حياة إبراهيم عهدان: **عهد الختان** الذي أخذه في حياة إسماعيل وبوجود هاجر العبدة. **وعهد الموعد** الذي سيقيمه الله في "نسله". العهد الأول كان يرمز كما يرى ق. بولس للعبودية لأنه أخذه في حياة إسماعيل من هاجر. والعهد الثاني كان يرمز للحرية لأنه قد أخذه في حياة إسحق الذي وُلِد من سارة.

ثم دخل شعب إسرائيل في العبودية 400 سنة في مصر، كما أنبأ الله إبراهيم في الرؤيا وخرجوا من العبودية بيد موسى ودخلوا سيناء حيث أعطاهم الله الناموس (وهو الجزء القانوني من التوراة) الذي كان يقوم أساساً على الختان في لحم الجسد مع وصايا وفرائض لتهذيبهم لأنهم كانوا متغربين جداً عن الله، وبالرغم من أن الله

كان يدعوهم أبناءه ولكنهم كانوا قاصرين للغاية لا يَفْرقون عن العبد الذي يحتاج إلى تأديب، فدخلوا تحت عبودية الناموس وطال تأديبهم جداً حتى جاء ميعاد ميلاد "النسل" الموعود به لإبراهيم وهو المسيح بن داود بن إبراهيم، وهو في الحقيقة ابن الله المتجسِّد ليهب الشعب حرية الروح والميلاد الجديد من فوق.

وهكذا كما عبر إبراهيم على عهد الختان ـ رمز العبودية ـ بسبب إسماعيل وهاجر، ثم عهد الموعد رمز الحرية بسبب إسحق وسارة، هكذا عبر إسرائيل كله عهد العبودية في سيناء الذي هو

عهد الختانة والناموس حتى جاء عهد الموعد للحرية بالمسيح النسل الموعود.

إذن فلا يستغربن القارئ حينما يسمع ق. بولس يقول سيناء الذي هو هاجر الوالد للعبودية! والتي يتبعها حتماً أُورشليم في وضعها الأول تحت العبودية، ثم يقول إننا أولاد أُورشليم السمائية أمنا الحرَّة. فالقديس بولس عَبَر بالفعل عهد الناموس والختانة وعبودية فرائض سيناء ثم دعاه المسيح من السماء ليكون رسولاً له حرًّا من الناموس والختانة ليبشِّر كل الأُمم بحرية المسيح، بأُورشليم السمائية وطننا السمائي.

وكأني بالقديس بولس يزجر الغلاطيين الذين لسان حالهم يقول: «ليت إسماعيل يعيش أمامك» ! وكأنهم يمتّون لهاجر وليس لسارة، أو كأنهم نسل إسماعيل وليس إسحق!! وإلاَّ كيف يرتضون بعهد سيناء والعودة لعبودية الناموس بعد أن آمنوا بالمسيح وذاقوا حرية أولاد الله؟

ولكن الزجر لائق لنا أيضاً نحن الذين نود أن نجالس الجالسين في الظلمة وكأنما لم يشرق علينا نور، أو نعمل أعمال العائشين في الخطية وكأنما المسيح لم يصلب لنا!!

21:4 «**قولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النـَّامُوسِ** = nÒmon (القوانين)، **أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ** = tÕn nÒmon (التوراة)؟».

هنا ينبِّه بولس الرسول ذهن أي إنسان قارئ للعهد القديم (الذي يُدعى بجملته "الناموس")، ولكن في اليونانية جاءت كلمة الناموس الأُولى بدون تعريف أي بدون ألـ nÒmon ليحصرها بولس الرسول في معنى القوانين التي ليس لها سلطان الناموس ككل، أمَّا كلمة الناموس الثانية فجاءت معرَّفة بألـ tÕn nÒmon لتفيد

التوراة ككل.

وهنا فليفهم القارئ ما يقصده بولس الرسول وهو ربيب التوراة والناموس، أن القوانين إذا أُخذت بمفردها بعيداً عن التوراة تفقد قيمتها ومعناها وهدفها، فالتوراة أنبأت بعهد الموعد الآتي بالنسل الذي **ستتبارك فيه كل الأمم،** أمَّا الناموس كوصايا وقوانين فتقول إن الأمم كلاب وكل مَنْ يتعامل معهم يتنجَّس!! كذلك فالذي يتمم الوصايا والفرائض يُدعى ابن الوصية ويفخر بأدائه ويتعالى عن العالمين كالكتبة والفريسيين، أمَّا مَنْ يدرس التوراة فيعرف ويتأكد أن أعمال الإنسان كلها كخرقة منجَّسة تنجِّس موضعها!! ويعلم أن «ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو 12:3)، وأن «الجميع زاغوا وفسدوا معاً» (رو 12:3)،

«الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو 3:23)، «وكل مَنْ أخطأ في الناموس فبالناموس يدان.» (رو 2:12)

أو لماذا صلب رؤساء الكهنة والناموسيون والفريسيون "المسيَّا" الموعود لهم به، فخر ومجد أمَّتهم!! أليس لأنهم تمسكوا بالناموس nòmon (بدون تعريف أي القوانين والفرائض) دون بقية التوراة: وهي الأنبياء والمزامير وبقية الأسفار؟ وكأن المسيح يبكّتهم:

+ «أما قرأتم قط في الكتب.» (مت 21:42)
+ «تضلُّون إذ لا تعرفون الكتب.» (مت 22:29)
+ «ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما **الأمور المختصَّة به في جميع الكتب.**» (لو 24:27)
+ «فتِّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياةً أبديةً. وهي التي تشهد لي.» (يو 5:39)
+ «لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامي.» (يو 5: 46و47)
+ «لأنه (بولس) كان باشتداد يفحم اليهود جهراً مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح.» (أع 18:28)
+ «بولس عبدٌ ليسوع المسيح، المدعوٌّ رسولاً، المفرز لإنجيل الله، **الذي سبقَ فوعدَ بهِ** بأنبيائه في الكتب المقدَّسة.» (رو 1:1و2)
+ «وللقادر أن يثبِّتكم، حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح، حسب إعلان السرِّ الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية، ولكن ظهر الآن، **وأُعلِمَ به جميع الأمم بالكتب النبوية** حسب أمر الإله الأزلي، لإطاعة الإيمان.» (رو 16:

25و26)

+ «ثم قُلتُ: هنذا أجيءُ. في **دَرْجِ الكتابِ مكتوبٌ عنِّي،** لأفعل مشيئتكَ يا أللهُ.»(عب 7:10)

واضح الآن أمام القارئ لماذا ضلَّ إسرائيل عن معلّمه وفاديه وماسيَّاه!

واضح بالأكثر أمامنا أن بقراءة هذه الكتب التي هي الأنبياء جميعاً وكل أسفار التوراة التعليمية إنما تتثبَّتُ قلوبنا في معرفة الرب والشهادة له.

وبذلك يكون ق. بولس على صدق في تأنيبه الغلاطيين كونهم يريدون أن يكونوا تحت ناموس الوصايا والفرائض دون أن يتعلَّموا من التوراة ما هو القصد وما هي العبادة وحدودها ومنتهاها، مما جعلهم يتعبدون للناموس بمعنى العبودية من دون الله، لأن مَنْ يعبد الله عن حق فهو حرّ لأن الحق يحرر ولا يستعبد الناس إلاَّ الجهل أو الباطل.

22:4و23 «**فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ**».

هكذا تُحسب كل أعمال الإنسان، فالذي يعمله الإنسان من ذاته دون مشورة الله يُحسب أنه حسب الجسد، والذي يعمله بتدبير الله ومشورته يُحسب أنه وعد من الله ويحمل رسالته، غير أنه لا يمكن لإنسان أن يعمل من ذاته شيئاً لا يدخل تحت عين الله وحسابه حتى ولو كان شرًّا. فالله متحكم في أعمال الناس ومصائرهم. لذلك نسمع بولس الرسول في الآية القادمة يستخرج من الحدَثَيْن الحدَثَ الذي أكمله إبراهيم بالجسد والآخر الذي أُكمل له حسب الوعد عبرةً وقياساً لتحكُّم الله في مصائر الناس، إذ يقول:

24:4 «**وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ**».

أمَّا إبراهيم فلم يكن يدري وهو يسعى ليكون له نسلٌ من هاجر الجارية أن ذلك سيرفعه التاريخ إلى مستوى المعيار لعهد العبودية في سيناء، فليس عجيباً أن يسمِّي ق. بولس «**عهد سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر**». مع أنه بحسب الظاهر لا

علاقة بين هاجر وسيناء، فسيناء في الصحراء العربية وهاجر مصرية، ولكنها عربية كانت أو مصرية فهي جارية. وأن يلتصق إبراهيم أبو الآباء بجارية فتصير الجارية واحداً معه فحتماً يدخل عنصر العبودية في صميم نسل إبراهيم عامة، ليس من هاجر وإسماعيل خاصة بل ومن سارة، لأن ما يقترفه الآباء يرثه البنون، فتحتَّم أن يرث الخارجون من صلب إبراهيم ـ بحد ذاته ـ شهوة العبودية والالتصاق بها. فدفع بنو إسرائيل في مصر وسيناء دين العبودية سواء تحت قسوة فرعون أو سطوة ناموس موسى. إذن فناموس سيناء يمتّ بصلة صحيحة بهاجر، من حيث العبودية وحسب!! لذلك أكمل ق. بولس المعنى المخفي بقوله: «الوالد للعبودية»

ولكن الذين وقعوا تحت عهد ناموس سيناء الوالد للعبودية هم أنفسهم مدعوون للانسلاخ من ناموس العبودية للدخول في عهد الحرية والتبني والاستيطان في أُورشليم السماوية، أمَّا الذي يرتئي أن يبقى تحت ناموس موسى الوالد للعبودية فيحق عليه قول سارة الذي وافق عليه الله: «فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق.» (تك 10:21)

فانظر عزيزي القارئ كيف تتحوَّل هذه الحوادث المسجَّلة في حينها إلى رموز والرموز إلى حقائق تمسّنا نحن من القريب ومن البعيد، إذ لا تخلو حياتنا من "هاجر" ـ أو الناموس الوالد للعبودية ـ فالميل إلى العبودية والالتصاق بها تحت وطأة الشهوات أو المظاهر أو الأباطيل أو العادات أو الأعمال التي تسلب الإرادة، هو عنصر لا يزال ينخر في عظام الكثيرين.

25:4 **«لأنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا».**

هكذا انتهى ق. بولس من التعبير عن عبودية شعب إسرائيل في سيناء للناموس باصطلاح "هاجر" بمعنى العبودية، فإسرائيل مارس حياة إبراهيم الأُولى مع هاجر وابنها إسماعيل هكذا لا لأنهم ذوو صلة بهاجر نفسها أو بابنها إسماعيل ولكن صلة عبوديتهم هي بإبراهيم نفسه الذي عاش مع عبدةٍ والتصق بها في حياته، فإسرائيل كنسل إبراهيم مرُّوا بهذه العبودية كأبيهم إبراهيم لا مع هاجر بل مع سيناء والناموس. وليس ذلك فحسب بل وامتدت عبوديتهم حتى أُورشليم التي كانت وقت ما كتب ق. بولس رسالته إلى غلاطية في حالة العبودية للرومان. ولم تنتهِ حياة عبودية إسرائيل وانتقالهم إلى رمز إسحق وسارة أي الحرية كأحرار إلاَّ بالمسيح **"النسل"** الموعود به لإبراهيم. لأن قول الله لإبراهيم «أنه بإسحق يُدعى لك نسل»

و"**النسل**" لا يدعى مباركاً وتتبارك به كل أُمم الأرض إلاَّ في المسيح!! وحقيقة أن أُورشليم كانت تعيش عبوديتها بالفعل كمتغربة عن الحرية الحقيقية، كونها لم تتعرف على الحرية والحق والنور والحياة لمَّا أتتها في المسيح بل قتلته بيديها.

26:4 «**وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعاً، فَهِيَ حُرَّةٌ**».

وإن كان يبدو اصطلاح «أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً» وكأنه غريب نوعاً على مسامعنا، ولكن المسيح نفسه هو الذي وضع أساس هذا التعبير بقوله: «ينبغي أن **تولدوا من فوق**» (يو 7:3)؛ فنحن مولودون من فوق ولا نعرف لنا مكاناً أو وطناً فوق إلاَّ أُورشليم العليا. وعاد المسيح

وقَبْلَ الصليب مباشرة وقال: «أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو 14: 2و3). فأورشليم العليا بتعبير الروح هي مدينة السلام مركز العلي: منها ولها وُلدنا بالروح القدس، فهي وطننا السماوي وأمنا بآن واحد. فهي الكنيسة السماوية العروس السمائي:

+ «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدَّسة أُورشليم الجديدة نازلةً من السماء من عند الله مهيأةً كعروسٍ مزيَّنةٍ لرجُلِهَا. وسمعت صوتاً عظيماً من السماءِ قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم ... ثم جاء إليَّ واحدٌ من السبعةِ الملائكة ... وتكلَّم معي قائلاً: هلمَّ فأُريكَ العروس امرأة الخروف. وذهب بي بالروح إلى جبلٍ عظيمٍ عالٍ، وأراني المدينة العظيمة أُورشليم المقدَّسة نازلةً من السماء من عند الله، لها مجد الله ... ولن يدخلها ... إلاَّ المكتوبين في سفر حياة الخروف.» (رؤ 21: 2و3و9-11و27)

واضح من كلام هذه الرؤيا العجيبة أن أُورشليم العليا التي يتكلَّم عنها ق. بولس هي عند ق. يوحنا امرأة الخروف أي الكنيسة الروحية السمائية التي منها ولدنا ولها نعيش وإنها حقًّا أمنا جميعاً!!

فمقابل **هاجر** سيناء في (الصحراء) العربية يذكر ق. بولس **أورشليم العليا** أُمنا جميعاً (يهود وأُمم) الأُولى رمز العبودية الجنة الأرضية (هاجر) والثانية هي أم الحرية السمائية الروحية والبركة (سارة).

وهكذا ينتقل ق. بولس من التوراة إلى الإنجيل بسهولة، ومن هاجر العبدة إلى سارة الحرة والموعد والأمم. ولكن خطاب ق. بولس هنا لأهل غلاطية تصويري

في غاية العمق ينتقل من الرمز إلى الحق بغير شرح فهو يعتمد على الوعي المفتوح على التوارة والإنجيل معاً. ولكن حدود المقارنة واضحة من هاجر وسيناء والناموس وعبودية إسرائيل، إلى سارة وأورشليم العليا والحرية، الأُم الروحية للجميع يهود وأُمم.

27:4 «**لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اهْتِفِي واصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ**».

القديس بولس هنا يستعير كلام إشعياء النبي في الأصحاح الرابع والخمسين، حيث يخاطب أُورشليم في حالتها الأولى قبل السبي وكأنها أم مخصبة لها بعل، وحالتها أثناء السبي كأم مهجورة

بلا زوج ولا بنين، ثم حالتها بعد السبي وهي مسرورة بعودة بنيها مرَّة واحدة دون مخاض أو ولادة حيث صار أولادها بعد السبي أكثر مما كانوا قبل السبي. وهذا هو الشرح الضعيف المحدود بالرؤية الموضعية الزمنية. أمَّا الشرح الروحي الذي بلا حدود وفوق الزمن فهو المقارنة بين وضع أُورشليم وهي مستعبدة مع بنيها اليهود وبين أُورشليم المتجلية لمجيء المسيَّا إليها في موكب قديسيه مع ملائكته حيث تصبح صهيون الروحية جامعة بين اليهود الذين سيؤمنون مع جميع الأُمم المؤمنين:

«ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب »(إش 59:20)، ويخاطب الوحي أُورشليم الجديدة:

+ «قومي استنيري لأنه جاء نوركِ، ومجد الرب أشرق عليك. لأنه ها هي الظلمة تغطِّي الأرض، والظلام الدامس الأمم. أمَّا عليكِ فيُشرقُ الرب ومجده عليك يُرى. فتسير الأمم في نوركِ والملوك في ضياءِ إشراقكِ. ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري! قد اجتمعوا كلهم (عودة جميع اليهود من أطراف العالم إلى إسرائيل) جاءوا إليكِ: يأتي بنوكِ من بعيدٍ وتُحمَل بناتُكِ على الأيدي، حينئذٍ تنظرين وتنيرين ويخفقُ قلبكِ ويتَّسع لأنه تتحوَّل إليكِ ثروة البحر، ويأتي إليكِ غنى الأمم ... وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتكِ، وبرضواني رحمتكِ. وتنفتح أبوابك دائماً، نهاراً وليلاً لا تُغلق ... وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميكِ ويدعونكِ مدينة الرب، صهيون قدوس إسرائيل! ....» (إش 60: 1-5 و10و11و13)

ثم ينتقل الوحي فجأة من منظر أُورشليم وهي تستقبل بنيها من كل أطراف الأرض إلى وضعها وهي مستنيرة بنور المسيَّا الذي يستعلن لليهود فيعودون ويؤمنون:

+ «لا يُسمع بعد ظلمٌ في أرضكِ ولا خرابٌ أو سحقٌ في تخومكِ. بل تسمِّين أسواركِ خلاصاً، وأبوابك تسبيحاً. لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار، ولا القمر ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لك نوراً أبديًّا وإلهكِ زينتكِ ... وشعبكِ كلُّهم أبرارٌ.» (إش 60: 18و19و21)

لذلك ننبِّه ذهن القارئ أن ق. بولس يتكلَّم من إشعياء على مستوى زمنه هو ولكن إشعياء يتكلَّم عن رؤيا آخر الأيام، وها هي تبدأ إرهاصاتها الأُولى بعودة اليهود في زمننا هذا إلى أُورشليم من أطراف العالم وظهور المسيَّا يسوع شخصياً للكثير من اليهود الذين آمنوا وتنصَّروا واعتمدوا

ويأتون يسبِّحون بانتظار الآتي!

28:4 **«وَأَمَّا نَحْنُ أيـُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَقَ، أوْلاَدُ المَوْعِدِ».**

فإن كان: هاجر سيناء وناموس العبودية يليق بإسرائيل وأُورشليم تحت الحكم والاستعباد، **فإنه يكون:** إسحق ونسل الموعد ومسيًّا الحق والنور والحرية يليق بأبناء أُورشليم الحرة من السماء. فيقول ق. بولس: نحن الذين لم نعد بعد تحت ناموس الفرائض والختان وقد نلنا بالإيمان الموعد القدوس بالمسيح نسل البركة الذي به تتبارك كل أُمم الأرض، فنحن إذاً أولاد الموعد مع كل الأُمم الذين آمنوا بالمسيح يسوع فصاروا أبناء الحق والنور والحياة وبني العلي يدعون، لا غرباء بعد ولا نزلاء على الشعب المختار بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله، مواطنون سمائيون شركاء في الميراث والجسد بالإنجيل!

29:4 **«وَلَكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هكَذَا الآنَ أَيْضاً».**

هذا هو ناموس الأرض والجسد، وهذا هو ناموس السماء والروح.
فالمولود حسب الجسد هو ابن الأرض وصاحبها والمستمتع بخيراتها،

وابن الروح غريب على الأرض ليس له فيها وطن ولا إقامة، وكل غريب مكروه كمتطفِّل على الذي ليس له، مجرَّد شكله ووجوده وحديثه وسلوكه يوحي لابن الجسد والأرض بصغر النفس والعَدَمِيَّة، لأن ابن الروح والسماء له جوهر الوجود الدائم وسيماء العظمة والخلود، فمجرَّد ظهوره على الأرض هو بحد ذاته مهانة لأبناء الأرض يذكرهم بالفناء والعَدَمِيَّة التي يعيشون لها ويصوِّرون لهم الحرمان من الحق والنور والحياة.

قايين استبد به هذا الشعور فلم يتورَّع أن يقتل أخاه هابيل لأن هابيل حكم عليه بسلوكه ووداعته وحبه وقربه من الله بالعدم والفناء!! هابيل قتل قايين روحياً قبل أن يقتل قايين أخاه جسدياً. قايين لم يطق أن يعيش ويرى أخاه حيًّا لأن هابيل كان يوحي لقايين بالموت الذي يعيشه كل يوم كمحروم من بركات الله والسماء.

إن الاضطهاد الذي يتبادر من المولود حسب الجسد نحو المولود حسب الروح هو رد فعل

مباشر لمرارة الحرمان التي يصوِّرها المولود حسب الروح بسلوكه حينما يتراءى بالفرح والحب والسلام مع الله والرضى كل يوم، وكلها غائبة عن المولود حسب الجسد:

+ «فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه. فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع؟ وإن لم تُحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.» (تك 4: 5-7)

واضح أن اختيار الله لهابيل وقرابينه وعدم اختياره لقايين وقرابينه يكمن أساساً في أن أحدهما ينتمي إلى الجسد والأرض والآخر إلى الروح والسماء. وقتل قايين لأخيه إنما هو استعلان ما كان مخفياً في طيات حياتهما. فاختيار الرب لهابيل وقرابينه هو رد فعل لاختيار هابيل لله ولعطاياه، وعدم اختيار الله لقايين وقرابينه هو أيضاً رد فعل لاختيار قايين للأرض دون السماء والجسد دون الروح. وعملية القتل الغادر التي اقترفها قايين في أخيه تبرر رفض الله له ولقرابينه.

هكذا يا إخوة فسلوكنا هو الذي يحكم علينا ويتحكَّم في مصائرنا، واختيارنا نحن لله هو الذي يستعلنه الله باختياره لنا. والاضطهاد الذي نذوقه في حياتنا اليومية هو ثمن لتحيزنا لله ولما هو روحي وسمائي وكل ما يرضي الله. وأمَّا الموت والاستشهاد فهو تقرير ختامي ونهائي من جهة العالم أننا لسنا للأرض نعيش ولا بحسب الجسد نسلك.

ولكن إن أحزننا الاضطهاد ورفضته نفوسنا وتمرَّدنا عليه وشكونا وعلا أنيننا وصراخنا، فهذا يعني بكل المعنى أننا نرفض نصيبنا السمائي وننكر أننا وُلدنا حسب الروح وحسب الروح نسلك، بل وأننا نطلب أن نتساوى مع المولودين حسب

الجسد وحسب الجسد نطلب المجازاة! وإن تذمرنا على تهديد الموت وعافت نفوسنا الاستشهاد فهذا هو إفلاس الإيمان بالمسيح والله وإنكار لموت الصليب ورفض القيامة. وإن تهرَّبنا من الموت بأساليب الخيانة فهو خلع لثوب المعمودية وتمزيق لصورة مسيحنا!!

30:4 **«لكِنْ مَاذا يَقُولُ الكِتَابُ؟ اطْرُدِ الْجَارِيَة وَابْنَهَا، لأَنَّـهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ».**

هذا جزاءٌ وِفَاقٌ، فالذي ورث الجسد والأرض ما له بميراث البركة الروحية والسماء؟ لقد عزَّ ذلك على قلب إبراهيم جداً لأنه ابنه حينما قالت له سارة ذلك:

+ «ورأت سارة ابن هاجر المصرية (إسماعيل) الذي ولدَتهُ لإبراهيم يمزَحُ. فقالت لإبراهيم اطرُد

هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق. فقبح الكلام جدًّا في عيني إبراهيم لسبب ابنهِ. فقال الله لإبراهيم لا يقبحُ في عينيكَ من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحق يُدعى لك نسلٌ. وابن الجارية أيضاً سأجعله أُمَّةً لأنه نسلُكَ.» (تك 21: 9-13)

ولكن بالرغم أن هذا هو حق سارة لأن البركة قد أعطيت لها ولابنها إسحق لتمكث على نسل إبراهيم من إسحق، فمن حقها أن تطرد الجارية وابنها. ولكن من مجرد الكلام نجد أن إسماعيل ابن الجارية خرج عن حدوده كابن لإبراهيم بأن أهان سارة لأنها ولدت في شيخوختها فكأنه أهان تدبير الله الحكيم. لذلك اشترك الله مع سارة في هذا الأمر إذ ألزم إبراهيم بأن يطرد الجارية مع ابنها إذ أثبت من سلوكه أنه لا يستحق أن يرث في بركة الله لسارة ولإسحق!!

فالولد ولو أنه كان ابن أربع عشرة سنة حينما ولدت سارة إسحق إلاَّ أنه لم يطق أن يكون له غريم في البنوَّة لإبراهيم، وبالأكثر إذ أدرك أن إسحق هو ابن البيت الوريث أمَّا هو فابن جارية. وهذا هو الذي دفعه أن يهزأ بسارة وابنها. كشأن ابن الجسد لابن الروح، فنال المجازاة ولكن وفاقاً لسلوكه الذي يُبطن أخلاقاً سوف تظهر على مر السنين.

وتمسُّك بولس الرسول بقول الله أن ابن الجارية لا يرث مع ابن الحرة، إنما يرمي إلى أن ابن ناموس العبودية الذي من هاجر سيناء فهو لا يرث مع بركات "النسل" الموعود لابن الحرة إسحق أي بركات المسيح وميراثه السماوي. وق. بولس يشير إليها إشارة بليغة في رسالته إلى العبرانيين:

+ «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبدِ. لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة (من اليهود الذين يغرونهم للرجوع إلى عهد الناموس)، لأنه حسنٌ أن

يُثَبَّت القلب بالنعمةِ، لا بأطعمةٍ (ذبائح الناموس) لم ينتفع بها الذين تعاطوها. لنا مذبحٌ لا سلطان للذين يخدمون المسكن (هيكل اليهود) أن يأكلوا منه. »(عب 13: 8-10)

31:4 **«إذاً أيـُّهَا الإِخْوَةُ لسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ».**

والمعنى المباشر الذي يقصده ق. بولس هو دعوته أن نكون أولاد المسيح وليس أولاد الناموس. ولكن الكلام يشمل الهدف المقصود وهو أننا مدعوون لنرث كأولاد الموعد القدوس ميراث الله. لأن أولاد الجارية هم عبيد حتماً والعبد لا يبقى في البيت ولا يرث مع أبناء

البيت. ويقولها بوضوح في رسالة رومية:

+ «بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَّا الآب! الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو 8:15-17)

فإن قارنّا الناموس مع المسيح ابن الله، نجد أن الناموس هو قانون والقانون يسري على العبيد والعبد لا ميراث له، أمَّا المسيح فهو ابن الله وابن الله أعطى روحه للتبني لنرث معه ميراثه لله.

والمسيح يوضِّح بالحق أننا فعلاً أولاد الحرة بقوله:

+ «وتعرفون الحق، والحق يحرِّركم.» (يو 8:32)

+ «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو 8:36)

+ «ونحن قد عرفنا وصدَّقنا المحبة التي لله فينا.» (1يو 4:16)

وإلى هنا يكون ق. بولس قد حطَّ رحاله في هذه الرحلة الطويلة عبر هاجر وسيناء والعبودية إلى ابن الحرة إسحق الذي به يُدعى النسل نسلاً لإبراهيم، ومن نسله يجيء المسيح الذي يعطي الحرية الحقيقية التي هي فوق العبودية والحرية الشكلية لهاجر وسارة. وبهذا أعطى الغلاطيين تمهيداً لمفهوم الحرية الحقيقية التي حررهم بها المسيح ليصيروا لا أولاد سارة نظير إسحق بل أولاد الله نظير يسوع المسيح "النسل" الموعود من الله، وهو ابن الله بالحق، الذي نقلنا من عبودية الخطية إلى حرية أولاد الله في البر والقداسة والتقوى، لنرث مواريث الله التي تعلو في مفهومها عن كل مواريث الأرض فنُستأمن على ملكوت الله.

ولكي نُكَمِّل فكر القديس بولس عن الحرية يلزمنا أن نُضيف على ما فات الآية

الأولى من الأصحاح الخامس.

1:5 «**فاثبُتُوا إذاً في الحُرِّيَّةِ الَّتي قد حَرَّرَنَا المَسِيحُ بهَا ولاَ تَرتَبكُوا أيضاً بنِير عُبُودِيَّةٍ».**

هنا ينهي بولس الرسول حواره الساخن مع أهل غلاطية منذ أن بدأ في الأصحاح الثاني آية (14) في مواجهته للقديس بطرس الذي كان يرائي اليهود ويفرز نفسه عن الأمميين ولا يأكل معهم عندما يحضر بعض اليهود المتعصبين ليظهر أمامهم أنه يهودي وملتزم بالناموس مع أنه في غياب اليهود يعيش مع الأمميين المتنصرين ويأكل معهم:

+ «لكن لمَّا رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل، قلت لبطرس قدَّام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تُلزم الأُمم أن يتهوَّدوا؟» (غل 2:14)

وهكذا ظل القديس بولس يدافع عن حق الإنجيل لدى الغلاطيين، أي عن الحرية التي حررَّ بها المسيح اليهود من الناموس، وذلك ضد اليهود الذين دخلوا عليهم ليزعزعوا إيمانهم بالمسيح لكي يغووهم على التهوُّد.

«الحرية التي حررنا بها المسيح»: tÍ ™leuqer…v ¹m©j CristÕj °leuqšrwsen

الحرية هنا في اللغة اليونانية واقعة بحسب النحو في حالة القابل التي ترجمت في العربية بحرف: **"بها"** أي أن الحرية هنا واقعة في معنى "الأداة": فالمسيح "بالحرية" حررنا!

كما أن تعريفها بالألف واللام جعلها ذات تخصص معروف، وهو يقصد هنا الحرية المنصوص عنها في الإنجيل. والحرية التي ينشغل بها الإنجيل هي حرية البنين. وقد علَّق عليها المسيح معنى الحرية في الأساس: «أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إنَّ كُلَّ مَنْ يعمل الخطيَّة هو عبدٌ للخطيَّةِ. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبدِ، أمَّا الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً »(يو 8: 34-36). فالمسيح هنا عرَّف الحرية أنها حرية فك العبد من نير عبوديته ليصير ابناً، وهذه لا يقدر عليها إلاَّ الابن لأنه يمنح روح البنوة.

فالغلاطيون سواء كانوا من اليهود أو من الأُمم فبإيمانهم بالمسيح فك المسيح كابن الله عبوديتهم من الخطية سواء التي بالناموس أو من غير الناموس فصاروا أبناء الله أحراراً. فمحاولة اليهود المزعجين زعزعة إيمانهم بالمسيح وإغرائهم

للتهوُّد والختانة هي عودة إلى العبودية. فبعد الشرح المطوَّل من (4:2) حتى (30:4)، أكمل لهم شرح التوراة في معنى الفارق بين العبودية تحت الناموس الوالد للعبودية والدخول في الإيمان بالمسيح "النسل الموعود" لنوال البنوَّة لله كأعلى حالة حرية ممكن أن يحصل عليها إنسان.

وهنا في هذه الآية يطلب من الغلاطيين أن يثبتوا في "الحرية" هذه التي حررنا بها المسيح من كل خطية ومن كل ناموس ولا ينصاعوا لأي إغراء لحمل أي نير ممكن أن يجرّهم إلى العبودية. وقد أورد ق. بولس كلمة "نير عبودية" بدون تعريف ليشمل أي نير لأي تسلُّط على النفس من أي نوع.

«فاثبتوا st»kete oân **إذاً في الحرية»:**

حيث تأتي كلمة "ستيكيته" بمعنى: "يقف بحزم وشدَّة تجاه الإيمان الذي قبلوه الذي وهبهم هذه الحرية". والقديس بولس يكررها كثيراً كما جاءت في رسالة كورنثوس الأولى:

+ «اسهروا اثبتوا st»kete في الإيمان.» (1كو 13:16)
+ «إنكم تثبتون st»kete في روح واحد.» (في 27:1)
+ «اثبتوا st»kete هكذا في الرب أيها الأحباء.» (في 1:4)
+ «لأننا الآن نعيش إن ثبتم أنتم st»kete في الرب.» (1تس 8:3)

والثبوت في الحرية التي حررنا بها المسيح يتوقف أساساً حسب تعليم المسيح على معرفة **"الحق"** «تعرفون الحق والحق يحرِّركم» (يو 32:8)، ولا يعرِّف الحق إلاَّ "الابن" كما يقول الرب: «إن حرركم الابن **فبالحقيقة تكونون أحراراً** »(يو 36:8). إذن فالحرية الحقيقية تتوقف على معرفة المسيح ابن الله لأنه هو « الحق» كما قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو 6:14)، فهو الحق بمعناه المطلق أي ليس حق آخر سواه «لهذا قد وُلِدت ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل مَنْ هو من الحق يسمع صوتي» (يو 37:18). وكل الحق الذي جاء المسيح وشهد به هو الإنجيل!! وقد أعطى المسيح الروح القدس من عند الآب لكي يعرِّفنا كل الحق الذي في الإنجيل. لذلك بدون الروح القدس لا أحد يستطيع أن يقول أو يفهم أن المسيح رب!! لذلك قال لبيلاطس: «كل مَنْ هو من الحق يسمع صوتي »(يو 37:18) أي الإنسان الروحي الحائز على نعمة الانفتاح بالروح القدس.

واضح إذن **أن الثبوت في الحرية هو الثبوت في الإيمان بالمسيح** (1كو 13:16)، وهو **الثبوت في الروح الواحد** (في 27:1)، وهو **الثبوت في محبة الرب**

(في 1:4) وهو **الثبوت في الرب** (1تس 8:3).

والحرية الروحية المستمدة من المسيح بالروح هي أثمن موهبة يمكن أن يحوزها الإنسان وقد كلّفت المسيح الآلام والصلب والموت. وهي قرينة روح القيامة فالذي ينال روح القيامة يشعر أنه قد تحرر من كل ما في العالم وغلب تهديد الموت.

«ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية»: ka^ m¾ p£lin zugù doule…aj ™nšcesqe

«نير عبودية»: zugù

هنا ق. بولس يشير إلى نير الناموس لأنه كان معروفاً وشائعاً أن الناموس نير وهذا نسمعه من ق. بطرس الرسول:

+ «فالآن لماذا تُجرِّبون الله بوضع نيرٍ zugÕn على عُنُق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟» (أع 15:10)

وواضح من كلام ق. بطرس الرسول أنه حمل ثقيل وصعب لا يحتمل، وهذا بحد ذاته يؤكد أن كل مَنْ حمله يكون قد وقع تحت ثقل عبودية لا تُحتمل، بل ويُحسب أن حمله هو تجربة يدفع الرب ثمنها إن حملها الإنسان المسيحي. لأن الله دفع ثمنها مرَّة بموت ابنه ليرفعها عنَّا. لأن الناموس في حقيقته نير تأديب شديد فرضه الرب على إسرائيل لأنه شعب غليظ الرقبة عنيد غير طائع. فالذي يعود إليه بعدما حرَّره المسيح بموته فهو يجرِّب الله!!

والمسيح نفسه يشير إلى ثقله بقوله في المقابل:

+ «احملوا نيري عليكم ... لأن نيري هين وحملي خفيف.» (مت 11: 29و30)

والعجيب أن يتحفنا القديس كليمندس الروماني بتعريف نير المسيح هكذا:

[نحن الذين في المسيح دخلنا تحت نير النعمة.](128)

✠

(128) Clem., 16:17, cited by Bruce. *op. cit.,* p. 226.

الأصحاح الخامس

[5: 2-26]
يدور حول موضوع الحرية المسيحية

1 ـ [5: 2 ـ 6]: الناموس لا يرضى إلاَّ بأن يتمَّم بصورة كاملة.
2 ـ [5: 7ـ12]: مخاطبة اليهود المُقلِقين بكلمات شديدة وحازمة.
3 ـ [5: 13-26]: الجسد والروح:
(أ) طريق المحبة (13-15)
(ب) السلوك بالروح (16-18)
(ج) الحياة حسب الجسد (19-21)
(د) ثمار الروح (22-26)

1 ـ الناموس لا يرضى إلاَّ بأن يتمَّم بصورة كاملة [5: 2-6]

5 : 2 **«هَا أَنَا بُولُسُ أَقولُ لكُم: إنــَّهُ إن اخْتَتَنتُمْ لاَ يَنْفعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً!».**

هنا القديس بولس يفرض نفسه على سامعيه كرسول ليسوع المسيح متكلِّماً بسلطان المسيح الذي أرسله ليكرز بالحق فيما يخص أمر الختان بالذات، إن هو أُقحمَ على الإيمان بالمسيح.

«إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً»:

لقد جاء المسيح ليحقِّق للإنسان ما لم يستطع أن يحققه الناموس، فالذي يؤمن بالمسيح ينال من المسيح خلاصاً ومعونة وعطية ونعمة بغير حدود. ولكن الذي يتجاوز المسيح وما عمله المسيح وما هو مستعد أن يعمله ويرتد إلى الناموس فهو يخسر حتماً كل ما أراد المسيح وكل ما يريد أن يعمله.

فالعودة إلى الختانة عودة إلى الناموس، والعودة إلى الناموس بمثابة خصومة مع الله.

وهذا الكلام خطير فيما يخص حياتنا نحن أيضاً. فالمسيح لم يترك الإنسان ليجاهد وحده ولم يتطلب من الإنسان أي عمل أو أي فريضة من أي نوع لكي ينال الخلاص المجاني الذي عمله. بل ومع الخلاص هو باستعداد أن يؤازر بروحه القدوس في كل مواقف الحياة لتكميل خلاص الإنسان وحريته مجاناً. فإذا أهمل الإنسان هذا الحق الإنجيلي وارتأى أن يقوم بأعمال وواجبات ليصير على

مستوى استحقاق عطايا المسيح المجانية فهو يتجاوز كل أعمال المسيح بل ويتجاوز المسيح نفسه. المسيح لا يطلب من الإنسان إلاَّ إيمانه بنوع أنه يصدق ويثق بكل ما عمله المسيح من خلاص ومصالحة وتبنٍ، وحينئذ يصبح في مجال قوة المسيح الذي يتمِّم له كل شيء. ولا يعود له عمل إلاَّ استيعاب أعمال المسيح والفرح بها. وحينئذ يصبح كل ما يؤديه الإنسان الذي آمن ووثق بالمسيح من أعمال وصلاة وصوم وخدمة هو رد فعل لما عمله المسيح، هو بنوع الشكر والعرفان بفضل الله والمسيح حيث يصبح الصوم ذبيحة شكر والصلاة ذبيحة تسبيح والخدمة ذبيحة عرفان بالجميل. وهذه كلها تكون على مستوى الواجب ولكن ليست فرضاً أو قانوناً.

أمَّا إن ارتد الإنسان نحو الأعمال التكفيرية ظناً منه أنها تكفِّر عن خطاياه فلن ينفعه المسيح

شيئاً!! وهو كمن ارتد إلى الناموس وفرائضه ليكفِّر عن خطاياه وكأن المسيح لم يعمل شيئاً.

3:5 «**لكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّـهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ**».

قوله هنا كلمة: «**أيضاً**» فهو لا يزال مُرْتَكَز الآية السابقة التي تقول صراحة أن مَنْ اختتن يكون قد فقد كل ما عمله المسيح «لا ينفعكم المسيح شيئاً»

وهنا يدور ق. بولس على اليهود الكذبة المُقلقين الذين يحاولون الإيقاع بالغلاطيين (كأمميين) في فخ الناموس، بأن يحسنوا لهم الختانة فقط، أو ربما معها حفظ السبت أيضاً، فهي تظهر كأنها لا تتعارض مع إيمانهم بالمسيح، ولكن بنية خبيثة إذ يضمرون لهم مزيداً من تورُّط في الأعمال والفرائض. فهنا يفضح ق. بولس نياتهم وخبثهم معتبراً أن بمجرد أن يختتن الإنسان يصبح بحكم القانون مطالباً بأن يكمِّل كل الناموس، لأن الختان هو طقس الدخول في الناموس لأنه معروف أن الختان هو علامة عهد للدخول في اليهودية أي الناموس. لأن الناموس احتاط ليُلزم كل مَنْ اختتن وصار يهودياً أن يلتزم التزاماً بكل أعمال الناموس:

+ «لأنه مكتوبٌ (في الناموس) ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.» (غل 10:3)

على أن الإغراء الأساسي من طرف اليهود المزعجين هو أن يقبل الغلاطيون "البر" الذي بالناموس، وهذا ما سبق أن دحضه بولس الرسول في الآية (21:2): «لستُ أُبطِلُ نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذاً مات بلا سببٍ» ! «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو 25:4)

ومن جهة أخرى كان سعي هؤلاء اليهود المتعصبين المحاربين والمزعجين في

إغراء الغلاطيين الأمميين أصلاً لقبول الختان مبدئياً أمراً هاماً جداً فيما يخصهم هم، لأن في عرف المتعصبين من اليهود أن مَنْ يصادق أُممياً غير مختون يُوصَم بالخيانة لأمته!! وهذا نقرأه عن ق. بولس في الأصحاح السادس هكذا: «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظراً حسناً في الجسد، هؤلاء يُلزِمُونكُم أن تختَتِنوا، لئلاَّ يُضطهدوا لأجل صليبِ المسيح فقط» (غل 12:6). وكأن الذي يُختتن من الأمميين يكون كمَنْ أنكر الصليب في عرفهم.

4:5 «**قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ**».

«**قد تبطَّلتم عن المسيح**»: kathrg»qhte ¢pÕ Cristoà

هذا الفعل استخدمه بولس الرسول في أمر الناموس بعكس الوضع ولكن بنفس المعنى: «وأمَّا الآن فقد **تحرَّرنا** kathrg»qhmen من الناموس، إذ مات الذي كُنَّا مُمسَكِينَ فيه ...» (رو 6:7)، وهي بمعنى انفك أو تغرَّب عن أو بطلت الصلة أو العلاقة مع. لأن المعروف في المسيحية، أي في العبادة بالروح والحق، أن البر هو بالإيمان بيسوع المسيح، فإن تحوَّل البر إلى آخر أي الناموس فهذا يعني أن العلاقة بالمسيح قد سقطت أو بطلت. حيث تكون الختانة هي سر الانفصال عن المسيح.

وقد شرح ق. بولس هذا الوضع في رسالة رومية هكذا: «لأنهم إذ كانوا يجهلون برَّ الله، ويطلبون أن يثبتوا **برَّ أنفسهم** لم يخضعوا لبر الله» (رو 3:10)، ولكن أُولئك فعن جهل لبر الله، أمَّا هؤلاء ـ أهل غلاطية ـ فقد آمنوا بالمسيح ونالوا بالإيمان بر الله بالفعل، فكونهم يعودون ويطلبون بر الناموس فكأنهم يطلبون بر أنفسهم بأعمال وفرائض جسدية ميتة.

ولكن الكلام لنا أيضاً، لأنه إن كنَّا نحاول بأعمالنا من فرائض أن نخضع أنفسنا بإرادتنا بأصوام وإذلال للنفس وحرمانات متعددة الأشكال والألوان سواء من طعام أو فسحة أو ملابس إلخ ... بنوع التكفير عن أخطاء وخطايا بغية نوال رضى الله أو برِّه، نكون قد تبطَّلنا عن بر المسيح المجاني الذي منحه لنا بموته وقيامته، موته لأجل خطايانا وقيامته لأجل تبريرنا أمام الله مجاناً. ولكن إن كنَّا نعمل هذه الأعمال عينها بنوع القناعة والاتضاع وسحق الذات كمشاركة حب وإيمان لصليب المسيح وآلامه فَنِعْمَ ما نعمل. لأننا إن كنَّا نتألم معه طوعاً أو كرهاً فسوف نتمجَّد معه! بل وتصير نعمة المسيح مؤازرة لأصوامنا وتقشفنا وفقرنا الطوعي ومسكنتنا حبًّا

وتعلماً من الذي قال «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت 29:11). وهنا تصبح أصوامنا وتقشفاتنا وفقرنا مصدر فرح وسعادة واكتفاء لا مثيل له: «مِنْ أجلك نمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح» (رو 36:8) حبًّا في مَنْ أحبنا.

«سقطتم من النعمة»:

نعم فإن كنَّا قد تبطَّلنا عن المسيح واستغنينا عنه بأعمالنا وفرائض الناموس فحتماً نكون قد سقطنا عن النعمة. وعكس ذلك تماماً حينما نؤمن بالمسيح ونسعى لتكميل وصاياه معتمدين عليه وحده ولا آخر سواه:

+ «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان، إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو 5: 1و2)

حدث ذات يوم أن دخل عليَّ إنسان معبَّس الوجه بدرجة أوجعت قلبي فبادرته: مالك يا فلان؟ فبادرني؛ مالي؟ اسأل عن خطاياي التي صارت كالجبال فوق ظهري. أنا لا أُحسب خاطئاً وحسب بل أنا الخطية ذاتها، فقلت له مَرْحا مَرْحا[129] فأنت صرت المسيح نفسه لأن لا أحد قال هذا وكان هذا بالفعل إلاَّ المسيح الذي « صار خطية لأجلنا» (2كو 5 :21). فعنَّفني كيف أسخر منه وهل هذا وقت مداعبة، فجلست معه أحكي له ماذا عمل المسيح من أجل خطاياه وكيف حملها جميعها كمًّا ونوعاً وما من خطية عملها في الماضي أو سيعملها في المستقبل إلاَّ والمسيح حملها في جسده على الصليب ودفع ثمنها جميعاً ألماً وصلباً وموتاً وأصبحت لا وجود لها إلاَّ في تصور الشيطان الذي استولى على نفسه ليدخله هذه الكآبة ليميته حيًّا. وقليلاً قليلاً انفرجت أساريره ولم أتركه إلاَّ مبتسماً!!

وبالمقابل حدث يوم أن دخل عليَّ أخ كنت أعطف عليه وأحبه وكان يعاني من تأنيب الضمير وصغر النفس وغير سعيد قط في حياته، وأيامه تسير على وتيرة واحدة من الاكتئاب. دخل عليَّ فرحاً مبتسماً مهلّلاً ووجهه يطفح بالبهجة بصورة غير عادية وكانت عيناه تنطق بكلمات لم أخطئ فهمها. وما أن حياني حتى أخذ يحكي لي معجزة حياته وهي لا تزيد عن كلمة ونصف: سمع عظة دخلت أعماق قلبه وشعر أن الله يحدِّثه ويشير إليه ففي الحال انفتحت روحه على المسيح ودخلت نعمة الله قلبه وعندها لم يَطقْ نفسه من الفرح وسكنت البهجة روحه ولم تعد تفارقه

(129) مَرْحا مَرْحا: تقال بنوع من التهليل.

أبداً.

أمَّا الإنسان الأول صاحب ضمير الخطية فهو إنسان أعطى أذنه للشيطان فدخل وخرَّب.

أمَّا الأخ صاحب الأذن المفتوحة على الإنجيل فدخل المسيح ودخلت النعمة وحوَّلت أيامه أعياداً.

وهكذا إن دخلت الخطية الضمير ومعها محاولة علاجها بالأعمال التكفيرية خرج المسيح. أمَّا إن كنّا في عمق الخطية ودخل المسيح دخلت النعمة ومعها فرحة القيامة.

5:5 «**فَإِنَّنَا بِالرُّوحِ مِنَ الإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ».**

هذه هي تفاصيل الحياة المسيحية في آية!! وهي تعتبر كاتشزم[130] في التعليم المسيحي ومحوره الرجاء!! فكل عمل ليس بالروح وليس من الإيمان **يخلو حتماً من أي رجاء** للحصول على برِّ الله.

يقول ق. بولس في مقولته اللاهوتية التفسيرية إن «الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى» (عب 1:11). فالإيمان مربوط بالرجاء برباط لا ينفك، وهذه نعمة من نعم الخلاص التي دخلت حياة الإنسان بالصليب. فكل ما عمله المسيح من أجل خلاصنا هو واقع في صميم نصيبنا المجاني ولكن لن يصبح في أيدينا، أي لن نمتلكه إلاَّ إن دخل في صميم رجائنا الذي نشتهيه ونتمناه بثقة. فإذا وثقنا إننا نأخذه فحتماً نأخذه. أي أن هناك ثلاثة أفعال لا بد أن نحوزها لكي نحوز على بر الله: فعل الإيمان، فعل الرجاء، فعل الثقة. وأدخل عليها ق. بولس هناك فعلاً رابعاً هو التوقع وهو قوة الرجاء. وهذه الأفعال الأربعة متجمعة معاً هي المعبَّر عنها بانفتاح الروح على المسيح بدون أي جهد. وربما في مفاجأة على النفس كما حدث للقديس بولس الذي انتقل مرَّة واحدة من فرِّيسي متعصب للناموس لمؤمن بالمسيح يعيش في ملء الروح والرجاء والبر.

والقديس بولس في تصنيفه لهذه الآية إنما يضع مفردات محصلة عمل المسيح في قلب الإنسان الذي ألقى بكل ثقته في التعلق بالمسيح، لأن "الروح" هبة والإيمان هبة والرجاء هبة والبرّ هبة الهبات.

فإن سألت إنساناً يعيش في ملء نعمة المسيح وفرح الروح وثمارُه تملأ حياته:

---

(130) كاتشزم = Catechism: معناها تعليم المبادئ الدينية بالسؤال والجواب.

كيف دَخَلْتَ في هذه النعمة؟ فإنه يضحك ويقول: المسيح هو الذي دخل فيَّ!! فإذا توسَّلت إليه أن يبوح بسرّه فهو يُسِرُّ إليك:

لقد "اشتهيته": «إلى اسمك وإلى ذِكرِكَ شهوة النفس،
بنفسي اشتهيتك في الليل،
أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر.» (إش 26:8و9)

فإذا سألته: كيف تفسِّر آية ق. بولس هذه (5:5) عملياً؟ يقول:

الروح هو الذي لقَّنها للقديس بولس من واقع حاله. فهي واقع حال الإنسان المسيحي لا يسعى

لتكميلها ولكنه يكمِّلها كل يوم وكل ساعة دون جهد لأنها واقع حيّ لوجود المسيح والروح داخل القلب. والمسيحية عموماً واقع حيّ وكل تفسير صحيح ملهم لها هو تلقين من الروح العامل فيها وليس فهماً ولا علماً. وللقديس بولس إلهامات تنطق بهذه الحقيقة، التي حينما نقرأها ندرك أنه يتكلَّم من فيض قلبه لا كمعلِّم بل ملهم وممتلئ:

+ «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان، إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو 5:1و2)

+ «لنكون لمدح مجده، نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح. الذي فيه (المسيح) أيضاً أنتم، إذ سمِعتُم كلمة الحقِّ، إنجيل خلاصِكُم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتِمتُم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا، لفداء المقتنى، لمدحِ مجدهِ.» (أف 1: 11-14)

لذلك يُخطئ كل مَنْ يأخذ هذه كمناهج روحية يحفظها ويدرسها ويعلِّمها، إذ هي في حقيقتها اعترافات عاشق روحياً مملوء عشقاً بِحُب المسيح، والروح فيه يأخذ مما للمسيح ويخبرنا.

فالقديس بولس ليس معلِّماً بإنجيل المناهج بل كارزاً بروح إنجيل الحب الذي يخطف القلوب. لذلك يستحيل حصر مناهج القديس بولس تحت مصنَّفات. ولكن كل آية من آياته المختارة تُحسب مدرسة. وكم ألوف من محبيه خلصوا بآية وصاروا من الكارزين!!

ولذلك يلاحظ الباحث وراء أفكار ق. بولس وموحياته أنه لا يأخذ من محاجاته مع الغلاطيين الراغبين في الختانة، كما أنه لا يضع المعمودية في مقابل الختانة

مثلما يأخذها المدرسيون في الكنيسة، ولكن يضع الإيمان والروح مقابل الختانة كما في هذه الآية (5:5) ويضيف إليها المحبة في الآية القادمة!!

6:5 «**لأنَّهُ في الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ بَل الإِيمَانُ الْعَامِلُ بالْمحَبَّةِ**».

كان الختان هو **علامة العهد الأول في اللحم بين الله وإبراهيم** لحكمة لا تخفى عن الفكر الروحي، وهي حفظ حدود النسل وتجميعه تحت علامة في الجسد مميزة. وهكذا صارت الختانة أهم ما يميِّز شعب إسرائيل كنسل إبراهيم، ثم أُضيف إليها الناموس لحفظ الشعب تحت معيار واحد أخلاقي للتهذيب والإعداد للعهد الروحي الذي لا يعتمد على الجسد والنسب إطلاقاً؛ بل على

العلاقة القلبية المباشرة مع الله، أي بالإيمان كرباط سماوي.

وكان غير المختون مرفوضاً لا يدخل في وسط شعب الله بل وملعوناً من الله أيضاً. ولكن حقيقة اللعنة فيه ليست طارئة ولا واردة بل موروثة من آدم، فلأن إبراهيم اتخذه الله أول إنسان بعد لعنة آدم كرسول فوق العادة من بين الناس وباركه وأعطاه وعداً بنسل مبارك إن حفظ علامة العهد وهي الختانة، لذلك مَنْ لم يُختتن يكون واقعاً تحت لعنة آدم بطبيعة الحال أي من تلقاء نفسه. لذلك كان الأمم غير المختونين نجسين في نظر شعب إسرائيل شأنهم في النجاسة شأن الكلاب. وكان الله موافقاً على هذه النظرة إمعاناً في إفراز شعب إسرائيل من الأمم كخميرة يودّ أن لا تفسد بعبادات أصنام الأمم وعاداتهم حتى يكوِّن شعباً معداً لقبول العهد الروحي الجديد. لذلك نسمع المسيح نفسه يقول بهذا للمرأة الكنعانية التي طلبت شفاء ابنتها المجنونة: «فأجاب وقال: لم أُرسل إلاَّ إلى **خِرَاف بيت إسرائيل** الضَّالة. فأتت وسجدت له قائلةً: يا سيد أعني! فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب» (مت 15: 24-26). هنا تعبير المسيح هو تعبير الناموس القائم على عدم الختانة ليس إلاَّ. أي على الطهارة الجسدية والنجاسة الجسدية.

فلما أكمل المسيح رسالته لخراف بيت إسرائيل الضالة وأعطى البنين خبز السماء ورفضوه وأهانوه وقتلوه، ثبت للإنسان عامة وللتاريخ خاصة أن الختانة لم تسعفهم ولا الناموس هذَّب أخلاقهم. فكان ذلك إيذاناً بنهاية عصر الناموس والختانة وظهور النسل الموعود لإبراهيم لدخول ملء الأمم وبدء عهد الروح لا الجسد والإيمان بالله خلواً من ناموس وختانة.

لذلك كان من أخص خصائص العهد الجديد القائم على الروح والإيمان أن يلغي نهائياً الختانة وتميُّزها على الغرلة، فأصبحت الختانة لا تمتاز عن الغرلة في شيء

لأنها كانت لعهد أُلغي، وأصبحت التفرقة في العهد الجديد هي بين إنسان يؤمن بالمسيح والله وله روح الموعد القدوس وإنسان لا يؤمن وليس له المسيح ومحروم من روح الموعد القدوس.

فإن حاول اليهود المزعجون أن يغووا أهل غلاطية لكي يختتنوا بعد أن نالوا الإيمان بالمسيح وأخذوا روح الموعد القدوس، فإن الختانة هنا بالرغم من أنها فاقدة أي قيمة، لكنها تُحسب عليهم أنها رجعة إلى جهالة. لذلك حقَّ للقديس بولس أن يدعوهم "أيها الغلاطيون الأغبياء".

«الإيمان العامل بالمحبة»: p^stij di' ¢g£phj ™nergoumšnh

«العامل»: ™nergoumšnh

هنا كلمة **العامل** في اللغة اليونانية بحسب تحليل العالِم بروس لا تفيد مجرَّد العمل بل التنشيط energised فتعني الإيمان المقوّى الغني بالمحبة. لأن في تعريف ق. بولس للإيمان فإنه يضعه دائماً كالأساس أو كالجذر، أمَّا المحبة فهي الثمرة: ويمكن ترجمتها أيضاً الإيمان الفعَّال بالمحبة.

والقديس بولس في وضعه المحبة كشرط للإيمان إنما هي محاولة مستميتة ليرفع عن الإيمان المفهوم المجرَّد كمجرَّد فكر أو مقولة، فيجعله انفعالاً وحركة وبذلاً وخروجاً عن الذات، إيماناً يُري ذاته بالمحبة في مقابل إيمان ق. يعقوب الذي يُري ذاته بالعمل حيث قد يكون العمل هذا مجرَّد اجتهاد ذاتي وصوم وصلاة وعبادة. فالإيمان عند ق. بولس ليس مجرَّد عملٍ بل حب بإعطاء الذات. فهو يكمِّل مقولة ق. يعقوب: "أُريك إيماني بأعمالي" بقوله: "أريك إيماني بأعمالي العاملة بالمحبة" فالأعمال المعمولة أو القائمة على الإيمان عند ق. بولس يتحتَّم أن تكون معمولة بالمحبة.

وطبعاً هنا ق. بولس يعتصر من رحيق الصليب شراباً يسقي به أهل غلاطية، فأعمال المسيح، وكلها متركزة في الصليب ونابعة منه، عنصرها الأساسي والفعَّال هو المحبة. فهو القائل بحق:

+ «وإن كانت لي نبوَّةٌ، وأعلم جميع الأسرار وكل علمٍ، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبةٌ، فلستُ شيئاً. وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلَّمت جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبةٌ، فلا أنتفع شيئاً.» (1كو 13: 2و3)

+ «أمَّا الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهُنَّ المحبة. »(1كو 13:13)

وهؤلاء الثلاثة هم عمل النعمة في المسيح يسوع.

وبنظرة ثاقبة تتخلَّل هذه الآيات كلها نرى أن المحبة هي سر قوة الإيمان المسيحي كما أن الإيمان المسيحي هو سر قوة الأعمال. فبدون محبة ليس إيمان وبدون إيمان ليس أعمال.

2 ـ مخاطبة اليهود المقلقين بكلمات شديدة وحازمة [5: 7-12]

5 : 7 «**كُنْتُمْ تَسْعَوْنَ حَسَناً. فَمَنْ صَدَّكُمْ حَتَّى لاَ تُطاوِعُوا لِلْحَقِّ؟**».

«**كنتم تسعون حسناً**»: ™tršcete

كلمة "تسعى" باليونانية جاءت بتعبير رياضي فهي تقال بمعنى "السباق" أو "الجري"، لذلك فهي تفيد النشاط والهمة، لذلك تأتي كلمة "صدَّكم nškoyen™" بمعنى أعاق عن الجري أو النشاط في الجري واعترض طريقهم. وقد وردت لبولس الرسول كلمة تسعى بمعنى الجري بوضوح في (1كو 9:26): «إذاً، أنا أركُضُ tršcw هكذا كأنه ليس عن غير يقينٍ»

ويبدو أن ق. بولس كانت تصله الأخبار تباعاً عن تقدمهم في الإيمان إلى أن وصلتهم بعثة يهود أُورشليم التي تتلصَّص على مسيرة ق. بولس لتفسد إيمان الأُمم وتنتزع اليهود الذين تنصروا من الإيمان.

«**للحق**»: ¢lhqe…v

هنا الحق يقصد به ق. بولس الإيمان المسيحي بصورة عامة والإنجيل بصورة خاصة. واضح أن هذه الجماعة كانت نشطة في اتّباع وصايا المسيح ومحبة الإنجيل، وفجأة تسلَّطت عليهم فكرة الختانة بواسطة تعاليم هؤلاء اليهود فتوقفت في الحال مسيرتهم وبدأوا يدورون حول أنفسهم كمَنْ فقد هدف الطريق، لأنه بمجرد أن مالت أفكارهم لفكرة الختانة واستحسنوها توقفت النعمة في الحال فانشلَّت حركة الروح والنشاط الإيماني.

أعرف إنساناً كان خادماً في الكنيسة وأميناً في مدارس الأحد وكان شاباً نشيطاً يسعى وينمو في الإيمان والخدمة، تعرَّف على شابة من عقيدة السبتيين ـ وهم على نمط يهود ق. بولس المزعجين ـ وفي أقل من شهر كان قد نبذ الإيمان المسيحي جملةً، وصار المسيح عنده كما عند اليهود تماماً شخصية مدعية مكروهة ومحتقرة. وهكذا قصة غلاطية رأيتها بعيني وسمعتها بأذني وتملكني ما تملَّك ق. بولس من مشاعر تجاه الغلاطيين! ... «مَنْ صدكم حتى لا تطاوعوا للحق» !!

8:5 **«هذِهِ الْمُطَاوَعَةُ لَيْسَتْ مِنَ الَّذِي دَعَاكُمْ».**

«المطاوعة»: «peismon» وهي تأتي هنا للمرة الوحيدة في رسائل القديس بولس الرسول وفي كل أسفار العهد الجديد. هنا المطاوعة تأخذ معنى الثقة والاعتماد، أي مطاوعة الاقتناع. فالقديس بولس يكشف لهم أن هذه الثقة والاعتماد التي وضعتموها في الذي صدَّكم عن الحق هي ليست من الذي "دعاكم" للحق أي ليست من الله. وقد سبق ق. بولس وعيَّن من هو الذي دعاهم وذلك في مطلع الرسالة: «إني أتعجَّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر» (غل 6:1). وبهذا يكون انصدادهم عن طريق الحق ناتج عن اقتناع، لذلك فإن قبولهم دعوة هؤلاء اليهود للختانة أسماه إنجيلاً آخر، وذلك إمعاناً في كشف انحرافهم الخطير عن الحق إلى ما هو ضد الحق.

9:5 **«خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ».**

mikr¦ zÚmh Ólon tÕ fÚrama zumo‹

القديس بولس سبق له أن استخدم هذا الاصطلاح في (1كو 6:5): «ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمِّر العجين كله؟» لذلك فهي تُحسب أنها مثلٌ سائر.

وهذا الاصطلاح نفسه شرحه بطريقة أخرى يظهر منه أن الخميرة الصغيرة هنا هي عامل الفساد الذي يبدو صغيراً في البداية ولكنه في النهاية يسيطر ويفسد الكل: «لا تضلوا: فإن المعاشرات الردية تُفسد الأخلاق الجيدة» (1كو 33:15). أمَّا المعنى اليهودي فهو أعمق من هذه المظاهر: فالخميرة محظورة وحتى إن وجدت بأقل كمية في بيت اليهودي ليلة الفصح. هكذا يرمي الناموس نفسه إلى ضرورة عدم وجود أي جزء ولو صغير من نظام العهد القديم في ليلة البدء بالعهد الجديد. وبوضوح أكثر تأتي الخميرة كعنصر فساد داخل البيت طيلة سبعة أيام الفصح (خر

12: 14-20). وبالتالي فإن دخول أي فريضة من فرائض الناموس يفسد صميم الحياة الجديدة في المسيح.

ومن جهة أخرى يطالب ق. بولس الكورنثيين أن ينقُّوا حياتهم وعبادتهم من الخميرة العتيقة باعتبارها عنصر الفساد:

+ «إذاً نقُّوا مِنكُم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً (بدون فساد) كما أنتم **فطيرٌ** (أي خبز الفصح الذي بدون خميرة). لأن فصحنا (الجديد) أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (1كو 5:7)

ونحن نأخذ درساً جيداً من كل هذا، فمسيحيتنا يلزم أن تتنقى من كل شائبة تشوبها فلا نعطي لأنفسنا الحل أن ننحرف عن ضوابط الإيمان المسيحي المستقيم. فلا نتمشَّى مع أي عقيدة لا تلتزم بإيمان المسيح الحق حسب الإنجيل، كما لا نقبل أي انحراف عن وصايا الإنجيل مهما بدت صغيرة. فالحق الإلهي لا يحتمل دخول أي باطل عليه. وها أمامنا غلاطية كيف يدقق ق. بولس ويحارب بكل ما أوتي من حكمة ونعمة ضد دخول موضوع الختانة على الإيمان المسيحي، مع أن الختانة بحد ذاتها أمر لا قيمة له على الإطلاق إن أُخذ في حدوده الضيقة الجسدية.

10:5 **«وَلَكِنَّنِي أَثِقُ بِكُمْ فِي الرَّبِّ أَنَّكُمْ لاَ تَفْتَكِرُونَ شَيْئاً آخَرَ. وَلَكِنَّ الَّذِي يُزْعِجُكُمْ سَيَحْمِلُ الدَّيْنُونَةَ أَيَّ مَنْ كَانَ».**

والإنسان يسأل أي ثقة هذه بعد أن قال فيهم ما قال وبعد هذا التعنيف واتهامهم أنهم تحولوا إلى إنجيل آخر؟ هنا تبرز سمات الكارز الملهم المؤيد بالروح القدس الواثق من كرازته ومن قوة كلمة الله في فعلها، فهو يقول كلمة السر: «في الرب» فعندما قبلوا الإيمان واعتمدوا استودعهم في يد الرب الذي يرعى خرافه «وواحدة منها لا تهلك» يتكلَّم ق. بولس بالروح والذي يتكلَّم بالروح يثق «في الرب»

وكان من الطبيعي أن ينهي رسالته بهذه المشاعر الروحية الصادقة لكي يجذبهم أكثر إلى فكر المسيح، وهذا نراه أيضاً في رسالة رومية:

+ «وأنا نفسي أيضاً متيقن من جهتكم، يا إخوتي، أنكم مشحونون صلاحاً، ومملوؤُون كل علمٍ، قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً. ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة، كمذكر لكم، بسبب النعمة التي وهبت لي من الله، حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مباشراً لإنجيل الله ...» (رو 15: 14-16)

كذلك أيضاً ما كتبه لفليمون:

+ «إذ أنا واثقٌ بإطاعتِكَ، كتبتُ إليكَ، عالِماً أنكَ تفعل أيضاً أكثر ممَّا أقول.» (فل 21)

وهكذا تبدو لنا كرازة ق. بولس ذات منهج أدبي رائع المثال، إنه أدب الإنجيل والرسالة.

«إنكم لا تفتكرون شيئاً آخر»:

متوقفة على ثقة ق. بولس بالرب، فهو يثق أنهم إذا افتكروا فكراً آخر غير الإنجيل الذي سلَّمه لهم: "فالرب" نفسه وصاحب الإنجيل سيعلن لهم. هذا هو فكر ق. بولس نفسه الذي صرَّح به في

رسالته إلى فيلبي هكذا:

+ «فليفتكر هذا جميع الكاملين منَّا، وإن افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيُعلن لكم هذا أيضاً. وأمَّا ما قد أدركناه، فلنسلك بحسب ذلك القانونِ عينهِ (قانون الإيمان بالابن الوحيد الذي مات من أجل خطايانا وقام من أجل تبريرنا)، ونفتكر ذلك عينهُ.» (في 3: 15و16)

وثقة ق. بولس في الرب قوية وثابتة وتملأ محيط تفكيره، ورجاؤه في الرب لا يخيب أبداً:

+ «إني عالمٌ ومتيقّنٌ في الرب يسوع أن ليس شيءٌ نجساً بذاته، إلاَّ مَنْ يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجسٌ.» (رو 14:14)

+ «وأثقُ بالرب أني أنا أيضاً سآتي إليكم سريعاً.» (في 24:2)

+ «ونثقُ بالرب مِنْ جهتِكُم أنكم تفعلون ما نوصيكم به وستفعلون أيضاً.» (2تس 4:3)

وواضح لنا مصدر هذه الثقة الثابتة والمكينة في قلب ق. بولس ونفسه وفكره أنه الإنجيل الذي صار له مصدر قوة وثبات، فكلمة الله عند الذي يحترمها ويحبها ويعيش عليها «لا تسقط أبداً» ولكن لا يزال في صدري يقين آخر من جهة ثقة ق. بولس في كل ما يقول ويفكّر. إنه يرى ويحس بفكر الله، فهو يتكلّم دائماً ووراء كلامه رؤيا يستمد منها يقينية، ق. بولس عينه مكشوفة بل وأذنه سمَّاعة لصوت الله. وهذا شأن المرسل الذي يختاره الله ويضع عليه يده وعينه وقلبه.

يا إخوة نحن مفتقرون إلى يقين الإيمان ويقين الرؤية ويقين السمع لكلمة الله، وبالأكثر نحن جائعون وعطاش إلى روح الله الذي يلقن الكلمة ويعطيها أجنحة

تخترق بها القلوب المنغلقة وتقتحم بها العقول اللاهية. نقولها ونراهن على نجاحها بحياتنا. ولا أنسى في حياتي ذلك الواعظ المشهور الذي كان يخدم في لندن ويغيِّر قلوب الألوف في كل عظة، كان يقف ويصلّي أمام الله ويقول: [أعطني لندن وإلاَّ أموت]!!

«ولكن الذي يُزعجكُم سيحمل الدينونة أيَّ مَنْ كان»:

القديس بولس يكتب رسالته وهو عالم بشيئين **الأول** أن الغلاطيين قبلوا إقناع هؤلاء اليهود المزعجين. **الثاني** أنه بمجرد قراءتهم رسالته سوف يعودون إلى فكر قلوبهم التي آمنت بالمسيح لأنه يكتب ويستودع كلماته إلى نعمة الله القادرة والمقتدرة أن تفلق الصخر.

«ولكن الذي يزعجكم»:

بقي بعد هذا في قلب ق. بولس ذلك الإنسان الذي اجترأ على إنجيل المسيح وهزَّ قلوبهم وزيَّف تعليم المسيح بتعليم ناموس ميت ورفع من قدر الختانة لكي يلغي بها إيمان المسيح، إنها جريمة في حق الحق والمسيح والله. يقول ذلك وهو عالم أنه شخصية مشهورة وهذا من قوله:

+ «لأن مثل هؤلاء هم رسلٌ كذبةٌ، فعلةٌ ماكرون، مغيِّرون شكلهم إلى شبه رُسُل المسيح.» (2كو 13:11)

«سيحمل الدينونة»:

القديس بولس يحمِّل الذين أزعجوا كنائس غلاطية بتعاليم ضد الإنجيل والمسيح بالدينونة الرهيبة «وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين» (عب 27:10). كما أوضح ذلك في الذين أزعجوا كنيسة كورنثوس: «الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم» (2كو 15:11). وهو نفس الدعاء الذي دعا به على كل الذين يناصرون الباطل فوق الحق «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم» (رو 18:1). ويلاحظ هنا أن ق. بولس وصم الذين يحجزون الحق بالإثم أنهم أثمة ذوو سيرة فاجرة!!

وهكذا نكشف لماذا يحجزون الحق؟ فالذين باعوا أنفسهم للفجور والإثم لا يطيقون الحق ويحاولون دائماً تزييفه لأنه يؤلمهم ويؤرق ضمائرهم. وقد وضعها ق. بولس كقانون: «الذي وُلِدَ حسبَ الجسدِ يضطهدُ الذي حسبَ الروحِ، هكذا الآن أيضاً» (غل 29:4). وهذا هو سر اضطهاد العالم للكنيسة في كل العصور الماضية.

وبهذا التعنيف المتسلط بالحق تبدو لنا كرازة ق. بولس شديدة الوطأة على الخارجين عن حق الإنجيل شأنه شأن الأنبياء في زمانهم حينما يعنفون الرؤساء

والملوك والشعب إذا انحرف مسارهم.

11:5 **«وَأَمَّا أَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَإِنْ كُنْتُ بَعْدُ أَكْرِزُ بِالْخِتَانِ، فَلِمَاذَا أُضْطَهَدُ بَعْدُ؟ إِذاً عَثْرَةُ الصَّلِيبِ قَدْ بَطَلَتْ».**

يبدو أن هؤلاء اليهود المزعجين قد أشاعوا أن ق. بولس نفسه لا يزال يكرز بالختان. فهنا يرد على هذا الادعاء بقوله: إن كنت أكرز بالختان فلماذا أضطهد من أجل الكرازة بالصليب، إلاَّ إذا كانت عثرة الصليب قد زالت (من أعينهم). أي أن ق. بولس يرد على ادعائهم بادعائه لإغاظتهم

هكذا: إن كان بولس يكرز بالصليب والختانة أيضاً إذن تكون عثرة الصليب قد بطلت عندهم أي قبلوا الصليب.

12:5 **«يَالَيْتَ الَّذِينَ يُقْلِقُونَكُمْ يَقْطَعُونَ أَيْضاً!».**

«يَقْطَعُونَ»: ¢pokÒyontai

كثير من العلماء قالوا بأن ق. بولس يصب غضبه على الذين قالوا بقطع الغرلة أي الختانة للمسيحيين في غلاطية فقال ليت هم أيضاً يقطعون الخصية أيضاً لأنفسهم، كما جاءت هذه الكلمة باليونانية في القاموس الكبير اليوناني(131).

ويقول كل من العالِم ليتفوت والعالِم ريدربوس(132) إن في غلاطية خاصة الإقليم الشمالي كان كهنة سبيليه الحكيمة يُفرض عليهم أن يخصوا أنفسهم تمادياً في التقوى. فالقديس بولس يهزأ بهؤلاء المفترين الذين يودّون أن يضيفوا على المسيحية طقس قطع الغرلة أي الختانة تمادياً في الطهارة فيقول وينصحهم هم أن يخصوا أنفسهم ليزدادوا طهارة فوق الختانة.

❋✠❋

إلى هنا ينتهي الجزء العقائدي [1: 1-12:5]

ويليه الجزء العملي

---

(131) Liddell & Scott, *A Greek. Engl. Lex.*

(132) a - Lightfoot, *Galat*. p. 207.

b - Ridderbos, *Galat*. p. 195.

الجزء العملي من الرسالة
[18:6-13:5]

3 ـ الجسد والروح
[26-13 :5]

(أ) طريق المحبة (5: 13-15)

13:5 «**فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّه لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً**».

إن الجزء العقائدي كله دار حول التحرر من الناموس لقبول حرية الإيمان بالمسيح، لذلك أصبح الموضوع العملي الآن هو كيف نستخدم الحرية التي حررنا بها المسيح من عبودية الفرائض والأعمال تحت الناموس لكي لا نضر بالالتزام الأدبي والسلوك والأخلاق. غير أن نعمة الحرية في المسيح لا تُدخلنا تحت قوانين. فالالتزام بالناموس الأدبي لا يلزمنا بقوانين ولكن يلزمنا بالمحبة ويُخضعنا تحت قيادة الروح، للسلوك حسب الروح وليس حسب الجسد!

«دعيتم للحرية»: ™p' ™leuqer…v ™kl»qhte

الدعوة هنا ™kl»qhte قوة الهبة الموهوبة لنا كإحدى مفاعيل صليب ربنا يسوع وقيوده التي أوصلته للموت. فدعوة الحرية هي عينها دعوة الإنجيل، ومن داخل الإنجيل دعوة النعمة ودعوة السلوك أمام الله بالقداسة: «لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة» (1تس 7:4). هذا هو أول التزام بالحرية التي حررنا بها

المسيح من الناموس، أن لا نستخدم هذه الحرية الروحية التي أعطيت لنا بالإنجيل لحساب الجسد وانحلاله «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم: أن تمتنعوا عن الزنا »(1تس 3:4). هنا إلتزام أدبي تؤيده وتؤازره إرادة الله!! فالامتناع الذي يتوجب على

الجسد ليس هو فريضة صمَّاء أو قانون أصم ولكنه دعوة إلهية تؤازرها إرادة إلهية، فأصبح واقعاً في صميم الحرية الروحية. هذه هي الحرية التي دعينا إليها وهذا هو التحرير الحقيقي من الناموس. فالناموس يقول لا تزن وإلاَّ ترجم. فكان قانوناً أصمَّ وفريضة ثقيلة ثقلاً هائلاً على النفس يلازمها الرعبة. وأمَّا الآن «فهذه هي إرادة الله قداستكم أن تمتنعوا عن الزنا» فالمنع تسنده قوة، قوة نعمة الله المنبثَّة في كل إرادة يريدها الله منَّا، والقصد من هذه الإرادة الإلهية في المنع هو لحسابنا:

+ «لكي يثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.» (1تس 13:3)

هذه هي الحرية التي دعينا إليها بالإيمان بالمسيح والإنجيل، فإن كانت تمنع فهي تدفع، أي تدفع ثمن المنع بالمؤازرة بنعمة الله، لأن المنع هو صادر من إرادة الله وكل ما هو صادر من الإرادة الإلهية تسنده قوة ونعمة إلهية. هذا بخلاف الناموس فهو يمنع ولا يدفع بل ولا يسند بل ولا يرثي وإنما على النقيض يحاكم ويقتل!! بل وأكثر من هذا كما قال بولس الرسول أيضاً في رسالته إلى أهل رومية إذ يقول إن الناموس حينما يمنع إنما يوقظ الشهوة!

+ «فإنني لم أعرف الشهوةَ لو لم يقل الناموس لا تشتَهِ. ولكن الخطية وهي متخذةٌ فرصةً بالوصية (لا تزنِ) أنشأت فيَّ كل شهوةٍ. لأن بدون الناموس الخطية ميتةٌ (غير محسوبة). أمَّا أنا فكنت بدون الناموس (أي قبل موسى) عائشاً قبلاً. ولكن لمَّا جاءت الوصية (صمَّاء بدون توجيه أو معونة) عاشت الخطية، فمُتُّ أنا،» (رو 7: 7-9)

هذا هو المنع عند الناموس ينتهي بالموت!! أمَّا عند المسيح الذي مات من أجل الخطية فأنقذنا من موت الخطية وأعطانا بر الحياة بقيامته فوهبنا الحرية، أي التحرر من الخطية ومن الموت موت الخطية ومن الجسد المربوط بالخطية، لنعيش بالروح

ببر المسيح ونعمته حسب إرادة الله في كل شيء. فالحرية هنا هي لحساب الروح بمؤازرة إرادة الله ونعمة المسيح. فإن قال المسيح امتنعوا عن الزنا فهنا قوة الروح المتفوقة على أعمال الجسد وشهواته موضوعة في الميزان وفي الحساب. فالحرية التي حررنا بها المسيح محكومة من فوق بإرادة الله، فإن كانت «إرادة الله هي قداستنا» فنحن محاطون بقوة فائقة لنسلك بالروح وليس حسب الجسد. هذه هي آفاق الحرية التي حررنا بها المسيح وهي ضد الناموس.

فأن نكون في ملء حرية المسيح نكون تحت سلطان المسيح والإنجيل، فنحن نكون فوق الخطية والموت والجسد.

أمَّا أن نكون تحت سلطان الناموس فنحن نكون تحت الخطية والموت والجسد!! وليس تحت ناموس موسى فقط بل وتحت أي قانون أخلاقي مهما كان ومهما بلغ من الرقي.

فالمسيح وهبنا القداسة هبة، وأعطانا الحرية على أساس روحي فائق، ويكفي من جهة الله أن تكون «**إرادة الله** هي قداستنا» ومن جهتنا يكفي أن نؤمن أن قداستنا هي إرادة الله لتصبح هي إرادتنا.

لذلك إذا انعكست الحرية في المسيح واستخدمت ستاراً لإشباع شهوات الجسد ورغباته كانت الخسارة فوق ما يتصور الإنسان.

«بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً»:

«اخـدموا» douleÚete:

هنا الخدمة جاءت في الأصل اليوناني بمعنى العبودية (دوليا doule…a). إذن، يصح أن تُترجم: "بل بالمحبة استعبدوا أنفسكم بعضكم لبعض". والمسيحية لا تعرف ولا تؤمن بالعبودية إلا للمسيح ولله: «بولس عبد ليسوع المسيح» (رو 1:1)، ولكن الحرية في المسيح من الممكن أن تصير عبودية حقيقية بالكرازة وبدافع المحبة والخدمة نحو الآخرين: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًّا ولكن بأنفسنا **عبيداً** doÚlouj **لكم من أجل يسوع.** لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (2كو 4: 5و6). هكذا إذا أشرق نور الله في قلوبنا بمعرفة المسيح، نصير في الحال مديونين وعبيداً للنور حتى نعرِّف به الآخرين. القديس بولس صار عبداً لله والمسيح، لأنه استؤمن على نور معرفة المسيح فأصبح خادماً له خدمة العبودية الحلوة والمجيدة. والمسيح نفسه أخذ صورة عبد لكي يخدم الصليب: «لكنه

أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شِبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في 2 : 7و8). وهكذا نضع أنفسنا كعبيد للإخوة حاملين صليب المحبة.

يا إخوة، نحن استؤمنَّا على محبة الله في يسوع المسيح على مستوى محبة الله **الآب** للمسيح نفسه:

+ «أيها **الآب** البار إنَّ العالم لم يعرفك (بإشراق نور الله فيه)، أما أنا فعرفتُك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني (لأعرِّفهم اسمك، أي أقنومك)، وعرَّفتُهم اسمك وسأعرِّفهم (بالروح الساكن فيهم)، **"ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به"**، وأكون أنا فيهم.» (يو 17: 25و26)

فإن كان المسيح قد وهبنا **"حب الآب له"!!** إذاً فحتماً قد أُرسلنا لنعرِّف الآخرين: مَنْ هو

الآب، ومَنْ هو الابن الذي سكب فينا هذا الحب. هذا الحب الأبوي الفائق هو طاقة نور لتسخير كل مَنْ حمله، كل مَنْ دخل تحت سخرة الحب الباذل حتى إلى الصليب:

+ «أيها الأحباء، إن كان الله قد أحبَّنا، هكذا ينبغي لنا أيضاً أن يُحِبَّ بعضُنا بعضاً. الله لم ينظره أحدٌ قطُّ، (ولكن) إن أحب بعضُنا بعضاً، فالله يثبت فينا (بالحب) ومحبته (تكون) قد تكمَّلت فينا.» (1يو 4: 11و12)

المسيح إذ هو قد امتلأ بحب الآب، حمل الصليب مسخَّراً بالحب حتى إلى الذبح. وكانت وصيته أن نحمل الصليب تحت ذات السُخرة لنحب الآخرين حتى الموت. المحبة في المسيح يسوع سُخْرة ذات جلال ومجد وعبودية أشرف من الملوكية. العبد يعمل باجتهاد ليرضي سيده، هكذا الذي يُحب فهو عبد الذي أحبَّه، وعبد الذي يحبُّه، ومسرَّته هي أن يُرضي مَنْ أحبَّه ويرضي مَنْ يحبُّه بذات القدر.

المسيح، في كلمة، هو "مصلوب المحبة". وعبيده حتماً يعيشون مصلوبين حبًّا:

+ «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك **وضع** نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن **نضع** نفوسنا لأجل الإخوة.» (1يو 3: 16)

هذه هي عبودية الحب بعضنا لبعض.

يوحنا الرسول دُعِيَ "الحبيب"، لأنه عاش في حضن يسوع كما المسيح في حضن الآب. فلما ذاق الحب بالحق قال:

+ «أيها الأحباء، لنحب بعضُنا بعضاً لأن المحبة هي **من** الله، وكل مَنْ يُحب فقد وُلد **من** الله ويعرف الله، ومَنْ لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة.» (1يو 4: 7و8)

القديس يوحنا يضع هنا **علامة مميزة للخليقة الجديدة لكل مَنْ وُلد من فوق**، كل

مَنْ نال التبنِّي وقَبِلَ روح البنوة: **إنه "يحب".** القديس يوحنا جعل مَنْ يحب الآخرين هو برهان الولادة الجديدة كهبة من هبات الله للمولود منه، هذا في الظاهر والعلن. أما في السر والخفاء، فإن مَنْ يحب الآخرين، فذلك برهانٌ أنه أصبح يعرف الله معرفة الابن لأبيه لأن الله محبة، وكل مَنْ يحب يكون قد وُلد منه وأصبح حاملاً سر معرفته، كما يعرف الإنسان أباه. والقديس يوحنا يوجِّه نظرنا أنه بمجرد أن الله يدعونا أولاده، **فهذا تعبير سرِّي إلهي أنه أعطانا محبته الخاصة لابنه:**

+ «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى **نُدعى أولاد** الله!!» (1يو 3:1)

لذلك جعل القديس يوحنا المحبة قرينة الإيمان بالمسيح. فلا إيمان بدون محبة، ومع المحبة يزدهر الإيمان بالمسيح جداً:

+ «وهذه هي **وصيته** أن **نؤمن** باسم ابنه يسوع المسيح **ونحب** بعضُنا بعضاً كما أعطانا وصية.» (1يو 3:23)

لذلك كما أن بدون الإيمان بالمسيح نبقى تحت الخطية في الموت، هكذا المحبة تماماً:

+ «**مَنْ لا يُحب أخاه يَبْقَ في الموت.** كل مَنْ **يبغض أخاه فهو قاتل** نفس.» (1يو 3:14و15)

هكذا يصبح غياب المحبة كفرصة لحلول الشيطان، لأنه وحده الذي يُدعى قتَّالاً للناس!! وعلى عكسها تماماً نجده يقول إن **مَنْ يُحب ينتقل من الموت إلى الحياة،** ومن الظلمة إلى النور، وكأن المحبة هي نفخة حياة من الله:

+ «نحن نعلم أننا قد **انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب** الإخوة!!» (1يو 3:14)

هذا هو قانون الإيمان بالنسبة للإيمان بالمسيح تماماً. إذاً، فالإيمان بالمسيح لا يكمل ولا يستعلن صدقه إلاَّ بمحبة بعضنا بعضاً، لأن ذلك يعلن حضور روح الله بالصدق. وكما أن الإيمان الواثق هو علامة ثبوت في الله، هكذا الحب الباذل، وبنفس المقدار:

+ «**مَنْ اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله.** ونحن قد عرفنا وصدَّقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة، **ومَنْ يثبت في المحبة، يثبت في الله والله فيه.**» (1يو 4:15و16)

هذا أمر عجيب حقاً، ويكشف أن **الإيمان بالمسيح** لا يُستعلن بالفكر التجريدي

ولا بالقناعة اللاهوتية ولا ببرهان العقل والنقل، ولكن **يُستعلن بالمحبة**. والمحبة وحدها هي المستأمَنة على نقله والكرازة به!!

كذلك فالمحبة الواجبة نحو الله لا يطلبها الله بنوع الأنانية، فهو لا يقبل محبة الإنسان دون أن يكون لها وجود حقيقي عند الإنسان لأخيه الإنسان، وهذا عجب الله! وكأن الله صمَّم أن لا يكون له وجود عند الإنسان بدون قبول الإنسان لأخيه الإنسان، وهذا أمر يُذهل العقل:

+ «ولنا هذه الوصية **منه** أن مَنْ **يحب الله، يحب أخاه** أيضاً.» (1يو 4:21)

فأيُّ ملك، أو زعيم، أو أي رئيس ديني، كان مَنْ كان، يشترط أن لا يقبل محبة أي إنسان له إن لم يُثبت هذا الإنسان محبته للآخرين؟!!

أنت عجيب يا الله، وتعاليتَ جداً على كل بني البشر بحبك العجيب ذي الألوان المتناهية في الجمال والبريق الخاطف للقلوب.

أترفض محبتي إن لم أُقدِّمها لأخي أولاً؟

يا ويحي، ويا لشقاوة نفسي، إن انصدَّ قلبي عن حُبِّ أحد،

فحتماً ستشيح أنت بوجهك عني، وينحجب نورك من قلبي.

اسمع ما يقوله رسول المحبة:

+ «**كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح، فقد وُلد من الله، وكل مَنْ يحب الوالد (الله) يحب المولود منه أيضاً** (أولاد الله). بهذا نعرف أننا **نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه.**» (1يو 5:1و2)

لقد اعتبر القديس يوحنا أن الحب مادته هي من نور الله، يسري سرًّا فيضيء القلوب ويضيء العالم كله من حول الإنسان. فالذي اقتنى حب الله والإخوة، فالعالم كله من حوله مكشوف وطرقه سهلة ناجحة مضيئة صاعدة دائماً إلى فوق، والناس كلهم من حوله يبتسمون مستبشرين، يضحكون في وجهه وضحكهم يبهج قلبه، ليس من عدو يتراءى أمامه إلاَّ ونور الحب في قلبه يغطي عداوته ويخترقها اختراقاً، فلا يجد فيها إلاَّ دعوة إلى الملكوت ووجه المسيح ذي الجلال.

اسمع رسول المحبة وهو يصف عالم المحب:

+ «وصية جديدة أكتب إليكم، ما هو حق فيه وفيكم: أن الظلمة قد مضت (نهائياً) والنور الحقيقي الآن يضيء (الإنسان والعالم والحياة). مَنْ قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة. **مَنْ يحب أخاه يثبت في النور، وليس فيه**

عثرة!! وأما مَنْ يبغض أخاه فهو في الظلمة، وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه.» (1يو 2:8-11)

يا إخوة، يا بني النور، يا أصحاب المصابيح المضيئة، أنتم نور في عالم الظلمة، تسيرون خلف ذلك الذي قال: «ما دمتُ في العالم، فأنا نور العالم» (يو 9:5)، «مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو 8:12). هذا هو الحبيب الذي سكب حبَّه وحب أبيه له في قلوبنا، فأضاء الحياة والعالم من حولنا، فمَنْ ذا الذي يتبعه حاملاً النور إلاَّ الذي حمل صليب الحب

باستعداد بذل الحياة. **فإذا اظلمَّت الحياة حولنا، فهذا لغياب نور المسيح،** ونور المسيح يغيب بغياب الحب كما في هذه الأيام الأخيرة: «ولكثرة **الإثم تبرد محبة** الكثيرين.» (مت 12:24)

يا إخوة، يا بني النور، اشعلوا مصابيح قلوبكم بالحب ليكون لكم نور الحياة فتنقشع الظلمة الوهمية المحيطة، ويشرق لكم الله نوراً من ظلمة ويضيء لكم وجه الحبيب، فتعرفون الطريق وتعرفون الحق والحياة، والله وعد أن لا ينطفئ نور مصباحه في قلوبنا وأمام وجوهنا إلى الأبد، لأن المسيح قد وعد: «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر آمين.» (مت 20:28)

فإذا عدنا أيها القارئ السعيد إلى بداية الآية (13:5) وهي الحرية التي دعينا إليها في المسيح، نجد أن بولس الرسول مع إصراره على عدم إهدارها سلبياً بجعلها فرصة للجسد يهتم من الجهة الأخرى بأن يحفظها وينميها إيجابياً بخدمة بعضنا بعضاً بالمحبة. والمعنى هنا عميق للغاية إذ يؤكد أن الحرية في المسيح يستحيل أن تُفهم وتكمَّل فردياً فهي حرية الجماعة، حرية الكنيسة، حرية جسد المسيح ذي الأعضاء المتحدة بالمحبة والمترابطة والمترافقة بعضها في بعض. إذن فالحرية التي إليها دعينا في المسيح لا تكمَّل إلاَّ بالمحبة، حيث المحبة تؤمن الحرية ككل وفي نفس الوقت تعطي الفرد قوة امتداد لا نهائي في الجماعة فيعيش الإنسان الواحد بإمكانية حرية ومواهب الجماعة كلها. وهذا يعني أن مواهب الكنيسة كلها إنما تعمل لحساب المؤمن الواحد.

فصحيح أن الكنيسة تتكون من أفراد، ولكن الفرد في الكنيسة هو كنيسة! ألا يأكل المؤمن جسد المسيح كله ويشرب دمه مع أنه لا ينال في وسط الجماعة إلاَّ الجزء اليسير جداً ولكن جسد المسيح لا يتجزأ مثله مثل المسيح، فالذي يمتلك المسيح كله

كيف يحسب بعد فرداً في الكنيسة، أليس هو كنيسة في الكنيسة؟

إذن بمقتضى هذه الآية (غل 13:5) تكون الحرية التي إليها دعينا إذا قبلناها إيجابياً في المسيح وخدمنا بعضنا بعضاً بالمحبة يكون هذا هو معنى الكنيسة العملي أي تحقيقها وجودياً، في الجماعة والفرد.

متى يا رب تتعرَّف الكنيسة على نفسها بل متى نتعرف على أنفسنا!

14:5 **«لأَنَّ كُلَّ النَّامُوس في كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: تُحِبُّ قريبَكَ كَنَفْسِكَ».**

هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة والآية اللاحقة.

فالآية السابقة تقول آخر ما تقول: «بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً» هذه من وجهة الكرازة بالمسيح. أمَّا الآية اللاحقة فتكشف أن هناك شجاراً عنيفاً بين فئات الكنيسة، بين مسيحيين مناصرين لليهود المزعجين وفئة مناصرة للقديس بولس وحق الإنجيل وفئة منحلّة استخدمت الحرية المسيحية في أعمال جسدية شائنة وقد دبَّ الشجار بينهم، حتى أن ق. بولس يخاطبهم في هذه الآية أن يكفُّوا عن تعدِّيهم على بعضهم لئلاً يفنوا أنفسهم.

وهنا تجيء الآية التي بين أيدينا تتوسط الثلاث جماعات، فالجماعة شبه اليهودية تردعها بكلمة الناموس أن تحب قريبك كنفسك، وجماعة المنحلين تحضهم على خدمة المحبة عوض خدمة الجسد في الانحلال، أمَّا جماعة مسيحيي غلاطية المحافظين على إيمان المسيح فتأتي هذه الآية الناموسية في توافق كامل مع وصية المسيح: «أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم.» (يو 34:13)

فهنا ق. بولس يؤنب الجماعة المنحازة لليهود أنه بدل أن يجروا وراء الختانة وحفظ الأيام والشهور والسنين كان بالأولى عليهم أن يكمِّلوا الناموس بالمحبة لا بالجري وراء الأركان الضعيفة.

وهنا يلزمنا أن ننبه أن ق. بولس يفرِّق بين أعمال الناموس القانونية كالفرائض وبين وصايا الرب فيه المعتبرة أنها الناموس الأدبي أو الأخلاقي كإكرام الأب والأم ومحبة القريب كالنفس، لأن الناموس الأخلاقي روحي هو ومقدَّس وقد امتد ليدخل في العهد الجديد بصورة أكثر روحانية.

فمثلاً: «تحب قريبك كنفسك» (لا 18:19) في ناموس موسى الأدبي، صارت: «أحبوا أعداءكم» (مت 44:5) في ناموس المسيح الإلهي. ومن هنا تظهر النسبة بين ناموس موسى كقزم في مستواه الأدبي أمام ناموس المسيح كعملاق تطال رأسه

السماء. ونتبين أيضاً بسهولة الدرجة البدائية في التهذيب الخلقي في ناموس موسى، فهو يحض على محبة القريب وهي طبيعية إلى حد بعيد فمن ذا الذي لا يحب قريبه؟ ولكن درجة التهذيب هي في قوله: «كنفسك» هنا تظهر الدرجة التعليمية على التو أنها رفع الأنانية عن الإنسان من ناحية ومن ناحية أخرى جمع إسرائيل كشعب في ألفة المحبة حتى لا يتبدد وتدخله عناصر أُممية تفسد الغاية من جمعه وتهذيبه.

أمَّا الناحية الروحانية الفائقة في ناموس المسيح الإلهي فهي تفوق الطبيعة بل وتلغي ميولها إلغاءً حاداً، فأي طبيعة تحتمل أن يحب الإنسان عدوه؟ أليس هذا إلغاءً كاملاً للذات بل وللطبيعة على حد سواء؟ وهذا هو القصد من ناموس المسيح الإلهي أن تصبح المحبة عند الإنسان غير نابعة من

الطبيعة إطلاقاً بل يكون مصدرها من خارج الإنسان كليًّا، أي تكون من الله، فتكون محبة إلهية بنوع فائق وممتاز. وهنا تصبح محبة العدو بحد ذاتها كرازة وشهادة أن الإنسان تجاوز ذاته وطبيعته بقبوله المسيح بل وصار خليقة جديدة مولودة من فوق.

والآن يا صديقي القارئ كيف يعرف الناس أنك مسيحي ومولود من فوق حقًّا وأن المسيح خلقك خليقة جديدة من روحه ومن ذاته؟ أي عمل تستطيع أن تشهد به لمسيحك ولإلهك ويكون من أعمق وأصدق ما تشهد به؟ إنه حبك لأعدائك، فهذا هو المسيح فيك وهذا هو روح الله الذي يعمل فيك. لأنه ليس خليقة في الوجود في السماء كانت أم في الأرض تقوى أن تحب العدو حبًّا صادقاً باذلاً أميناً إلاَّ الله ذاته، لأنه يشرق شمسه على الأشرار والأبرار ويمطر على الصديقين والظالمين وينعم بالصحة والوجود ويمتِّع نفس الإنسان بطبيعته وخيراته وذلك للخاطئ والنجس كالقديس والطاهر سواءً بسواء.

15:5 **«فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَانْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً».**

حينما سأل فريسي ليجرِّب المسيح: «مَنْ هو قريبي» الذي نصَّت الوصية على محبته كنفسي؟ أجابه المسيح من ذخائر العهد الجديد المكنوزة في قلبه بقصة مؤداها أن قريبه قد يكون هو أعدى أعداء جنسه وهو السامري؟ وكان قصد المسيح للتو أن يبشِّر بالملكوت لا محالة!! فهنا جاءت الإرهاصة الأُولى في بناء صرح العهد الجديد على أساس «أحبوا أعداءكم»

وهنا في هذه الآية التي تأتي مباشرة بعد «تحب قريبك كنفسك» يسوق ق. بولس أقسى وأعنف نقد لهؤلاء الغلاطيين الذين منهم المتحررون لحساب الجسد ومنهم المتشيعون لليهود الكذبة، إذ يشبِّههم بالكلاب التي تنهش بعضها إلى درجة أن يصل النهش (العض) إلى أكل اللحم! فيموت الكلب العاض ويموت المعضوض. ولكن

يخفي المرموز إليه ويكتفي بالرمز أي النهش والأكل في صمت. ولماذا بلغوا هذا الحد؟ لأنهم لم يحبوا لا قريبهم ولا عدوهم، لا الناموس القديم ولا الناموس الجديد، فاكتفوا بالختانة وحفظ الأيام والأوقات، فلم تسعفهم محفوظاتهم ولا ختانتهم من أن تستظهر عليهم طبائعهم الوحشية التي أوشكت أن تبددهم شذراً مذراً.

وكأني بالقديس بولس بعد أن عرض عليهم نداء اليقظة من نحو الالتفات إلى ناموس المحبة في ناموسهم من نحو القريب، يحذّرهم من المصير الأسود باكتفائهم بالختانة وحفظ العوايد الميتة.

وهكذا قسَّم هذا الكارز الحكيم رسالته، جزءها الأول مدرسة للعقيدة والإيمان الصحيح ثم دار دورته ليكشف ما تؤدي إليه العقيدة العاجزة والإيمان الكلامي حينما تأتي الممارسة ليظهر عوار العقيدة وعجز الناموس الفاضح الذي يهتم بختانة عضو الذكر ويقصر عن أن يهب القداسة ليرد عنه طبيعة الزنا وشهوته، ويحض على حفظ الأيام والساعات والمواقيت ويترك القلب والضمير تتحكم فيه قوى الشر والشرير.

ثم أليس هذا الكلام مصوَّب نحونا حتى لا نجري وراء الشكليات وتوافه العبادة ونترك القلب والضمير تتحكم فيه الشهوات والنزوات. ونؤدي الفروض والواجبات تمام الأداء وتقصر روحنا حتى عن محبة القريب ولا أقول محبة العدو، فلا حصَّلنا ظل دعوة الله بالروح والحق ولا حصَّلنا حتى دعوة الناموس للجسد!!

وحينما يقول ق. بولس لأهل غلاطية: «تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً» أليس هذا عين ما نمارسه نحن والكنيسة من **نقدٍ مرٍّ** أليم جارح للغير، **واغتياب** الغائب بأقبح الأوصاف والاتهامات لإرضاء نزوات وعداوات قلوبنا التي تغرَّبت عن المسيح تغرُّب أهل غلاطية عن ق. بولس؟ أليست رسالة ق. بولس لأهل غلاطية هي رسالة الساعة من المسيح لكل قارئ وسامع عن قرب أو من بعد؟ فكل مَنْ يسمع **حتى من الخارج** ما يحدث الآن في الكنيسة بين أولادها ورؤسائها وقد فاحت رائحة النهش على صفحات الجرائد والمنشورات وقرأها رجل الشارع والمقهى كما قرأها الحكيم والأديب والكاتب من كل ملّة فصفَّر بفمه وضرب كفاً على كف لماذا يُخرج هذا الشعب أسراره على الملأ؟

فيا شعب المسيح المبارك عودة إلى الإنجيل! اذكروا غيرة صباكم على الحق والعدل والرحمة والمحبة، لماذا تغرَّبتم عن أنفسكم الوديعة وقلوبكم الطيبة المحبة.

اذكروا مرشديكم في الرب، اذكروا آباءكم العظام في النعمة والحكمة الذين كانوا فخراً ونوراً للكنيسة والشعب والأمة!!

(ب) السلوك بالروح (5: 16-18)

5 : 16 **«وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ».**

الترجمة هنا خاطئة ولم تُراعِ التركيب النحوي للغة اليونانية، وصحتها كما جاءت في كل الترجمات الأجنبية لكبار الشرَّاح ولفم الذهب: «وإنما أقول اسلكوا بالروح **فلن** تكمِّلوا شهوة الجسد»

«لا»: oÙ m¾

هنا تخطئ الترجمة إذ جعلتها بصيغة النهي للفعل العادي ولكنه نفي يخص المستقبل فهي ليست «لا» بل «لن» «فلن تكمِّلوا شهوة الجسد» **لأن النفي في اليوناني إذا دخل على الفعل في وضع الصيغة المصدرية subjunctive فإنه يكون تشديداً للنفي في مفهومه المستقبلي**(133)**.** وبهذا يتغيَّر معنى الآية نهائياً. فالقديس بولس اعتماداً على ما قاله من جهة البر بالإيمان وليس بأعمال الناموس ومن جهة نوالهم الروح القدس: يقول لهم: إذن **اسلكوا بالروح** (الذي فيكم الذي لكم من الله) **«اسلكوا بالروح فلن تكمِّلوا شهوة الجسد».**

الفارق هنا عظيم لأن ترجمة الآية بوضعها الخاطئ «اسلكوا بالروح فلا تكمِّلوا شهوة الجسد» ذات معنى خاطئ ومحيِّر، كيف يعطيهم الأمر بالسلوك بالروح ثم يعطيهم أمراً آخر أن لا يكمِّلوا شهوة الجسد. ومَنْ ذا الذي يستطيع أن لا يكمِّل من ذاته شهوة الجسد؟ أمَّا بعد التصحيح فإن الآية تصبح وعداً بتأكيد كمَنْ يراهن لهم على صدق المقولة واثقاً أنها من الله وأنها حق لهم أنهم إذا

(133) Bruce., *op. cit.*, p. 243.

سلكوا بالروح فلن يكمِّلوا شهوة الجسد. بهذا تتضح فاعلية الروح القدس واستظهاره على شهوة الجسد. وبهذا يصبح للإنسان ملاذٌ من الله لضبط جماح الجسد وشهواته كرحمة ومعونة ونعمة منه. لقد تسببت ترجمة هذه الآية بهذه الصورة الخاطئة في يأس الكثيرين وكأن الإنسان مفروض عليه كوصية ناموسية جديدة أن لا يكمِّل شهوة الجسد؟ في حين أن الله أخذ على عاتقه أن يتعامل هو مع الجسد بنعمته وقوة روحه القدوس الموهوب للإنسان.

«اسلكوا بالروح»: peripate‹te

وإضافة حرف: "peri" زيادة. وكلمة: "p£toj" تعني: "الطريق" مثل: "ÐdÒj" و"هالاك" بالعبري. وتعني في جميع اللغات معنى المسيرة الأخلاقية أو الدينية كما أتت لبولس الرسول في رسالة كورنثوس الأولى: «لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب والأمين في الرب الذي يذكركم **بطرقي** ÐdoÚj» (1كو 4:17)، وهي بالعربية الفصحى "السبيل".

والآن ق. بولس لا يبني من فراغ حينما يقول: «اسلكوا بالروح» فالغلاطيون قبلوا الروح القدس لمَّا آمنوا بالإنجيل، وإن استعلان الروح فيهم تحقق بأعمال قوية: «أريد أن أتعلَّم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس أخذتم **"الروح"** أم **بخبر الإيمان؟** **... فالذي يمنحكم الروح، ويعملُ قواتٍ فيكم،** أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟ »(غل 3:2و5). فالآن وبناءً على ما تمَّ في حياتهم سابقاً واختبروه وعاشوه يعطي المشورة.

«فلن تكمِّلوا شهوة الجسد»:

لذلك هنا لا تأتي الجملة بصيغة النصيحة أو الأمر كما يخطئ كثيرون في فهمها بسبب الترجمة الخاطئة، ولكن تجيء هنا كنتيجة مباشرة لانقيادهم "بالروح" في طريق الحق والإنجيل، فإن الروح هو الذي سيعين جسدهم فلن يكمِّلوا شهوة الجسد لأن الجسد شهواته لا يقوى على ضبطها كل ما للجسد بل "قوة الروح". فكأن بولس الرسول يعطيهم وعداً من خبرته والنعمة التي فيه، أنهم إذا انقادوا للروح وسلكوا بمشورته وأعطوه الأولوية في الطاعة فإن الروح هو الذي سيقوي إرادتهم حتى أنه سيجعلهم لا يكمِّلون شهوة الجسد، لأن هذا هو وعد المسيح: «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 8:36). **أحراراً** هنا ليس من الناموس وحسب بل من الخطية **وسلطان الجسد.**

كان اليهود والربيون والحكماء مثل فيلو الحكيم اليهودي يعتقدون أن ختانة الجسد تسلّح الإنسان اليهودي ضد النجاسة والشهوة والزنا، ولكن كانت هذه أوهام وتمنيات لم تتحقّق، فهنا ق. بولس يرد على ادعاء اليهود الذين كانوا يعدونهم أن بالختانة تحفظ طهارتهم فلا ينحرف الجسد للنجاسة والزنا. ق. بولس هنا يعطيهم الطريق الصحيح والوحيد وهو طريق الإيمان بالإنجيل والسلوك بالروح، أي أن يعيشوا متمسكين بالروح القدس ومنقادين بنعمته، فهذا هو وحده الذي يجعلهم لا ينقادون لشهوة الجسد.

وهذا هو الذي عرفناه من خبرات القديسين تطبيقاً للإنجيل ولقول ق. بولس هنا وفي أماكن كثيرة، أن «بالنعمة (أنتم) مخلَّصونَ، بالإيمانِ، **وذلك ليس منكم. هو عطيةُ اللهِ.** ليس مِنْ أعمالٍ كيلا يفتخِرَ أحدٌ» (أف 2: 8و9). هنا الخلاص هو خلاص الروح للحياة الأبدية وهو أيضاً منصب على أعمال العدو والجسد والعالم، وهو خلاص الروح والجسد معاً: الروح بالإيمان للحياة الأبدية والجسد من شهوات الغرور والشرور التي لا حد لها.

فيا قارئي المتألم من الجسد وشهواته لا خلاص إلاَّ بالنعمة، واعلم تمام العلم أن خطاياك السالفة والآتية جميعاً حملها المسيح في جسده على الخشبة، فلا وجود لها عند الله ولكن في ضميرك أنت الذي يغذيه الشيطان بالأوهام ليضغط عليك باليأس. فهذه الأوهام لا يكشفها إلاَّ الروح القدس بنعمته فيرفع المسيح عنك بدمه ضمير الخطايا (عب 9:14)، فأنت ليس عليك خطية عند المسيح بل لك عند المسيح نعمة، ولكن إن أنت أهملت في اقتنائها فعليك بالصلاة لتنال النعمة التي هي حقك في المسيح والنعمة تكفيك، كما قال المسيح للقديس بولس وهو يشكو ويصلّي من أجل آلام جسده فقال له: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضَّعفِ تُكْمَلُ» (2كو 12:9). وق. بولس سيستوفي هذا التوتر الشديد بين الجسد والروح في الآيات القادمة.

17:5 **«لأنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذانِ يُقاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ».**

تمهيد:

لقد عالج ق. بولس هذه المضادة التقليدية بين الجسد والروح في رسالته إلى أهل رومية (8:5-9و12 إلخ) وانتهى إلى أن الجسد تنتهي أعماله بالموت والروح

هو روح القيامة للحياة الأبدية.

وفي الحقيقة أن الصراع بين الجسد والروح هو قائم وسيظل قائماً طالما أن الإنسان يحيا بالإيمان بروحه متحداً بالمسيح للحياة الأبدية التي ليس للجسد فيها نصيب، وهو في واقعه يعيش في جسد ترابي يشتهي ما في الأرض وهو مدعو إلى الموت حتماً.

لذلك يمر الإنسان المسيحي في عمليتين متوازيتين:

+ «لذلك لا نفشل بل وإن كان **إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدَّد يوماً فيوماً.**»

(2كو 4:16)

بمعنى أن الإنسان الجديد المدعو "بالداخل" المخلوق بحسب الله في المسيح المدعو للحياة الأبدية، لا بد أن يرتقي بالروح الذي فيه وينمو يوماً فيوماً بقدر ما يغتذي على الإنجيل والنعمة والحق. بينما الإنسان العتيق وهو المدعو "بالخارج" أي الظاهر، فإنه بقدر ما ينمو الإنسان الجديد بقدر ما يتقهقر العتيق، لأن الجديد ينمو على أساس التخلّي عمَّا للقديم من تسلط ووجود وقوة. والعتيق نهايته التراب حتماً وأمَّا الجديد فالسماء موطنه الموعود.

وق. بولس يعود ويصوِّر هذا التبادل العجيب في الموت والحياة داخل الإنسان بين ما هو قديم وما هو جديد أو ما هو للأرض وما هو للسماء هكذا:

+ «لأننا نعلم أنه إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماوات بناءٌ (روحيٌّ) مِنَ الله، بيتٌ غير مصنوعٍ بيدٍ، أبديٌّ.» (2كو 5:1)

ثم يعود ويكمِّل حتمية هذه المبادلة العجيبة داخلنا بين الموت والحياة كواقع لا مفر منه:

+ «فإذ نحن **واثقون كل حينٍ وعالمون** أننا ونحن **مستوطنون في الجسد**، فنحن **متغرِّبون عن الرب**.» (2كو 5:6)

ثم يسلِّم بهذا الأمر الواقع على أساس أن بيدنا عربون سر النهاية هكذا:

+ «ولكن الذي **صنعنا لهذا عينه** هو الله، الذي أعطانا أيضاً **عربون الروح** (سر النهاية منذ البداية).» (2كو 5:5)

ولكن لا ينسى القديس بولس أن يكشف هذا الصراع الحتمي الموضوع فينا والذي وُضعنا نحن له من جهة أشد أنواع الجذب فيه وهي شهوة الجسد نحو النوازع الجسدية وما تؤدي إليه من تخريب فيقول:

+ «لم أعرف الشهوةَ لو لم يقل الناموس لا تشتَهِ.» (رو 7:7)
وهنا بدأ الجسد يعرف أن الشهوة خطية!

+ «ولكن الخطية وهي متخذةٌ فرصةً بالوصية (لا تشته) أنشأت فيَّ كل شهوةٍ.» (رو 8:7)
والشهوة هنا استثارة زائدة على الطبيعة من جراء الوصية.

ثم قال الناموس أن الذي يخطئ (يتم الشهوة) **يموت!!** وهكذا تؤدي خطية الناموس للموت:

+ «فوُجِدَت **الوصية** التي للحياة هي نفسها لي **للموت!!**» (رو 7:10) (فمت أنا بالوصية!!).

وقفة قصيرة:

إذن، الذي قال بالخطية وقال لا تشته هو الناموس. فإذن، قبل الناموس لم تكن الخطية معروفة ولم تحسب الشهوة خطية (كانت مستترة في الجسد) ولكن كان الإنسان عائشاً بالخطية والشهوة وهو لا يدرك أن الخطية خطية ولا الشهوة خطية.

إذن، الله أعطى الناموس ليكشف سرطان الخطية الذي كان الإنسان عائشاً فيه وهو لا يدري، وتخريب الشهوة التي تعمل وهو لا يحس بالتخريب. فبعد أن كشف الله الخطية أنها هكذا خاطئة جداً بالناموس وفضح الشهوة أنها هي المؤدية إلى الخطية وإلى تخريب الجسد والموت بالنهاية، جاء المسيح لينهي **أولاً** على فعل الخطية المميت للإنسان بكل أنواعها وشهواتها من زنا وقتل وغضب وسرقة، **وثانياً ينهي على الناموس كقانون يحكم بالموت** وذلك بأنه أخذ هو عقوبة الخطية بكل أنواعها ودرجاتها ومات بالجسد دافعاً ثمن كل خطايا الإنسان بالموت الذي ماته على الصليب، وهكذا أبطل الخطية كفعل مميت وأبطل الناموس كحكم بالموت. ولكن لم يكتفِ المسيح بالفعل السلبي ضد الخطية بل أعطى الإنسان فعلاً إيجابياً ضد الخطية والموت ذاته إذ أعطى الإنسان فعل القيامة من الموت بروحه ليكون روح القيامة فيه إلى الأبد. وهكذا ضمن الله انعتاق الإنسان من الهلاك سواء من الخطية كفعل أو من الناموس كحكم وذلك بواسطة الخلاص الذي أكمله ابنه بالموت على الصليب لإعطاء حياة أبدية للإنسان، حسب المخطط الإلهي:

+ «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو 3:16)

ولكن ما مصير الشهوة التي لا تزال تعمل في الجسد؟ وهل الخطية لا تزال تعيش؟

أمَّا الخطية هنا كفعل مميت مصدره ومحركه الشيطان انتهت إلى الأبد بقوة الفداء بدم المسيح على الصليب الذي عليه أبطل حركة الشيطان المتسلطة، والذي بقي من الخطية هو ميل الإنسان نحو الشر بإرادته هو وليس بفعل الشيطان، أي أصبحت الخطية مرتبطة بطبيعة الجسد فقط وليس بقوة الشيطان وتسلطه.

وأمَّا الشهوة فهي عوض أن كانت تسلطاً من الشيطان على الفكر والجسد بصورتها المثيرة والفائقة على مشيئة الإنسان، أصبحت محصورة في دوافعها الغريزية الطبيعية الخاضعة لمشيئة الإنسان وإرادته، حتى وإن زادت على الحد فذلك راجع أيضاً لزيادة الدوافع الغريزية في الجسد.

وبهذا يكون المسيح قد رفع عن الإنسان القوة الشريرة المتسلطة على الجسد والفكر والإرادة، ليستقل الإنسان بجسده وفكره ومشيئته ويتعامل مع طبيعته بإمكانياته.

ولكن، لن يكف الشيطان عن عمله بالإثارة من خارج الإنسان، فهو متسلط على العالم وعلى الآخرين الذين تعاهدوا معه. فالإثارة للإنسان المؤمن لا تزال تحيطه من كل جانب مما يجعل الطبيعة البشرية تحت ضغط متواصل. والله إذ يعلم هذا أضاف إلى عمل الخلاص إعطاء الإنسان نعمةً بقوة فائقة لكي يقود الإنسان عبر العالم المظلم تحت إرشاد النعمة ونور المسيح المتواصل:

+ «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين.» (مت 28:20)

ولكن يظل الإنسان حتى بمعونة الروح القدس والنعمة تحت ضغط وإلحاح الجسد وشهواته، ولكنه يحس بالرغم من تمرد الجسد أنه منتصر بالنعمة، وعثرات الجسد لا تلغي عمل النعمة في كل مجالات الروح.

وهكذا فإن الله لم يترك الإنسان دون أن يهبه قوة روحية ضد الخطية والشهوة والموت. فأول كل شيء وأساس الحياة الجديدة في المسيح: أن الله منح الإنسان **برَّه الخاص** وهو القداسة والتقوى المجانية كمنحة بلا ثمن في مقابل الإيمان بابنه، هذا بالإضافة إلى ما سبق من التبريء الذي ناله من كل الخطايا بالصليب.

وبر الله بالمسيح لم يُمنح للإنسان بفرمان منطوق بل **بقوة الروح القدس، كنعمة**

خاصة تسكن جسد الإنسان وفكره وروحه وضميره.

وهكذا بالنهاية فإن روح الله ونعمته التي وهبها للإنسان أصبحت المعونة الآتية من خارج الإنسان لتتعامل مع جذب الجسد ناحية الخطية وضد كل شهواته. على هذا الأساس وبضمان من الإنجيل كما يقول ق. بولس لأهل غلاطية: «اسلكوا بالروح **فلن تكمِّلوا** شهوة الجسد»

فالقديس بولس بعدما اشتكى وتأوه من الخطية هكذا:

+ «لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل.» (رو 15:7)

+ «فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ.» (رو 17:7)

+ «ويحي أنا الإنسان الشقيُّ! مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟» (رو 24:7)

بعد ذلك رفع صوته بالتهليل:

+ «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا! ... إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هُم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو 25:7 و1:8)

أمَّا تعامل الله بالمسيح مع الخطية وكل ما يتفرع منها فإننا نلخِّصه من واقع الآيات الخاصة بالخطية هكذا:

● فقد غسلنا من خطايانا بدمه:

+ «الذي أحبنا، **وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه.**» (رؤ 5:1)

● غير حاسب لنا خطايانا بعد!!

+ «الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه، **غير حاسبٍ لهم خطاياهم**.» (2كو 19:5)

● لأنه أبطل الخطية بذبيحة نفسه:

+ «ولكنه الآن قد أُظهِرَ مرَّةً عند انقضاء الدهور **ليُبطل الخطية بذبيحة نفسهِ.**» (عب 26:9)

● وبذلك يكون قد غفر خطايانا مرَّة واحدة:

+ «أكتب إليكم أيها الأولاد **لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه.**» (1يو

12:2)

● لأنه بنفسه صنع تطهيراً لخطايانا:

+ «الذي، وهو بهاءُ مجدِهِ، ورسمُ جوهرهِ، وحاملٌ كُلِّ الأشياءِ بكلمة قدرتهِ، **بعد ما صنع بنفسهِ تطهيراً لخطايانا،** جلس في يمين العظمةِ في الأعالي» (عب 3:1)

● فبدمه يطهرنا من كل خطية:

+ «فلنا شركةٌ بعضنا مع بعضٍ، **ودم يسوع المسيح ابنهِ يطهِّرنا من كل خطيَّةٍ.**» (1يو 7:1)

● أمَّا الناموس الذي أدخل الخطية والشهوة علينا اقتحاماً فقد ألغاه وأعتقنا منه:

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع **قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.**» (رو 2:8)

+ «عالمين هذا: أن **إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية.**» (رو 6:6)

● وكون المسيح يلغي الناموس يكون قد ألغى الخطية والموت حتماً:

+ «أين شوكَتُكَ يا موتُ؟ أين غلبَتُكِ يا هاويةُ؟ **أمَّا شوكة الموتِ (السامة) فهي الخطيةُ، وقوَّةُ الخطيةِ هي الناموسُ. ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.** إذاً يا إخوتي الأحباء، **كونوا راسخين، غير متزعزعين، مُكثرين في عمل الرب** كل حينٍ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (1كو 15: 55-58)

وننتهي من هذه الآيات الدامغة أن المسيح بموته على الصليب أبطل وكسر سلطان الخطية وسلطان الشيطان القهري على الإنسان وقدرتها على الموت وأنهى على حكم الموت ذاته بالإنهاء على الناموس. وهذا ما جعل ق. بولس يهتف:

+ «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو 8: 1و2)

+ «فإن الخطية لن تسودكم (بعد)، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمةِ.» (رو 14:6)

فطالما نحن متمسكون بالنعمة فنحن نستطيع أن نقاوم الخطية، وإذا سلكنا بالروح فلن نكمِّل شهوة الجسد. ولكن إن سلكنا بحسب شهوات الجسد برغبة نفوسنا فسوف تتخلَّى النعمة ويحزن الروح داخلنا:

+ «**أنتم عبيدٌ للذي تطيعونه**، إمَّا للخطية للموت أو للطاعة (بالروح) للبرِّ؟» (رو 16:6)

والآن عودة إلى آية ق. بولس الرسول القائدة: «اسلكوا بالروح **فلن تكمِّلوا شهوة الجسد!!**» هذا هو الروح الذي وهبه لنا الله ونعمته هي العاملة فينا. فكل مَنْ انحاز لروح الله في حياته ناصره الروح بنعمته في جهاده ضد الجسد وشهواته. إذن لنا قوة ومعونة وأمل ورجاء بروح الله، فهو الذي يقودنا في طريق الحياة:

+ «لأن كُلَّ الذين ينقادون بروح الله، فأُولئِكَ هُم أبناءُ اللهِ.» (رو 8:14)

وقد أعطانا ق. بولس الرسول خطة العمل:

+ «لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو 8:13)

ما هو وضع الخطية فيما بعد الإيمان والمعمودية أي بعد المسيح والصليب؟

والوضع هو: سقوط حكم الموت عن الخطية، وإمكانية مغفرة الخطايا كقوة عظمى من الله مجاناً.

حكم المسيح في ذلك:

+ «الحق أقول لكم: **إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر، والتجاديف التي يجدفونها.** ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر 3:28و29)

+ «لذلك أقول لكم: **كل خطيَّةٍ وتجديفٍ يُغفر للناس،** وأمَّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس.» (مت 12:31)

شروط المغفرة:

(1) الاعتراف بالخطية:

+ «إن قلنا إنه ليس لنا خطيةٌ نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا.» (1يو 1:8)

+ «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثمٍ.» (1يو 1:9)

+ «إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذباً، وكلمته ليست فينا.» (1يو 1:10)

+ «يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. **وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البارّ. وهو كفَّارةٌ لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.**» (1يو 2: 1و2)

إذن فالمسيح لا يزال يكمِّل عمل صليبه فينا بالشفاعة، ودمه لا يزال يتقطَّر: «خروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ 6:5) يغسل ويطهِّر ويقدِّس. فيا لنعيمنا بالذي فدانا ولا يزال يفدي ويسكب من روحه وحبه. فمَنْ ذا الذي ييأس من تكميل خلاصه!

(2) الصلاة:

ما سلَّمه المسيح لنا كقوة حاضرة معنا لمغفرة خطايانا:

+ «صلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ... واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير.» (مت 6: 9و12و13)

+ «إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت (التجديف على الروح القدس) ليس لأجل هذه أقول أن يطلب. كل إثم هو خطية وتوجد خطية ليست للموت.» (1يو 5: 16و17)

+ «أعلى أحد بينكم مشقات فليصلِّ ... وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له.» (يع 5:13و15)

+ «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها.» (يع 5:16)

+ «فقال كرنيليوس: منذ أربعة أيام إلى هذه الساعة كنت صائماً وفي الساعة التاسعة كنت أصلي في بيتي وإذا رجل قد وقف أمامي بلباس لامع وقال: يا كرنيليوس سُمعت صلواتك وذُكرت صدقاتك أمام الله ...» (أع 10: 30و31)

وبعد هذه المقدِّمة التي كان لا بد منها نأتي الآن إلى شرح الآية:

«لأن الجسد يشتهي ضدَّ الروح والروح ضد الجسد،
وهذان يقاومُ أحدهُما الآخرَ، حتى تفعلونَ ما لا تُريدونَ»:

الآن نحن أمام وضع آخر غير الذي عالجه ق. بولس في رسالة رومية في الأصحاح (7: 18-25)، لأن ق. بولس عالج في هذا الأصحاح الصراع بين الجسد ممثلاً في الخطية، والناموس ممثلاً بالذهن:

+ «ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي (الخطية) يحارب ناموس ذهني (المقتنع بالناموس) ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو 23:7)

وذلك عند الإنسان قبل أن يؤمن ويقبل النعمة وينال الإنسان الجديد بالروح.

أمَّا الصراع الذي يتعرَّض له بولس الرسول هنا في رسالة غلاطية فهو بين الطبيعة الجسدية بغرائزها الطبيعية وبين الروح القدس، وذلك عند الإنسان المؤمن بالمسيح والحائز على النعمة. غير أنه في الآية القادمة (18:5) سيبرز ق. بولس العنصر الثالث وهو **إرادة الإنسان الحرة** التي

تهذَّبت بالإيمان والمعرفة الروحية فعليها الثقل كله في تحديد إلى أي القوتين سينحاز الإنسان؟ هل إلى غرائز الجسد الطبيعية المثارة أم إلى نداء الروح والنعمة؟ فالإرادة البشرية المهذبة بالنعمة هنا للإنسان المسيحي هي المعوَّل عليها إلى أقصى حد، وهي التي ستعطي الإنسان إمَّا الانحياز للجسد فالسقوط والدينونة وإمَّا الانحياز للروح فالانتصار والتبرير!! فبدون إرادة الإنسان الواعية والمهذبة بالإنجيل لا ينجح الروح وحده في مقاومة جذب الجسد مهما صرخ الإنسان، وذلك حتى لا يجرح الروح حرية الإنسان التي سيُجازى بمقتضاها عن السقوط أو الانتصار.

«لأن الجسد يشتهي ضد الروح»:

هنا الجسد بطبيعته الغرائزية الطبيعية لا يشتهي ضد الروح فقط ـ أي العنصر الإلهي في الإنسان ـ بل ويكره رغبات الروح التي هي الوصايا الإلهية التي وُضعت لتضبط الجسد حتى لا يجمح وراء ملذات الجسد فوق ما تتطلبه طبيعة الإنسان العادية، وربما عكس ما ينفع الجسد: «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحياً» (1كو 14:2). فالروح يقول: لا تزن والجسد يرى في الزنا متعة ولذة لذلك يصبح الروح والإنجيل مكروهاً لدى الجسد الطبيعي، ولكن عن جهالة وقصور في الإلمام بالخير العميم الذي وراء الروح والإنجيل. فالجسد بجهالته يجري وراء متعة ولذة **وقتية** ويتمادى فيها بلا ضابط حتى يؤذي نفسه ويخسر ما ينتظر الإنسان من حياة أبدية أعظم سعادة وامتدادها إلى الأبد. إذن فالشهوة الجسدية تغذيها الجهالة ويدفعها الاستهتار بقيمة الروح والحياة الأبدية.

والسر في هذا الصراع والكراهية من جهة الجسد ضد الروح والعكس أيضاً، يرجع أساساً إلى اختلاف الطبائع. فالجسد أرضي ترابي مآله للزوال وهو مجال لاقتحام الشيطان، أمَّا الروح القدس فهو سماوي وأبدي إلهي منزَّه عن ما للجسد

من رغبات ونزوات ونقائص. فالصراع حتمي أو شبه طبيعي.

«والروح ضد الجسد»:

هنا لا يقصد ق. بولس أن الروح ضد الجسد، إنما الروح يشتهي غير ما يشتهي الجسد. فالروح يشتهي الطهارة وقداسة الإنسان جسداً وروحاً، ولكن الجسد في وضعه الطبيعي يشتهي ما هو ضد الطهارة تماماً وما هو ضد القداسة تماماً وهذا لاختلاف الطبائع، فطبيعة الروح قدوسة والروح أُعطي للإنسان ليقدِّسه ليعدَّه للحياة مع الله. فهنا اتجاه الروح الشديد

ناحية القداسة والتقديس يجعله لا يقبل أي انحراف للجسد ناحية النجاسة فهذا معناه حرمان الإنسان من مستقبله الروحي. على أن القداسة معناها التخصص لله والنجاسة هي البعد عن الله. فالجسد بسبب جموحه الغريزي نحو البعد عن الروح والروحيات التي تحد من شهواته ونزواته جُعِلَ الروح له بالمرصاد، فرئيَ من جهة الفكر أن الروح ضد الجسد ولكن هو في الحقيقة ضد جموح الجسد في البعد عن الله.

«وهذان يقاوم أحدهما الآخر»[134]:

وأوضح صورة للصراع بين شهوة الخطية وبين نداء الروح بالامتناع عن الخطية، فذلك نقرأه في أصوله الأولى جداً أو أصله الأول بلا نزاع في أمر قايين وشهوته لقتل أخيه لمَّا قبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قايين:

+ «فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه. فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع؟ (صوت الله في الضمير وإرادة العنصر

---

(134) الإنسان جسد ونفس وروح:

الجسد يمثله مجموعة الغرائز والميول الطبيعية: غريزة الأكل والنمو والتكاثر إلخ ...

والنفس يمثلها الانفعالات الطبيعية: الحب، البغضة، الحزن، الفرح، الكآبة، البهجة، السلام، العنف، السماحة، النقمة، الأمل، اليأس، الاجتهاد، الكسل، الرضى، الرفض ... إلخ.

والروح هي العنصر الإلهي الذي يمثله الضمير، إما يستقبل إيحاءات الله فيصير ضميراً خيِّراً أو يستقبل إيحاءات الشر فيصير شريراً.

والنفس موضوعة بين الروح والجسد، إذا انحازت للروح تصير نفساً روحانية، وإذا انحازت للجسد تصير نفساً جسدانية.

أمَّا القلب فهو مجرد اصطلاح لقاعدة المشاعر والعواطف المنعكسة من الجسد والنفس والضمير وهو إما صالح يخرج الصلاح وإمَّا شرير يخرج الشرور.

أمَّا الإرادة فهي الحركة المعبِّرة عن الذات، حيث الذات هي كل مكونات الإنسان وهي المعروفة بالشخص. والإرادة متعددة الأنواع بحسب تكوين الذات.

الإلهي في الإنسان) وإن لم تُحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.» (تك 4: 5-7)

+ «وكلَّم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله.» (تك 4:8)

هذا هو أعظم تصوير للصراع بين شهوة الجسد وهنا هي القتل، وقتل مَنْ؟ الأخ!! وبين صوت

الله المسموع هنا جهاراً والمسموع دائماً في الضمير. ولكن أبرز الله هنا سلطان الإرادة التي وضعها الله في الإنسان للتمييز بين الخطية وبين الطاعة لله!! «عند الباب خطية رابضة، إليك اشتياقها، وأنت تسود عليها» !

واضح في هذه القصة تتميم ما قاله ق. بولس تماماً! إذ ظل قايين تحت إلحاح شهوة القتل لتنفيذ الخطية حسب ما انحط إليه الجسد من الغيرة المرة المفسدة حتى انغلب للجسد وضرب بصوت الله عرض الحائط وتم قول القديس بولس: «حتى تفعلون ما لا تريدون»

«تفعلون ما لا تريدون»:

هنا الإرادة دائماً **منقسمة** بين إرادة حسنة لطاعة صوت الله، وإرادة شريرة لطاعة شهوة الجسد، فإن انحاز الإنسان وأطاع شهوة الجسد فإنه يعمل الشر ما لم يكن يريده حسناً في البداية قبل التنفيذ لأنه أراد ـ حسناً ـ جزئياً أن يطيع صوت الله ولكن الجسد غُلب أو انغلب بشهوته الملحَّة فانخذلت الإرادة الحسنة!! وسادت إرادة الشر.

والله وضع في الإنسان هذه **الإرادة الحرة** العظيمة حقًّا في حريتها، حتى إذا انحاز للروح بإرادته الحرة فاز برضا الله ورحمة وخلاصاً هذا مقداره وحياة أبدية. أمَّا إذا انحاز للجسد وانغلبت الإرادة الحرة لطاعة شهوة شرور الجسد خسر المعركة وأحزن روح الله فيه، وابتدأت الدينونة تخط خطوطها خطاً وراء خط.

ولكن نستشف من هذه المعركة البديعة أن حركة الجسد بشهواته قاسية وأليمة، لأنها تتخذ من الغرائز الطبيعية قوة وعنفاً، لذلك تحتاج من الإنسان قوة وعنفاً في الإرادة الحرة في انحيازها للروح الذي ـ حينما يرى الإرادة منحازة نحوه فعلاً ـ فهو يكمِّل نصرتها ويعين ضعفها ويقف وراءَها ينفخ فيها قوة وراء قوة حتى

يطبِّعها بطبعه ويصبغها بصبغته في الطهارة والحب والمسامحة والبذل، فيغلب أعتى خطية يتمخَّض بها الجسد فيقتلها وهي جنين قبل أن تتصوَّر:

+ «ولكن كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطيةً، والخطية إذا كَمَلَت تُنتج موتاً.» (يع 1: 14و15)

ثم نستشف أن ليس إنسانٌ قط لابسٌ هذا الجسد الطبيعي لا يتجرَّب بالشهوة حتى أقدس القديسين حتى المتزوجون المتعففون، فالجسد له غرائز تعرف طريقها حتماً للإعلان عن وجودها،

ولكن هنا يتصنف الناس بين المتهاون في التفاهم معها وبين الصارم الذي ليس عنده تفاهم، وحتى هذا الصارم الذي لا يتفاهم ولا إلى لحظة فهو حتماً يتوجَّع ويتلوَّى مستصرخاً الروح للمعونة، ويكون بذلك قد أدَّى واجبات المعركة.

18:5 **«وَلكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ».**

واضح مما قاله القديس بولس الرسول في رسالة رومية أصحاح (7و8) أن الإنسان إذا كان تحت الناموس فهذا معناه أنه يكون تحت تحدي الخطية الفائق على قدرة الإنسان:

+ «لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل ... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ ... لأن الإرادة حاضرةٌ عندي، وأمَّا أن أفعل الحُسنَى فلستُ أجدُ ... فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل، فلست بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ.» (رو 7: 15و17و18و20)

كل هذا التحدي السافر للخطية يحكيه ق. بولس ليوضح لماذا وُضع الإنسان ذاته تحت الناموس بتدبير الله نفسه، وهو يكشف ما اكتشفه ق. بولس تماماً أن الإنسان غير كفء من ذاته على وجه الإطلاق ليواجه ناموس الخطية الكائن في أعضائه: «ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني (معرفة الخير)، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي» (رو 23:7). والنتيجة هو الصراخ الذي أعلنه ق. بولس على مستوى اليأس القاتل: «ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟» (رو 24:7)

إلى هنا سمع الله وأرسل ابنه لينقذ الإنسان من جسد هذا الموت ومن سلطان الخطية المستبد ليعطيه جسد الحياة أو جسد القيامة للحياة الأبدية، ويلغي سلطان

الخطية إلى الأبد. لأن سلطان الخطية هو حكم الموت بأمر الناموس: فألغى المسيح الموت والناموس معاً: داس الموت وأماته بقيامته وأبطل الناموس وأعطى العهد الجديد لمغفرة الخطايا مجاناً مجاناً مجاناً. فأصبح شعار العهد الجديد هو مغفرة الخطايا وإعطاء الحياة الأبدية بدم المسيح مجاناً! عوض شعار العهد القديم بتتميم كل الوصايا وكل مَنْ يخطئ يموت!!

فالآن يقول ق. بولس، أنه إذا انقدتم "**بالروح**" وهو "**الروح القدس**" روح الحياة الجديدة في المسيح، فالروح هو المنوط به أن يقودنا في موكب قيامة المسيح الظافر إلى السماء دائسين مع

المسيح على الخطية والموت وبالتالي أحراراً من الناموس إلى الأبد.

هذه هي حقيقة وسر قيادة الروح القدس لنا. كل مَنْ يتبعه يلتحق بموكب نصرة المسيح في قيامة دائمة أبدية. وهذا هو سر تهليل ق. بولس بعد نواح الأصحاح السابع كله من رسالته إلى رومية: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو 8:1). بمعنى أننا إذا صرنا في المسيح يسوع تمزق صك خطايانا على الصليب فنجونا من الدينونة، وانتهت الخطية برعبتها إذ ألغى المسيح حكم الموت عنَّا إلى الأبد ومنحنا حياة جديدة مع الله، أبدية!!

ثم أضاف ق. بولس: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» في نفس الآية حتى يؤمِّن مكسبنا في المسيح ونصرتنا على الخطية إلى الأبد وغلبتنا مع المسيح للموت والهاوية. لأن السلوك بالروح القدس معناه ضمان وأمان أننا واصلون واصلون. والشرط الذي وضعه هام للغاية: «السالكين ليس حسب الجسد» أي جسد الخطية أي الجسد الذي رفض روح الحياة، الجسد العتيق الذي تآخى مع الخطية في عيشة مشتركة:

+ «فإن الذين هُم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ... لأن اهتمام الجسد هو موتٌ ... لأن اهتمام الجسد هو عداوةٌ لله، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله، لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله.» (رو 8: 5-8)

والقديس بولس يضعها هنا مختصرة للغاية: «إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس» وهذا يعني كل ما قلناه. فلستم تحت الناموس يعني أيضاً باختصار ليس تحت خطية وليس تحت حكم الموت!!

وهذا يعني حتماً وباختصار أننا نكون تحت نعمة! ويا لنعيمنا تحت نعمة الله:

+ «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان، إلى هذه "**النعمة**" التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو 5: 1و2)

(ج) الحياة حسب الجسد (5: 19-21)
الأعمال الظاهرة

حينما قال القديس بولس إن «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» كان في ذهنه أعمال كل منهما. والآن يبرز هذه الأعمال بحسب الظاهر منها خاصة فيما للجسد الطبيعي غير المسنود بالنعمة والذي لا يعمل لحساب الروح وإنما مسيّب على غرائزه.

والأساس الذي انطلق منه ق. بولس بتفكيره هو نداؤه لأهل غلاطية: «فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الإخوةُ. غير أنه لا تصيِّروا الحرية فُرصةً للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً.» (غل 5:13)

وها هو الآن يتعرض لاستخدام الحرية فيما يخص الجسد ولأسوأ قبائحه، كما يتعرَّض لمحبة القريب وكيف انقلبت إلى هتك أعراض الآخرين. وكل ذلك لغياب الروح القدس السند المبارك لحفظ حرية المسيحي لحساب قداسة المسيح.

تقسيم أنواع الخطايا التي جاءت في الآيات (5: 19-21)

دُكر في هذه الآيات الثلاث سبع عشرة خطية، ويمكن تقسيمها بحسب العالِم ليتفوت[135] إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الخطايا الحسيَّة: زنا ـ عهارة ـ نجاسة ـ دعارة.

---

(135) Lightfoot, *op. cit.*, p. 210.

القسم الثاني: تصرفات غير قانونية روحية: عبادة أوثان ـ سحر.
القسم الثالث: تعديات على المحبة الأخوية: عداوة ـ خصام ـ غيرة ـ سخط ـ تحزب
ـ

شقاق ـ بدعة ـ حسد ـ قتل.

القسم الرابع: التمادي في إشباع رغبات الجسد: سكر ـ بطر.

19:5 **«وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ: الَّتِي هِيَ زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ».**

+ «... الذين يفعلون مثل هذه لا يرثُونَ ملكوتَ اللهِ.»

(غل 21:5)

«ظاهرة»: faner£

تأتي هذه الكلمة في بداية الآية في أصلها اليوناني لأهميتها بالنسبة للآيات السابقة لكي يتبين للإنسان إن كان يسلك بالروح أم لا، إن كان يعيش حسب الجسد أم لا، فهنا يبدأ ق. بولس ليسجِّل الأعمال التي تمنع صاحبها من الدخول إلى ملكوت الله.

«زنى»: porne…a

وهو التصاق محرَّم مع امرأة زانية أو العكس لاستخدام العلاقات الجنسية للمتعة المحرَّمة، ويصيغها ق. بولس صياغة إنجيلية هكذا:

+ «لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله. أن لا يتطاول أحدٌ ويطمع على أخيه في هذا الأمر، لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا. لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة.» (1تس 4: 3-7)

+ «اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد. لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجِّدوا

الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (1كو 6: 18-20)

+ «ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح، أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية، حاشا! أم لستم تعلمون أن مَنْ التصق بزانية هو جسد واحد (معها) لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً!» (1كو 6: 15و16)

+ «الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد.» (1كو 6:14)

ولكن الأخطر من الكل ما كشفه المسيح من مستور فضائح الإنسان في قوله:

+ «إن كل مَنْ نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه!» (مت 5:28)
+ «ومَنْ تزوج مطلقة فإنه يزني.» (مت 5:31)
+ «وإن طلَّقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني.» (مر 10:12)

«نجاسة»: Impurity = ¢kaqars…a[136]

وهي خطية أوسع معنى واستخداماً من الزنا، فهي تشمل كل استخدام التلوث الخلقي بكل أنواعه، وهو يتسحب على الشر والانحلال الخلقي وبقصد إفساد الغير. ولكن أصل الكلمة لغوياً تأتي بنفي الطاهر أو الطهارة، فمثلاً إذا تلوث الجرح فهو في حالة "أكاثارسيا" التي تخرج منها حالة "الوساخة"، فأصبحت تستخدم على الإنسان الذي يخرج عن الطهارة الطقسية أو الناموسية ـ أي نجاسة. وهكذا أصبحت وساخة خلقية "moral impurity" ولكن دون إشارة صريحة إلى الناحية الجنسية واستقر المعنى إلى مفهوم النجاسة:

+ «لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم **إلى النجاسة، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم.**» (رو 1:24)

ويتضح من الآية أنها فعلاً تنتمي إلى الناحية الجنسية وبصورة مشتركة لامتهان أجسادهم أي فضحها.

كذلك يقول ق. بولس متعرضاً لذات الكلمة بمفهوم النجاسة:

+ «أتكلَّم إنسانيًّا من أجل ضعف جسدكم. لأنه كما قدَّمتم **أعضاءكم عبيداً للنجاسة** والإثم للإثم، هكذا الآن قدِّموا أعضاءكم عبيداً للبرِّ للقداسة.» (رو

(136) الآية في اللغة اليونانية تحتوي على ثلاثة خطايا فقط: الزنى والنجاسة والدعارة.

(19:6

وهنا يتضح أكثر أنها باستخدام الأعضاء الجنسية في غير مالها، كما تأتي عكس القداسة. وبذلك فهي شديدة الصلة بالزنا، ولكن يبدو باستعمال آخر لا ندري ما هو. ولكن من الملاحظ أنها تأتي كمرادف للزنا ولكن بتخصص آخر:

+ «وأمَّا الزنا وكل **نجاسة** أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين.» (أف 3:5)

«دعارة»: wantonness, Lasciviousness = ¢sšlgeia

وقد ذكرها المسيح في إنجيل ق. مرقس: «لأنه من الداخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة: زنىً، فِسقٌ، قتلٌ، سرقةٌ، طمعٌ، خبثٌ **عهارةٌ** ¢sšlgeia عينٌ شريرةٌ، تجديفٌ، كبرياءُ، جهلٌ. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجِّس الإنسان» (مر 7: 21ـ23). والمسيح هنا لا يتكلَّم عن الأفعال بل مجرد الأفكار، والمسيح سبق وأوضح أنه مجرد أن ينظر الإنسان إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه (مت 5:28). إذ نظرة الاشتهاء مثل فكرة وتصور الاشتهاء يحسبان على مستوى الفعل. لأن المسيح حسبهما فعلاً داخلياً غير منظور للناس ولكنه منظور لله.

وكانت خطية الدعارة منتشرة بين اليهود: «لأن زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد **عَمِلنا إرادة الأُمم**، سالكين في **الدعارة** والشهواتِ، وإدمانِ الخمرِ، والبَطَرِ، والمنادماتِ، وعبادة الأوثان المحرَّمةِ» (1بط 4:3). وهي تعني في كل هذه المواضع شهوة جنسية جامحة لا تضبط: «لنسلك بلياقةٍ كما في النهار، لا بالبَطَرِ والسُّكرِ، لا بالمضاجع والعَهرِ، لا بالخصامِ والحسدِ. بل البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.» (رو 13:13و14)

وواضح من الآية التي نحن بصددها كونها جاءت مع الزنا والنجاسة تكون الدعارة أختهم الثالثة من بنات الشيطان، وتكون أكثرهم شيوعاً وظهوراً. والرجل العاهر كالمرأة العاهرة لهم صلة بتجارة الجنس لا يقر لهما قرار، يوزعون بضاعتهم بلا حياء ويكشفون عن عوراتهم للإثارة:

+ «الذين ـ إذ هُم قد **فقدوا الحِسَّ** (حسّ الكرامة) ـ أسلموا نفوسَهُمْ **للدعارةِ ليعملوا كُلَّ نجاسةٍ** في الطمع.» (أف 4:19)

20:5 **«عِبَادَةُ الأوْثانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزَّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ».**

«عبادة الأوثان»: e„dwlolatre…a

ظهر هذا الاصطلاح في البيئة اليهودية فقط، ويعني عبادة إمَّا الصنم المجسَّم أو الصورة أو الرمز لتمثيل الإله المعبود بأي صورة. ولكن امتد هذا الاصطلاح في المفهوم المسيحي ليشمل «الطمع» لأن أي ما يطمع فيه الإنسان ليقتنيه فهو صنم، وامتد هذا الاصطلاح في العصر الحديث ليشمل عبادة الرؤساء القساة أو المال أو حتى ما يهواه الناس بشدة وحتى المشاركة في ما يعبده الناس من الصنمية هي عبادة أصنام:

+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع الذي هو عباده الأوثان،» (كو 5:3)

«سحر»: farmake…a

وأصل الكلمة تأتي من استخدام العقاقير f£rmaka لتغيير الألوان والأشكال وربما لصنع أعمال خارقة، ومنها جاء السحر باستخدام أشياء تؤذي الناس وربما سموم لتميتهم. وفي مصر اشتهر المصريون بمثل هذه الأمور، فسحرة فرعون صنعوا ثعابين حيَّة تجري أمام موسى (خر 11:7). وجاءت الكلمة بكثرة في سفر الرؤيا (رؤ 21:9)، (23:18)، (8:21)، (15:22): فالسحرة محرومون من دخول الفردوس مثلهم مثل الزناة والقتلة وعَبَدة الأصنام. والقانون الروماني كان يعاملهم مثل الذين يمارسون دس السم للناس.

«عداوة»: œcqrai

أي إثارة العداوات بين الناس أو في وسط الجماعة سواء على أساس سياسي أو عنصري أو ديني، ليس فقط بأعمال عدوانية بل وأيضاً حتى بالمشاعر الفردية والنية. والعدو هو مَنْ يعمل أو يفكر بالعداوة نحو الآخرين. والمسيح له المجد وضع وصية المحبة لتجتث العداوة من صدور المؤمنين ومن الجذور: «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت 44:5). وقد التقطها ق. بولس الرسول وأوصى بها وصيته: «فإن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه ... لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير.» (رو 12: 20و21). ولكن لم يبلغ أي تشريع في العالم لأي نبي أو مصلح أو ملك أو دولة ما بلغه المسيح في قوله: «أحبوا أعداءكم» بتأكيد وتحديد معلناً بذلك أنه حقًّا رئيس السلام وأنه بالحقيقة ابن الله.

«خصام»: œrij

وهي محبة الشجار والنزاع وافتعال الخصومة والبعد والتجني. وقد جاءت 9 مرات في العهد الجديد وكلها احتوتها رسائل بولس الرسول.

+ «لأني أُخبرتُ عنكم يا إخوتي مِنْ أهل خُلُوي أن بينكم خصوماتٍ.» (1كو 11:1)

+ «لأنكم بعد جسديون. فإنه إذ فيكم حسدٌ وخِصامٌ وانشقاقٌ، ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر؟» (1كو 3:3)

«غيرة»: zÁloj

والغيرة إمَّا «غيرة في الحسنى» (غل 18:4)، «إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي» (غل 14:1). وكانت ذات قيمة عظيمة في التوراة بالنسبة للأشخاص الذين كانت لهم غيرة الله والمقدسات:

+ «فكلَّم الرب موسى قائلاً: فينحاس بن ألعازار بن هارون الكاهن قد ردَّ سخطي عن بني إسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم حتى لم أفنِ بني إسرائيل بغيرتي. لذلك قل هأنذا أُعطيه ميثاقي ميثاق السلام ...» (عد 25: 10-12)

وجاءت بهذا المعنى المحبوب في العهد الجديد مرات كثيرة:

+ «فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدِّم عذراء عفيفة للمسيح (أهل كورنثوس).» (2كو 2:11)

ولكن حينما تنقلب الغيرة لتكون لحساب الإنسان حسداً للآخرين أو نقمة عليهم تصير وبالاً على صاحبها. هي تأتي دائماً بمصاحبة **«الحسد»** جذرها السام:

+ «أن تُوجد خصومات **ومحاسدات** zÁloj، وسخطات qumo…، وتحزبات ™riqe‹ai، ومذمَّات katalalia…، ونميمات yiqurismo…، وتكبُّرات fusièseij، وتشويشات katastas…ai¢.» (2كو 20:12)

ويلاحِظ القارئ هنا أن كلمة zÁloj جاءت بمعنى محاسدات، فالغيرة تشملها بالضرورة إذ تكون غيرة مرَّة.

وهذه كلها أعمال الجسد البعيد عن فعل النعمة بل والمضاد لعمل الروح، وهي أفعال ضد الإرادة السليمة ولكن إن مرض الجسد مرضت الإرادة.

وقد يوجد اثنان ينظران ثالث قد نجح في حياته وفاز بنعمة، فيحسده الأول

ويغير منه غيرة مرة تبلغ الذم والشتم وربما السعي للإيذاء، والآخر **يغير له** غيرة الحب والفرح ويتمنى له المزيد من نعمة الله. إذن فالدافع النفسي في منبعه واحد وهو "**الغيرة**" ولكن حينما تكون النفس مريضة منحازة لجسد مريض فارقته النعمة لتصبح وبالاً على الإنسان مع أنها دافع يمكن أن يكون للخير والصلاح. وهذا هو الذي يفرِّق بين إنسان يسلك حسب الجسد الطبيعي وإنسان يسلك حسب روح الله.

«سخط»: qumo…

وتترجم صحيحاً بالجمع سخطات كما جاءت في (2كو 20:12) ومفردها qumòj = سخط وهو انفجار بالغضب. وهذه الصفة أيضاً قد تأتي بالمفهوم الطيب المحبوب وقد تأتي بالمفهوم الشرير. فالغضب (السخط) إذا كان لصالح الآخرين ودفاعاً عنه كان غضباً مباركاً، ولكن إن كان غضباً (سخطاً) عليه بلا تعقل ولا سبب كان نقيصة. أمَّا الغضب الممدوح فينبغي أن لا يكون له دوافع ولا نتائج خاطئة: «اغضبوا ولا تخطِئوا. لا تغرب الشمسُ على غيظِكُمْ» (أف 26:4). أمَّا أن الشمس لا ينبغي أن تغرب والغضب بايت في قلوبنا فذلك خوفاً لئلا يمسك فينا ويصبح عادة. وهذه غير مقبولة فالغضب مكروه. وق. بولس اقتبسها من المزمور الرابع الآية الرابعة ولكن من النسخة السبعينية.

«تحزُّب»: ™riqe‹ai

وترجمتها هنا بالمفرد خاطئة فهي تحزبات كما جاءت في كورنثوس الثانية:

+ «لأني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أُريد، وأُوجد منكم كما لا تريدون. أن تُوجد خصومات ومحاسدات وسخطات وتحزبات ومذمَّات ونميمات وتكبُّرات وتشويشات.» (2كو 20:12)

+ «فهؤلاء عن تحزُّبٍ ينادون بالمسيح لا عن إخلاصٍ، ظانين أنهم يضيفون إلى وثُقي ضيقاً. وأُولئك عن محبةٍ، عالمين أني موضوعٌ لحماية الإنجيل. فماذا؟ غير أنه على كل وجهٍ سواءٌ كان بعلَّةٍ أم بحقٍّ ينادى بالمسيح، وبهذا أنا أفرح. بل سأفرح أيضاً.» (في 1: 16-18)

هنا يتضح أن التحزب اتجاه مشاكس بقصد أن يضيفوا على القديس بولس ضيقاً. ودوافعه إمَّا تكون نظير أجر وإمَّا بقصد المضايقة والإحراج:

+ «لا شيئاً بتحزُّبٍ أو بعجبٍ، بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل مِنْ أنفسهم. لا تنظروا كل واحدٍ إلى ما هو لنفسهِ، بل كل واحدٍ إلى ما هو لآخرين أيضاً.» (في 2: 3و4)

+ «ولكن إن كان لكم غيرةٌ وتحزُّبٌ في قلوبكم، فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلةً من فوق، بل هي أرضيةٌ نفسانيةٌ شيطانيةٌ.» (يع 3:14و15)

وهنا أرجعها ق. يعقوب إلى منابعها الأُولى متخذة غيرةً مصدرها الأرض أي العالم والجسد المنتمي للعالم، نفسانية أي بمرض نفساني متسلط، شيطانية أي مسوقة ومقواة من الشيطان. وهذا

أبلغ تحليل للغيرة المرة: «لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر رديء.» (يع 3:16). وهذه النتائج هي مثل الأصول وعلى هوى الشيطان.

«شقاق»: dicostas…ai

بمعنى انقسامات لأنها تأتي بالجمع:

+ «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تُلاحِظوا الذين يصنعون **الشقاقات** والعثرات، خلافاً للتعليم الذي تعلّمتموه، وأعرضوا عنهم. لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء.» (رو 16: 17و18)

وفي الحقيقة هذا الوصف هو بعينه سمة العصر الذي نعيشه، وهو المطابق للغاية لحالة أهل غلاطية بعد أن دخلها اليهود المزعجون إذ فسّخوا الكنيسة إلى أحزاب يقاوم بعضها الآخر.

«بدعة»: afršseij

أو هرطقة، وهي لا تختلف كثيراً عن الشقاق، فالمنشق هو مبتدع أي **هرطيقي** Heretic كما جاءت هكذا:

+ «ولكن كان أيضاً في الشعب أنبياءُ كذبةٌ، كما سيكون فيكم أيضاً معلّمون كذبةٌ، الذين يدُسُّون **بدعَ** afršseij هلاكٍ. وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم، يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً.» (2بط 1:2)

+ «الرجل **المبتدع** afretikÒn بعد الإنذار مرَّة أو مرتين، أعرض عنه.» (تي 10:3)

+ «لأنه لابد أن يكون بينكم **بدع** afršseij أيضاً ليكون المزكون ظاهرين بينكم.» (1كو 19:11)

وهذه البدع ظهرت على الخصوص في غلاطية وفي كورنثوس.

21:5 **«حَسَدٌ قتْلٌ سُكْرٌ بَطرٌ، وَأمْثالُ هذهِ الّتي أسْبِقُ فأَقولُ لكمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فقُلْتُ أيْضاً: إنَّ الّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ».**

«حَسَدٌ»: fqÒnoi

وهي روح الحقد التي لا تحتمل أن ترى نجاح الصديق أو ازدهار إنسان. وقد ظهرت هذه

الروح في قصة الرب التي قصها عن الفعلة في الكرم: «هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر! فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب، ما ظلمتك! أما اتفقت معي على دينار؟ فخُذ الذي لك واذهب، فإني أُريد أن أُعطي هذا الأخير مثلك، أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لي؟ أم **عينك شريرة** لأني أنا صالح؟» (مت 20:12-15). فهذا الذي هو صاحب العين الشريرة هو الذي يطلق عليه حاسد أو (حاقد).

«سكر»: mšqai

وهو المسرف في شرب الخمر، وخاصة في أنواع الأشربة الثقيلة. والسكر محتقر ومكروه لأنه يذهب بوعي السكِّير ويجعله غير قادر على ضبط عقله أو كلامه، فتخرج منه قبائح وتصرفات مبتذلة.

+ «وأمَّا الآن فكتبت إليكم: إن كان أحدٌ مدعوٌّ أخاً زانياً أو طمَّاعاً أو عابِدَ وثنٍ أو شتَّاماً أو **سكِّيراً** mšqusoj أو خاطفاً، أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا.»(1كو 5:11)

+ «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟ لا تضلوا، لا زناةٌ ولا عبدة أوثانٍ ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكورٍ، ولا سارقون ولا طمَّاعون ولا سكِّيرون mšqusoi ولا شتَّامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناسٌ منكم. لكن اغتسلتم، بل تقدَّستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (1كو 6: 9-11)

الجميل هنا حقًّا والذي يثلج الصدر ويبهج القلب ويفرِّح الروح أن كل هذه الفئات بمستوياتها المنحطة والمرذولة هكذا قبلت الإيمان بالمسيح واعتمدت وصاروا قديسين وأبراراً في المسيح. المجد لله!! فنشكره ونسبحه على رحمته على بني آدم!!

+ «من أجل ذلك لا تكونوا أغبياءَ بل فاهمين ما هي مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح.» (أف 5: 17و18)

فلعل أعظم نعمة وهبها الله لبني الإنسان هي عطية الروح القدس حين يمتلئ الإنسان من حضوره ومفاعيله فيرتفع بقلبه وفكره وروحه ويحصل على معارف عالية ويدخل في أسرار المسيح والآب وتصير حياته كلها بهجة وتهليل. لذلك يقال أيضاً أن هذا هو السكر الروحي المقدَّس الفائق على كل سكر والحائز على الوعي والحكمة الإلهية.

لماذا يا رب تضن على أولادك في هذه الأيام بالحلول والملء والدخول في أسرار نعمتك، ارْضَ

على شعبك وجدِّد لنا أيام قديسيك فأنت هو أمس واليوم وإلى الأبد.

«بَطَر»: kèmoi

هي العربدة، وهي نوع من الفرح المفرط وغالباً يكون نتيجة شرب الخمر ولو القليل منه. وهي التي يسميها العامة التهييص أي شدة التعبير عن المسرَّة ولكن فوق المألوف. والكلمة في أصلها اليوناني ليست مكروهة بل ذات قبول شديد ومسرَّة حتى أن هذا الفرح المفرط له في اليونان إله اسمه مأخوذ من هذه الكلمة عينها Kîmoj وكان أشهر ما عند اليونان في الحياة الأدبية والاجتماعية(137).

هذه هي قائمة الأفعال الجسدية الخارجة عن الروح وسلطانه وهي تمثِّل « أعمال الظلمة غير المثمرة» (أف 5:11). ولا يصعب على القارئ اللبيب الذي يكون له نظرة تحليلية أن يعرف الأفعال التي كان يمارسها اليهود مثل الحسد والبغضة والعداوة والخصام والغيرة والسخط والتحزب والشقاق والبدع والأفعال التي تليق بالأمميين مثل الزنا وأخواتها وعبادة الأوثان قتل سكر بطر إلخ ... وأفعال الفرقتين هي كلها إبراز للإنسان في وضعه المتحرر الفاقد الانضباط والنعمة. وحينما ينفك الجسد من الضوابط ويتحرر بإرادته تكون أول نقمته وسخطه على الله والعبادة وحينئذ يعطي القوة الشريرة إذنا بالدخول.

«وأمثالُ هذه التي أسبقُ فأقولُ لكم عنها كما سبقتُ فقلتُ أيضاً:
إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثُونَ ملكوتَ اللهِ»:

ليس أن ق. بولس يعطي أحكاماً من عنده أو حتى يكون قد استلمها، ولكن سرّ هذا الحرمان الأكيد من ملكوت الله يعود إلى أن هذه الأعمال كلها تنطق نطقاً أن فاعليها يعيشون حسب الجسد وفي تحرر من كل ضبط. وق. بولس سبق وأعلن

(137) W. M. Ramsay, *Galat,* p. 453.

ذلك بوضوح أن «أقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد.» (1كو 15:50)

وواضح أن الذي عمله المسيح للإنسان هو أنه أعطاه الخلقة الجديدة بالروح فارتفع فوق اللحم والدم وأصبح مهيَّأً أن يترك اللحم والدم وينطلق ـ حتى وقبل الموت ـ ليعاين السماء الثالثة كالقديس بولس كعربون صادق للنقلة الأخيرة المباركة.

فالذين يعيشون في اللحم والدم بشهوات الجسد ونزوات النفس مربوطين في اللحم والدم يصبح دخولهم ملكوت الله استحالة قانونية ومن واقع الحال. فالأعمال وحدها تحكم كما حكم ق. بولس على أعمال الكورنثيين (1كو 6: 9و10) باستحالة دخول ملكوت الله.

ولكن العجيب حقًّا أنه بينما أن الأعمال المنبوذة المذكورة الآن وغيرها مما ذكره ق. بولس في (1كو 6: 9و10) وفي (أف 5:5) محكوم عليها بالحرمان الأبدي من ملكوت الله، إلاَّ أن الأعمال الصالحة بحد ذاتها مهما بلغت من السمو فهي لا يمكن أن تورِّث ملكوت الله!

(د) ثمار الروح (5: 22-26)

والآن إلى أعمال السالكين بالروح الذين أخضعوا الجسد بكل شهواته، فهي ليست ثمار الجسد بعد لأنها ليست أعمال الجسد حسب الجسد، بل تُحسب أنها أعمال بحسب الروح. لذلك فهي لا تورِّث ملكوت الله ولكنها بحد ذاتها أعمال السالكين بالروح الحائزين على ملكوت الله. فالإيمان بالمسيح الذي يورِّث ملكوت الله له هذه الأعمال للشهادة والإعلان عن الإيمان العامل بالمحبة لحساب ملكوت الله. لأن الذي آمن واعتمد وشهد للمسيح قد انتقل من الظلمة وأعمالها غير المثمرة إلى النور والمحبة وأعمال المحبة والنور كوعد المسيح الذي هو بمثابة أمر يحمل وعد المساندة: «فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو 12:35). ومسيرة النور كلها أعمال شهادة للنور الذي يعمل في القلب. لذلك قال المسيح لتلاميذه ـ وتلميذ المسيح هو كل مَنْ حمل الصليب في قلبه والقيامة في روحه ـ «أنتم نور العالم» (مت 5:14). لأنهم يحملون نور العالم الذي هو المسيح. وأعمال النور تشهد للنور، وهي في الحقيقة ليست أعمالاً، فالرسول أعطاها اسماً يكشف منبعها فهي ثمار الروح، ولكنها تحسب لمن عملها بالروح كوصف المسيح حسب تعبيره:

+ «من **ثمارهم** تعرفونهم. هل يجنون من الشوك عنباً، أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة، وأمَّا الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة، لا تقدر شجرةٌ جيدةٌ أن تصنع أثماراً رديئةً، ولا شجرةٌ رديئةٌ أن تصنع أثماراً جيدة. كل شجرةٍ لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقي في النار. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم!» (مت 7: 16-20)

والقديس بولس يقدِّم لنا هنا تسعة أصناف من ثمار الروح الجيدة ولكنها لا تمثل الكل بل مجرَّد عينة، كما قدَّم الثمار الرديئة.

ولأن قانون التمايز بين الثمار يعتمد أساساً ومنبعاً على الإيمان والرجاء والمحبة ولكن أعظمهن المحبة (1كو 13:13) جاءت المحبة على رأس القائمة.

ويمكن تقسيم هذه الثمار التسع إلى ثلاثة أقسام، كل قسم ثلاث ثمرات[138]:

(138) Bruce., *op. cit.,* p. 255, according to the Punctuation of Nestle-Aland, *Novum Testamentum Graece,* Stuttgart, 1979[26].

محبة فرح سلام، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفف، على أن هذه لا تقدمنا للتبرير ولكنها تتبع التبرير من تلقاء ذاتها فهي ثمار البر والبار. وهي إنما توجد معاً ومن العسير أن تجد واحدة منها ولا تجد الأخرى، لأن الذي يدفعها للوجود هو الروح الواحد. وذلك بعكس هبات الروح التي لا يُشترط أن يوجد منها أكثر من واحدة:

+ «ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوَّة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلِّم ففي التعليم أم الواعظ ففي الوعظ.» (رو 12: 6-8)

ويوضح ذلك بولس الرسول أكثر من هذا:

+ «ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة، فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات ولآخر نبوَّة ولآخر تمييز الأرواح ولآخر أنواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (1كو 12: 7-11)

22:5 **«وَأَمَّا ثَمَرُ الرّوح فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ».**

واضح هنا أن **تفاعل "الروح" مع الإنسان** أعطى ثماراً أو نتائجَ وليس مجرد حلوله وحسب، حيث الثمر هو الظاهر من فاعلية الروح في الإنسان "كالفرح" مثلاً.

وفعالية الروح في الإنسان هي حياة جديدة: «إن كنَّا **نعيش** بالروح، فلنسلك أيضاً بحسب الروح» (غل 25:5). وهذا يؤكد أن حلول الروح وعمله في الإنسان

بالإيمان بالمسيح هو اتحاد حقيقي ومعيشة وحياة بالروح، وحتماً الذي يعيش ويحيا بالروح له عمل وثمر:

+ «مع المسيح صُلِبتُ، **فأحيا** لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ (الروح القدس). **فما أحياهُ الآن في الجسد،** فإنما أحياه في الإيمان (بالروح)، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلمَ نفسه لأجلي.» (غل 20:2)

ولينتبه القارئ فهناك فرق بين أن يعمل الروح في الإنسان لإنتاج ثمار روحية كالتي يذكرها ق. بولس هنا في (غل 22:5)، وأن يهب الله بروحه في الإنسان مواهب خاصة تشهد بوجودها لله وللإيمان بالمسيح، وظهور هذه المواهب يكون للمنفعة:

+ «فأنواع مواهب carism£twn موجودةٌ، ولكن الروح واحدٌ ... ولكنه لكل واحدٍ يُعطَى إظهار الروح fanšrwsij للمنفعة. فإنه لواحدٍ يُعطى بالروح كلام حكمةٍ، ولآخر كلام عِلمٍ بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمانٌ بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاءٍ بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوَّةٌ، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنةٍ، ولآخر ترجمة ألسنةٍ. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحدٍ بمفرده، كما يشاء.» (1كو 12: 4و7-11)

فهذه هي أعمال الروح بواسطة الإنسان وإظهارها للمنفعة، ولكنها لا تتبع ثمار الروح التي تأتي نتيجة تفاعل الروح مع الإنسان كنتيجة معيشة وحياة واتحاد، حيث الثمار هنا هي سمات الحياة الروحية أو مفاعيل الروح في الإنسان الذي يسلك بحسب الروح، فهي من الروح والإنسان معاً. أمَّا المواهب فهي عمل الروح المباشر داخل الإنسان وإظهارها هو من الله للمنفعة والإنسان يعمل بها للخدمة.

فأعمال الإنسان بحسب الروح: هي تحت عنوان ثابت: صفات أخلاقية للعائشين بالروح وخبرات روحية نتيجة السلوك بالروح!

أمَّا المواهب الروحية car…smata pneumatik£ فهي تدعى إظهار الروح نفسه fanšrwsij toà pneÚmatoj وهي ليست بالضرورة نتيجة صفات أخلاقية في الذين تظهر فيهم ولكنها حتماً نتيجة عمل الروح القدس:

+ «ألعلَّ للجميع مواهب شفاءٍ؟ ألعلَّ الجميع يتكلَّمون بألسنةٍ؟ ألعلَّ الجميع يترجمون؟ ولكن جدُّوا للمواهب الحسنَى. وأيضاً أُريكم طريقاً أفضل.» (1كو 12: 30و31)

وهكذا يحتسب بولس الرسول أن أعمال الإنسان بالروح للسالكين بالروح

“**أفضل**” من الحائزين على مواهب روحية متعددة. ولكن لا يستصغر المواهب بل يحبِّذ ويطالب الذين لهم ثمار أعمال حسب الروح كالمحبة مثلاً أن يجدُّوا لنوال مواهب كالتنبؤ مثلاً:

+ «اتبعوا المحبة ولكن جدُّوا للمواهب الروحية وبالأولى أن تتنبأوا.» (1كو 1:14)

وواضح جداً أن السلوك بالروح الذي له ثمار واضحة وظاهرة يحكي عن قصة جهاد طويل، أمَّا المواهب الروحية فتُمنح بلا سابق إعداد ولا لاحق وعد بالجزاء، فهي عمل الروح الخالص لمجد الله

الخالص. ويا ويل الإنسان الذي يحاول أن يتعظَّم بها.

«المحبة»: ¢g£ph وبالعبرية ahabah

وقد سبق وقال ق. بولس إن المحبة سمة الإيمان المسيحي:

+ «لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل **بالمحبة.**» (غل 6:5)

ثم عاد وجعل المحبة في المسيحية قاعدة العمل الأخوي الصادق:

+ «فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الإخوةُ. غير أنه لا تصيِّروا الحرية فُرصةً للجسد، بل **بالمحبة** اخدموا بعضكم بعضاً.» (غل 13:5)

أمَّا كون المحبة هي أول ثمار الروح فلأنها أول استعلانات انسكاب الروح في القلب:

+ «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا.» (رو 5:5)

ويُلاحِظ القارئ في هذه الآية السابقة أن المحبة أخذت صفتها اللاهوتية أنها « محبة الله»

+ «والرب يهدي قلوبكم إلى **محبة الله،** وإلى صبر المسيح.» (2تس 5:3)

ومعروف أن محبة الله الخاصة جداً التي يحب بها ابنه قد وهبها لنا لمَّا صرنا **متحدين** في جسد ابنه حسب طلب المسيح نفسه:

+ «وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم **الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.**» (يو 26:17)

كذلك فالمسيح أعطانا أمراً أن نثبت في محبته:

+ «كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا، **اثبتوا في محبتي،** إن حفظتم وصاياي

تثبتون في محبتي.» (يو 15: 9و10)

كما أعطانا أمراً أن يحب بعضنا بعضاً:

+ «هذه هي وصيتي **أن تحبوا بعضكم بعضاً** كما أحببتكم ... بهذا أوصيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً.» (يو 15: 13و17)

القديس بولس يتمسَّك بهذا الوعد بل وبهذه الحقيقة التي استعلنت له وسكنت في قلبه هكذا:

+ «فإني **متيقِّنٌ** أنه لا موت ولا حياةَ، ولا ملائكة ولا رؤساءَ، ولا قواتٍ، ولا أمور حاضرةً

ولا مستقبلةً، ولا علوَ ولا عُمقَ، ولا خليقة أُخرى، تقدِرُ أن تفصلنا عن **محبَّة الله التي في المسيح يسوع ربنا.**» (رو 8: 38و39)

وواضح من كل رسائل ق. بولس وأفكاره وتصرفاته أنه كان محصوراً ومقاداً بالمحبة:

+ «**لأن محبة المسيح تحصرنا.** إذ نحن نحسب هذا: أنه إن كان واحد قد مات من أجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.» (2كو 5: 14)

فلأن المسيح **من أجل المحبة مات من أجل الجميع، إذاً فمحبة المسيح تحصرنا جميعاً** وأنا أولهم: «الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل 2: 20)

وفي رسالة كورنثوس الأولى الأصحاح الثالث عشر قدَّم ق. بولس وليمة المحبة بمفاخر ألوانها المثيرة والجذابة التي تعكس صورة المسيح الحي في قلوب أتقيائه حينما يتجسَّد فيهم بالإيمان الحار فيتحولون إلى صورة مجده كوعد الروح من فم المسيح (2كو 3: 18). فأصبحت المحبة العاملة في قلوب أتقيائه صورة سرية لوجه الحبيب.

ونعتذر للقارئ الطامح وراء المزيد من التعرف على المحبة لأن المقام لا يتسع لأكثر من هذا. فالمحبة وحدها لا يسعها كتاب من ألف صفحة!!

«فرح»: car£

انعكاس مباشر لفعل محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس. فمن ذا يمتلئ بحب المسيح ويستطيع أن يكتم فرحه. فعندما يمتلئ القلب بالحب يمتلك الفرح وجه الإنسان لينطق بالبشر والابتهاج والسرور.

وإذا سألتني ما هو منبع وأصل الفرح في الإنسان؟ أقول لك حينما يسخن

الإيمان في القلب ويمتد **بالرجاء** نحو المزمعات، يطير القلب فرحاً. **فقاعدة الفرح في القلب هو الرجاء،** والرجاء يمتد بالفرح!! ق. بولس اختبر ذلك: «فرحين في الرجاء» (رو 12:12)، «**ويملأكم إله الرجاء "كل سرور"، "وسلام"، في الإيمان لتزدادوا في الرجاء** بقوة **الروح** القدس» (رو 13:15). هذا هو قمة اختبار ق. بولس للإيمان والرجاء والفرح في الروح القدس وهو يسلّمنا هذا الاختبار ليكون شعلة تضيء الطريق أمامنا.

ويعود بولس الرسول لنفس هذه الومضة الإلهية التي تضيء قلبه فيقول:

+ «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو برٌّ **"وسلام" و"فرح"** في الروح القدس.» (رو 14:17)

وهذا يعني أن من حاز بالإيمان الواثق على بر الله، وعاش في سلام مع الله، والفرح يغطي حياته بعمل الروح في القلب، فهو يحيا حقًّا ومسبقاً في ملكوت الله، الذي كشف المسيح عن حقيقة وجوده فينا: «لأن ملكوت الله داخلكم» (لو 17:21). ولا عجب لأنه إن كان المسيح يحيا فينا فالملكوت القائم فيه قائم فينا.

«سلام»: e„r»nh [139]

صفة من الصفات المميزة جداً للعهد الجديد، وعند الكتَّاب اليونانيين القدامى خارج التوراة كانت تعني الانسجام الداخلي a state of harmony، والهدوء من كل حرب أو نزاع. وبالعبرية "شالوم" وتعني صحة نفسية داخلية وازدهار:

1 ـ في العهد القديم:

(أ) حالة خير ورفاهية well being:

+ «وقال داود للغلمان: اصعدوا إلى الكرمل وادخلوا إلى نابال واسألوا باسمي عن سلامته وقولوا هكذا حييت وأنت سالم (شالوم = سلام) وبيتك سالم (شالوم) وكل ما لك سالم (شالوم = سلام).» (1صم 25: 5و6)

أمَّا تحية اليهود حتى اليوم فهي شالوم إليكم shalom elekem.

(ب) حالة سلام وأمان:

+ «فأرسل داود أبنير فذهب بسلام.» (2صم 3:21)

---

[139] E. De Wilt Burton, *op. cit.*, p. 425.

(ج) حالة ازدهار ونجاح:

+ «فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب.» (2صم 7:11)

(د) حالة سلام من حرب وسلام عشرة:

+ «فعمل يشوع لهم سلاماً (صلحاً) وقطع لهم عهداً لاستحيائهم ...» (يش 15:9)

+ «أيضاً رجل سلامتي (شالوم) الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليَّ عقبه.» (مز 9:41)

2 ـ في العهد الجديد:

أخذها كما هي من العهد القديم ولكن أضاف إليها الحالة الداخلية للإنسان والحالة الروحية كهبة من الله بسبب الإيمان وبسبب المصالحة مع الله وبسبب البر الذي نلناه من الله الذي جاء ضد عقوبة الخطية. كما جاءت لتفيد هدوء الفكر والضمير والنفس بسبب النعمة، بجوار أنها تأخذ وضعها الاجتماعي العادي في الرسائل.

ونحن أخذنا "**السلام**" و "**المسرة**" يوم ولد لنا ولدٌ وأعطينا ابناً وصار عمانوئيل معنا، بشهادة الملائكة وتهليلهم: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض "**السلام**" و "**المسرة**" في الناس» (لو 14:2). لقد لبست البشرية إكليل فرحها يوم وُلد المسيح. فإن حلَّ في قلبنا فكم سرور نحظى وكم سلام ننعم.

ويلاحظ القارئ أن ق. بولس ليس جزافاً أن يقرن السلام بالسرور، فقد أقرنها الملائكة من السماء بمولد المسيح على الأرض، وفي كلتا الآيتين (رو 17:14)، (رو 13:15). لأنه لا يمكن أن ينفصل الفرح عن السلام ولا السلام عن الفرح، وقد فزنا بالاثنين معاً بميلاد المسيح وبقيامته من الأموات وذلك لما تبررنا في المسيح بالقيامة ونلنا به المصالحة:

+ «**فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام** مع الله بربنا يسوع المسيح.» (رو 1:5)
هنا سلام الفكر والقلب والحياة.

+ «بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة.» (رو 11:5)
ولا أعظم من المصالحة مع الله في إدخال الفرح والسلام في قلب الإنسان.

والمرجو من القارئ الحبيب أن يدخل داخل قلبه الآن ويحس بالإيمان بالمسيح باعتباره قائماً في القلب ليتأكد أي سلام سينبعث من أعماقه، ثم إذ يعلم الصلة بين الآب والابن ويحس بالابن داخل قلبه فليتأكد من صدق المصالحة التي نلناها!! فالفرح والسلام ثمرة حياة قلبية مع الروح القدس الذي يحكي لنا عن عمل المسيح الممتد ليملأنا فرحاً ونعيماً وسروراً من جراء الصلح والتبني والتبرير وهبات الروح ووعد الحياة الأبدية. إن بهجة قلب الله هي أن يفرح الإنسان بعمل ابنه ويعمَّه السلام.

ولكن إن امتلأنا بسلام من جراء سلوكنا بالروح فإن هذا السلام الروحي يمتد فينا ليكوِّن علاقة قلبية مع الله فينفتح علينا سلام الله نفسه، فإن حلَّ سلام الله علينا يكون كقوة حفظ وعناية فائقة حولنا. وقد عاش ق. بولس تحت هذه المظلة في ساعات المحنة التي لاحقته كل أيام حياته:

+ «افرحوا في الرب كل حينٍ وأقول أيضاً افرحوا ... لا تهتموا بشيءٍ، بل في كل شيءٍ بالصلاةِ والدعاءِ مع الشكر، لتُعلَم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقلٍ، يحفظُ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.» (في 4: 4و6و7)

وليس مجرد حفظ القلب فقط بل سلام الله يملك أيضاً على القلوب بين الجماعة التي تعاهدت على المحبة:

+ «وليملك في قلوبكم **"سلام الله"** الذي إليه دعيتم في جسد واحد، وكونوا شاكرين.» (كو 3:15)

وليتنا نعلم أن الله كما هو محبة هو نور وهو سلام بصورة مطلقة، فسلام الله قوة أو مجال مطلق القوة يملأ الوجود، فمن دخل إلى الله بالإيمان بابنه انفتح عليه مجال سلام الله المطلق ليظلل الإنسان ويملك عليه. لذلك يدعى الله: **«إله السلام»:**

+ «عيشوا بالسلام وإله المحبة والسلام سيكون معكم.» (2كو 13:11)

+ «إله السلام معكم أجمعين آمين.» (رو 15:33)

+ «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم آمين.» (رو 16:20)

+ «وإله السلام يكون معكم.» (في 4:9)

+ «وإله السلام نفسه يقدِّسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا

لوم عند مجئ ربنا يسوع المسيح.» (1تس 5:23)

+ «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدي ...» (عب 13:20)

لهذا فإن الذين يصنعون السلام في الكنيسة بين المؤمنين يُدْعَوْن أبناء الله:

+ «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَوْن.» (مت 9:5)

ومن المواقف المؤثرة جداً موقف المسيح من التلاميذ المنزعجين وهم مجتمعون في العلية ليلة العشاء السري، فهدَّأ المسيح من اضطرابهم بقوله: «لا تضطرب قلوبكم» ثم «سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب.» (يو 14: 1و27)

وهذه لا تزال دعوة المسيح لنا إزاء كل ضيقة نقع فيها أو محنة تحيط بنا فهو رئيس السلام ومكمِّله!!

هذا هو سلام العهد الجديد المميَّز عن سلام العالم: «سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو 27:14). والمميَّز عن سلام العهد القديم بكل أنواعه. فهو هنا سلام الله نفسه الذي يرفع مستوى العقل والنفس والروح والجسد لننعم بحالة أمان شامل تفوق كل قوى العالم الشريرة.

"فسلام الله لنا" كون الله "رب السلام" و"إله السلام"، فهو السلام الكلي أو المطلق الخالق والمجدِّد، مع **سلام المسيح لنا** المحسوب **سلام النصرة** على الخطية والموت والهاوية وكل قوات الظلمة التي ظفر بهم على الصليب وأخضعهم تحت قدميه. هذا هو سلام العهد الجديد، فهو **قوة** روحية داخلية تحيط بالفكر والقلب والضمير وحتى الجسد لتعطي الإنسان إحساس الأمان الكامل. فلا خوف ولا انزعاج ولا اضطراب ولا اهتمام ولا قلق، وهكذا يُعطَى الإنسان الاطمئنان النفسي للنمو والتقدم في طريق الروح بنجاح. اسمع ق. بولس وهو يتشبث بهذا السلام الإلهي الكامل وكأنه درع إلهي متسربل به:

+ «مَنْ سيفصِلنا عن محبَّة المسيح؟ أشدَّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ

أم خطرٌ أم سيفٌ؟ كما هو مكتوب إننا مِنْ أجلك نمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء، ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علوَ ولا عُمقَ، ولا خليقة أُخرى، تقدِرُ أن تفصلنا عن محبَّة الله التي في المسيح يسوع ربنا.» (رو 8: 35-39)

فلولا "السلام القلبي الإلهي" الذي يحفظ ق. بولس ويحيط به ما وقف وقفة التحدي ضد كل

خليقة في السماء وعلى الأرض مستعداً للنزال والنضال واثقاً أن النصرة في يمينه.

عزيزي القارئ إن كانت المحبة سيدة المواهب جميعاً، فالسلام الإلهي بالنسبة للإنسان هو القوة العظمى التي وُهبت للإنسان ليقدر أن يواجه بها ويتحدى عالم الظلمة: «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رو 20:16). وبآن واحد هو مصدر الهدوء والاطمئنان للنفس مهما اضطربت الدنيا حولها وعلى مدى مسيرتها حتى النهاية. ويكفي أن يكون المسيح نفسه هو سلامنا: «لأنه هو سلامنا.» (أف 14:2)

«طول أناة»: makroqum…a

هذه صفة الله الخاصة المنطوقة بفمه هو، اسمع ما يقوله الله عن نفسه:

+ «فنزل الرب في السحاب، فوقف (موسى) عنده هناك ونادى باسم الرب، فاجتاز الرب قدَّامه، ونادى الرب: الرب إله رحيم ورؤوف **بطيء الغضب** (= **طويل الروح** makrÒqumoj) وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية ولكنه لا يبرئ إبراءً.» (خر 34: 5-7)

وتجيء بمعنى "متمهِّل":

+ «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو **متمهِّل** makroqume… (صابر، مطيل أناته) عليهم. أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً.» (لو 18: 7و8)

ويقول القديس بولس إن المحبة طويلة الأناة وهذا حق فإن كان الله محبة وكان الله طويل الأناة، فتحتم أن تكون المحبة لها طول أناة:

+ «**المحبة تتأنى** (تطيل أناتها) makroqume….» (1كو 4:13)

ولذلك لم يفت على القديس بولس أن يوصي بها ويركز عليها فهي عمود المحبة

الراسخ:

+ «فأطلب إليكم، أنا الأسيرَ في الربِّ، أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوةِ التي دُعِيتُم بها. بكل تواضعٍ ووداعةٍ، **وبطولِ أناةٍ،** محتملين بعضكم بعضاً في المحبةِ.»(أف 4: 1و2)

عزيزي القارئ إن كانت تعوزك هذه الثمرة الجليلة القدر فجاهد من أجلها بالصلاة فهي تعينك على ممارسة المحبة واحتمال الضعفاء:

+ «متقوِّينَ بكل قوةٍ بحسب قدرة مجده، لكل صبرٍ وطول أناةٍ بفرحٍ» (كو 1:11)

+ «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة **وطول أناة** محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً.» (كو 3: 11و12)

كما تأتي طول الأناة بمعنى **التأني:**

+ «شجعوا صغار النفوس، اسندوا الضعفاء، **تأنوا** على الجميع.» (1تس 14:5)

أعزائي القراء سامحوني سأخرج عن الشرح لحظة ولكن هو الروح الذي يحثني أن أبوح بأمنيتي ورجائي في المسيح. أنا واثق يا إخوتي المحبوبين أن النعمة ترصدنا وتقطع على نفسها أن تعطينا كل هذا الذي سردناه بالأنين والدموع ـ لافتقارنا من الكل إلى الحد الذي كاد يمزق قلوبنا ـ لو اجتمعنا بالمحبة لنتعرَّف على بعضنا البعض بما انتهى إليه حالنا، ونقطع على أنفسنا أن لا نكف عن الصلاة حتى يأتي الرب ويصنع لنا تجديداً بالروح من أجل اسمه. العالم كله يتحرَّك ويتمخَّض بحركات تجديد إلاَّ نحن!! وأنا واثق بالرب أن كل صفات الحياة بالروح مع كل الثمار الشهية التي سمعناها تصبح وكأنها طبيعة جديدة لنا تخرج من قلوبنا عفوياً، تنسكب المحبة سكيباً وسط الجماعة ويستقي منها الجميع بلا حذر وبلا ثمن وبلا خوف، وببهجة وبساطة قلب تعود الكنيسة إلى رسوليتها الأُولى ويدعى الكل تلاميذ الرب. هل حان الوقت؟

«لطف»: crhstÒthj = kindness

وها هي أيضاً صفة أخرى من صفات الله الخاصة: «ذوقوا وانظروا ما أطيب (ألطف crhstÒj) الرب» (مز 8:34). التي اقتبسها ق. بطرس وتُرجمت: «إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح crhstÒj.» (1بط 3:2)

ولكن "لطف الله" يكون مع الذين يثبتون في الرب والمقابل تكون صرامته مع

الذين سقطوا:

+ «فهوذا لطف الله = crhstÒthta وصرامته: أمَّا الصرامة فعلى الذين سقطوا، وأمَّا اللطف فلك، إن ثبتَّ في اللطف crhstÒthj.» (رو 22:11)

ومعروف أن **لطف الله** أساساً لكي يقتاد الإنسان الضعيف إلى التوبة: «إن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة» (رو 4:2). وأن الإنسان الذي حاز على مفاعيل لطف الله أصبح بالمقابل عليه أن يعامل الآخرين باللطف: «وكونوا لطفاء crhsto... بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح.» (أف 32:4)

«صلاح»: ¢gaqwsÚnh

والصفة منها "صالح ¢gaqÒj" وهي ممتدة في معناها. وهي هنا في موضعها وسط ثمرات الروح تعني بالأكثر السخاء generosity أو الجود. وهي تأتي ضد الحسد أو الغيرة غير الخيِّرة fqÒnoj. وبالفعل جاءت في مثل المسيح بمعنى العين الشريرة في مقابل «لأني صالح.» (مت 15:20)

وهذه الصفة الفريدة لم تأتِ إلاَّ في رسائل بولس الرسول فقط: (رو 14:15)، (أف 9:5)، (2تس 11:1).

«إيمان»: p…stij

وهي تفيد هنا حالة الإيمان أو المستوى الإيماني أي الثقة، ولكن لا تفيد هنا عمل الإيمان ولكن بلوغ مستوى الإيمان اللازم للحياة مع الله.

والثماني ثمرات الأُخر تفيد وضعاً أخلاقياً لذلك تأتي هذه الثمرة هنا كأساس للوضع الأخلاقي. فالمؤمن هو صاحب الثمرات كلها ولكن أساسها في البدء هو الإيمان:

+ «إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن.» (غل 9:3)

وهي صفة تشكِّل وضع الإنسان الإيجابي بالنسبة للآخرين غير المؤمنين: «وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن.» (2كو 15:6)

وكلمة "p…stij" تأتي كصفة مطلقة لله وتعني: "أمين": «أمين pistÒj هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (1كو 9:1). وهذا يعني: "صدقه" لأن الإيمان هو التصديق، فالله صادق في دعوته لنا لشركة ابنه يسوع المسيح:

+ «لم تصبكم تجربة إلاَّ بشرية، ولكن الله أمين pistÒj الذي لا يدعكم

تجرَّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا.» (1كو 10:13)
فهنا صدق الله يعين الواثق به.

+ «لكن أمين pistòj هو الله إن كلامنا لكم لم يكن نعم ولا ... لأن مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الأمين لمجد الله بواسطتنا.» (2كو 1: 18و20)
"أمين هو الله" الأولى أي صادق صدق الحق، وفيه "الأمين" الثانية فيه الأمانة والاعتماد عليه.

+ «أمين pistòj هو الله الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً.» (1تس 5:24)

هنا الصدق واضح.

+ «أمين pistòj هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير. ونثق في الرب من جهتكم.» (2تس 3: 3و4)

هنا الثقة أوضح معنى للأمين.

+ «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء °pisths£n **أفلعل** عدم أمانتهم ¢pist…a يبطل أمانة p…stin الله.» (رو 3:3)

المقصود هنا تصديق **أمانة** الله.

وهكذا فرضت هذه المعادلة نفسها، فإذا كان الله أميناً بكل معنى وبكل ثقة من نحونا، أصبح من الواجب والحق أن نكون نحن **أمناء له** أي **مؤمنين به!!**

والله إن كان قد أعطانا روحه فلكي يؤكد لنا أولاً أن الله أمين لنا ثم يقنعنا بكل وسيلة أن نكون أمناء له أي مؤمنين باسمه.

نخرج من هذه المقابلة البديعة أن الإيمان المعروض علينا والذي قبلناه ونعيشه يحتاج إلى أمانة أي إيمان متجدِّد بالفعل. فالإيمان لا يبقى إيماناً إلاَّ بمزيد من الأمانة أي مزيد من الإيمان: «ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان (أي إنسان يوكله الله) أميناً » pistòj(1كو 4:2). فالخادم الذي يكرز بالإيمان تُراجَع وكالته حتى يكون هو أيضاً أميناً أي صاحب إيمان.

وبالنهاية يتضح أمامنا أن إيماننا بالمسيح هو تحت الفحص يوماً بيوم لأن الذي يتكلَّم عن الإيمان يتحتَّم أن يكون هو صاحب إيمان.

يا إخوة نحن أمام محكمة واضحة لا لبس فيها، محكمة وتفتيش على الإيمان، وأمانة الإيمان من قبل الله والضمير نفسه ـ يشهد بهذا وصحة هذا:

+ «فقال الرب فمن هو **الوكيل الأمين:** pistòj الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه ...» (لو 42:12).

+ «فالأمين pistòj في القليل أمين pistòj أيضاً في الكثير.» (لو 10:16)

والأمر الجديد هنا هو أن إيماننا بالمسيح الذي كنا نظن أنه خاص جداً بنا إذ به هو إيمان متبادل

بيننا وبين الله. فالله لأنه أمين استودعنا أمانته أي الإيمان به، فصارت أمانته أي الإيمان به رهن الفحص والمراجعة، فكما أظهر الله أمانته لنا يسأل أن تكون أمانتنا له ظاهرة وتتناسب مع أمانته، وإلاَّ نوجد مختلسين أمانة وإيماناً.

الله أحب إبراهيم واستأمنه على عطاياه فكان إبراهيم أميناً أمانة الله له. والدليل قاطع. الله أعطى إبراهيم ولداً فكان وحيده ومحبوبه، فالله أظهر أمانة من نحو إبراهيم عظيمة للغاية. فلما طلب الله الذي له، أي الأمانة التي استلمها إبراهيم، لم يتوانَ إبراهيم بل أعطاه الأمانة التي له وفرَّط في الولد تفريطاً عظيماً. إذ مدَّ يده بالسكين ـ المعادلة واضحة: الله أعطى إبراهيم ابناً، وإبراهيم بالمقابل أعطى الله الابن.

لهذا قيل: «فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا» (رو 4:3). إيمان إبراهيم اختبره الله اختبار المحنة العظمى فوجد إبراهيم أميناً أي صاحب إيمان عظيم حقًّا، وكان أول صاحب إيمان عظيم بهذا القدر فدعي أبا الإيمان!

إذن عزيزي القارئ كن على استعداد لأن الله مزمع أن يختبر إيمانك لتوجد أميناً «هنا صبر القديسين وإيمانهم.» (رؤ 13:10)

23:5 **«وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ، ضِدَّ أَمْثَالُ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ».**

«وداعة»: praäthj = gentleness

موسى كان حليماً جداً praåj sfÒdra (عد 12 : 3) ويصفها بعض العلماء أنها عدم القدرة على الغضب خاصة أمام تعدي الآخرين الشديد.

والمسيح كان حليماً praäj وتُرجمت وديعاً ومتواضع القلب (مت 11 : 29).

والقديس بولس يترجَّى أهل كورنثوس بوداعة المسيح praäthtoj وحلمه

™pieike…aj (2كو 10:1). والودعاء prae‹j of يرثون الأرض (مز 37:11، مت 5:5). وقد تطلق هذه الصفة على الحيوان فتترجم "أليف" عكس متوحش. والفعل منها praänw وتعني يستأنس الحيوانات المتوحشة.

لذلك فهي بالنسبة للإنسان تعني أن يضبط الإنسان نفسه أدبياً. فإذا كانت ثمرة الروح في ضبط

الإنسان لنفسه فهي praäthj وهي متساوية مع طول الروح makroqum…a: «بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة.» (أف 2:4).
ثم جمعها القديس بولس معاً كلآلئ تلمع في خيط واحد: «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات **ولطفاً** crhstÒthta وتواضعاً **ووداعة** praäthta وطول أناة makroqum…an.» (كو 12:3)

ويرسل إلى تيطس:

+ «مظهرين كل وداعة praäthta ... p©san لجميع الناس.» (تي 2:3)

ويرسلها إلى تيموثاوس مجموعة مع الإيمان والمحبة والصبر:

+ «وأمَّا أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا (محبة المال) واتبع **البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة** dikaiosÚnhn, eÙsšbeian, p…stin, ¢g£phn, Øpomon»n, praãpaq…an.» (1تي 11:6)

أمَّا القديس يعقوب فيرى الوداعة تلزم كلمة الله وتناسبها: «لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة praäthti الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم» (يع 11:1). وهنا الوداعة كثمرة الروح تبدو أساساً لانفتاح الذهن على كلمة الله. فهي ليست أخلاقية وحسب بل طريقاً مفتوحاً على أسرار الإنجيل!

«تعفف»: self controll = ™gkr£teia

هذه إن كانت تختص بضبط النفس فهي قريبة من الوداعة. ولكن اختصاصها لا يقع على الغضب فقط كالوداعة، بل على أنواع النشاذ الخلقي إذ يضعها العفيف النفس تحت الانضباط جميعاً. والعفيف ™gkrat»j لا يحيد عن الشر أو الخطأ من تلقاء طبيعته بل بالانضباط:

+ «وكل مَنْ يجاهد **يضبط نفسه في كل شيء** ™gkrateÚetai.» (1كو 9:25)

بمعنى أن العفة هي جهاد لضبط النفس في كل شيء.

والقديس بولس يُدخل ضبط النفس ـ أي التعفف ـ **في معنى الشهوة الجنسية** بوضوح بالنسبة لغير المتزوجين وللأرامل:

+ «ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم = (يتعففوا oÙk ™gkrateÚontai) فليتزوجوا.» (1كو 7: 8و9)

«ضد أمثال هذه ليس ناموس»:

والترجمة الصحيحة يلزم أن تكون: إن الناموس ليس له ضد هذه وأمثالها. والمعنى هنا يلتبس على القارئ لأول وهلة كأن تكون هذه الثمار التسعة هي في الناموس أو موافقة له. ولكن المعنى المقصود هو: أن نحيا بهذه الثمار الروحية فالناموس ليس له عمل بضدها. والمعنى مأخوذ من أسلوب الناموس: فهو يأمر بأشياء إيجابية ويقف ضد عكس هذه الأشياء. ولكن في الحياة المسيحية التي يعمل فيها الروح فهو لا يأمر بهذه الثمار أي أنها ليست فروضاً، كما أن ضد هذه الثمار كذلك لا توجد فروض، لأننا لسنا تحت ناموس بل تحت النعمة، وهذه هي من عمل النعمة. فليس من المعقول في الحياة المسيحية التي تكون في ملء الحرية وتحت النعمة أن تصدر فروض تفرض المحبة والفرح والسلام!

ويعلّق على ذلك العالِم بروس عن العالِم هوك[140] ويقول إن الكرمة لا تطرح بناءً على أمر البرلمان ولكنها تطرح ثماراً من واقع حياتها. هكذا السلوك الذي يتوافق مع الملكوت لا يُفرض بالأمر ولكنه هو سلوك الحياة التي بحسب الله التي يعطيها الله في المسيح وبواسطته.

وهذا واضح عندنا لأن الناموس غير موضوع للسمائيات أو للسمائيين.

24:5 **«وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ».**

ويقصد المؤمنين بالحق الذين باعوا أنفسهم للمسيح وصاروا أحبَّاءَ وعبيداً ليسوع المسيح كالقديس بولس.

---

(140) S. H. Hooke, *What is Chirstianity?* in The Siege Perilous, London 1956, p. 264, cited by Bruce., *op. cit.,* p. 155.

«قد صلبوا الجسد»:

هذه الحقيقة تأتي من مصدرين:

الأول: من واقع الإيمان بصليب المسيح، لأن المسيح لم يُصلب كابن الله وحسب بل كابن الله بالجسد أي بالبشرية فيه ومعه. فكل إنسان ذي جسد وقد آمن بالمسيح والصليب يكون قد صُلب مع المسيح في ذات الجسد: «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2). إذن بحسب الإيمان المسيحي ومفاعيله اللاهوتية يكون الذين هم للمسيح بالإيمان قد صلبوا الجسد.

والذي يُبرز هذا المعنى هو دوام أفعال المسيح الخلاصية لكونها أفعالاً إلهية ليبقى الخلاص عملاً دائماً. فإن كان المسيح لا يزال مصلوباً فكل مسيحي يشاركه في هذا الصلب الدائم للجسد لأننا مع المسيح "صُلبنا" بل نحن مصلوبون!!

وحينما يقول ق. بولس: «لأني بالناموس متُّ للناموس لأحيا لله (كيف؟) (لأني) مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا (لأني مت معه) بل المسيح (القائم والذي أقامني) يحيا فيَّ (بقيامته). فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله (صِدْقُه فيما عمله) الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل 2: 19و20)

وباختصار يكون معنى الآية: أنا مت بالناموس للناموس لأني صُلبت مع المسيح (والذي صلبه هو الناموس). إذن واضح وضوح الشمس قوة قول ق. بولس في هذه الآية أن «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد» ومعروف كذلك أن المسيح صُلب حاملاً خطايانا وأهواء الجسد وشهواته في جسده على الخشبة فصحَّ قول ق. بولس أن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.

الثاني: يأتي من أن الإيمان بواقع المنطوق الإنجيلي أي كل ما جاء في البند **الأول،** دخل بالفعل للفعل ليحقق الإنسان المسيحي ما ناله بالإيمان على مستوى واقع الجسد وشهواته، وذلك بمؤازرة روح الله القدوس وسند ومعونة نعمته: « بالنعمة أنتم مخلَّصون» (أف 5:2). وهل الخلاص شيء آخر غير أننا مصلوبون كل يوم للمسيح عن حق وفعل معاً.

وهكذا إن كنا قد مُتنا مع المسيح بالناموس للناموس ـ أي لما حُكم على المسيح بالموت بواسطة الناموس انفصل المسيح نهائياً عن الناموس، فانفصلنا نحن بالضرورة عن الناموس ـ ولمَّا متنا للناموس إذن فنحن نعيش الآن لله بالمسيح. وق. بولس حينما يقول متُّ بالناموس للناموس فهو يشير إلى الأنا ™gè أي مات الأنا

gè™ ليحيا لا الأنا الذي لي فيَّ بل "أنا" المسيح فيَّ، أي فكر المسيح وروحه: «أمَّا نحن فلنا فكر المسيح» (1كو 2:16)، لذلك قال فالآن لست أحيا "**أنا** = gè™" بل المسيح نفسه gè™ يحيا فيَّ (غل 2 : 20)

هذا هو معنى صلب الجسد مع الأهواء والشهوات، لأن الذي يمثل الجسد والأهواء والشهوات هي الذات gè™. وهكذا إذ مات الجسد مع الأهواء والشهوات مُنحنا حتماً الروح القدس

للقيادة والتدبير عوض الأنا ego وهي الإنسان العتيق. وهكذا ربحنا العنصر الإلهي الذي يكمل لنا موت الجسد والشهوات مع الأنا ego العتيق!!

+ «لأنه إن عشتم حسب الجسد (الأنا ego القديم) فستموتون (بل ونُحسب محكوماً علينا بالموت) ولكن إن كنتم **بالروح (القدس) تميتون أعمال الجسد** (حالة الصلب عملياً) فستحيون. لأن كُلَّ الذين ينقادون بروح الله، فأُولئِكَ هُم أبناءُ اللهِ. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً (ثانية) للخوفِ، بل أخذتم روح التبنِّي الذي به نصرخُ (كأبناء): يا أبَّا الآبُ! الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو 8: 13-16)

وكما قال إنه «بالروح تميتون أعمال الجسد» قال:

+ «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض (التي هي) الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع ... الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية.» (كو 3: 5و6)

إذن فمعروف من أين يأتي الأمر **"أميتوا"** وكيف نميت أعضاءنا بالفعل ذلك من قوله السابق: «إن كنتم **بالروح تميتون** أعمال الجسد فستحيون» أو بالحري نكون أحياءً!!

«الذين هم للمسيح»:

ما معنى الذين هم للمسيح؟ هذه يشرحها بولس الرسول هكذا:

+ «الذي يهتم باليوم، **فللرب يهتم.** والذي لا يهتم باليوم، **فللرب لا يهتم.** والذي يأكل، **فللرب يأكل** لأنه يشكر الله. والذي لا يأكل **فللرب لا يأكل** ويشكر الله. لأن ليس أحد منَّا (مؤمن بالمسيح) يعيش لذاته، ولا أحد يموت لذاته. لأننا إن عشنا **فللرب نعيش،** وإن متنا **فللرب نموت.** فإن عشنا **وإن متنا فللرب نحن.**

لأنه **لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات.**» (رو 14: 6-9)

«قد صلبوا الجسد»:

ما معنى هذا؟ يقول ق. بولس شارحاً هذا:

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية (والشهوة).» (رو 6:6)

وما معنى ذلك عملياً؟ يقول ق. بولس في ذلك:

+ «**إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.**» (رو 8:13)

وها نحن عدنا إلى مبتدأنا في الآية المصححة: «**اسلكوا بالروح فلن تكمِّلوا شهوة الجسد**» (غل 5:16). فهذا وعد جازم يستحق الاعتماد عليه لأنه اعتماد على الله نفسه. أمَّا صدق أن الجسد العتيق مع الأهواء والشهوات قد صُلب مع المسيح فهذه هي حقيقة الصليب وحقيقة موت المسيح الوحيدة وبامتياز، وبدونها لا يعود للصليب منفعة لي، ولا تكون القيامة بأمجادها ذات معنى. لذلك يقولها ق. بولس كحقيقة قائمة بذاتها لا تحتاج إلى شرح ولا إلى تأكيد: «كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا.»(رو 6:11)

كذلك: «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض ـ (لأنها ماتت كحقيقة روحية إلهية على الصليب، فتمموها بالروح على مستوى الفعل الزمني وعلى الواقع الأرضي) ـ الزنى النجاسة الشهوة الردية الطمع الذي هو عبادة الأوثان» (كو 3:5). والمعنى واضح: إن كان الجسد وأهواؤه وشهواته وأعضاؤه قد تمَّ صلبها وموتها في اعتبار الله واعتبار الواقع الروحي واعتبار الدينونة المزمعة أن تكون: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو 8:1)، إذن أصبح التعامل معها تحت تأثير الروح والنعمة فعل ممارسة يسنده الله والإيمان والواقع كما قالها ق. بولس: «اسلكوا بالروح **فلن** تكمِّلوا شهوة الجسد» !

أمَّا بخصوص الآية التي نحن بصددها: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» فهي على نفس القياس بمعنى أنهم طالما هم مسيحيون فقد انصلبوا مع المسيح، وأمَّا أن يكونوا مسيحيين وللمسيح أيضاً، أي أصبحوا وقد

باعوا أنفسهم للمسيح وللمسيح يعيشون، فهؤلاء فوق أنهم انصلبوا بفعل الواقع التاريخي فهم يصلبون كل يوم الجسد مع الأهواء والشهوات بفعل الواقع العملي. حيث القوة الفعلية على صلب الجسد مع أهوائه وشهواته تكون هي المسيح للذين هم له لأنه هو أصبح لهم بالمقابل.

على أن **معادلة الإيمان** التي يضمنها الله والمسيح: أن كل الذي تمَّ على الصليب من أجلنا يتحتم أن يتم لنا عملياً. فهذا هو عمل الإيمان!!

«مع الأهواء والشهوات»:

الأهواء هي الميول الظاهرة، والشهوات هي المفاعيل المخفية في الجسد والتي تحرك الأهواء والجسد كله.

في الحقيقة الجسد هو قاعدة الأهواء والشهوات حيث الأهواء هي الميول التي تتولَّد من الشهوة. فإن كان الجسد العتيق أي العامل بغرائزه المسيبة قد حُكم عليه مع المسيح بالصلب والموت فقد باتت الأهواء والشهوات تحت نفس الحكم بالصلب والموت، أي لم يعد لها الحرية أن تنطلق وتثبت وجودها بل صارت تحت الضبط والربط. فإن كانت قد أخذت حكم موتها وبطلانها مع المسيح ومع المسيح أصبح علينا أن ننفذ الحكم الصادر. أي أننا لسنا كأننا نحن الذين نُلزم أنفسنا بانحصار الأهواء والشهوات، بل هذا حكم صادر للتنفيذ نستمد منه إرادتنا وسلطاننا وقوتنا، لا لنرضي أنفسنا بل لنرضي الذي مات أصلاً من أجلنا ليبطل جسد الخطية مع أهوائه وشهواته.

علماً بأن القضية من أساسها هي أن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. فكان الجسد ـ قبل أن يأتي المسيح ويقدِّم ذبيحة الفداء من أجل خطايانا ـ هو المنتصر والغالب ومعه الخطية والموت. ولكن على الصليب أجهز المسيح على الخطية والموت، فشلَّ حركة الجسد العتيق وحركة الشيطان الذي كان الجسد تحت سلطانه، بل وأعطانا "بالروح" الإنسان الجديد متحرراً من الخطية والموت، فأصبح الروح القدس نصيراً للجسد الجديد، وبهذا أخذ الروح في الإنسان الجديد فرصة الانتصار والغلبة على الجسد. وعلى هذه الحقيقة جاءت جميع الآيات السالفة وآخرها: "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" فهذا تحصيل حاصل لعمل الصليب التاريخي الحي، وعمل الروح المعطىَ للإنسان.

فالمسيح أمات الجسد مع أهوائه وشهواته (مع أعماله)، والروح يمارس الإماتة بالنسبة للمؤمن الذي سلَّم نفسه للمسيح!!

25:5 «**إنْ كُنَّا نَعِيشُ بالرَّوح، فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ الرَّوح».**

هذه الآية تختم على الصراع بين الجسد والروح:

(أ) فعلى أساس أن «**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.»**

(غل 5:24).

(ب) وبحسب رسالة رومية: «**إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت** بسبب الخطية **وأمَّا الروح فحياة** بسبب البر» (رو 8:10). وهي تعقيب مباشر على الآية (أ).

(ج) «فإذاً أيها الإخوة **نحن مديونون ليس للجسد** (لأنه قد مات مع المسيح) **لنعيش حسب الجسد.**» (رو 8:12)

فإن كان الجسد ميتاً، وأمَّا الروح فحياة،

(د) إذن: «**أمَّا أنتم فلستم في الجسد بل في الروح** إن كان **روح الله ساكناً فيكم.**» (رو 8:9)

(هـ) «**ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد** فستحيون.» (رو 8:13)

وهنا تأتي الآية التي نحن بصددها بكل دقة في التسلسل:

(و) «إن كنَّا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح».

والقديس بولس يضعها بصورة الشرط مع أنها حقيقة لا تحتاج لشرط. ولكنه إذ يعتمد على هذه الحقيقة أننا نعيش بالروح وليس بالجسد يعطي نداءً: «فلنسلك أيضاً بالروح» ولكن هنا يلزم أن نفرِّق بين: «نعيش بالروح» و «نسلك بالروح» و «بالروح نميت أعمال الجسد» و «ننقاد بالروح» لأنه أن «نعيش بالروح» فهذه هبة المسيح في واقعنا الآن «هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون» (رو 5:2). ولكن أصبح التزاماً أدبياً قبل أن يكون روحياً أنه إن كنَّا نعيش بالروح «فلنسلك بالروح» و «ننقاد بالروح» وأمَّا «بالروح نميت أعمال الجسد» فهذه هي طبيعة المضادة الإلهية التي وضعها الله فينا بين الروح والجسد وأعطى الروح

فرصة القيادة والنصرة. فإن الروح الموجود فينا والذي نعيش به سيصارع أعمال الجسد ليميت أهواءه وشهواته، وكل المطلوب أن تنحاز إرادتنا على طول المدى لقيادة الروح؛ لنعيش حياة النصرة.

«فلنسلك أيضاً بحسب الروح»: pneÚmati ka^ stoicîmen

هنا كلمة «فلنسلك» stoicîmen تفيد: السلوك خطوة بخطوة أو صفاً إزاء صف ـ لأن كلمة sto‹coj تعني صفاً ـ بمعنى أن "**السلوك**" **بحسب** الروح يعني الاقتداء بالروح بالتصاق، لتكون المسيرة حسب قيادته تماماً. حيث يكون المعنى أنه إذا كان الروح القدس هو

مصدر حياتنا فليت الروح يقود الطريق[141]. وبمعنى مختصر أن تكون حياتنا منضبطة بالروح وبهذا تخرج ثمار الروح.

والملاحَظ في أسلوب بولس الرسول أنه يقدِّم أولاً العقيدة "الدُجما"، ومن العقيدة الإيمانية يستخرج التعليم ويعطي الوصية أو الأمر كرسول مختبر. وإذا ارتفع مستوى النصائح والتعليم فهو يعتمد دائماً على أشخاص روحيين يفهمونه ويفهمون الكنيسة: «فأصلحوا أنتم **الروحانيين** مثل هذا ...» (غل 1:6)

كذلك فالظاهر في تسلسل عمل الروح في الإنسان ضد الجسد عند ق. بولس أنه يهدف لمنفعة السلوك تجاه الآخرين أكثر من المكاسب الفردية، هذا في الظاهر ولكن الحقيقة الإنجيلية أن الإنسان الفرد هو الرابح أولاً من كل أعمال الله والمسيح والروح، ومن مدى انتفاعه وامتلائه وتحكمه في ذاته يعطي الجماعة، فإن فشل الإنسان أن يستوعب لنفسه عمل الروح فلن يستطيع أن يفيد المجتمع.

26:5 **«لاَ نَكُنْ مُعْجِبِينَ نُغَاضِبُ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَنَحْسِدُ بَعْضُنَا بَعْضاً».**

إخفاق الفرد في الجماعة من الانتفاع بعمل الروح في ضبط الحياة الداخلية، كان من أثره المباشر اختلال العلاقات الأخلاقية والاجتماعية في الكنيسة.

«لا نكن معجبين»: kenÒdoxoi

المعجب معجب بذاته، ولكن عُجب الذات يفسد المسيرة الكنسية كجسد المسيح، إذ تسقط هيبتها. والكلمة اليونانية تفيد الانتفاخ والكبرياء الكاذب الذي ليس له ما يبرره أو يعززه في حياة الإنسان الروحية من فضيلة أو نعمة، ويأتي بسبب النفس المخدوعة بذاتها.

(141) Bruce., *op. cit.*, p. 257.

«نغاضب بعضنا بعضاً»: provoking = prokaloàmenoi
الكلمة تفيد الإثارة والسخط والاستفزاز.

«ونحسد بعضنا بعضاً»: fqonoàntej
وهي إصابة مفسدة كافية أن تخلخل سلام الجماعة.

لقد انتقى ق. بولس الصفات التي طفحت على الجماعة بعد أن دخلها اليهود المهيِّجون، فطعَّموا الجماعة بهذه الصفات الأخلاقية، كنتيجة مباشرة للإشتغال بمعارف لاهوتية ليس لهم فيها باعٌ، وهي المعارف التي تولّد هذه الأخلاق عندما يخلو منها عنصر الإنجيل والحق، ويتبارى فيها مَنْ ليس لهم فيها.

وإنه لمحزن حقًّا أن تنتهي حياة كنيسة إلى هذه الخاتمة كنتيجة لانفتاح الكنيسة على جماعة اليهود المزعجين الذين يعيشون من أجل إفساد المسيحية وتعاليم الإنجيل. ولكن المحزن بالأكثر أن يوجد بالكنيسة مَنْ يتبنى وجهة نظر هؤلاء المفسدين. ولأن التعاليم بعيدة عن روح المسيح والإنجيل نتج عنها هذه الصفات الغريبة عن مسيرة الإيمان والمحبة والتواضع والبذل.

الأصحاح السادس

1 ـ [6: 1 ـ 10]: وصايا للتعاون في المسيرة الروحية:

+ «احملوا بعضكم أثقالَ بعضٍ، وهكذا تمّموا ناموسَ المسيح» (2:6)

2 ـ [6: 11-18]: مجمل الرسالة وتحية الختام:

+ «وأمَّا من جهتي، فحاشا لي أن أفتخرَ إلاَّ بصليبِ ربّنا يسوع

المسيح، الذي به قد صُلِبَ العالمُ لي وأنا للعالم.» (14:6)

+ «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفعُ شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة.» (15:6)
+ «لأني حاملٌ في جسدي سمات الرب يسوع.» (17:6)
+ تحية الختام.

1 ـ وصايا للتعاون في المسيرة الروحية
[6: 1-10]

- ❋ المعونة المشتركة إذا نشطت في الكنيسة كانت علامة بدء العودة إلى صحة المسيرة الروحية.
- ❋ اللطف المتبادر من الآخرين أعظم دواء للساقطين.
- ❋ أن يحمل الإخوة أثقال الضعفاء هي صحوة إنجيلية.
- ❋ أن يبادر الروحيون إلى تشديد الآخرين وتعليمهم ينشط الروح ويمارس نعمته.
- ❋ الكل يبذر بذار المحبة لتحصد الجماعة ثمر البر وتمتلئ خزانة الكنيسة من خيرات النعمة.

6 : 1 **«أيـُّهَا الإِخْوَةُ، إنِ انْسَبَقَ إنْسَانٌ فَأُخِذَ في زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمْ الرَّوحَانيِّينَ مِثْلَ هذا برُوح الْوَدَاعَةِ، نَاظِراً إلى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً».**

«انسبق فأُخِذَ»: prolhmfqĩ

كلمة "انسبق" غير صحيحة ولا معنى لها هنا في الجملة، فالمعنى الصحيح للكلمة هو "طَغَى" أو "غُلِبَ على أمره".

و"الزلة" هنا هي paraptîmati وهي التعدي. أي إذا طغى إنسان وتعدَّى على وضع الكنيسة السائد، وكلمة التعدي هي خاصة بالأوضاع العامة بحيث أن صاحبها ـ أي المتعدي ـ يحسُّ أنه تعدَّى.

«فأصلحوا»: katart…zete = restore = rehabilitate
ومعناها الصحيح "ردُّوه" أو "أعيدوه".

واضح هنا أن عين ق. بولس مركّزة على الكنيسة ككل وليس على الأفراد، خوفاً من انفراط

عقدها وتقسُّمها. لذلك هو ينبِّه الروحيين منهم أن يمارسوا بروحهم وليس بسلطانهم وإلاَّ ما قال: «أنتم الروحيين» فهو لم يقل أنتم الرؤساء أو الظاهرين في الكنيسة بل أنتم الروحيين حتى يسود الروح القدس على الجماعة. لأنه من أخطر الأمور بالنسبة للكنيسة ومستقبلها أن يعامَل الخارجون عن نظامها أو أعرافها بدون الوداعة والمحبة. لأن عثرة الكنيسة الأُولى وانقسامها بين الغرب والشرق: روما والقسطنطينية: كاثوليك وأرثوذكس ـ بل وعثرة الكنيسة الأرثوذكسية الأم وانقسامها إلى خلقيدونيين ولا خلقيدونيين فتَّتت الكنيسة وأضعفت الإيمان وأنشأت عداوات لا حدَّ لها ولا إصلاح، وجعلت المسيحية ككل ناقصة عنصر المحبة والسلام وعرقلت عمليات النمو والكرازة والشهادة للمسيح. وها هي تجني في العصر الحديث مرارة التفتت الذي أحدثه مَنْ تمسكوا بآرائهم أكثر من المحبة.

وصحَّ قول ق. بولس فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا:

«بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلاَّ تُجرَّب أنت أيضاً»!!

لذلك اعتنى ق. بولس جداً أن يكون إصلاحهم وإعادتهم للمتعدِّين «بروح الوداعة» ويسبق ويوعِّي الكنيسة وكل القائمين فيها «لئلاَّ تُجرَّب أنت أيضاً» تلميحاً إلى تدخل الله والانتباه إلى قلب المسيح الذي يئن إن صرخ الخاطئ من ظلم الكارز، لأن صراخ الخطاة ثمَّنه المسيح بدمه!! فالذي يهين الخاطئ يزدري بدم المسيح ولا يقيم للروح اعتباراً:

+ «فيجب علينا نحن الأقوياء (الروحانيين) أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا.» (رو 1:15)

+ «إذاً مَنْ يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط.» (1كو 12:10)

2:6 **«احْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ».**

ما هو ناموس المسيح إلاّ المحبة «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً» (يو 34:13). فعلى نغمة هذه الوصية مع بعضنا بعضاً نحمل الأثقال وإلاّ يتعطل عمل المحبة وتتعطّل الوصية الجديدة. وطبعاً وبحسب الآية المذكورة أعلاه (رو 1:15) يكون نصيب الأقوياء من حمل الأثقال هو النصيب الوافر. وكلمة يحتمل bast£zein في آية رسالة رومية (1:15) هي نفس كلمة bast£zete في آية (غل 2:6).

وإن سألتني كيف أحمل ضعف الضعيف ولا أرضي نفسي أقول لك اسمع ق. بولس: «إن كان

طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً **إلى الأبد** لئلاً أُعثر أخي» (1كو 13:8). وأيضاً: «مَنْ يضعف وأنا لا أضعف مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب.» (2كو 28:11)

أمَّا الرب فشيَّال هموم كل ذوي الهم: «ألقِ على الرب **همَّك** فهو يعولك» (مز 22:55). ويلتقطها بطرس الرسول ويبني عليها: «ملقين كل **همكم** عليه لأنه هو يعتني بكم» (1بط 7:5). وهكذا حينما نحمل أثقال الضعفاء والمرضى والمعوزين وهمَّ المهمومين فنحن نتشبَّه بالله أو نعمل من تحت يده: «صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلِّص على كل حال قوماً وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه.» (1كو 9: 22و23)

ويُلاحِظ القارئ أن ق. بولس يقول لأهل غلاطية الذين انكفأوا على الناموس يختتنون أعضاءهم أن يفيقوا ويتمموا ناموس المسيح الحقيقي بأن **يحملوا بعضهم أثقال بعض.** هذا هو ناموس المحبة الذي يرفع البشرية فوق ذاتها لا أن يحطّها تحت ضعف الجسد!

كما يُلاحِظ القارئ انسجام الألفاظ على مستوى البلاغة الروحية. ومحور الكلام هي كلمة bast£zete أي: "يحمل على الكتف".

فهذا اليهودي الذي تسبب في بلبلة كنائس غلاطية حمَّله ق. بولس الدينونة على كتفه: «ولكنني أثقُ بكم في الربِّ أنكم لا تفتكرون شيئاً آخر. ولكن الذي يُزعجكُم **سيحملُ** bast£sei الدينونة أيَّ مَنْ كان» (غل 10:5)، أمَّا أنتم «**فاحملوا** bast£zete **بعضكم** أثقالَ بعضٍ، وهكذا تمِّموا ناموسَ المسيح»

ولكن ما هي علاقة **الأحمال** الثقيلة بناموس المسيح؟

العلاقة هي نفس الحمل الذي حمله المسيح على كتفه:

+ «فخرج (يسوع) وهو حامل bast£zwn صليبه.» (يو 17:19)

ولكن لماذا قال ق. بولس: «احملوا بعضكم أثقال بعض» واضح هنا أن الإنسان الذي يحمل أخطاء أخيه فهو إنما يحمل عاره وضعفه، من هنا جاء ثقل الحمل. ولكن في نفس الوقت بمساعدة الروح وبسبب التشبه بالمسيح يصير هذا الحمل خفيفاً حسب وعد المسيح: «احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هين **وحملي خفيف.**» (مت 29:11). لأنه هو حمل عارنا.

لذلك نجد أن سرّ وصية ق. بولس أن يحمل أهل غلاطية **"أثقال"** بعضهم البعض وهي كلها تعدٍّ وخطية وعار، سرُّ هذه الوصية أنها منبثقة ووليدة لوصية المسيح: «احملوا نيري عليكم ... لأن نيري هيِّن وحملي خفيف» فالقديس بولس يحمِّلهم أحمالاً ثقيلة الحمل ولكنه يحركها بإصبع الله، لتصبح راحةً لنفوسهم جميعاً، الحامل والمحمول عنه!

لذلك نقول: ما أثقل أحمال آبائنا الأحباء الكهنة خدَّام المسيح والكلمة والنفوس حينما يحملون خطايا وعار الرعية بصبر، ولكن سرعان ما تتحوَّل هذه الأحمال الثقيلة جداً إلى أحمال هيِّنة خفيفة مفرِّحة مملوءة معونة، هو يحمل بيد والملائكة معه بألف يد بل والمسيح نفسه يضع يده فوق يد الكاهن فيحمل الكاهن ويحمل حمله وتصبح حياة الكهنة التي كانت أثقل مما يحتمل ويتصور فإذ بها تصير بنعمة المسيح راحة لنفوسهم لا يرضون عنها بديلاً بل مزيداً: إنها سر الخدمة أو هي سر الصليب أو مجد الوصية في قلب المختار.

صلُّوا يا إخوة وصلوا كثيراً من أجل كهنة المسيح خدام الأثقال التي لا يقوى على حملها جبابرة مقتدرون، ليُعطيهم المسيح سر حمل صليبه. ويعطيهم حسب وعده راحة لنفوسهم!!

3:6 **«لأنَّـهُ إنْ ظنَّ أحَدٌ أنـَّه شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئاً، فإنـَّهُ يَغُشُّ نَفْسَهُ».**

هنا تحذير مكتوم للذين تلعب بهم الظنون أنهم صاروا شيئاً في عين أنفسهم وهم ليسوا في عين الله شيئاً!!:

+ «لأنه ليس من مدح نفسه هو المزكى بل مَنْ يمدحه الرب» (2كو 18:10)

+ «فإني أقول بالنعمةِ المعطاةِ لي، لكُلِّ مَنْ هو بينكم: أن لا يرتئيَ فوق «m

Øperfrone‹n(لا يظن في نفسه أكثر) ما ينبغي أن يرتئيَ، بل يرتئيَ إلى التعقُّل، كما قَسَمَ الله لكلِّ واحدٍ مقداراً مِنَ الإيمان.» (رو 3:12)

ولماذا هنا هذا الإنذار ولمَن؟ هو للذين حملوا نير الضعفاء وحاموا عنهم ووقفوا مع المضطهَدين حتى لا يظنوا في أنفسهم أنهم صاروا شيئاً، لأنه في البدء والأساس قال لهم: «تمِّموا ناموس المسيح» واحملوا النير الذي حمل. فمَنْ ذا يحمل نير المسيح ويتشامخ بهذا الحمل؟ إن المسيح اشترط شرطاً قبل أن يقول: «احملوا نيري »بأن قال «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» أي أن الذي يريد أن يتشبَّه بالمسيح ويحمل صليبه لابد أن يحفظ الدرس الأول وهو أن يتشبَّه بالمسيح

ويلبس الوداعة والتواضع لبساً!!

+ «فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف. ولكن إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده.» (1كو 8: 2و3)

صلُّوا يا إخوة وصلوا من أجل كل كاهن وخادم حمل النير الثقيل الحلو، وجرت في فمه كلمة الإنجيل والحياة أن لا يظن في نفسه أنه يخدم ويتكلَّم من معارفه أو معرفته وإنما يتكلَّم من فم الذي يعرف ماذا يُقال في وقته وحينه الحسن. أمَّا رجال الخدمة الذين يخدمون بالحب ومن الحب فليس عليهم ملامة، بل نطلب من الله لأجلهم أن يزدادوا حبًّا بل سيزدادون حتماً لأنهم صاروا محبوبين ومعروفين لدى الله والمسيح المذخر فيه كل كنوز الحكمة والفهم، ومن كنوزه يملأ خزانة قلوب محبيه وأتقيائه:

+ «لا يخدعن أحد نفسه إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً.» (1كو 3:18)

إن ننكر معرفتنا تظهر معرفة الله فينا، إن ننكر حكمة العالم نستأمن على سر كلمة الله. إن نتسربل بالجهل الإرادي الحلو يلبسنا الله ثوب المعرفة الفائقة المعرفة. الآباء القديسون جميعاً تسربلوا بالأميَّة الاختيارية اللذيذة فرفعهم الله والعالم لمستوى الحكماء والأنبياء تشبّهاً بالمسيح الذي تواضع وأخذ شكل العبد فرقَّعه الله وصار أعلى من السموات!

4:6 **«وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لا مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ».**

يأمر القديس بولس هنا كلَ إنسان يحمل النير أن يلتزم بنيره هو وليس نير غيره. فكل واحد مسئول أمام الله من جهة عمله هو فقط لا من جهة عمل غيره:

+ «وأمَّا أنا فأقل شيء عندي أن يحكم فيَّ منكم أو من يوم بشر، بل لست أحكم في نفسي أيضاً، فإني لست أشعر بشيء في ذاتي لكني **لست بذلك مبرَّراً،** ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب، إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله.» (1كو 4: 3-5)

أمَّا امتحان النفس وفحص أعمالها أمام ضمير حيّ مستنير بالإنجيل فهو أمر في غاية الأهمية

لكل مَنْ حمل النير وخدم غيره، سواء كان خادماً أو كاهناً أو أسقفاً، حتى يستبرئ ذمته أمام الله عن الوكالة التي استلمها واستؤمن عليها. وبحسب قانون الكنيسة يحدث ذلك إلزاماً قبل أن يتناول من الأسرار المقدَّسة ليكون شريكاً للمسيح في حمله وحمل نيره ومواهبه، وهو ملتزم أن يستبرئ ذمته عن كل ما أُعطي وعن كل ما عَمِلَ وعن كل ما أخطأ. والذي يستهين بهذا الواجب الكنسي فهو حتماً يخسر مؤازرة النعمة وينكشف ستره.

«حينئذ يكون له الفخر»: kaÚchma

الفخر بما حصله الإنسان في نفسه من جهده وعرق جبينه هو خداع، فالزمن لن يُبقي عليه ومآله حتماً إلى التراب. أمَّا الفخر الحقيقي فهو ما اكتنزه الإنسان من عمل يد الله ليبقى له لا يفنى، ذخيرةً وكنزاً لا يضمحل محفوظ في السموات:

+ «فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله. لأني لا أجسر أن أتكلَّم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي ...» (رو 15: 17و18)

القديس بولس يعرف نفسه وقد امتحن أعماله وقاسها طولاً وعرضاً لذلك يجرؤ أن يفتخر بما عمله الله بواسطته، ولكنه استحال عليه أن يتكلَّم عن شيء لم يعمله الله بواسطته. وأنهى حواره مع الكورنثيين في هذه الأمور (2كو 10: 13-16) بقوله: «وأمَّا مَنْ افتخر فليفتخر بالرب.» (2كو 17:10)

كل هذا موجه للغلاطيين الذين بدأوا يفتخرون على بعضهم البعض ويتعرضون بالنقد لغيرهم. وكان افتخارهم بانتمائهم إلى الأشخاص المرموقين الآتين من أُورشليم الذين ختنوهم ليفتخروا بختانتهم. وهنا ق. بولس يواجه المفتخرين والمفتخر بهم سواءً، لأنهم يفتخرون ليس فيما لله ولكن فيما عملوه في الغير وبالغير. وهذه كانت ضلالة كنائس غلاطية.

ولكن عزيزي القارئ، ألا تجد أن ما نعانيه الآن من الانتماءات هذا لهذا وهذا لذلك، وأنت تلميذ هذا أمَّا نحن فتلاميذ ذاك، وكلٌ يفتخر بما ليس له وكأنه له. أليس هذا إحزان للروح القدس؟ فالرب في السماء ينظر ويكتب أمامه سفر تذكِرة. ولكن ليفهم القارئ أنه إن غابت النعمة حلَّ الانقسام وإذا ضعف الانتماء للمسيح تبارى كل واحد يجمع لنفسه تلاميذ وتبارى التلاميذ يفتخرون بانتماءاتهم. وعثرة غلاطية هي عثرة كل كنيسة.

5:6 **«لأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ حِمْلَ نَفْسِهِ».**

كلمة "لأن" تعقّب بالتوضيح على الآية السالفة للذين يتداخلون في أحمال غيرهم ويفتخرون بأحمالهم وأعمالهم على غير حق. فهنا إن كل واحد سيحمل حمل نفسه يقصد بها في يوم الرب، حيث يتراءى كل واحدٍ حاملاً حمله ليُسأل عنه وحده وليس عن حمل غيره. فالمسيح يوم الدينونة لن يسأل الإنسان إلاَّ عمَّا أخذه وعمَّا عمله. إن مثل هذا الخروج الصارخ عن اختصاصات الإنسان المسيحي ستضيف على دينونته دينونة أخرى خطيرة هي سؤاله عن دينونته للغير وما أغنانا.

أمَّا من حيث ما عملناه نحن من أعمال المسيح الصالحة بحسب ما أعطانا المسيح وبحسب تدبير نعمة المسيح بما يرضي المسيح، فهذا يكون محل فرح الرب وافتخاره هو بنا أمام الملائكة وأرواح القديسين:

+ «متمسكين بكلمة الحياة لافتخاري في يوم المسيح، بأني لم أسعَ باطلاً ولا تعبتُ باطلاً.» (في 16:2)

+ «فإذاً كل واحد منا **سيعطي عن نفسه حساباً** لله. فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً...» (رو 14: 12و13)

+ «لأننا لا بد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شرًّا.» (2كو 10:5)

هكذا يركّز بولس الرسول في كل رسالة تقريباً على هذه الحقيقة: أن نحاسب أنفسنا ولا نحاسب الآخرين، أن نفحص وندين أعمالنا ولا نفحص وندين أعمال الآخرين. كما لا يليق أن نفتخر بأعمالنا بل نفتخر بأعمال المسيح فينا وبنا.

وفي الحقيقة هذه الآية لا تضع على الإنسان المسيحي أي ثقل ولا يصعب

تتميمها حرفياً، بل نكاد نقول إن النفس السوية المكتفية بذاتها إنما تسلك بهذا المنهج دون عناء. وتعتبر هذه الآية كشفاً فاضحاً لنفوس الشعب في كنيسة غلاطية، يظهر منها مقدار الإنحراف الخلقي والنفسي الذي أصاب الشعب بسبب تخلّيه عن الإيمان الحقيقي.

فالآن إن كنا ندعو لكنيستنا المجيدة وخدامنا المختارين وشعبنا المبارك لكي يلتزم كل واحد حدود نفسه ولا يتعدى أحد ليتداخل في شئون غيره، لا الشعب بالنسبة لبعضه البعض، ولا

الشعب بالنسبة لخدام الكنيسة، ولا الخدام بالنسبة للرؤساء، فهذه دعوة صادقة وهامة للغاية لأن الأمر أصبح إنحرافاً بالدرجة الأولى. فقد تعدَّى كل مفهوم ديني أو تقوي أو عبادة وتزعزع النظام الكنسي الذي يقوم على طاعة الرؤساء.

6:6 **«وَلَكِنْ لِيُشَارِكِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْكَلِمَةَ الْمُعَلِّمَ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ».**

«يشارك الذي **يتعلَّم** الكلمة **المعلِّم»:**

يشارك = koinwne…tw، الذي **يتعلَّم** = kathcoÚmenoj، **المعلِّم** = kathcoànti.

هنا أدخل ق. بولس للكنيسة ثلاث كلمات ذات قيمة عظمى في تقليد الكنيسة وتراثها العظيم. **الشركة** كينونيا، **المتعلِّم** كاتيخومينوس، **المعلِّم** كاتيخون، ومنها **التعليم** كاتشزم. **فالكاتشزم** في الكنيسة الآن هو تعليم الرسل. **والشركة** في الكنيسة الآن هي في سر **الإفخارستيا** وفي **الأغابي** ولو أنها ضعفت، وفي أعمال المحبة عموماً.

وهذه صياغة جميلة وبارعة للقديس بولس لترجمة قانون العشور من العهد القديم لقانون الشركة الحر في العهد الجديد. فلكي يضمن الرب خدمة مقدساته في الهيكل ويضمن سد أعواز خدَّام بيته واسمه، وضع قانون العشور بصورة محددة قاطعة صارمة كوصية وفريضة ملزمة. ولكن العهد الجديد دخل في محيط الحرية الشاملة وتوقفت صناعة الفرائض كلاً وجزءاً.

فكان أول مَنْ أخذ على عاتقه تدبير أعواز الكنيسة ككل وأعواز خدَّامها بنوع خاص، ثم أعواز فقراء الشعب كضرورة قصوى هو الروح القدس نفسه الذي حلَّ محل الناموس والوصية والفرائض. «لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة

»(رو 14:6). وكان واضحاً عمل الروح القدس وسط الجماعة في الكنيسة الأُولى من جهة الأمور المالية وبقية الخيرات. وقد تسجَّل ذلك في خطوات متميزة بعمل النعمة بصورة مذهلة للعقل.

أولاً: ما قبل التشتت:

الدرجة الأُولى: عمل الروح القدس المباشر بواسطة الرسل الاثني عشر:

1 ـ «وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم **كل شيء مشتركاً،** والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج.» (أع 2: 44و45)

2 ـ «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم **كل شيء مشتركاً،**

إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج.» (أع 4: 32و34و35)

الدرجة الثانية: اختيار لجنة مالية من سبعة:

+ «فدعى الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الإخوة **سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة** فنقيمهم على هذه الحاجة.» (أع 6: 2و3)

وهكذا كان الروح القدس هو مدبر مالية الكنيسة بواسطة الاثني عشر رسولاً أولاً، ثم بواسطة السبعة شمامسة ثانياً. فالذي يُتعجَّب له جداً كيف انطبع الإنسان اليهودي بهذه الطبعة الروحية المالية الجديدة، أن يعطي كل ما له ويعيش على ما يُعطَى له بواسطة الكنيسة، فكان هذا بحد ذاته برهاناً قوياً صادقاً كيف تحوَّل إنسان العهد القديم اليهودي إلى إنسان العهد الجديد الذي أعطى كل ما له واليهودي كالأممي سواءً بسواء.

ثانياً: ما بعد التشتُّت: النموذج الممتاز:

فلمَّا استقلت كل كنيسة واستقل كل شعب واستقلت كل أسرة، أصبح ثقل الاهتمام بالأمور المالية وبقية الخيرات بالنسبة للكنيسة والخدام وفقراء الشعب، منوطة بالرسل عامة في رسائلهم لكافة الكنائس ولأسقف كل كنيسة. ويعلن ذلك الرسول أو الأسقف في وعظه ورسائله مثل ق. بولس، ولكن معتمدين دائماً على عمل الروح القدس المباشر في كل قلب عوض الفرض الذي كان يحكم به الناموس.

ومن هنا نسمع ق. بولس في كل رسائله تقريباً لا يغفل عن هذا النداء من أجل الكنيسة والخدام وفقراء الشعب:

+ «لا تكم ثوراً دارساً والفاعل مستحق أجرته.» (1تي 18:5)

+ «ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدَّسة من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون

المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون، أمَّا أنا فلم أستعمل شيئاً من هذا ولا كتبت هذا لكي يصير فيَّ هكذا. لأنه خير لي أن أموت من أن يعطِّل أحد فخري.» (1كو 9: 13-15)

+ «حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان!!» (أع 34:20)

+ «فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا إذ كنَّا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلاً ونهاراً كي لا نثقِّل على أحد منكم.» (1تس 9:2)

والقديس بولس لم يكن هذا مبدأه الشخصي أن لا يثقل على أحد المؤمنين، بل كان يعطي نموذجاً ودرساً وتوجيهاً قوياً لبقية الشعب حتى لا يتواكل أحد ويعتمد على عطايا الكنيسة التي تُجمع:

+ «إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثَّلَ بنا، لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم، ولا أكلنا خبزاً مجَّاناً من أحدٍ، بل كنا نشتغل بتعبٍ وكدٍّ ليلاً ونهاراً، لكي لا نثقِّل على أحدٍ منكم. ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوةً حتى تتمثَّلوا بنا ... إن كان أحدٌ لا يريد أن يشتغِلَ فلا يأكل أيضاً.» (2تس 3: 7-10)

السؤال الذي يلح على كثيرين هو إن كان الرب سمح أن خادم الإنجيل من الإنجيل يأكل فلماذا تمنَّع القديسبولس؟ الإجابة هي أن ق. بولس اعتبر سماح المسيح ليس فريضة ولا قانوناً ولا أمراً بل للإختيار فقط، فإذا كان خادم الإنجيل قادراً أن يعمل ويخدم حاجاته، كان في نظر ق. بولس أفضل، لئلاً يعطل أحد فخر الرسول في خدمته للإنجيل، كأن يقال إنه يستخدم الإنجيل لحاجات نفسه، وفي هذا تعطيل أيضاً لفخر الإنجيل وكرامته.

7:6 **«لاَ تَضِلّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً».**

«لا تضلوا»: لا تخطئوا الهدف.

الله لا يُشمخ عليه: oÙ mukthr…zetai

الترجمة هنا لا تأتي بالمعنى الصحيح. فالكلمة مستخدمة بمعنى[142] **الاستعباط** أو المكر عليه أو

(142) Bruce., *op. cit.,* p. 264.

"إغاظة" الله أو **"الاستهزاء"**:

+ «قد ملأوا الأرض ظلماً ويعودون **لإغاظتي** mukthr…zontej**.**» (خر 17:8)

+ «فكانوا يهزأون mukthr…zontej برسل الله ورذلوا كلامه.» (2أي 16:36)

+ «صرت للضحك طول النهار كل واحد استهزأ mukthrizÒmenoj بي.» (إر 7:20)

وما يقصده بولس الرسول من هذه الآية هو ترهيب هؤلاء الغلاطيين المنفلتين الذين خرجوا عن حدود الإيمان والإنجيل، ثم يدَّعون المعرفة والتفوُّق ويمارسون الافتخار على بعضهم، وفي النهاية يدورون على ق. بولس نفسه ويهزأون به. لذلك بعدما أعطى ما فيه الكفاية من التوبيخ، يستخدم هنا الترهيب كاشفاً وفاضحاً مستوى أعمالهم، إذ اعتبرهم يضحكون ويستهزئون ويمكرون بالله، غير عالمين أنهم إنما يزرعون الفساد لأنفسهم دون أن يدروا أنهم سيحصدون ثماره المرة، وإن كان الله الآن صابراً أو متأنياً عليهم.

نفهم من هذا أن الذين أخذوا الروح القدس للمعرفة للخدمة وعمل الله، ولم يلتزموا بالإنجيل والانصياع تحت أوامره والالتزام بحدوده، يُعتبرون أنهم يهزأون ويمكرون عليه، إذ أخذوا من عنده عملاً ووظيفة وحوَّلوها إلى سباق يتبارون فيه لإظهار ذواتهم بالفخر ودينونة الغير والتعدي على الآخرين، غير منتبهين أنهم يزرعون لأنفسهم الفساد ليحصدوه في أوانه.

8:6 «**لأنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرَّوح فمِنَ الرَّوح**

يَحْصُدُ حيَاةً أبَديـَّة».

«لأن مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً»:

هذه هي أمثلة لمَنْ يزرع للجسد ويحصد الفساد:

مَنْ يستخدم خدمة الله للكرامة والمجد الدنيوي، أو لجمع الأموال والغنى واكتناز الكنوز، أو يستغل مركزه لاستعباد الآخرين والضعفاء، أو التعدي على عفة الآخرين وتلذيذ الجسد، أو استخدام الغضب والحقد والحسد والتفتيش عن عيوب النفس لإيذاء مشاعر الآخرين، أو التحيّز لذوي السلطان والاحتماء بهم واستخدام التهديد والوعيد.

وبالاختصار كل مَنْ جعل الجسد وأهواءه وشهواته متسلطاً عليه أو منتفعاً للذاته. لأن خدمة

الله والروح تُخدم بالأمانة والشرف والاستقامة، وإلاَّ يكون الحصيد تخلية النعمة وضربة الجسد والحرمان من ملكوت الله.

«ومَنْ يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية»:

هذا هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. بالحق أقول لكم إنه يقيمه على ملكوته (جميع أمواله) (راجع لو 12: 22-44).

فالذي يزرع للروح يعرف قوانين الزراعة الروحية وشروطها وأحكامها قبل أن يمد يده على الكلمة المحسوبة أنها تحمل كرامة الله.

فزارع البذرة الأرضية يلقي البذرة من يده في مكانها الصحيح على الأرض لتنمو وتعطي ثمارها. أما زارع زرع الله فيخرج الكلمة من قلبه مجلية بنار النعمة حتى إذا ألقاها في القلوب تحرق مكانها وتطهره وتسكن كالنار لتحرق كل ما هو ليس زرع الله لتنمو وليس شوك يخنقها ولا حسك يغشاها. فإن لم يكن في قلب الزارع مؤونة من النار كيف يزرع كلمات الله، ومن أين يأتي الخادم بمؤونة النار إن لم يدخل محنة الصليب ويُختبر أولاً بالنار. هذا هو الزارع بالروح للروح حسب الروح، هذا هو التلميذ الأمين الحكيم الذي حمل الصليب حسناً وذاق محنته بالنار واشتعلت حياته وتطهَّرت من عيب الجسد وبالتالي الفساد وعيب المال وعيب كرامات العالم، وصارت كلمته مؤيدة بحياته يدفعها حبه الملتهب لسيده فتلقاها القلوب ككلمة والدة تلد وتجدِّد القلوب والنفوس والأرواح بعد مخاض ناري من طبيعتها يحرق ويطهر من كل أعمال الجسد والعالم فيولد المسيح منها كما من بطن عذراء:

+ «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيحُ فيكم.» (غل

(19:4

+ «أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل.» (1كو 15:4)

+ «مولودينَ ثانيةً، لا مِنْ زرعٍ (بشري) يفنى، بل مما لا يفنَى (زرع الله)، بكلمة الله الحيَّةِ الباقيةِ إلى الأبدِ.» (1بط 23:1)

+ «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه.» (يع 18:1)

إذن فالذي يزرع للروح يزرع بالروح، بالكلمة، بالإنجيل، ولكن يتحتم أن يكون هو مولوداً

منها ابناً للكلمة، ابناً للإنجيل، وحاملاً الكلمة والإنجيل لا في يده بل في أحشائه لأنه منها يلد نفوساً جديدة للمسيح. فالزارع بالروح حسب الروح ليس خريج مدرسة تعلّم الكلمة على يد معلّم، بل هو خارج من رحم الإنجيل وارثاً شكله ورائحته وطعمه وقوته، يسلّمه لقلوب الناس كإنجيل حي فعَّال يحمل الحق وفيه المسيح.

وماذا يكون حصاد الكلمة الحية الفعَّالة والتربة التي نمت فيها وهي السماء؟ فإن ثمرتها يتحتم أن تكون من السماء طبيعة وحقاً ودواماً.

نحن لا نقول قولاً من عندنا يؤول إلى ضياع أو نسيان. تفهَّم أيها القارئ واقرأ ما نقوله بروح الله والإنجيل. إن ما قلناه وكتبناه هو سر الكلمة، وسر الكلمة هو سر الخادم وإلاَّ لا يدعى خادم الكلمة وفلاَّح السماء. قف لحظة وتأمل فيما انتهى إليه خدَّام الكلمة الأمناء في كل تاريخ الأجيال. أين هم وكيف حالهم ويكفينا شهادة الكتاب:

\+ «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون،
هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي!!
والفاهمون يضيئون كضياء الجلد (السماء)،
والذين ردُّوا كثيرين إلى البر: كالكواكب إلى أبد الدهور!!» (دا 12: 2و3)

وهل يمكن أن يضيء هناك الخادم الذي ردَّ كثيرين إلى البر إن لم يكن قد جاز النار هنا وتزكَّى واستنار؟

9:6 **«فلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلَّ».**

لا نفشل: هذه من مميزات هذا الرسول المناضل الذي لم يواجه كارزٌ آخر، رسولٌ أو غير رسول، ما لاقاه القديس بولس من عنت اليهود شعباً ورؤساء، وسخرية من

المتعصبين منهم؛ أمَّا الأُمم فقدَّموا له ألواناً من الاحتقار والصدود: «كنت كلما أحبكم أكثر أحب أقل» (2كو 15:12)؛ ومن أعوان العدو من رجال أشرار ولصوص وقطَّاع طرق، ومن الطبيعة الثائرة عواصف وسيول وبحر هائج ورؤساء قساة وملوك لا يحكمون بالعدل. وفي هذه جميعها لم يكل القديس بولس بل بحسب تعبيره كان أعظم من منتصر (رو 37:8). هذا هو سر منهج التشجيع عند ق. بولس في كل رسالة ولكل شعب، وكأنه أخذ على عاتقه تنصير العالم كله من داخل ضيقات بلا عدد -

فلم يكن يرضى بأقل منه. والقديس بولس الذي قال إننا سنحصد في وقته، لم يحصد في وقته وعبر من داخل محنة ذات فصول مرعبة قادرة أن تخيِّب آمال أعظم النفوس الحديدية.

القديس بولس لم يفشل فهو يعطي نصيحة من خبرته، ولكنه كرسول ربنا يسوع المسيح الذي أخذ منه رسالة ذات وعد بالمساندة، فالقديس بولس يقول، والروح القدس من ورائه يردِّد مؤكداً ما يقوله. لذلك ليس هو ق. بولس الذي يعطي هذا التشجيع أن لا نفشل قط لأننا لابد وأن نحصد في وقته، بل هو روح الخدمة ونعمة الكرازة التي تأخذ من ق. بولس وتعطي بلا كيل لكل مَنْ يؤمن ويجاهد:

+ «أمَّا أنتم أيها الإخوة **فلا تفشلوا** m¾ ™gkak»shte في عمل الخير.» (2تس 13:3)

+ «إذاً أيها الإخوة الأحباء **كونوا راسخين غير متزعزعين** مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (1كو 15: 58)

+ «اسهروا اثبتوا في الإيمان. كونوا رجالاً. تقوُّوا. لتصر كل أموركم في محبة.» (1كو 16: 13و14)

+ «فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح، حتى إذا جئتُ ورأيتكم، أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم **تثبتون** في روحٍ واحدٍ، مجاهدين معاً بنفسٍ واحدةٍ لإيمان الإنجيل، **غير مخوَّفين** بشيءٍ مِنَ المقاومين، الأمر الذي هو لهم بيِّنةٌ للهلاكِ، وأمَّا لكم فللخلاص، وذلك من الله.» (في 1: 27و28)

+ «لكي تكونوا بلا لومٍ، وبسطاء، أولاداً لله بلا عيبٍ في وسط جيلٍ معوَّجٍ وملتوٍ، تُضيئُونَ بينهم كأنوارٍ في العالم. متمسكين بكلمة الحياة.» (في 2: 15و16)

+ «إذاً يا إخوتي الأحباءَ والمشتاق إليهم، يا سروري وإكليلي، اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباءُ.» (في 4:1)

+ «لأننا الآن نعيش إن **ثبتم** أنتم في الرب.» (1تس 3:8)

+ «والرب ينمِّيكم ويزيدكم في المحبة بعضكم لبعض وللجميع كما نحن أيضاً لكم. لكي **يثبِّت** قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.»

(1تس 3:12و13)

+ «وإله السلام نفسه يقدِّسكم بالتمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً.» (1تس 5:23و24)

«لا نفشل»: m¾ ™gkakîmen = give up, slacken

في كل المواضع التي جاء فيها هذا الفعل في العهد الجديد يسبقه أداة نفي. هذه النصيحة تجيء على أساس متين من بناء النفس المسيحية بالمحبة والروح القدس ومؤازرة النعمة. لذلك تحتم على النفس أن تكون شديدة عنيدة أمام المعوقات والملمَّات والاضطهادات والتهديدات حتى الموت. لا نسلِّم ولا نفشل أي لا نترك الميدان قط أو نتخلَّى عن الإيمان الذي هو سلاح البر الذي يضرب ذات اليمين واليسار ولا يفلّ. لذلك يتحتم أيضاً على النفس أن لا تخطئ وتعتمد على كفاءتها أو قدرتها لأنه «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي يقول رب الجنود» (زك 4:6). كذلك حذار على الإنسان المحارب حروب الرب بجهاد الطهارة والحب الإلهي أن يتنازل ولا إلى لحظة لشهوة الجسد فلا يعطي لجسده راحة أو شيئاً من المسرة أو ذوقاً للذة لئلاً يسقط في فخ إبليس ولا يقوم إلاَّ بدموع كثيرة وآلام وأنين وندم كثير ويبقى حزيناً لذكرى محزنة.

+ «إذاً، أنا أركُضُ هكذا كأنه ليس عن غير يقينٍ. هكذا أُضارِبُ كأني لا أضرِبُ الهواءَ. بل **أقمَعُ جسدي وأستعبده، حتى بعد ما كَرَزتُ للآخَرينَ لا أصيرُ أنا نفسي مرفوضاً.**» (1كو 9: 26و27)

+ «وكل مَنْ يجاهد يضبط نفسه في كل شيء.» (1كو 9:25)

+ «اركضوا لكي تنالوا.» (1كو 9:24)

«سنحصد في وقته إن كنَّا لا نكل»:

«لا نكلّ»: m¾ ™kluÒmenoi

أجمل تعريف لها موضحاً ظروفها الآية التي جاء بها ق. بولس في سفر العبرانيين:

+ «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلاَّ **تكلّوا** ™kluÒmenoi **وتخوروا** في نفوسكم.» (عب 3:12)

حيث الكلل هنا يكون الدرجة التي قبل الخوار. فالذي يكلّ تنشلّ حركته والذي يخور يفقد

عافيته. أمَّا الذي يفشل فهو يترك الميدان. فالذي يقف في المعركة حتى نهايتها يحصد ثمر جهاده وآلامه وشجاعته ومثابرته حتى في أحلك الأوقات. أمَّا قوله: « سنحصد في وقته» فالوقت هنا يمثّله ثلاث مراحل: الأولى هنا في هذا الزمان بالعربون، والدرجة الثانية في مجيئه وإعلان النتائج، والثالثة في اليوم الأخير حيث لبس الإكليل.

«في وقته»: kairù „d…J

هنا الوقت له معنى غير كلمة الوقت العادية crÒnoj وهو الزمن المجرَّد. فالـ"كيروس" هو الزمن الخاص المعيَّن للأمور الخاصة. ويُفهم أنه الوقت الحقيقي أو الزمن المعيَّن. وهي هنا في هذه الآية تعني أننا لا ننتظر تحقيق الثمر في أي وقت نعرفه، ولكن الوقت المعيَّن أو الصحيح الذي يعيِّنه الله وهو الوقت الحسن. ووقت الله هو الحسن وهو واقع في عمق الزمن وبعد انتهاء الزمن، ويصح أن يكون الوقت الصحيح هو الآن فحصاد الله حاضر الآن كما يقول الرب:

+ «ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد. والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً.» (يو 4: 35و36)

وهنا نصيحة ق. بولس لأهل غلاطية أن لا يفشلوا في عمل الخير ولا يكلّوا، مرجعها أنه بعد أن أوضح لهم كيف كان جهادهم عبثاً وغيرتهم على الناموس أضاعت عليهم الإيمان، ونزاعاتهم التي مزقت الكنيسة انتهت بأن الصراع كان على قضية خاسرة، فالآن لابد أن تكون نفوسهم قد خارت وشعروا بالكلال أو الكلل. لذلك هو يشدِّدهم من جديد ليسيروا من جديد على درب الإنجيل بذات الحماس والغيرة والنشاط.

وفي الحقيقة يا إخوة إن تشجيع الخطاة والمعثرين والذين انحرفوا أو تركوا الطريق يأتي بثمار مدهشة، لأن الراجع عن الخطأ تصبح عنده خبرة في مجال العمل بين الخطاة، كذلك الذي فشل وشعر بأن ليس هذا طريقه ورمى السلاح وأدار ظهره للجهاد يصعب عليه جداً ما بذله من جهد، لذلك عند أول كلمة تشجيع يكون أكثر استجابة، فإذا رجع تكون له عزيمة لا تعرف الفشل بعد ذلك.

وكانت الكنيسة الأولى تدرك أهمية عملية تشديد الإخوة الجدد فكانت تقيم فرقاً خاصة تقوم بالمرور على المؤمنين الجدد تشدِّدهم في الإيمان:

+ «ويهوذا وسيلا إذ كانا هما أيضاً نبيين وعظا الإخوة بكلام كثير **وشدَّداهم.**» (أع 32:15)

+ «وبعدما صرف زماناً خرج واجتاز بالتتابع في كورة **غلاطية** وفريجية **يشدِّد** جميع التلاميذ.» (أع 18:23)
+ «ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب.» (أع 11:23)
+ «ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية، **يشدِّدان** أنفس التلاميذ ويعظانهم أن **يثبتوا** في الإيمان.» (أع 14: 21و22)
+ «فكانت الكنائس **تتشدَّد** في الإيمان وتزداد في العدد كل يوم.» (أع 16:5)

وها هي السماء يأتي منها الصوت بنفس هذه الدعوة، وهنا لتشدد نفساً بدأت تخور:

+ «أنا عارف أعمالك أن لك اسماً **أنك حي وأنت ميت،** كن ساهراً **وشدِّد ما بقي** الذي هو عتيد أن يموت لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله. فاذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب فإني إن لم تسهر أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك.» (رؤ 3: 2و3)

يا إخوة هذه هي حاجة الكنيسة الشديدة في الوقت الحاضر، فأهل هذا الزمان هم الذين لهم اسم أنهم أحياء وهم أموات، ولا نريد أن نسهر!! ماذا نعمل أيها الإخوة؟ أيمكن أن نعلن عن قيام مجموعات للسهر تسهر وتصلي، ثم تصلي ولا تملّ حتى نرفع عن أنفسنا هذا العار، عار الادعاء أننا أقوياء وأشداء بالإيمان وأننا خدَّام والكلمة في فمنا والإنجيل في جيبنا ونحن في الحقيقة أموات بالنسبة للحياة الأبدية؟ إنه من المفرح أن الآية تقول: **«شدِّد ما بقي».** ما بقي من زمان وما بقي من عافية وما بقي من إرادة، فإن كان لنا بقية إذن فالرجاء لا يزال حيًّا. ثم أليست هذه دعوة لكل واحد منا أن يستيقظ حتى لا يتمم الكتاب تهديده ويأتي كلص فيجدنا غير مستعدين؟

10:6 «**فَإِذاً حَسْبَمَا لنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ».**

الله لا ييأس من خلاص الإنسان وهو يدعو كل يوم ويده ممدودة لأن الذي عمله ابنه على الصليب لا يزال هو هو قائماً أمامه، فالابن قائم كذبيحة «خروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ 6:5). دمه يتقطَّر حبًّا وشفاعة، وجروحه عليه وجنبه مفتوح. هذه هي الفرصة القائمة الدائمة لنا أمام الله، لكي تسرع الكنيسة وتجمع أولادها ولا تتركهم لترعاهم الذئاب، وما هو عمل الخير للكنيسة إلاَّ أن ترعى أولادها بالمحبة ثم ترضي طموح المحبة لما بعد أولادها فتضع محبة بلا أجر لغير أولادها

تتقرَّب إليهم وتفتح قلبها بالحب لكل غادٍ ورائح تنادي: قلبي مفتوح للجميع تعالوا! مجاناً أخذنا مجاناً نعطي، لا بذهب ولا بفضة. فالمسيح لا يزال هو هو السامري الصالح القائم في الكنيسة بسرّه وأسراره وحبه يجمع المجروحين ويحملهم، يدافع عنهم ويدفع لهم. وأنشودة الخدمة الوادة للجميع بحب متسع يا ليتها تصبح أنشودة الخدَّام في هذا الزمان الذي شحت فيه المحبة والبذل:

+ «والله قادر أن يزيدكم كل نعمة لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء تزدادون في كل عمل صالح كما هو مكتوب فرَّق أعطى المساكين برُّه يبقى إلى الأبد ـ والذي يقدِّم بذاراً للزارع وخبزاً للأكل سيقدم ويكثر بذاركم وينْمِي غلات برِّكم، مستغنين في كل شيء لكل سخاء ينشئ لنا شكراً لله. لأن افتعال هذه الخدمة ليس يسد أعواز القديسين (أهل الإيمان) فقط بل يزيد بشكر كثير لله. إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع **لهم، وللجميع.**» (2كو 9: 8-13)

ومن بدائع فكر الروح الإنجيلي للقديس بولس في هذه الأنشودة أنه يحسب لكل مَنْ قدَّم خيراً لِمُعْوزٍ كأنه ألقى بذاراً في حقل المسيح ينمو لحسابه حتى في زمان الافتقاد ليصير له حصيداً متضاعفاً.

وهذا أصلاً من فكر الروح الخالص على فم داود كما جاء في المزمور:

+ «فرَّق أعطى المساكين برُّه قائم إلى الأبد قرنه ينتصب بالمجد.» (مز 12:9)

2 ـ ملخَّص الرسالة وتحية الختام
[6: 11-18]
عودة قصيرة إلى التوبيخ والتحذير
ثم الخاتمة ممزوجة بالأنين والجروح

11:6 «**أُنْظُرُوا، مَا أَكْبرَ الأَحْرُفَ الَّتي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بيَدِي!**».

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم[143]: إن هذه ربما تكون الرسالة الوحيدة التي كتبها ق. بولس بخط يده، والذي يعزز رأيه عندنا هو أنه سبق وألمح إلى هذا في (20:1) بقوله: «والذي أكتب به إليكم هوذا قدَّام الله أني لست أكذب فيه.» (غل 20:1)

ولكن يقول العالِم بروس: إن ق. بولس اعتاد أن يكتب هذا: «إن كان أحدٌ يَحسِبُ نفسه نبيًّا أو روحيًّا، فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب» (1كو 37:14)، فهذا لا يعني أنه كتبه بيده. كذلك: «فإننا لا نكتب إليكم بشيءٍ آخر سوى ما تقرأُون أو تعرفون. وأنا أرجو أنكم ستعرفون إلى النهاية أيضاً» (2كو 13:1). وكذلك إلى تسالونيكي (2تس 17:3). ولكن يقول بروس إن ق. بولس ربما عندما وصل إلى نهاية الرسالة أراد أن يؤكد لهم أن الرسالة من عنده فأخذ الريشة وكتب باقي الرسالة[144].

---

(143) Chrisost. *op. cit.,* (ad. loc).
(144) Bruce., *op. cit.,* p. 268.

أمَّا الحروف الكبيرة فهذه ربما لمرض عينيه، أو ربما لمرض يديه من الرجم الذي تعرَّض له، أو كما يقول دايسمان أن ق. بولس كانت يداه خشنة مرهقة لا تقوى على الكتابة الرقيقة بسبب أنه كان يعمل بيديه ليل نهار في غزل ونسج الخيام. والقول في ذلك كثير.

كذلك لم تكن رسالة غلاطية هي الوحيدة التي كتب خاتمتها بيديه، بل أيضاً نقرأ ذلك في

خاتمة الرسالة الأولى إلى كورنثوس: «السلام بيدي أنا بولس» (1كو 16:21). وكذلك الرسالة إلى كولوسي: «السلام بيدي أنا بولس، اذكروا وثقي النعمة معكم آمين» (كو 4:18). وأخيراً الرسالة الثانية إلى تسالونيكي: «السلام بيدي أنا بولس **الذي هو علامة** في كل رسالة هكذا أنا أكتب. نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. آمين.» (2تس 3: 17و18)

ولكن تمتاز خاتمة الرسالة إلى غلاطية أن ق. بولس صمم أن يكتب الخاتمة بأحرف كبيرة تأكيداً وإعادة لما قاله في الرسالة من جهة مضمونها الأساسي وهو الختان كعملية غاشة لا قيمة لها.

12:6 **«جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنْظَراً حَسَناً فِي الْجَسَدِ، هؤُلاَءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا، لِئَلاَّ يُضْطَهَدُوا لأَجْلِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ فقط».**

يريد القديس بولس أساساً في كرازته أن يزيِّن روح الإنسان بختانة القلب لا الجسد، ذلك بالإيمان بدم المسيح. أمَّا هؤلاء اليهود فلا يزالون مربوطين في الجسد وأعضائه ومنظره الخارجي الذي مآله وكل الجسد إلى الفساد والتراب. وهؤلاء اليهود لا يزالون يعيشون بروح الناموس، فهم لا يقترحون الختان بل يلزمونهم كفرض الناموس الإلزامي، وشتَّان بين الإيمان من واقع الحرية والختانة من جراء الإلزام. فالإيمان ثمرة الحرية والختانة ثمرة القهر.

«لئلاَّ يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط»:

كان كل ما يخافه هؤلاء اليهود المتنصرون شكلاً هو أن يقال عنهم من اليهود المحاربين للمسيحية أنهم خضعوا لصليب المسيح وتقرَّبوا من المسيحيين، فكانوا يصنعون الختانة رعباً من اضطهاد يهود أُورشليم، هؤلاء الذين كانوا يتتبعون ق. بولس أينما سار، لأنه كان قد فلت من بين أيدي القتلة منهم. فبعد ذلك آلوا على

أنفسهم أن يذيقوه العذاب والموت إن طالته أيديهم. فالختانة التي أرادها هؤلاء المزعجون لمسيحيي غلاطية هي خوفاً من اضطهاد اليهود فقط، أمَّا هم بحد ذاتهم فكان لا يهمهم شيء من مثل هذه الأمور لأن حياتهم كانت منحلة. ويقول العالِم R. Jewett (145): إن هذا التصريح يكشف عن حالة اليهود المتنصرين في اليهودية وأورشليم حتى زمن رسالة غلاطية أنهم كانوا خاضعين لليهود الغيورين حتى إلى أواخر الأربعينات من القرن الأول وأوائل الخمسينات.

(145) R. Jewett, "*The Agitators and the Galatian Congregation*", *NTS* 17 (1970-71), p. 205.

وفي الحقيقة أن المسيحية لم تتأصل في اليهودية ولا في أُورشليم حتى خرابها سنة 70م. وهذا بدوره يكشف لنا لماذا أصابها ما أصاب، أمَّا البقية الصغيرة الباقية من المسيحيين الأتقياء فكان إليها كلام الرب:

+ «والذين في وسطها فليفروا خارجاً والذين في الكور (كور اليهودية) فلا يدخلوها. **لأن هذه أيام انتقام** ليتم كل **ما هو مكتوب.**» (لو 21: 21و22)

+ «وشعب رئيس آتٍ **يخرب المدينة والقُدسَ** (الهيكل) وانتهاؤهُ بغمارةٍ (فيضان) **وإلى النهاية حربٌ وخِرَبٌ قُضِيَ بها.**» دا 9:26)

13:6 **«لأَنَّ الَّذِينَ يَخْتَتِنُونَ هُمْ لاَ يَحْفَظُونَ النَّامُوسَ، بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَخْتَتِنُوا أَنْتُمْ لِكَيْ يَفْتَخِرُوا فِي جَسَدِكُمْ».**

اتفق أشهر الشرَّاح (وعلى رأسهم ليتفوت) أن المقصود هنا هم اليهود المزعجون، فهم يمارسون الختان لأهل غلاطية وهم أنفسهم مهملون للناموس ولا يحفظونه كما يجب وكما يعمل اليهود الغيورون لأنهم أنصاف يهود، ولكن قصدهم كله أن يضموا إليهم الغلاطيين بواسطة الختانة كعلامة وبرهان أنهم أصبحوا يهوداً، وحينئذ يفتخرون بيهوديتهم على أساس الختان وحسب. وهنا يصبح سلوك هؤلاء اليهود المزعجين رياءً بالدرجة الأُولى فلا هم تبع الناموس ولا هم تبع الإيمان.

والطريف أن العالِم بروس[146] يشبِّه عملية قطع الغلفة بالنسبة لمشورة اليهود المزعجين لهؤلاء الغلاطيين بما طلبه شاول الملك من داود كأنه صديق له، ولكن الغرض كان ليوقع به ويتخلَّص منه هكذا:

+ «فقال شاول: هكذا تقولون لداود، ليست مسرَّة الملك بالمهر (بالناموس) ـ بل

(146) Bruce., *op. cit.*, p. 270.

بمائة غُلفَةٍ من الفلسطينيين للإنتقام (الكاذب) من أعداء الملك ـ وكان شاول (بهذا) يتفكّر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين ـ فأخبر عبيده داود بهذا الكلام فحَسُنَ الكلام في عيني داود ... ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بِغُلَفِهم ...» (1صم 18: 25ـ27)

فكما أن شاول لم يكن يهمه قطع غلف الفلسطينيين ولكن كان قصده فقط قتل داود وحسب، هكذا هؤلاء اليهود المزعجون لم يكن يهمهم قطع غلف الغلاطيين ولكن إرضاء أنفسهم بأن يكون الغلاطيون أتباعهم وحسب ومن ثمَّ يسحبونهم من اتّباع بولس.

فخر المسيحي في هذا الدهر

14:6 **«وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ».**

هذه الآية من جهة موضعها والظروف التي قيلت فيها، فهي تقدِّم الافتخار المقابل لأولئك الذين يفتخرون بختانة الجسد في الظاهر كعلامة للعهد القديم، التي في مضمونها تشير إلى مجرد طهارة العضو الذكر من نجاسة موهومة، للانتقال من سيرة الأُمم إلى سيرة اليهود.

والآية تضمن ما يقطع به القديس بولس على نفسه أنه يستحيل أن يفتخر بشيء مهما كان، وضمناً بالناموس والختانة، فإن افتخر فهو يفتخر فقط بصليب المسيح.

وصعب جداً على تصورنا أن يكون الصليب في أيام ق. بولس مصدر افتخار، عندما كان ذكر "كلمة" الصليب يصيب السامع بالفزع والرعبة والتشاؤم والإحساس بالفضيحة والهلاك، حتى إن ذكر الصليب كان مرفوضاً نهائياً في الحديث والكتابة عند اليهود والأدب الروماني. والقديس بولس نفسه عبَّر عن وقع كلمة الصليب على الأسماع: عثرة عند اليهود وجهالة عند الأمم!

ثم معنى الصليب في حقيقة المسيحية لا يزيد عن ذلك، فهو يعني الموت ظلماً

وعلى مستوى اللعنة والعار. فقول ق. بولس بعد ذلك بالافتخار بالصليب يكون أكبر مضادة حادثة بين الفخر والفضيحة، وحتى علاقة الصليب نفسها تحكي عن مضادة واقعة بين إرادة الله الرأسية من السماء إلى الأرض ⇩ وإرادة الإنسان التي من الأرض إلى الأرض ⇔ لتنشئ هذا الصليب الذي هو التعارض الكبير ✞ بين الله والإنسان بين الحق والباطل. فكون الإنسان (يسوع المسيح) يقع في بؤرة هذه المضادة أي الصليب يعني أنه انسحق انسحاقاً فيما هو إنسان لينتهي إلى نصرة ما لله فيه. وهنا يتحوَّل الصليب من واقع الذلّة والعار والفضيحة للإنسان إلى الارتفاع بقوة المجد نحو الله

ليصير إلى ما هو لله كلاً. ولكن لا يزال الافتخار يعني عبور هذه المحنة والمأساة العظمى لحساب الله بالنهاية. لذلك لكي يكون الإنسان مسيحياً وتلميذاً للمسيح يتحتَّم عليه أن يحمل هذا الصليب ويتبع خطوات المسيح بمعنى العبور في هذه المحنة عينها بالانسحاق والتواضع التي بعد أن نفّذها المسيح عملياً في نفسه وفي جسده وأعطى سر قوتها للإنسان بالقيامة من الأموات، أصبح لدى كل إنسان بقوة روح قيامة المسيح القدرة على العبور في محنة الصليب من خلال الانسحاق والتواضع بضمان القيامة التي جازها بروح المسيح. من هنا صار الصليب، تلك المضادة العظمى بين إرادة الله وإرادة الإنسان ـ عبر محنة الموت الإرادي ـ هو فخر الإنسان بجدارة، الذي كما يقول ق. بولس أن به يموت العالم للإنسان كما يموت الإنسان بالنسبة للعالم، بمعنى الموت الحقيقي بالروح عن هذا العالم مقابل الحياة للعالم الآخر حيث تُقتلع طبيعة الإنسان من تربة عالم الخطية والموت والزوال والفناء الحتمي لتُغرس في طبيعة جسد المسيح لتحيا حياة الأبد.

لذلك لم يكن ق. بولس مبالغاً في اعترافه التاريخي عندما قال:

+ «لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته مِنْ أجل المسيح خسارةً. بل إني أحسبُ كل شيءٍ خسارةً مِنْ أجلِ فضلِ معرفة المسيح يسوع ربِّي، الذي مِنْ أجلهِ خَسِرتُ كل الأشياءِ، وأنا أحسبها نُفايَةً لكي أربحَ المسيح، وأُوجَدَ فيه.» (في 3: 7-9)

والذي ينبغي أن نعيه ونحفظه للممارسة هو مركز الصليب في تعليم ق. بولس اللاهوتي وفي حياته، فهو محور كل كرازته بل قوتها بل افتخارها؛ وهو بذلك يعتبر أكثر الرسل جميعاً تقديراً وتقديساً وافتخاراً بصليب المسيح، ذلك في وقت كان الصليب ـ كما قلنا ـ كلمة رعب ورمز الفضيحة والعار الذي ماته المسيح عليه:

+ «لأن المسيح لم يرسلني لأعمِّد بل لأبشِّر، لا بحكمة كلام لئلاً يتعطَّل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأمَّا عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله ... لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وأمَّا **للمدعوين يهوداً ويونانيين** فبالمسيح (المصلوب) قوة الله وحكمة الله ... ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداء حتى كما هو مكتوب مَنْ افتخر فليفتخر بالرب.» (1كو 1: 17-31)

وكل إنسان مفكِّر يندهل كيف نجحت كرازة ق. بولس بين الرومان واليونان بالكرازة

بالصليب، مع أن الصليب هو كلمة مكروهة للغاية ومزدرى بها جداً بل وكلمة تشاؤم عند الرومان واليونان كما عند اليهود. السر هنا يكشفه ق. بولس بقوة وعلانية وتحدٍّ:

+ «وأنا لمَّا أتيت إليكم أيها الإخوة، أتيتُ ليس بسموِّ الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله، لأني لم أعزم (صممت) أن أعرف شيئاً بينكم (لا كلمة ولا فن ولا تمثيل ولا أدب ولا قصص) إلاَّ **يسوع المسيح وإياهُ مصلوباً.**» (1كو 2: 1و2)

ولكنه يكرز علانية بصليب المسيح معتمداً على قوة الروح القدس الذي سيقنع الناس وليس بحكمة الكلام:

+ «وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُقنِع، بل **ببرهان الروح والقوة،** لكي لا يكون **إيمانكم** بحكمةِ الناس بل **بقوة الله.**» (1كو 2: 4و5)

يا إخوة، سيظل صليب المسيح معنا وفينا عثرة، سواء كُنَّا متكلمين أو صامتين إلى أن تؤازر الكلمة قوةُ روح الله القدوس، وحتى في صمتنا يتكلَّم الروح ويعمل بقوة: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًّا، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع» (2كو 4:5). فقوة الكارز هي في روح الله وتواضع الروح.

وواضح من كرازة ق. بولس بصليب المسيح أنه لا يقدِّمه كموضوع كرازة بحد ذاته، بل كقوة فعَّالة تعمل الآن في كل قلب، ليغيِّر الإنسان من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح، وتظهر في الحال كفعل توبة وعودة لله بقوة. كما يقدِّمه كحقيقة أخروية أي فائقة عن هذا العالم، قوة خلاص مقتدرة تفصل ما لهذا العالم عن العالم الآخر الحقيقي ولا صلة بينهما على الإطلاق.

«الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم»:

فالإنسان المصلوب مع المسيح يكون قد مات في نظر العالم مثل المسيح، وفي نظره هو يكون مائتاً عن العالم لأنه صار حيًّا لله في المسيح. هذا الذي عبَّر عنه ق. بولس بقوله: «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبتهِ» (كو 13:1). والذي يتوقف قليلاً هنا ويتأمل في هذه النقلة يجدها قد تمت حقًّا وبالفعل بواسطة الصليب. فالصليب في معنى الخلاص وقوته هو أداة الانتقال الواقعي من الموت إلى الحياة من هذا العالم إلى الآخر. ولكن هذا يتوقف على مدى إيمان الإنسان المسيحي وثقته وإحساسه الباطني أنه صُلب حقًّا مع المسيح ومات معه على ذات الصليب لينتقل من الموت إلى القيامة، أي من حياة حسب هذا الدهر (الموت) إلى حياة حسب

الدهر الآتي (في الحياة الأبدية).

وهذا هو الواقع المذهل الذي تمَّ على صليب المسيح عندما أسلم الرب الروح بعد أن قال «قد أُكمل» فقد انتهى العالم الحاضر على الصليب وبواسطته، ليبتدئ العالم الآخر بعد تكميل أصول الموت في اليوم الثالث بقيامة المسيح السرية التي لم يَرَها العالم الحاضر ولا لاحظها ولا سجلها لأنها هي الحياة الأبدية غير المنظورة. وهل يمكن أن يرى الموت الحياة؟ إلاَّ إذا باد الموت في ذاته أو من القلوب، لذلك فالمسيح القائم من الأموات رآه أُولئك الذين آمنوا بالقيامة أي الذين جازوا الموت مع المسيح وقاموا.

أمَّا موت العالم الحاضر الشرير بالنسبة لنا فيعبِّر عنه ق. بولس في مبدأ هذه الرسالة هكذا:

+ «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، **ليُنقذنا من العالم الحاضر الشرير.**» (غل 4:1)

وماذا يعني أن العالم صُلب لي وأنا للعالم؟ أليس هذا العالم المضاد لله بقواته الشريرة وأركانه المظلمة؟ «ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله» (1كو 13:2). أليست هي عظمة هذا العالم وأمجاده الكاذبة وأهواؤه هي التي أختفت من محيط حياته، وكأن الصليب أصبح سوراً منيعاً يفصل العالم الشرير ويخفيه حتى ولو كان ظاهراً في الظاهر؟ فكما أن المسيح اختفى عن العالم بعد موته تماماً، هكذا تماماً أيضاً اختفى العالم عن المسيح. وماذا يعني أن الصليب، والصليب وحده فقط، صار فخر ق. بولس وافتخاره؟ أليس معناها أن كل ما دون الصليب صار مُزدرى به وغير موجود بل وغير منظور؟

والآن عزيزي القارئ، بعد ما سمعنا عن «حاشا لي أن أفتخر بشيء قط إلاَّ

بصليب ربنا يسوع المسيح» ما رأيك في الذي يخجل من صليب ربنا يسوع المسيح؟ ولا أقصد أنه يخفيه من يده أو من على صدره، ولكن هو يمسكه ويظهره على صدره ولكن يخفيه من حياته، بمعنى ينكره بسيرته ويخجل منه في أعماق ضميره. يشهد به بفمه ولكنه لا يُرى قط في معاملته أو تصرفاته أو سلوكه دون أن يدري.

ولكن لماذا ينكره بسلوكه؟ أليس لأنه غير قائم في قلبه، بمعنى أنه لم يَجُزْ الموت الحقيقي مع المسيح، يدَّعي القيامة ويشهد لها مع أنه لم يمت بالحق ولا ذاق الصليب أو احتمل عاره. هذا هو الافتخار الكاذب بالصليب، وهذا هو الصلب الكاذب للعالم ولي!!

وهذه سمة أهل العالم في هذه الأيام. أمَّا الصليب الحقيقي فهو الذي أحفظه في قلبي وأصعد عليه كل يوم بإرادتي فأتلذَّذ بموتي عليه وأفرح باختفاء عالم الأكاذيب عن قلبي.

15:6 **«لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ».**

«الخليقة الجديدة»: kain¾ kt…sij

المعنى المباشر هو: **أن نكون في المسيح**، فالإنسان في المسيح هو خليقة جديدة (2كو 17:5). الخليقة الجديدة موطنها السماء والحياة الأبدية وملكوت الله، ولكن الآن المؤمنون بالمسيح يحققونها كحياة في المسيح تتحقَّق بالروح القدس، وفي النهاية يحقق الجميع هذه الخليقة الجديدة كوحدة بشرية:

+ «لأنه كما في آدم (يتحتَّم أن) يموت الجميع، هكذا **في المسيح سيحيا الجميع.**» (1كو 22:15)

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى **إنسانٍ كاملٍ** (الخليقة الجديدة). **إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف 13:4)

هنا يُظهر ق. بولس الرسول تقييمه للختان بحد ذاته أنه لا قيمة له كما الغرلة أيضاً، أي أن عدم الختانة لا قيمة لها إن كان الإنسان قد قبل الإيمان بالمسيح وقبل بالتالي الطبيعة الجديدة في المسيح، فأصبح غير منتمٍ للطبيعة القديمة ذات الغرلة والختانة، وأصبح الذي يهم الإنسان غاية الاهتمام هو ما هي مؤهلات طبيعة الإنسان القائم من الأموات مع المسيح، أي الخليقة الجديدة التي تعيش بالروح. ففي الخليقة الجديدة ليس ذكر ولا أنثى من الأساس ولا يهودي وأُممي، بل إنسانٌ واحدٌ جديدٌ على صورة خالقه في القداسة والحق. لأن الخليقة الجديدة هي خليقة روحانية

يتقهقر منها كل ما هو للجسد.

ونفس هذه الآية التي نحن بصددها الآن هي متقدمة خطوة عن مثيلتها في (6:5): «لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل **الإيمان العامل بالمحبة**» حيث الإيمان العامل بالمحبة هو عمل الخليقة الجديدة. فالإيمان العامل بالمحبة في المسيح هو ممارسة، وفعل عامل باجتهاد وبمؤازرة النعمة. هنا ممارسة الخلاص **كفعل إيمان.** ولكن في هذه الآية الجديدة (15:6) حالة الإنسان في **الخليقة الجديدة هي حالة قائمة نتيجة اتحاد في كيان الخليقة الروحانية الجديدة في المسيح كهبة، وهي نفسها حقيقة ملكوت الله** المعلن لنا وفينا منذ الآن. وهذا يُحسب قياماً في الخلاص، كحالة

وجود حيّ فعَّال، كهبة إيمان وليس كفعل إيمان!

+ «**إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً.**» (2كو 5:17)

والانتقال الذي انتقله ق. بولس من الخليقة العتيقة بناموسها إلى الخليقة الجديدة بروحها الذي من الله بالمسيح سبق أن شرحه ق. بولس بوضوح هكذا::

+ «لأني **مُتُّ بالناموس** (على صليب المسيح لأن المسيح مات بحكم الناموس) للناموس **لأحيا** (في المسيح) **لله. مع المسيح صُلِبتُ** (الخليقة العتيقة)، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ (الخليقة الجديدة). فما أحياهُ الآن (في الخليقة الجديدة) في الجسد، **فإنما أحياه في الإيمان** (أي أن الإيمان يمثل فاعلية الخليقة الجديدة التي نحياها بالإيمان)، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلَمَ نفسه لأجلي.» (غل 2: 19و20)

وهكذا **لا يمكن فصل الخليقة الجديدة عن الإيمان بالمسيح** لأن الإيمان مربوط بالمعمودية:

+ «**خلعتم الإنسان العتيق** مع أعماله، **ولبستم الجديد** الذي **يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه**، حيث ليس يونانيٌّ ويهوديٌّ، **ختانٌ وغرلة**، بربريٌّ سكِّيثيٌّ، عبدٌ حرٌّ، **بل المسيح الكل وفي الكل.**» (كو 3: 9-11)

فالمسيح في الخليقة الجديدة هو الكل في الكل حينما يموت العتيق حقًّا على صليب الخلاص.

فإن كانت كل هذه الآيات توضح مفردات الإنسان الجديد الذي هو عضو الخليقة الجديدة في المسيح، فالقديس بولس في هذه الآية الأخيرة (15:6) قد انتهى بالخليقة الجديدة إلى قمة الاستعلان.

16:6 **«فكُلَّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بحَسَبِ هذا الْقانُون عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ ورَحْمَةٌ، وَعَلى إسْرَائِيلِ اللهِ».**

«بحسب هذا القانون»: kanÒni

القانون = kanèn هنا هو **المبدأ الثابت**، المحسوب كقانون الحياة وهو قيام الخليقة الجديدة على أساس موت العتيقة.

أمَّا الذين يسلكون بحسب هذا القانون فهم المؤمنون بالمسيح الذين صاروا بالفعل أعضاءً في الخليقة الجديدة، المحسوبون أنهم إسرائيل الجديد إسرائيل الله، في مقابل الذين انخدعوا

بالناموس والختانة وارتدوا إلى إسرائيل موسى.

وكلمة "يسلكون = stoic»sousin" سبق أن شرحناها في الآية (5 : 25) وتعني: "السير خطوة بخطوة مع هذا القانون".

«وعلى إسرائيل الله»: 'Isra¾l toà Qeoà

كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في هذا الموضوع:

[هم الذين يتبعون نعمة ربنا يسوع المسيح وفعلها الجديد، فهم الذين ينعمون بالسلام والرحمة فيدعون عن صحة بإسرائيل].

وهذا الاتجاه هو الساري في الكنيسة منذ أيام يوستين الشهيد(147) باعتبار أن الكنيسة المسيحية تعتبر هي: "إسرائيل الروحي الحقيقي".

وأغلبية العلماء مقتنعون بصحة هذا الاتجاه، لأن الكنيسة هي استمرار حقيقي لإسرائيل بعد أن دخل اليهود في المسيح مع بقية الأمم على أساس تجديد الخليقة بالروح.

وإن كنَّا نرى نحن أن تحية ق. بولس تختص فقط باليهود الذين دخلوا الإيمان وقبلوا قانون الخليقة الجديدة فأصبحوا إسرائيل بالحق أو إسرائيل الله. على أن هذا السلام وهذه الرحمة ظلت دعوة مباركة على رأس اليهود الذين سيخرج منهم في النهاية من يعودون ويقبلون المسيح كمسيًّا الدهور، الذي بدأ بالفعل يستعلن نفسه لهم الآن وبدأوا يدخلون في المسيحية بالآلاف وينعمون حقًّا بالسلام والرحمة بعد دهور الأحزان والحرمان السالفة.

فتحية لروحك أيها القديس بولس الرسول رائي العهد الجديد الذي أعلن عن يقين

Just. Mart., *Dial.*, 11, 5. (147)

الإيمان والرؤيا: «أن البقية ستخلص» البقية التي أبقاها الله لنفسه لتشهد للمسيح المسيَّا أعظم شهادة، لتكون بالنهاية نور الأُمم للملء الجديد.

17:6 **«فِي مَا بَعْدُ لاَ يَجْلِبُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتْعَاباً، لأَنِي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ».**

«فيما بعد»: toà loipoà

لقد استكفى ق. بولس أتعاباً من الغلاطيين، فبعد أن بذل أقصى جهده لإقناع هؤلاء الأغبياء

حسب تعبيره، وقف مرَّة واحدة ليضع حداً لمهاتراتهم بالنسبة له. فقد سلكوا سلوكاً مخيِّباً لظنه فيهم والآن لا يقبل المزيد من هذا الغباء. ولقد تسبَّبوا بهذا السلوك الغبي في إزعاج نفس ق. بولس وجدَّدوا عليه أوجاعه، فهو كمَنْ يقول كفاكم: «لا يجلب أحد عليَّ أتعاباً» لأني قد استكفيت آلاماً حتى في جسدي الذي يحمل كسوراً وجروحاً تحكي عن شركتي الحقيقية في صليب ربنا يسوع المسيح. أليست هذه كلها تحكي أيضاً كيف كُرِزَ برسالة الإنجيل في لسترة؟ «ثم أتى يهودٌ من أنطاكية وإيقونية وأقنعوا الجموع، فرجموا بولس وجرُّوه خارج المدينة، ظانين أنه قد مات. ولكن إذ أحاط به التلاميذ، قام (تألَّم ورجم ومات وقام) ودخل المدينة، وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربَة.» (أع 14: 19و20)

هذا حدث في لسترة إحدى مدن غلاطية!! لذلك فالقديس بولس يتكلَّم هنا عن سمات الرب يسوع التي رآها وعرفها أهل غلاطية!! سواء بالرجم حتى الموت، أو بقيامة مرَّة أخرى بعد الرجم وبعد أن ظنوه أنه مات، إذ أعطته أيضاً سمة القيامة مع الرب يسوع:

+ «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا. لأننا نحن الأحياء نسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت.» (2كو 4: 10و11)

وكانت هذه ليست إرادة ق. بولس وحسب بل ومسرَّة نفسه: «لأعرفه، وقوَّةَ قيامته، وشركة آلامه، متشبِّهاً بموته» (في 3:10). والذي يجمع هذه الأقوال وهذه الأوصاف يشعر أن ق. بولس كان كمَنْ يسعى ليحمل في جسده وحياته أكبر قدر من الآلام ليحقِّق شركته الإيمانية في آلام وصليب وموت المسيح:

+ «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلِكم، وأُكمِّل نقائص شدائدِ المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة،» (كو 1:24)

وحينما يقول ق. بولس إني «حامل في جسدي سمات الرب يسوع» فهو يوحي للقارئ أنه يعتبر نفسه عبداً ليسوع المسيح بنوع تكميل الشراء ودفع الثمن. فالعبد إذا تمَّ بيعه يأخذه سيده ويصنع في جسده بالكي علامات خاصة بل ربما اسمه حتى يؤكد ملكيته ولا يدع للعبد فرصة للهرب!! «من وجهك أين أهرب» (مز 7:139)!! لذلك فكلُّ مرَّة كان يقول فيها ق. بولس أنه عبد ليسوع المسيح كان يتحسَّس جروحه العميقة وكسوره!!

ثم أليس هذا، يا عزيزي القارئ، هو الذي كان يصنعه آباؤنا الأماجد في أجسادهم وأجساد أولادهم: برشم الصليب أو دقّه الذي كان يُصنع إما بصبغة على جرح بشكل صليب أو بالحرق ليبقى رسم الصليب في الجسد حتى الموت، إمَّا على اليد أو الذراع أو حتى على الصدر كله. ليظل الإنسان معروفاً علناً أنه عبد يسوع المسيح. أمَّا الوشم الذي على الصدر فلكي يتعرَّف عليه الناس إذا مات فجأة أو في غربة حتى يحملوه إلى الكنيسة ويصلوا عليه ثم يدفن في مدافنها(148). فهذا هو صليب ربنا يسوع سمة المسيح في الحياة والموت:

عبيدك نحن يا رب!!

18:6 **«نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ أَيُّهَا الإخْوَةُ. آمِينَ».**

«نعمة»: c£rij [1]

بدأ بها رسالته «نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله الآب، ومن ربنا يسوع المسيح» (غل 3:1)، وها هو ينهي بها الرسالة كختام البركة كعادته في رسائله.

«مع روحكم»: met¦ toà pneÚmatoj Øm‭în

أضاف هنا ق. بولس: **«مع روحكم»** قاصداً حتى النهاية أن يفرق ما للجسد عمَّا للروح لأهل غلاطية الذين انحازوا للجسد. مع أنه في كل رسائله يكتفي بكلمة معكم:

---

(148) تاريخ الكنيسة يحمل لنا ذكريات عطرة – عشناها عياناً في بكور حياتنا الرهبانية – عن النسَّاك لبـَّاس الصليب، أي الإسكيميين حيث الإسكيم هو عبارة عن عدة صلبان على الصدر فوق القلب وعلى الظهر في موضع مركز النشاط الجنسي وعلى الكتفين موضع النير الهين والحمل الخفيف! وكانت الكنيسة تتشبَّث في عصورها الزاهرة بأن يكون بطاركتها وأساقفتها من لبَّاس الإسكيم. ولما انتهى عصر النسَّاك الحقيقيين ظلت الكنيسة تُلبس الأسقف يوم رسامته الإسكيم – ‘‘عِبْرَةً’’ – ولكن الآن رُفع من الطقس إعلاناً عن اختفاء طقس النسَّاك.

+ «نعمة ربنا يسوع المسيح معكم آمين.» (رو 20:16)
+ «نعمة الرب يسوع المسيح معكم.» (1كو 23:16)
+ «النعمة معكم آمين.» (كو 18:4)
+ «نعمة ربنا يسوع المسيح معكم.» (1تس 28:5)
+ «النعمة معك آمين.» (1تي 22:6)

«نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم»:

النعمة = c£rij وباللاتيني = Gratia. والقديس بولس هو أكثر مَنْ مارسها من الرسل وأكثر مَنْ علَّم بها ودعى. فقد ذكرها ق. بولس عدداً من المرات يتساوى مع ضعف ما ورد منها في بقية العهد الجديد بأجمعه، فهي أكثر ما ركَّز عليه: العطاء المجاني للكنائس.

والنعمة هي مركز عطاء الله النابض، فهي قوة الله التي يهبها مجاناً دون أي استحقاق من أحد بسبب شدَّة وجودها في طبيعته السخية والغنية، فهي التي تعبِّر عن محبته المتأججة نحو الإنسان فيعطيها من ذاته لتنسكب على ذهن الإنسان **لينفتح على الإنجيل**، لتقديسه. وهي أعظم ما نال ق. بولس فصارت أعظم ما يدعو به للكنائس. فهي طاقة إلهية ديناميكية أي ذاتية الحركة الدائمة المنبثقة من طبيعة الله تلهب قلب الإنسان بحب الله ليبادله حبًّا بحب، فتضيء ذهنه بأسرار الإنجيل أي الخلاص الممنوح للإنسان، وبالتالي فهي قوة التجديد الدائم التي بها يتغيَّر الإنسان بتجديد ذهنه بالإنجيل لكي يتوافق مع صورة خالق الإنسان الجديد الذي خلقه الله على صورته في القداسة والحق. والنعمة قوتها تُستمد من عمق كلمة الإنجيل، لأن الكلمة تحوي نعمة الحياة فتنسكب الحياة أولاً بأول فيدركها الناس ـ في الموهوب ـ من قوة الإفراز الذي تعطيه النعمة مع الحكمة التي تضيء أمامه كل طرقه. والنعمة لا تعمل في الإنسان إلاَّ في حرية الروح، وأي تضييق في حرية الروح تنقفل النعمة ولا تتسع روح الإنسان لاحتوائها. فالله لا يسكن في جزء من هيكل الإنسان، والنعمة لا تُشعل القلب بنار الروح إلاَّ في حضرة الله بالصلاة، فالصلاة الدائمة وقود النعمة المختار الموهوب مجاناً لذوي الغيرة على حياة العطاء.

والإنسان الحائز على النعمة يجذب الروح ويبهج القلب، لأنه يسلِّم العطية التي

فيه دون أن يدري، وهو قادر على تغيير القلوب وإراحتها وتجديد الفكر والحياة:

+ «وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه.» (لو 22:4)

+ «ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح (الإنجيل) لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد.» (كو 6:4)

وبالنسبة لواقع الإنسان الذي يشقى بجسده، فالنعمة هي المحرِّك الإلهي المضاد للخطية الذي بلغ أوجه في عمل الخلاص: «بالنعمة أنتم مخلَّصون» (أف 5:2). ولن تكف النعمة عن عملها طالما

الإنسان واثق من خلاصه الذي أُكمل له مجاناً. وأوضح وأوقع آية سمعتها هي ما قاله ق. بولس ـ مع تصحيح الترجمة: «اسلكوا بالروح **فلن** تكمِّلوا شهوة الجسد »(غل 16:5). كما عرفها وكتبها ذهبي الفم في شرح رسالة غلاطية!! هذا هو عمل النعمة القوي والمجاني القادر أن يجدِّد الجسد ليخرجه خارج السلوك الجسداني.

وواضح هنا أن عمل النعمة بالروح القدس لا يعتمد على عمل أو جهاد بل يعتمد على الاعتماد الإيماني بعمل النعمة. والمعيار الصادق الذي وضعه ق. بولس بالروح هو: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (2كو 9:8). هذا سر عظيم أنه من خلال فقر المسيح تتسرب النعمة لفقرنا، لنستغني بفقره وفقرنا فيه. فإن كان هناك عمل يشتاق الإنسان أن يتممه ليقبل هذه النعمة المجانية فهو عمل اتصال بفقر المسيح الذي يستحيل أن يتم إلاَّ من خلال فقرنا. أمَّا فقر المسيح فأثمر خلاصنا وأمَّا فقرنا فهو حصولنا على هذا الخلاص المذخر فيه نعمة وفقر المسيح.

أمَّا مقارنة قوة الخطية بقوة النعمة فوصفها ق. بولس في هذه المعادلة:

+ «إن كان بخطية واحد (آدم) مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً **نعمة** الله **والعطية بالنعمة**، التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين (للكل). »(رو 15:5)

والقديس بولس يشدِّد جداً على صلة محبة الله التي سكبت لنا نعمة المسيح:

+ «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين.» (2كو 14:13)

فمَنْ ذا الذي لا يمسك بتلابيب النعمة كما مسك يعقوب بملاك الليل مسكاً لا تفريط فيه حتى مطلع الفجر، وبعد إلحاح الملاك ليتركه رفض يعقوب: «لا أطلقك

إن لم تباركني» (تك 26:32). فباركه مرغماً وأعطاه تجديد الحياة مع تجديد الاسم: «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل (أي الذي رأى الله).» (تك 28:32)

هذه رسالة غلاطية مشروحة، نطرحها بين يديك أيها القارئ العزيز، وكلها موجهة إلى قلبك تخاطب إيمانك وتستنهض روحك، لتقبل

الدرة الثمينة المتلألئة فيها التي بهرت كل الأجيال، «**إن آمنت تنال بر الله المجاني**»(149)، حتى بالبر تفعل كل ما يرضي الله وما يسعدك.

والآن

يتوجّب عليَّ أن أقدِّم الشكر لله الذي نظر إلى ضعفي وقواني في مرضي، وهكذا أمدَّني بنعمته حتى أنارت ذهني لأفهم أسرار هذه الرسالة لتنير الطريق أمام هذا الجيل كما أنارت لغلاطية في ذلك الزمان، وما أشبه اليوم بالبارحة.

Φ✞Δ

(149) على مستوى قول المسيح لمرثا: «إن آمنت ترين مجد الله.» (يو 40:11)